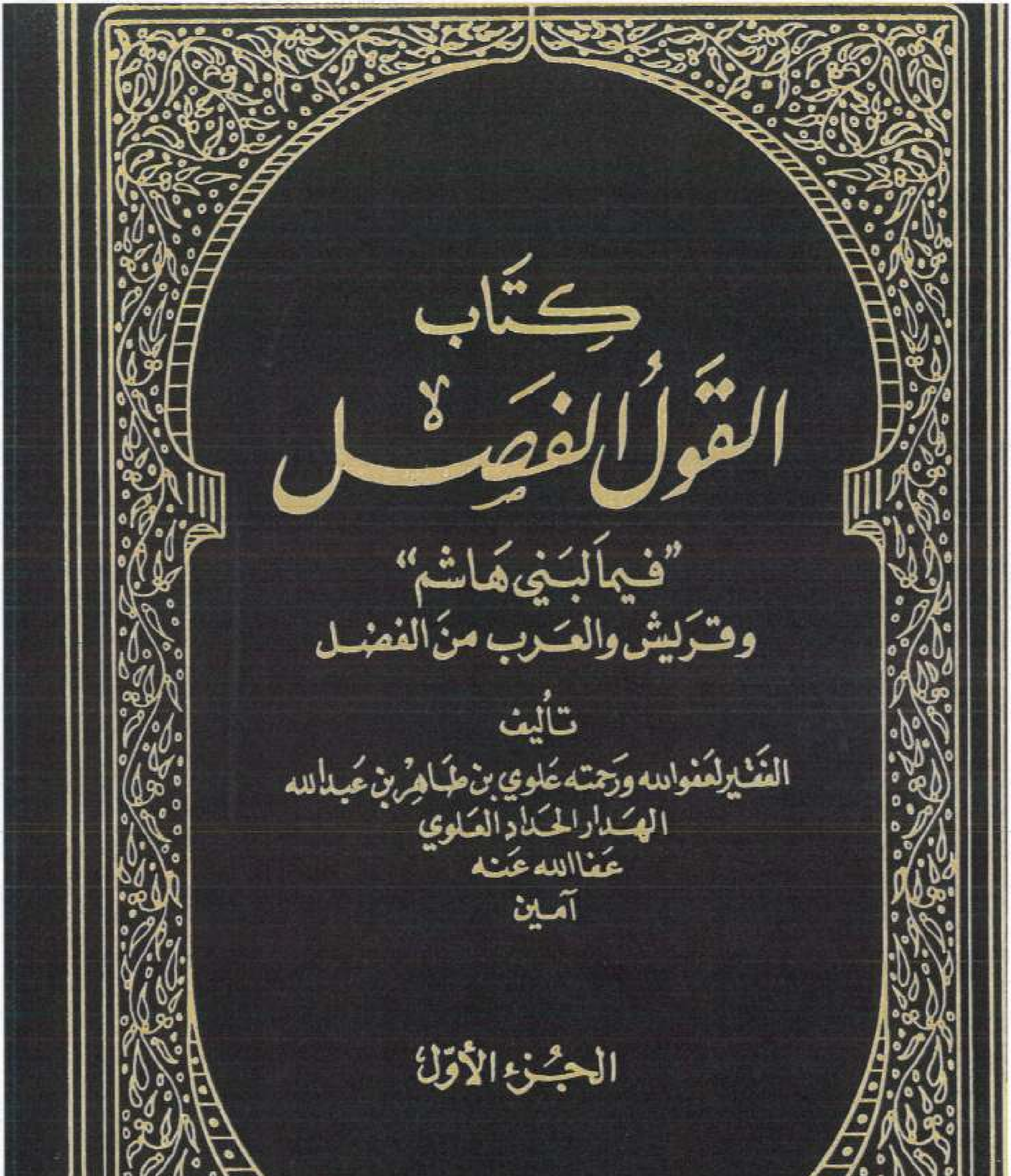

كتاب
القول الفصل

"فيما لبني هاشم"
وقريش والعرب من الفضل

تأليف
الفقير لعفو الله ورحمته علوي بن طاهر بن عبد الله
الهدار الحداد العلوي
عفا الله عنه
آمين

الجزء الأول

كتاب

القول الفصل

"فيما لبني هاشم"
وقريش والعرب من الفضل

تأليف
الفقير لعفو الله ورحمته علوي بن طاهر بن عبدالله
الهدار الحداد العلوي
عفا الله عنه
آمين

قال صلى الله عليه واله وسلم بغض بنى هاشم والانصار كفر وبغض العرب نفاق رواه الطبرانى وقال صلى الله عليه واله وسلم من يرد هوان قريش اهانه الله اخرجه احمد وابن ابى شيبة والعدنى والترمذى وحسنه والطبرانى وابو يعلى والحاكم فى المستدرك وابو نعيم وتمام الرازى وغيرهم وقال صلى الله عليه واله وسلم والله لايدخل قلب رجل ايمان حتى يحبكم لله ولقرابتى يعنى اهل البيت قال الترمذى حديث حسن صحيح واخرجه احمد والحاكم فى صحيحه وطراد وابن ماجه والبغوى ومحمد بن نصر المروزى والطبرانى فى الكبير والاوسط وابن عساكر والخطيب والرويانى وابو داود الطيالسى بالفاظ متقاربة من طرق متعددة

الجزء الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم ٭
اللهم لك الحمد واليك المشتكى وبك المستغاث وانت المستعان
ولا حول ولا قوة الا بك .

نحمدك اللهم على ما علمت من الدين ، واوضحت من سبل اليقين ، وكشفت من شبهات الباطل والتزيين . وابنت من دلائل التثبيت والتمكين ، ببعثة رسولك الصادق الامين : الذى بعثته فى الاميين ومن الاميين . رحمة سابقة للعالمين ، وحجة بالغة للمحقين وعلى المبطلين ، حين عشت من الناس بصائرهم ، واسودت بظلم الظلم ضمائرهم ، ومرجت بالبغى عهودهم ، وانحلت بالغي عقودهم ، واستعرت نار الفتن . واستحكمت حلقات المحن ،

فارسلته صلى الله عليه وآله وسلم برهانا منك ونورا مبينا ، وحصنا لحزبك واقيا حصينا ، ودليلا بالحق للحق هاديا ، وشهيدا

بالبلاغ على الخلق زاكيا ، ومبشرا بالجنة والمنة ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ،

فبلغ صلى الله عليه وآله وسلم صادق الدعوة ، وكشف عن الافئدة جلباب العشوة(١) ، واحكم عرى الاسلام عروة عروة ، ونقض من الباطل مرائر(٢) القوة ، حتى اصبح الدين راسية دعائمه ، راسخة قوائمه ، مشيدة اركانه ، عامرة اوطانه ، ثم اختاره الله لما عنده ، واجتباه لما ادخر له واعده ، فى ديار المقامه ، ومنازل الكرامة .

ولم يدعنا صلى الله عليه وآله وسلم هملا لانرجع الى هداية ، ولانستعصم بحراسة ورعاية * كلا . بل ترك لنا ثقلي امنة ونجاة ، وحبلي عصمة وتقاة ، ثقيل امرهما ، جليل خطرهما ، عظيم خيرهما ووفرهما ، امرنا بالاستمساك بهما ، وناشدنا الله في ثانيهما ، واخبرنا انهما قرينان لايتفرقان ، وحليفان لايختلفان ، اولهما كتاب الله فيه الحق المبين ، ونجاة المعتصمين * وثانيهما اهل بيته بقية ذرئ النبيين ، وعترة الطيبين الطاهرين *

---

(١) العشوة بالضم والفتح والكسر الامر الملتبس وان يركب امرا بجهل لايعرف وجهه مأخوذ من عشوة الليل وهى ظلمته . اه نهايه

(٢) قال فى الاساس وعندى مرير ومريرة حبل محكم اه

فلم يزل بنا غول البغي الذي هلكت به الامم السابقة، واتباع سنن من قبلنا الذى وعدت به هذه الامة اللاحقة، أن انهمك اكثرها في التفرق عن الكتاب بالاختلاف والتأويل، وضروب من اللي والتعليل، حتى خفي الحق بين ظلمات الاضاليل، وعادت الامة شيعاً يرمي بعضها بعضا بالتكفير والتضليل، سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ؛

وبسط بعضها ايديهم الى العترة بالظلم والتجريح والتقتيل، والتطريد والاسار والتغليل، بَلهَ الشنأة والغل والغليل (١)، فبدلوا فيهم نعمة الله كفرا، واوسعوا عهد رسول الله غدرا، هذا * وقد ابلى اليهم صلى الله عليه واله وسلم فى ذلك عذرا: وقدم اليهم ذكرا ونذرا، ونهيا وامرا، فجعلوا تركته (٢) رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ومنشودة ووديعته (٣) غرضا يُرمى حتى رثت لهم القلوب القاسية، ورقت لهم الافئدة العاتية، وخصومهم لا يزدادون الا غيظا وعتبا، ولا يحملون لهم الا بغضا

---

(١) بله بفتح فسكون اى دع الشنأة الخ فانها اقل افعالهم الخبيثة والغليل شدة الغيظ والوجد والعطش والمراد هنا الاول اه مؤلف

(٢) تركته اهل بيته لقوله صلى الله عليه واله وسلم انى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى اه مؤلف

(٣) عترته اقرباؤه من ولده وولد ولده وبنى عمه لحا ومنشوده اى مسؤله لانه صلى الله عليه واله وسلم نشدهم الله فى عترته اى سألهم بالله فى رعاية حقهم اه مؤلف

ونصبا : حتى غضب جبار السماء مما يفعل جبابرة الارض ، فأنزل بهم النقم الحواصد : والقوارع الصوارد ؛ والدواهي القواصد ؛ والشدائد تتلو الشدائد ، فهلكت منهم طوائف ، وخلف عنهم خلائف ، فلا الاول ادكر وارتدع . ولا الآخر اعتبر واستمع ؛

هذا وسوط النقمة مرسل عليهم شؤبوبا بعد شؤبوب ، والهوبا يلحقه الهوب ، ليرجع الباغي عن بغيه ، وينثني الغاوي عن غيه ، فنستغيثك اللهم لما نزل بنا وبقومنا فقد انتكثت القوى ، وغلب الهوى ، واعضلت الادوى ، وعمت البلوى ، وصارت الامة هشيا تذروه رياح الفتن ، وتبذده عواصف المحن ، وقد استحصد زرع الباطل وبلغ نهايته ، ونشر لاتباعه رايته ، واستحكم عموده ، واستجمع طريده ، وحذق وليده ، وضرب بجرانه ، وادلى ببهتانه ، والامة لاهية ، والمقاتل بادية ، والثغور عارية ، والمرابئ (١) خاوية ، وجنوده غاوية عاتيه .

فاتح له اللهم من الحق يدا حاصدة ، ونقمة راصدة ، وبلية قاصدة ، تجذ سنامه ، وتنكس اعلامه ، وتستأصل اغتامه ، وتكشف عناقتامه ، وتطمس دعوته ، وتدرس بذرته .

ونستعينك على ما وجهنا اليه عزمنا من نصر الحق المهضوم ،

---

(١) المرابىء جمع مربأة وهو موضع الطليعة والرقيب الذى يرقب العدو اه

ورد الخطأ الموهوم ، ودمغ الباطل فاذا هو مهزوم ، بالحجج القاطعة ، والدلائل الناصعة ، والنقول الجامعة ، على ما بنا من قصر الباع والذراع ، وقلة العلم والاطلاع ، وعدم الانصار والاتباع .

واعذنا اللـهم من حسود تفور سخائمه ، وتثور عاصفةً سمائمه ، يتضرم حقدا ، ويتلهب وقدا ، يعرف نعمة الله ثم ينكرها ، ويلبسها غبطة ثم يكفرها .

اللهم وصل وسلم ازكى صلاة وسلام ، على اعظم قدوة وإمام ، نبي الايمان والاسلام ، ورسول الشريعة والاحكام ، الهادي بالوحي والالهام ، والصادع بنور الحق ظلمات الاوهام ، والرافع بالنشر والنصر راية الدعوة والاعلام ، محمد سيد الانام ، وخيرة البررة الكرام ، وعلى اله دعاة السـلام ، وجلاة الظلام ، وصحبه الاعلام ، واتباعه في الاقدام والاحجام .

﴿ اما بعد ﴾ فقد روي عن النبي صلى الله عليه واله وسلم انه قال يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين : اخرجه ابن عدي من طريق اهل البيت وروي عن معاذ وابن عمر واسامة بن زيد وعبد الله بن مسعود وابي امامة الباهلي وعبد الله بن عمرو مرفوعًا وعن ابراهيم بن عبد الرحمن العذري مرسلاً وقال الامام

احمد هو صحيح وهو عند ابن عدى والخطيب وابن جرير والطبراني والخلال وتمام الرازى وغيرهم ،

فدل هذا الحديث على انه سيكون في كل جيل حملة عدول لما جاء به صلى الله عليه واله وسلم من العلم ينفون عنه ثلاثة امور تحدث فيه ، تحريف من الغالين ، وانتحال من المبطلين ، وتأويل من الجاهلين ، وقد وقع جميع ما اخبر به صلى الله عليه واله وسلم من التحريف والانتحال والتأويل من قديم الزمان ولايزال يقع الى اليوم ولن يزال كذلك مادام على وجه الارض غال ومبطل وجاهل ، ولايزالون مختلفين الامن رحم ربك ولذلك خلقهم ، ونحو هذا ما اخرجه الطبراني في الاوسط عن ابي جعفر الفرا مولى امير المؤمنين علي عليه السلام قال شهدت مع علي النهروان فلما فرغ من قتلها (١) قال اطلبوا المخدج فطلبوه فوجدوه فى وهدة منتن الريح فى موضع يده كهيئة الثدى عليه شعرات فلما نظر اليه قال صدق الله ورسوله فسمع احدى ابنيه اما الحسن او الحسين يقول الحمد لله الذى اراح هذه الامة من هذه العصابة فقال علي عليه السلام لو لم يبق من أمة محمد الاثلاثة لكان احدهم على رأى هؤلاء انهم لفي اصلاب الرجال وارحام النسآء ؛ فلا

---

(١) كذا فى الاصل ولعله من قتلهم اى الخوارج

مطمع اذاً في خلو زمن من الازمنة من الغلاة المحرفين ، والمبطلين المنتحلين ، والجاهلين المتأولين ، ولا من الخوارج كلاب النار ؛ أنما الشأن كله فى كشف شبهاتهم ، وردضلالاتهم ، ممن قدر على ذلك من حملة العلم العدول الحقنا الله بهم فى خير وعافية آمين

﴿ الكلام على معنى هذا الحديث . وذكر تحريف الغالين ﴾

اعلم علمك الله انه قد جاءت هذه الامور الثلاثة الموعود بها مرتبة فى سياق الحديث على قدر عظم ضررها فى الدين ، وسؤاثرها فى افساد العلم ، وقد بدأ بتحريف الغالين ، والتحريف هوا حالة الشيء عن موضعه الى جانب من جوانبه ، والحرف هو الجانب والغلاة جمع غالٍ وهو المجاوز للحد المتنطع في الامر ، فالغلاة يميلون الادلة العلمية عن صوب المعنى المراد الذى تدل عليه ، بضروب من التحريف فقد يحرفون الفاظها بحملهم لها على غيرما وضعت له بالاستخراجات البعيدة ، او بأضافة قيود او حذفها ، او التصرف فى مراجع الضمائر ، او الزيادة فى الالفاظ او الحذف منها ، او اسانيدها بالتصحيح على غير وجهه او التضعيف كذلك او بالتجويد ، اوبايراد اضعف حديث فى

الباب ليسهل عليه رده والطعن فيما سواه ، او التغيير فى وجه الصحيح به ، فكل هذا تحريف اما مباشر لنفس الادلة اوغير مباشر كالذي يكون في الاسانيد ، وسر اضافة التحريف الى الغالي وقوعه منه ولصوقه به ان الغالي قد تجاوز الحد ، وخرج عن صوب النهج ، فالعلم بعيد عنه ، وهو منحرف عن سبيله ، فلذلك يحتال له بتحريفه والميل بادلته الى جانب ، متصرفا فيه بانواع التلاعب ، ليتخذ من ذلك سندا يستند اليه ، ووجها يعتمد فى جداله عليه ، وبلية الدين واهله بالمحرف عظيمة لانه قصد الى نفس الادلة الفاظها ومعانيها ، فافسدها وتصرف فيها وهي عين الآلة الموصلة الى الحق ، ونفس الوسيله المبلغة اليه ، فهوكمن عمد الى النور الذى ارسل الله به محمدا صلى الله عليه واله وسلم فاقام قبله الموانع ، وضرب دونه الاسداد ، ليصد عن حقيقته الافهام ، ويحجب ضوءه عن الابصار ، ويمنع وجه الهداية به ، ويفسد طريق الدلالة عليه ، وهذا من اخبث شيء واضره ، وهو من نوع الافتراء على الله وعلى رسله ، وتبديل وحيه ودينه ، فلذلك جاء اولا في السياق ، تنبيهاً على عظم ضرره ، وسؤ أثره ، واستطارة شره فى الناس ، وقد منيت الامة بمن لا يحصى من الغلاة المتعصبين حرفوا معانى الكثير من الايات والاحاديث ، وصرفوها الى مذاهبهم

وارائهم عن مدلولاتها الحقيقية ، بانواع التحريفات اللفظية والمعنوية ، اتباعا للهوى والعصبية ، وغلوا في حمية الجاهلية ،

﴿ تحريف الهزء والسخرية ﴾

فمن التحريف اهدار بعض الفاظ القرآن او الحديث وجحد ما يدل عليه ، او يشير اليه ، كما فعل صاحب الكتاب الذى نرد عليه فى قوله تعالى وكان ابوهما صالحا فانه قال انما هو خبر من الاخبار اخبرنا الله به في معرض القصة ليس هو سبب حفظها ولا سبب حفظ ما لهما وسيأتي ذكر ذلك وهذا قول مخالف لاقوال ائمة التفسير وللقواعد العربية وفيه تجويز ان يكون فى كتاب الله ما ليس له فائدة ولا فيه عبرة وكقوله فى حديث آية التطهير وتغطية رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لاهل بيته اهل الكسآء به ان ذلك انما كان من أجل البرد ، وهذا تعليل بغير الظاهر وبغير ما يدل عليه امثاله من الاحاديث الواردة في شان التبرك باثاره صلى الله عليه واله وسلم وما تعلق به ،

بل ما هذا الاهزء وسخرية اذاً فلم طلبت ام سلمة رضي الله عنها ان يأذن لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى الدنو منهم والدخول معهم فيه ، افما كان حرصها الشديد على ذلك الا محبة للدفاء وهربا من البرد ، سبحانك هذا بهتان عظيم ، والحق ان

الحكمة. فيه تأكيد مقتضى الاشارة من التعيين بفعل حاصر مؤكد ، كورود الاشارة بالمسبحة عند كلمة الشهادة لتأكيد التوحيد ، ولا يخفى ان في اشتماله صلى الله عليه واله وسلم بثوبه الشريف مع قوله هولاء اهل بيتي من التعيين والحصر المؤكد ماليس في سواه ، فهو بمثابة الحد الجامع المانع ، وقد فهمته ام سلمة رضي الله عنها فحرصت على الدخول معهم لذلك ، وان تبلد فيه من ليس له فطنتها ولاعر وبيتها وعر بيتها، وفيه معنى آخر سيأتي ذكره ان شأ الله تعالى

﴾ كلامه فى اية التطهير بما يستلزم الطمن فى اهل بيت رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وازواجه واصحابه واستلزام ذلك لسبه ﴿

﴾ صلى الله عليه واله وسلم ﴿

وقد رأيته فى موضع آخر يقرر ان المخلطين من اهل الذنوب الذين ادوا الزكاة قد تحققت طهارتهم ، وفرق بينهم وبين اهل البيت لانهم انما حصل لهم مجرد دعاء منه صلى الله عليه واله وسلم ، فمقتضى كلامه ان عليا والحسن والحسين وامهما فاطمة الزهراء البتول على مشرفهم وعليهم الصلاة والسلام لم تتحقق طهارتهم (حاشاهم) وذلك هو معنى فرقه بينهم وبين المخلطين من اهل الذنوب

ويلزمه ان زوجات رسول الله صلى الله عليه واله وسلم الطاهرات رضي الله عنهن وارضاهن لم تتحقق طهارتهن ايضا (حاشاهن) لا سيما وقد زعم ان آية التطهير إنما نزلت فيهن وهي عنده لا تقتضي التطهير ، وايضا فلا خلاف ان عليا وفاطمة من السابقين الاولين من المهاجرين وان عليا والحسن من الخلفاء الراشدين وان الحسن والحسين على جدهما وابيهما وامهما وعليهما الصلاة والسلام سيدا شباب اهل الجنة وابوهما خير منهما كما في الحديث وهما بعد من الصحابة الذين اتبعوا السابقين منهم باحسان فسبيلهم واحدة ، والقول فيهم هنا وفى بقية الصحابة من السابقين والتابعين لهم منهم من المهاجرين والانصار واحد ، فلئن لم تتحقق طهارة اهل البيت لان الذى حصل لهم انما هو مجرد دعاء (كما زعم) فلئن لا تتحقق طهارة غيرهم اولى لانه لم يحصل لهم حتى ذلك الدعاء ، وكلامه هذا وما يستلزمه وينبنى عليه منقوض بما لا يحصى من الآيات والاحاديث وبالاجماع . وكيف يكون الخلفاء الراشدون والسابقون الاولون افضل الامة وليسوا بمحققي الطهارة ، بل طهارة المخلطين المؤدين للزكاة اثبت ؟ ! اذاً فليكن هؤلاء هم افضل الامة ! ! وعلى قوله بعدم تحقق طهارتهم يكون خبثهم ممكنا

عنده هكذا يقتضى قوله ، ونبرأ الى الله مما يقول ويبتدع وذلك أنه اذا نفى التحقق عن طهارتهم ، فقد اثبت خبثهم راجحا او مرجوحاً ، ويستلزم قوله حينئذ ان يكون جميع اصحاب رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وازواجه واهل بيته مظنون له خبثهم لم تتحقق عنده لهم طهارة ولم يقل بهذا مسلم !!! وهذا سب لرسول الله صلى الله عليه واله وسلم فظيع ولم يبلغ دعاة النصرانية ان يسبوا رسول الله صلى الله عليه واله وسلم واهل بيته وازواجه واصحابه الا بمثل هذا اودونه ونستغفر الله ونتوب اليه من تسطير مثله ونقله فما مقصودنا الا التحذير منه ومن نحلته وبيان ما يبلغ التحريف باهله من الغلاة وما يلجئهم اليه الغلو فى الاهوية من الدخول فى جحر الضب

وقد كنت فى شك من قصده لما ذكرته لا اتخيل مسلما يقول ذلك حتى وقفت على رسالة لبعض اصحابه يستدل فيها على كفر سيدنا العباس وامير المؤمنين علي عليهما السلام ويورد فى ذلك احاديث لا توجد فى كتب المسلمين . لا أدرى أوضعها له ابليس ام احد من اعوانه فعلمت ان الخطب اجل مما كنت اظن ؛ وان هذه العصا من تلكم العصية ، لا تلد الحية الا حية ، وكما حكى لنا الثقة عن بعضهم انه رمى رسول الله صلى الله عليه

واله وسلم بالتعصب وهذا كفر صريح ، وقال آخر منهم الا ترون الى هذا الجزولي الخام (١) له سبعمائة سنة يلعب على الناس اللهم صل على محمد اللهم صل على محمد اه وقد اذ كرني هذا بما حكاه لى احد اهل بيحان (٢) وكان قد مكث ستة اشهر فى مستشفى اقامته بعض جمعيات الدعوة الى النصرانية بقرية الشيخ عثمان بقرب عدن لجرح كان به ، قلت له ماذا يقول لكم الطبيب الراهب (وهم يسمونه المغوي) قال انه يقرأ لنا كل يوم فصلاً من الأنجيل ويدعو للمسلمين ويقول كذا وكذا (وساق عقيدة التثليث) ويقول لنا لماذا تقولون لآ اله الا الله ، لآ اله الا الله كل يوم ، قولوها مرة كل سنة يكفكم اه فهذا من ذاك والباطل يشبه بعضه بعضا ،

ومن ذلك تفسيره المعدن في حديث «الناس معادن» بنفس الذهب والفضة ونحوهما ولم يقل هذا احد من علماء العربية ولاشراح الحديث وانما المعدن عندهم منبت الجواهر من ذهب ونحوه اي مواضعها التى تستخرج منها ، وفسره بما تقدم ليصح له نفي دلالة الحديث على وجود المعادن الكريمة والاصول الزكية ،

---

(١) مراده بالجزولي صاحب دلائل الخيرات والخام المنتن بلغة حضرموت

(٢) بيحان مخلاف من مخاليف اليمن الشرقية تصب فيه واديان وسكانه مراد الى العطف اسفل بيحان ووراءه الغائط الى مرخه اه مؤلف

ويصرفه عن صوب معناه . وحقيقة مرماه

ومن ذلك تبديله باسماء الثقات من رجال الاسانيد ضعفاء غيرهم ليصح له الطعن فى الحديث والحكم بضعفه واسقاط الاحتجاج به ، وهذه منه حيلة ظريفة ومن الغريب انك لا تجد احدا سلك هذا المسلك البديع ممن تقدم من الفرق الاسلامية على كثرتها وطول جدالها ، ولا احسبه اجترأ عليه الا لأمنه من التعقب لما يرى من غلبة الجهل والاعراض عن علم الحديث واسماء الرجال فأن كان انما فعل ذلك عن جهل منه الى هذا الحد فالمسئلة اظرف واتحف

وذلك تبديله بيزيد بن حيان التيمي ، يزيد بن حيان النبطي البلخي . وبسفيان بن عيينة ، سفيان بن حسين الواسطي ، وبأحمد بن محمد بن حبيب البغدادي ابي جعفر الطوسي ، احمد بن محمد بن مسروق ابي العباس الطوسى مؤلف جزؤ القناعة ، وبكلثوم المحاربي ، كلثوم بن جوشن ، وبالوليد بن مسلم ، الوليد بن سلمة ،

هذا مع انه لم يتكلم الا على نحو اربعة احاديث فما بالك به لو تعرض لاكثر من ذلك اذاً لوجدناه قد قلب هذا الفن راساً على عقب

﴿ انتحال المبطلين ﴾

واما الانتحال فهو ان يدعي امرا لنفسه وهو لغيره يقال انتحل شعر فلان اذا ادعاه لنفسه وهذا يأتي على وجوه ، وذلك ان يدعي انه على الحق وليس كذلك ، او ان الادلة معه فيما يدعيه ، او انه من الدعاة المصلحين وورثة سيد المرسلين ، وخلفائه في نشر الدين ، وهو من المبطلين المنتحلين . الضالين المضلين ، ولما كان المبطل عاريا عن العلم والحق خليا عن حقيقة الفقه في الدين ، تدل شمائله وبوادر اقواله واعماله على حقيقة قصده ، وغاية ما عنده ، قد كذبته شواهد الامتحان ، وخلت دعاويه عن دليل وبرهان ، كان من المناسب اضافة الانتحال اليه وهو به اليق والصق ، وعليه اوقع واصدق . ولما كان انتحال المبطلين وادعاؤهم ماليس لهم يتلو التحريف في الضرر والتغرير بالامة ثنى بذكره في الحديث ، وذلك ان شأن العامة تصديق الدعاوي العريضة والاغترار بالمنتحلين وسرعة الانخداع لهم لمكان الغرارة والجهل منهم وغلبة ذلك عليهم ، ويشتد فيهم الميل بالطبع العامى الى من يقاربهم فى طباعهم وافكارهم ، وقد عظم الضرر بالمتنبئين والدجالين والمنتحلين ما ليس لهم كالمدعين للمهدوية والمسيحية

والامامة في الدين والاجتهاد فيه ونشأت عن ذلك فتن عظيمة وضل بهم عالم كبير من الناس اغتراراً بهم ، لانتحالهم سعة العلم والموافقة للحق وادعائهم سعة الاطلاع على الفنون وحل المشكلات وازددات الامة بسببهم اختلافا وافتراقا ، وضعفا وشقاقا . وامتلأت منهم الارض كذبا ونفاقا . وعادالدين غريبا كما بدأ ، ويغلب ان تعظم الدعوى من كل ناقص فى العلم قصير الباع فيه ، وقد قال الشعبي العلم ثلاثة اشبار شبر منه من عرفه ظن انه عرف كل شيء ، والثاني من عرفه علم انه لم يعرف شيئا ، والشبر الثالث لايعلمه الا الله انتهى بمعناه . فالشادون فى العلم المبتدئون فيه هم اهل الشبر الاول وهم الذين يستطيرون انتفاجاً وانتفاخاً ، ويملؤن الأفق صياحا وصراخا ، والعامة اقرب الى المخادع المبطل منهم الى الصادق المحق ، لأن الاول يأتيهم بما يوافق طباعهم ويعظم به في اعينهم فيسرعون اليه ، ولذلك عظمت الفتنة بامثال المقنع الخراساني والقرمطي قديمًا ، وبامثال البهاء ويسمي الباب واصحابه البابية حديثا . وهي ديانة جديدة ظهرت فى ارض الفرس وانتقلت منها الى سائر الجهات (١) وقد جعلها اهل السياسة مركبا لهم يستعينون بها على تفريق الامم ليسهل

---

(١) هى التى يقال تيوسوفى فى جهات جاوا اه

استعبادهم ، ويطول رقادهم . وقد اختلق البهاء كلاما ملفقا اشبه شيء بهذير المجانين زعم انه قرآنه . وادعى انه ربهم ولا تزال الربوبية تنتقل فى اتباعه ربا بعدرب (تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا) ومثله فى عظم الفتنة به احمد القادياني الذي ظهر بالهند وزعم انه المسيح ولاتباعه نشاط فى نشر نحلتهم ودعوة منظمة في اقطار البلاد ، وامرهم ظاهر الفساد ، ومثل حسن الضالعي الذى ظهر فى جبال يافع ودعاهم الى تأليه المخلوقات وانكار الخالق ، وقدانتشرت ديانته الكفرية وله اتباع فى عدن والحبشة لقيت منهم غير واحد ولهم اوراد من قولهم (انا الله) ونحو ذلك وشرح امره يطول ، وقدرددنا عليه كما رد عليه غيرنا كالشيخ العلامة سالم بن عبد الرحمن باصهي الشبامي والشيخ العلامة المحقق عبد الرحمن بن احمد باشيخ الدوعني واحسب انه يصدق عليه انه دجال حمير الذي جآء ذكره فى حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يقول بين يدي الساعة كذابون منهم صاحب اليمامة ومنهم صاحب صنعآء العنسي ومنهم صاحب حمير ومنهم الدجال الاكبر وهو اعظمهم فتنة قال جابر وبعض اصحابي يقول قريب من ثلاثين كذابا رواه الامام احمد فى المسند وابن ابي شيبة : وسرو حمير موضع قريب

من الجبل ، .ويقال ان على مثل نحلة حسن الضالعي رجل بالسودان المصري له اتباع يسمى كرامة عوض او عوض كرامة . ومما ينبغي استطرادة هنا عن حسن الضالعي انى اجتمعت بسلطان الضالع سنة ست وثلاثين وثلاثمائة والف بعدن فسألته عن حسن الضالعي واخبرته بادعائه السيادة فضحك وقال انا اعرف الناس به وهو من رعيتي وسكان بلدي اعرف اباه وامه ماهو الامن ضعفاء القبائل وأدنياها اوكما قال ، اما رواية الثلاثين كذابا فقد رواها البخاري عن ابي هريرة ورواها عن غيره ابو داود والترمذي وصححه وابن حبان وهي عند احمد وابي يعلى من رواية عبد الله بن عمرو وفي بعض روايات احمد زيادة آخرهم الدجال الاعور وفي بعضها عن عبد الله بن عمرو قلت ما آيتهم اي علامتهم قال يأتونكم بسنة لم تكونوا عليها يغيرون بها سنتكم فاذا رأيتموهم فاجتنبوهم ، وهي عند ابي يعلى زاد الطبراني وعادوهم واخرج احمد في المسند عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سيكون في امتي دجالون كذابون يأتونكم ببدع من الحديث بما لم تسمعوا انتم ولا اباؤكم فاياكم واياهم لايفتنونكم ، واخرج ابو داود عن عمران بن الحصين قال قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من سمع بالدجال فلينأ عنه

فوالله ان الرجل ليأتيه وهو يحسب انه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات او لما يبعث به من الشبهات ورواه ايضا الامام احمد والحاكم عن عمران وقوله فلينأ عنه اى فليبعد عنه وليجتنبه ، وذلك ان الدجالين يأتون بشبهات تشبه الحق وتظهر بكسوته وتتلون بلونه ، ومن القلوب ما يكون مخلخلا مستعدا للشبه . فاذا سمعها علقت به بأيسر مؤنة ثم لايقدر على التخلص منها ابداً فيهلك مع الهالكين . لاسيما ان كان عنده شيء من التحذلق وادعاء الذكاء والعقل والمعرفة والعجب بالنفس والرضا عنها . فما اسرع وقوع هذا النوع فى البدع والشبه . وما اكثرهم لا كثرهم الله . وقدا خرج الحاكم فى المستدرك عن حذيفة لتنتقضن عرى الاسلام عروة عروة وليكونن ائمة مضلون وليخرجن على اثر ذلك الدجالون الثلاثة . فاما انتقاض عرى الاسلام فقد وقع ولم يبق اليوم مكان تنفذ فيه احكام الشريعة الا فى قطعة من ارض العرب . وبقية شرق الارض وغربها انما يحكم فيها اليوم باحكام القانون المستمد من آرآء قوم من اهل الملل الاخرى . ومابقي من رسوم الدين فقد شمر لمحوه المتفرنجون والملاحدة . واما الائمة المضلون فقد وجد منهم من افسد البلاد والعباد

وهل افسد الدين الا الملوك ☆ واحبار سوء ورهبانها

واما الدجالون الثلاثة فلعل احدهم الباب معبود البهائيه ، وثانيهم احمد القادياني متنبئي الخوجية الكمالية ، واما ثالثهم فيحتمل ان يكون الضالعي اوغيره ويحتمل ان يكون المشار اليهم في الحديث غيرهم . وان كان هولاء من الدجالين بلاشك وكل هولاء الدجالين ممهدون للدجال الاكبر فيأتي وقد فشى فى الأمم تأليه المخلوقات ، فلذلك تعظم استجابة الناس له ، ويطبقون على اتباعه حتى ورد انه لايبقى حينئذ على الاسلام من اهل الارض غير اثني عشر الفا ، وقد يظن بعض من لابصيرة له ان الدجالين لاتكون لهم كتب تنشر ، ولااقوال تؤثر ، ولااتباع تمتد ايامهم ، وتنتقل فيهم نحلهم وبدعهم وضلالهم ، وهو غلط نشأ عن سوءفهمهم ، فكما ان دعاة الهدى قد خلفوا آثارا وكتبا يهتدى بها ، ويشرق نور الهداية منها ، واتباعا يبلغون الهدى عنهم ، كذلك دعاة الغواية والضلالة قد تركوا ولا يزالون يتركون آثارا وكتبا يثور منها دخان الضلال ، ويهوي في مهاويها من حقت عليه الشقاوة ، واتباعا يهلك على إيديهم الهالكون ، لتتم لكلا الفريقين الامامة في الحياة وبعد الموت ، واننا لنرى الآن من يتعصب للخوارج كلاب النار وينتصرلهم ، ومن يتعصب للنواصب ويحطب فى حبالهم ، بل ومن يتردى الى الدرك الاسفل فيؤلف

فى سيرة الحجاج وزياد بن سمية ونحوهم من فراعنة الامة مادحالهم مقرضا لافعالهم ، فهولاء وامثالهم من اهل الشقاء سيلحقهم الله باولئك الخبثاء بسبب ميلهم اليهم ورضاهم عن افعالهم ومحبتهم لهم والمرء مع من احب ، وقد قال تعالى في ائمة الحق : وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين ، وقال في أئمة الباطل : وجعلناهم ائمة يدعون الى النار ويوم القيمة لاينصرون ، وذلك لتتم كلمة العذاب على اهلها قال تعالى : وتمت كلمة ربك لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين ، وانا لنقف على كتب الاتحادية وما شاكلها فنعرف انها مقدمات ممهدة للدجال الاعور ، ولايزال ضرها وشرها والدعاء اليها والى امثالها يكثر وينتشر حتى يأتي الدجال والناس مستعدون له ، والاسباب مهيئة مجهزة فيجد احزابا تقول بقوله وتلتف حوله ، واذا اراد الله شيئاً هيأ اسبابه (نسأل الله العافية والسلامة)

وقد يغتر بعض الناس بفهمه وذكائه فيدنو من اهل البدع يظن بنفسه الامتناع عن شبهاتهم فلايلبث ان يقع ويضل ولذلك امر صلى الله عليه وآله وسلم باجتنابهم ومعاداتهم فحسب ، والمقصود هنا بيان ان جميع هولاء المبطلين ينتحلون امورا ليست لهم ويدعون

من العلم ما ليسوا منه في قبيل ولا دبير ، ولا عير ولا نفير ، وهاتان الصفتان اعنى الانتحال والابطال (١) تقع على الدجالين والمبتدعة والخوارج والنواصب وماشاكلهم وبعضهم قد يجمع الصفات الاربع فيكون غاليا محرفا ومنتحلا مبطلا فيعظم شره وضره ، وقد راينا كيف اغتر الناس بحسن الضالعي لانه كان يطرز كلامه بكلمات من القرآن والاحاديث واقوال الصوفية ثم يحرف معناها الى نحلته ، ويدعم بها دينه الجديد ، وهكذا كل مبطل لابد ان يأخذ جانبا من الحق ليدعم به باطله ويكسوه به ،

وكل انواع هؤلاء المنتحلة تخترع لها من الدعاوى العريضة ما تبهر به ابصار العامة ، وتختلب به عقولهم ، ومن اراد خداع الناس وجد من ينخدع له ، واكثر ما يكون اتباعهم من سقط الناس وجلابيبهم لتكون حجة الله على متبعيهم اوضح واشهر ، ولهذه الحكمة جعل الله النبوة والكتاب في آل ابراهيم وجعل الائمة منهم فجعل للهدى مشارق ، ولائمته مطالع ومغارس ، ولمائه الطهور منابع ، دلالة على شجرة النبوة وقطعا للسان العذر ، والناس معادن اي مراكز مختلفة ، فمنها ما هو مراكز للذهب

---

(١) يقال ابطل فلان اذا جاء بالباطل اه اساس

ونحوه من الجواهر الكريمة ، ومنها ما هو مراكز للنفط والقار وما شاكله من الجواهر الدنيئة ، وفى التاريخ شواهد عظيمة لما ذكرناه ومن تأمل معادن بني امية وآل مروان وثقيف وآل زياد ولصوق العظائم بهم يتبع الاخر منهم الاول علم ان الحكيم العليم يضع بحكمته وعلمه كل شيء موضعه اللائق به من خير أو شر والله اعلم حيث يجعل رسالته ،

﴿ دعاة جهنم ﴾

ورد فى الصحيح فى حديث حذيفة رضى الله عنه قال كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الخير وكنت اسأله عن الشر مخافة ان يدركني فقلت يارسول الله انا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير شر؟ قال نعم . فقلت هل بعد ذلك الشر من خير؟ قال نعم وفيه دخن . قلت وما دخنه . قال قوم يستنون بغير سنتي ويهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر . فقلت هل بعد ذلك الخير من شر؟ قال نعم دعاة على أبواب جهنم من اجابهم اليها قذفوه فيها ، فقلت يا رسول الله صفهم لنا ، قال: نعم قوم من جلدتنا ويتكلمون بالسنتنا الحديث ، وفى رواية انه قال فى جواب سواله الاخير: يكون بعدى ائمة لايهتدون بهداى ولا يستنون بسنتي وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين

فى جثمان انس الحديث، يحتمل ان يكون المراد بهولآء دعاة التجدد، وهم يريدون بالتجدد ترك آداب الاسلام واحكامه، والأخذ بكل جديد فى الاحكام والقوانين والآداب والنكاح، وبالجملة يريدون اتباع خطوات الاجانب من الافرنج وغيرهم، وقد يريد بعضهم بالتجدد الردة وعدم التزام دين الاسلام البتة، ويسمون انفسهم انصار التجدد بدلا عن انصار الردة والعياذ بالله، وهم كثير فى اقطار البلاد التى فشت فيها مدارس النصارى وبسببها ألحدوا فى الدين، وخرجوا عن حظيرة الاسلام وعداد المسلمين، ولهم الفاظ يغشون بها العامة كلما بدلوا حكما من احكام الاسلام، فتارة يقولون ان هذا لا ينا فى روح الاسلام، وتارة يقولون ان هذا موافق لسر التشريع او للحرية والعدالة والمساواة، ومن العجب انهم يجدون من علماء السوء فى كل قطر ومصر من يشايعهم على كفرهم ويؤول لهم ردتهم، وهم يفضلون ان تكون الحكومة مدنية، ويعنون بالحكومة المدنية الحكومة التى لا دين لها تلتزمه، ويخشى ان يستطير شر هذا النوع من المفسدين لقوة العوامل التى تساعدهم، فأن لهم طرقا ووسائل كثيرة لنشر ألحادهم بين الناس، تارة بواسطة الجرائد والمجلات والتآليف ذوات الاسمآء الغريبة، فكم من مغتر باسمآئها والقابها اذا تصفحها

وجدها تطعن في وجود الله او في صدق الانبيآء او تبحث عن الشبه الباطلة ، وتارة بواسطة الخطب فى الاندية والمجامع . وتارة بواسطة التعليم فى المدارس . فكم من تلميذ افسدوه ، وقلب طاهر دنسوه ، وخلق زكي نحسوه ، وقد ساعدهم على نشر مخازيهم وضلالهم فشو صناعة الطبع في هذه الأزمنة . وانك لتجد كتبهم ومؤلفاتهم مطبوعة احسن طبع على اجمل ورق بثمن زهيد جداً . ومن لم يعلم السبب ادركه العجب . وسبب ذلك انه تصل اليهم معاونة وامداد بالمال من جمعيات الدعواة الى النصرانية وبعض حكومات النصارى . لعلمهم ان نشرهم لالحادهم بين المسلمين يدعو الى رقة الديانة وانحلال الرابطة الاسلامية . فيصلون بواسطة هولاء الملحدين ، الى ما يريدون بالاسلام والمسلمين ، ومنهم بالبلاد المصرية كثيرون معروفون . وللبابية هناك حزب قوي ولهم تلطف في نشر ديانتهم بأوجه مختلفة ، وقد رأينا منهم رجلا مشهورا كتم ذات نفسه وخبيئة صدره سنين طويلة يتقرب فيها الى المسلمين بتأليف الكتب التى يظهر بها محاسن الاسلام بزعمه ، ثم رجع القهقرى فألف كتابا نقض به عرى الاسلام عروة عروة من وجه لطيف الطف فيه الصنعة وعمى الامر فيه تعمية بحيث لايفطن له كل احد ، بل قد جاز ذلك على بعض ذوي

البصائر المظلمة فاعجبوا به وهو كفر بواح نسأل الله العافية ، وبسبب وصول المال اليهم من هذه الجهات وحصولهم عليه قدروا على النشر والتأليف والطبع ، مع ما هو معلوم من طباع البشر من شدة حرص ذوي النحل الباطلة والبدع العاطلة على بث دعوتهم . وتبليغ نحلتهم ، وكذلك زينا لكل امة عملهم ، أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا ، ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء ، وغرضنا هنا التحذير منهم فانهم كما قال صلى الله عليه وآله وسلم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا ، ومن العجب انك لا ترى من علماء المسلمين من يعتني بالرد عليهم والتكذيب لهم الا افراداً قليلين ، وما هذا الا لامر يراد ، نسأل الله العصمة ،

﴿ مداخل الشيطان ﴾

وتجد هؤلاء الدعاة دعاة الفتنة والردة ، ودعاة البدعة والفرقة ، ياتون من خذ له الله بهم من الطرق والابواب التي يأتيهم منها الشيطان ، ويدخلون عليهم من مداخله من التزيين والتمنية ، واثارة ما يحرك فيهم حمية الجاهلية ، ويبعث دفائن العصبية ، ويملأ مناخرهم كبرا وعجبا وتيها وبطرا للحق وغمطا للناس ورضاء عن النفس حتى لا يقبلون الحق ممن جاءهم به أيّاً كان ولا يلتفتون اليه ، ومع ذلك فهم اشد فرحاً بما منهم الضال من الجعل بدحروجته . وتراهم ينظرون اليه وهم لا يبصرون ؛ وأن اسرع الناس الى مدارج الفتن وغمرات الضلالة دهماؤهم واغمارهم

وقلوبهم اشد القلوب استعداداً لهذه الخدائع لقلة ذوي البصيرة فيهم وغلبة الجهل عليهم ، وعدم فهمم مسالك الحجج والدلائل ، وفرقان ما بين الحق والباطل ، ومن قلب اسفار التاريخ ورأى كيف انتشرت البدع فى الغوغاء والرعاع ، والاوشاب والاوزاع ، وكيف عظمت المصيبة بهم على الدين واهله ، وصل الى برد اليقين فيما قلناه ، وذكر ابو منصور البغدادي مداخل الباطنية في ترويج فتنتهم واصناف من تروج عليه فقال «احدها العامة الذين قلت بصائرهم باصول العلم والنظر كالنبط والاكرادوا ولادالمجوس * والصنف الثاني الشعوبية الذين يرون تفضيل العجم على العرب ويتمنون عود الملك الى العجم * والصنف الثالث اغتام بني ربيعة من اجل غيظهم على مضر لخروج النبي (صلى الله عليه واله وسلم) منهم ولهذا قال عبدالله بن خازم السلمي فى خطبته بخراسان ان ربيعة لم تزل غضابا على الله مذبعث نبيه من مضر ومن اجل حسد ربيعة لمضر بايعت بنو حنيفة مسيلمة الكذاب طمعا فى ان يكون في بني ربيعة نبي كما كان من بني مضر نبي فأذا استأنس الاعجمي الغر أوالربعي الحاسد المطز (١) يقول له قومك احق بالملك

---

(١) كذا فى النسخة المنقول منها ولعله المطرمذ ذكره الحريرى فى الدرة وصاحب ذيل الفصيح وصاحب القاموس وقد فسر بالصلف والمتشبع بما ليس له ولانوا فقه على جميع مارمى به ربيعة اه مؤلف

من مضر سأله (٢) عن السبب فى عود الملك الى قومه فأذا سأله عن ذلك قال له ان الشريعة المضرية لها نهاية وقد دنا انقضاؤها وبعد انقضائها يعود الملك اليكم» اه اقول وهذه السياسة في الدعوة يفعلها الآن دعاة الفتنة ودعاة النصرانية ودعاة البابية ولكن بوجوه اخرى فاما دعاة الفتنة فيقولون لهولاء الاغمار ، : ان هولاء يدعون الافضلية عليكم ويحتقرونكم وانتم قد رئمتم للذل وخنعتم لهم وصدقتموهم وهم ولايفضلونكم بشئ وما انتم الا مثلهم بل خير منهم ، فاذا سمعوا ذلك منهم ثارت حميتهم ، وربت البغضاء فى قلوبهم وتحركت عقارب الحسد والحقد ، واشرأبوا للمباراة والمنافرة ، فحينئذ ينفثون في قلوبهم السم ، ويفرقون بين الاخوة وبني العم ، واما دعاة النصرانية فانهم يقولون للعجمى : قد كان اباؤك لهم من الآثار والملك واللغة والاصنام والديانة كذا وكذا . فقد ضيعتم انفسكم وتاريخكم وتاريخ ابائكم ، وصرتم اتباعا للعرب الذي من شأنهم كذا ومن شأنهم كذا ، ويذكرون لهم بعض المعائب التي يدعيها الشعوبية على العرب ، ثم يقولون لهم أفلا تأنفون ان تكونوا اتباعا لهم ، فاذا قالوا لهم ذلك تضرمت قلوبهم حقدا وغيظا وبذلك تنحل عقدة الايمان من قلوبهم وترتخي رابطتهم .

---

(٢) كذا فى الاصل ولعله فيسأله

فأما ان يبقوا على الشك أو يدخلوا في النصرانية والعياذ بالله تعالى ، ولهذا قال صلى الله عليه وآله وسلم لسلمان الفارسي رضى الله عنه ياسلمان لا تبغضني فتفارق دينك ، قال قلت يارسول الله كيف ابغضك وبك هدانا الله قال تبغض العرب فتبغضني رواه الترمذي فهذه من مداخل دعاة الفتنة والردة ولهم مداخل أخرى يطول شرحها .
ومنهم من يشككهم فى نقل العرب للدين ويدعي عليهم الخيانة والزيادة فيه ، ويستشهد لهم بالاحاديث التي تحصر الخلافة في قريش وما في معناها ، ثم يقول لهم الا ترون كيف اختلقوا هذا لانفسهم وقسموا فوفروا قسمهم ونصيبهم اختصاصا بالأمر والنهي وتفردا بالملك والسطوة . فاذا سمعه العجمي الغر قال فى نفسه وما يدريني ان يكون جميع مانقله لنا هولاء كذبا واختراعا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيسقط من قلبه احترام جميع الأحاديث النبوية والاحكام الاسلامية . فان اراد هذا الداعية ان يوسع جرح المسكين ، ويذفف عليه بطعنة قاضية نافذة ، فيقذفه فى اسرع وقت الى حاجم جهنم المتلظي ، افاض له في مراتب الحديث وخص الموضوع منه وكثره عنده ونبهه الى وجوب الاحتياط والتبصر ، وتلا عليه نبذا من الاحاديث الموضوعة مشفوعة بالغمز واللمز الذي يثير حميته ، والدواعي التي يطول بها

شكه وتردده . فاذا رأى المسكين ذلك بنى فى نفسه على رد كل حديث سمعه لجهله بالمقبول والمردود ، فيأخذ على ماوقر فى نفسه من الشك فيفوته خير كثير . هذا ان لم يفض به الأمر الى النفاق ، لاسيما وهو عامي بحت أوعجمي أعجم عاجز عن الاطلاع والتحقيق من كل وجه وهذه ، أبواب وساع للشر والضلال ، وسترى فى الكتاب الذي نرد عليه طرائق اخرى . ومداخل كبرى .

﴿ الاباضية وميلهم الى مذهب الشعوبية . وولعهم بالكفاءة ﴾

ومن الذين يدخلون على اصحابهم من مداخل العصبية والحمية الخوارج قاطبة . وهم يحملون لقريش عامة ولبني هاشم خاصة اشد البغض والحسد والحقد ، ولا يقنعون الا بتكفيرهم وتكفير سائر المسلمين لتوليهم لهم ولا مور اخرى ، والاباضية منهم اشدهم ميلا الى مذهب الشعوبية ، واكثرهم ولعا بمسئلة الكفاءة ، حتى انهم كانوا يدعون بادية الاعراب ويبذلون لهم الهدايا ليزوجوا غير الاكفاء ويرون ان ذلك يبرد غيظهم وحقدهم ويؤيد مذهبهم وما يدعون اليه وقد ذكر ابو عثمان بن بحر في كتاب البيان والتبيين قصة غريبة فى بابها قال في الجزؤ الاول منه ما لفظه « وكما يقولون هشام الد ستوائى (١) وانما قيل له ذلك لان الاباضية كانت تبعث

---

(١) لم يرم فى كتب الجرح والتعديل الابالنصب وهذا مما يشعر ان كثيرا ممن رمى فيها بالنصب فحسب كان خارجيا اه مؤلف

اليه من صدقاتها بثياب دستوائية فكان يكسو الاعراب الذين يكونون بالحباب فاجابوه الى قول الاباضية وكانوا قبل ذلك لايزوجون الهجناء فاجابوه الى التسوية وزوجوا هجينا فقال الهجين فى ذلك

انا وجدنا دستواء بينا * الصائمين المتعبدينا
افضل منكم حسبا ودينا * اخزى الاله المتكبرينا
أفيكم من ينكح الهجينا

اه وقد حكى ابو منصور عن ابراهيم النظام المعتزلي الخليع في جملة ما انكره على عمر بن الخطاب رضي الله عنه تحريمه نكاح الموالي للعربيات ، وقد علم الناس ان عمر رضي الله عنه أتقى وأهدى من النظام ، وهذه التسوية التي يدعو اليها الاباضية هي التي يدعو اليها مبتدعة الشعوبية ويعبر عنها كتاب العصر بلفظة المساواة وهذه الدعاية هي اليوم قرة عين سواس الاجانب وقد قروها في مسامع افراخهم والمتخرجين من مدارسهم فجعلوا يلوكونها بالسنتهم ولايدرون حقيقة مايرادبهم والقول في بيان هذا المعنى طويل ، وخلاصته ان الله سبحانه وتعالى اختار الامة المحمديه لتكون قائدة للامم والشعوب ، وشهيدة عليهم فى اصلاح دينهم ودنياهم ، وقد امتن عليها بذلك فى كتابه ، فعرفت عظم ما اوتيت ، واغتبطت بالدرجة التى رفعها الله اليها ، والعمل الذى اختارها له ، والفضل الذى ميزها به ، فاندفع

سلفها فى اكناف الارض يطلبون موعود الله ، ويقودون الامم الى صلاح دينهم ودنياهم ، وبذلك سمت هممهم وعزت انفسهم ومن البديهي ان المرء لايسعى لامر الا اذا علم انه اهله ومستحقه وقد فهم الافرنج هذا السر فجعلت كل أمة منهم تقرر لابنائها في مدارسها انها من اسمى الامم المتأهلة للسيادة على العالم اوأسماها ، ذلك ليكون مطمح أبصارهم الأخذ بنواصي من سواهم ، فجاء الاحداث المغرورون منا يقولون بالمساواة تحقيراً لامتهم وامتهانا لها لتصغر نفوسها وتضعف هممها ، ومنهم من يقول ان الاسلام دين المساواة ولعمرى انه دين المساواة قد سوى بين اتباعه فى الحقوق والحدود ، ولكن ليس معنى ذلك ان الله لم يخص بعض الامم بالفطر الزكية والمعادن الكريمة والتاريخ العظيم والاستعداد التام والاخلاق العالية المتوارثة ، وانما خلقهم سوآء كاسنان الحمار فطرة زنجيهم كعربيهم ، من كل وجه وهذا هو الذى يفهمه بعض الاغرار من كتاب هذا العصر ، ومذهب اهل السنة والجماعة من العرب والعجم ، ان افضل الامم العرب ثم من لحق بهم فى الاسلام من شعوب العجم ، ولبسط هذا البحث موضع آخر . والقصد هنا بيان تشابه مذهب الاباضية ومبتدعة الشعوبية في هذا المعنى ، ولشدة ميلهم الى ذلك انفصلت عنهم اليزيدية الاباضية ، قال صاحب الفرق

وهولاء اتباع يزيد بن أبي أنيسة الخارجي وكان من البصرة ثم انتقل الى تون من ارض فارس ، كان على رأي الاباضية من الخوارج ثم انه خرج عن قول جميع الامة لدعواه ان الله عز وجل يبعث رسولا من العجم وينزل عليه كتابا من السماء وينسخ بشرعه شريعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم اه اقول وقد جاءهم هذا من طريقة العدل والمساواة ، التى ارادوا ان يوجبوها على الله وقد ذكر صاحب الفرق انهم لايعدون من الفرق الاسلامية ، ولايبعد ان تكون هذه النحلة او شيء منها صار الى الباب الملقب بالبهاء معبود البهائية والبابية فانتحاها وقلدها . فاليزيدية من الاباضية طمت بهم البغضاء للعرب وتفريعات المساواة وتوليدات القول بها على الخالق والمخلوق ، حتى زعموا انه لابد من نسخ الشريعة الهاشمية القرشية العربية بالرسول الذى ينتظرونه من العجم وبقرآنه المزعوم بغضا منهم للعرب وميلا الى الشعوبية ، والى هذه الفرقة اشار صاحب كتاب الارواح من البابية اهل هذا العصر وزعم انهم المرادون بها ، وقد اطال فيه التبشير بالبهاء وسماه الهادى والمصلح العظيم وقال انه قد ظهر ببلاد الفرس في القرن الماضي وكتابه هذا على صفة سوالٍ وجواب بينه وبين احد السائلين على قاعدة المقامات والروايات ، وجعل ذلك على لسان الارواح

الكافرة لمعان لا تخفى على اللبيب . وصرح بحرية الاعتقاد كأن المكلف لا يلزمه التصديق بعقائد الاسلام والتزامها والبرأة مما خالفها ، وبالجملة فقد تلطف فيه حتى يقبله الناس ولا ينكرونه . وأخر الكلام على معبودهم والههم البهاء الى آخر الكتاب ، حتى لا يفاجىء به القارئ مفاجأة من اول الامر ، وقد قبضت الشرطة في مصر على جماعة منهم فتحوا مكتبا يعلمون فيه الاطفال ، ويقولون لهم ان دين محمد قد نسخ ، ولما سئلوا قالوا انا نخدم الاديان كلها ، وهذا هو الكفر البواح ، ومن طرقهم في الدعوة أن يفيض الداعية في ذكر العالم وما فيه من الحروب والمنافسة بين الامم وما يخشى من عواقبها فاذا ضاق المخاطب بما سمع ذرعا ، فتح له ابواب الآمال ، وقال له سينتشر في العالم السلام والاصلاح والسعادة . وقد انبثق نور ذلك بالبهاء الذى هو كذا وكذا ، وهم يختارون الدعاة من ذوى الطباع الباردة ، والنفوس الجامدة ، لانهم اقدر على ملاطفة العامة وملاينتهم ومعاناتهم ، وبالجملة فهم يتلونون الوانا ، ويفتنون افنانا ، ويظهرون لكل احد بما يحبه ويريده ، وينكرون اليوم ما قالوه بالامس ، ويستحلون الكذب والخداع ، عصمنا الله والمسلمين من الفتن ، ومع ذلك فان منهم من لا يزال يلبس لبسة الاسلام ، ليكون آلة للتغرير يوما من الايام ، فينبغى

للحريص على دينه ، الشفيق على نفسه ، ان يحذر اشد الحذر في هذه الازمنة من تصديق كل ناعق ، والوثوق بكل قائل ، وقد رأينا من يدعي الامامة في الدين ، وانه من كبار المصلحين ، ويدعي له ذلك كثير من الغلف القلوب العمي الابصار ، وهو مع ذلك يعلم بعض الرهبان اللغة العربية ليستعين بها على الطعن في الدين ، ومجادلة المسلمين ، والسعي فى ارتدادهم وخروجهم عن دينهم ، ولقد طال الكلام وأنما كان جل غرضنا بيان سر ترتيب الاصناف الثلاثة المذكورين في الحديث على حسب عظم شرهم وضرهم وان كان لا يخلو من فائدة

﴿ تأويل الجاهلين ﴾

فأما التأويل فهو بيان ماتؤول اليه الالفاظ ومعانيها ، ولا شبهة ان بيان الجاهل لذلك وتأويله لا يكون الاخطأ اما علما وعملا ، واما عملا واما علما ، فان من لم يؤته الله فطرة سليمة ، وقريحة زكية ، وذكاء وفطنة وألمعية ، وسعة فى العلم وصحة من النظر ، كان مخطئا فى تعرضه لتأويل النقول العلمية وان اصاب ، بل لابد ان يقع بجهله فى التأويل المخالف للصواب ، وانما مثاله مثال أعمى يحاول ان يصف الوان الاشياء مع فقده الآلة الموصلة الى ذلك وهي البصر ، وهكذ الجاهل قد فقد البصر

المعنوي وهو العلم فانى له العثور على الحق فيما يحاوله ، وانما جاء ذكره في الحديث آخر الثلاثة الاصناف المذكورة فيه لأنه اخفها ضرراً بالنسبة اليها وان كان عظيما فى نفسه ، وذلك ان الجاهل قد اعتقد اعتقادات زينها له الجهل والعمى ، فاذا وردت عليه النقول العلمية ، والدلائل الصحيحة ، لم يحسن التخلص مما هو فيه من الضلال ، وما رسخ في قلبه من العقائد الباطلة ، وكان قصارى امره ارجاعها الى نحو ما عنده من العقيدة بضرب من التأويل وهذا ضرره عظيم ، الا ان صاحبه لم يهجم على الأدلة هجوم المحرف الذى يبدل جوهرها اوالمنتحل الذي يدعيها باطلا ولكنه ابقى الأدلة كما هي مع تأويلها الذى رآه مستمسكا بها ظاهرا وان لم يكن مستمسكا بها حقيقة ، فهو سالم القصد فى الجملة وان كان سيء العمل ، وانما أُتي من قلة العلم ، فمعه من الجهل ما يخفف جرمه ، ويظهران المراد بالجاهل هنا معتقد خلاف الحق بضرب من التأويل لا يخرجه عن الملة ، ولا ينحاز به عن منهاج حملة السنة ، وان كان من كبار النظار واعظم المتصدين للجدل والفتوى ، لان كل ما خالف الحق جهل محض ، وقد يكون مركبا وهو شر انواعه ، وهذا يدخل فيه جميع المؤولين المسارعين اليه بغير

وجه صحيح ولا ملجيء اليه كامتناع حمل الخبر على ظاهره والله الموفق والمعين

﴿ سبب تأليف هذا الكتاب واسمه ﴾

قد كنا اردنا ان نفيض القول في الفتنة التى ظفر بها ابليس من بعض العرب الموجودين بالجهات الجاوية فقرت بها عينه، وبرق لها سنه، ولكن كرهنا ان يحمل مناذاك على محبتنا التعرض للاعراض والتسبب للسباب، وان تشيع الفاحشة في الذين امنوا، فاعرضنا عن ذلك، وخلاصة ماوقع انه التف لفيف ممن استشعروا بغض اهل البيت ونصبوا لهم العداوة وغصوا بما آتاهم الله من الفضائل والمناقب قديما وحديثا، وحملهم رغد العيش وبطر المال على السعي فى الغض من عظيم قدرهم، بالسباب والتنديد في المنشورات والجرائد والمجلات، فاكثروا من الضجيج والصراخ والتف حول النعيق والناعق الفافه واتباعه فلم يتركوا بابا من ابواب السباب والهجو الاطرقوه، ولاأسلوبا من اساليبها الاقالوه، ولو جمع مانشروه وقالوه فى هذا المعنى لاربى على جميع مانقل لنا من الهجو عن شعرآء الجاهلية والاسلام كثرة وخبثا، بل جآء فى منشوراتهم ماهو سب صريح لرسول الله صلى الله وآله وسلم لايقبل التأويل، وسترى فى الكتاب الذي نرد عليه نموذجا من ذلك

وقد ظهرت رسيلة لامامهم المسمى بالشيخ احمد بن محمد سوركتي الانصاري فى مسئلة سئل فيها عن الكفاءة وسماها (صورة الجواب) فاخطأفيها على صغرها فى مواضع ، مع ما حشاها به من المغامز التى ايدتها القرائن والنظائر فهب للرد عليه جماعة من فضلأ العلويين وغيرهم منهم السيد العلامة عبد الله بن صدقة دحلان ومنهم السيد الفاضل الالمعي الشهير علوي بن حسين مديحج والسيد الفاضل الاريب محسن بن سالم بن محسن العطاس رد عليه برسالتين ومنهم الشيخ الفاضل الصادق فى محبة اهل بيت نبيه صلى الله عليه وعليهم اجمعين حسن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن زين باسلامه من فضلاء مشايخ الحضارمة

وقد نبهوه على المواضع التى اخطأ فيها كدعواه الاجماع على وجوب تعيين المهر في العقد ومخالفته في ذلك لصريح القرآن وللاجماع ، وخطائه في تشبيه النكاح بالبيع من هذه الجهة مع اجماع الامة على تباينهما فيها ، وخطائه في نفي فضل النسب الصالح مع اجماع جمهور الامة على ذلك لم يخالف فيه الا مبتدعة الشعوبية ، الى غير ذلك فصعب عليه الرجوع الى الحق واستبعد ان يكون جاهلا بمثل هذه المسائل الاجماعية مع علم هولاء بها ، مع انهم في نظره جهال لايفهمون شيأ ولايعقلونه ، فبطر الحق وغمط الناس وظهر كتاب سمي

(بفصل الخطاب في تأييد صورة الجواب) لمؤلفه الشيخ احمد بن العاقب بن شكرت‌الله الانصاري اراد فيه تأييد ماقاله شيخه السوركتى من الخطأ والغلط ، ولكنه لم يصنع شيأ بل وقع فى اغلاط اخرى ، وقد نقل فيه جواباله ايضا اصرفيه على خطائه الاول ، اما لعدم فهمه ماقاله المنكرون عليه ، واما لظنه ان الرجوع الى الحق ينقص قدره عند اشياعه ، ولعمري ان تكذيب نفسه ورجوعه عن خطائه لمن اصعب الامور ، لان تلك المسائل التى انكروها عليه هي كل ما في رسيلته وقد ملأت الاندية ووصلت الى العذراء في خدرها وصاح بها اتباعه فى كل مكان ، فلو رجع عن ماقاله لساء ظنهم فيه ولذلك آثر التمادي في الباطل على الرجوع الى الحق ، ولو لم يفعل لكان خيراً له ، وقد طلب مني بعض ثقاة العلويين وفضلائهم الرد عليه فأجبته الى ذلك ، ولكني عندما سرحت طرفى فيه . واطلعت على قوادمه وخوافيه ، رأيته مملوأ بالسباب والشتائم واذا كتاب ليس على شاكلة كتب اهل العلم يثقل على كل ذي مروءة ترديد النظر فى جوانبه ، والاشتغال بالحجاج مع صاحبه ، فعزفت نفسي عن ذلك ثم نظرت فاذا وعدى قد سبق اختبارى ، وعلمت مع ذلك ان الفرحين بسبابه وشتائمه ، والواقفين على الدوارس من معالمه ، قد امتلؤا

غرورا بما يهرج وزيف ، وأشربوا في قلوبهم ما أوحى وزخرف ، ظنا منهم بسكوت الفضلاء عنه أنه اصاب ، شاكلة الصواب ، واتى بما وافق السنة والكتاب ، فحملت نفسى على انجاز ما وعدت ، والاكمال لما به بدأت ، مشمرا ذيلي عن أوضاره ، مترفعا ما استطعت ان تصيبنى منتنات اقذاره ، والله يغفرلنا ساعات امضيناها في التردد على دمنه ، والوقوف على جال عطنه ، ونسأله ان يجعلنا من الذين اذا مروا باللغو مروا كراما ، واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما .

(واعلم) ان جملة ما اشتمل عليه كتابه ينقسم الى ثلاثة اقسام

(القسم الاول) ادعاؤه لصاحبه الامامة في الدين ، والوراثة لسيد المرسلين ، وانه اكمل نواب هذا الجيل ، ومن المصلحين فى المقدمين اول الرعيل ، الى غير ذلك

ولاجواب لنا عن هذا القسم الاقول الله تعالى ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم أو ان يشأ يعذبكم وما ارسلناك عليهم وكيلا

ورحم الله القائل

وما اعجبتني قط دعوى عريضة * ولو قام في تأييدها الف شاهد

(والقسم الثانى) سباب وشتائم ، ورمي بالعظائم ، وتعرض لاعراض المسلمين ، وتعريض بالائمة المجتهدين ، فيما نقلوه لنا من الدين ،

وسب لابنآء سيد المرسلين ، وسلالة الطيبين الطاهرين ، وقد افحش واقذع وانفق من هذه البضاعة انفاق من لايخشى الفقر ، وغلب بها مناظريه ولافخر .

(وجوابنا) له عن هذا القسم عدم الجواب ، بل ما علينا اذا اقررنا بالغلبة له فى هذا الباب ، من ذم ولاعاب ، فلعمري انه منتضل لايشرف من احرز خصله ، ومورد لايطهر من شرب نهله ولاعله ، وانما السباب سلاح العاجز ، وبضاعة السفهآء والاراذل ، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم المتسابان شيطانان يتهاتران ولسنا والحمد لله من الشياطين ، وبعد فالسب لايخرج من معادننا ، ولايوجد فى خزائننا .

وحسبكم هذا التفاوت بيننا * وكل اناء بالذي فيه ينضح

وقدظن بعض الاغبيآء ان السب ينقص من قدر اهل البيت ، أو يقدح في فضل الحي منهم والميت ، وما درى انها حجول شرف لاتحظى بها الاجياد الجياد ، ولا توجه الا الى كرام العباد ويرحم الله الشيخ احمد بن عمر باذيب الشبامي حيث يقول

والناس لم ينج من افواههم احد * حتى لقد شتموا طه وجبريلا
وقيل في الله جلت ذاته كلم * منهم يرتلها التالون ترتيلا

وقال آخر * وما زالت الاشراف تهجى وتمدح *

ومن نظر في الشتم الذى شتم به والتقريض الذى قرض به صاحبه وقابل بينهما عرف ان الغرور بلغ منه كل مبلغ ولاهل البيت اسوة بكتاب الله وبرسوله فانا نرى دعاة النصرانية فى هذا العصر ينسبون اليه صلى الله عليه واله وسلم مارفع الله قدره ان ينسب الى جنابه ، او يعلق بأثوابه ، ونرى الملحدين يطعنون في كتاب الله جهارا في الجرائد والمؤلفات مسارعة فى الكفر وخروجا عن الملة ، ولعمري ان البواعث متشاكلة ، والمواد متقاربة !!

وسترى ان صاحب الكتاب لم يسلم منه حتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد عرض بمغامز من وجه خفي ، ليقدح بها فى جنابه العلي ، فلم ينقص بذلك قدر رسول الله صلى الله عليه واله وسلم . (حاشا) ولكن افصح لنا بصنيعه عن حقيقة أمره ، وصدقنا سن بكره * وما يوم اهل البيت من الحاسدين بواحد ، فقد غص بفضلهم اقوام ، فيما سلف من الايام ، فاسودت بفضائحهم صحائف الدهر ، وصاروا لعنة في كل عصر ومصر ، ورام آخرون مباراتهم فما نجحوا ، وما لبثوا ان افتضحوا . ومن ذا الهمك الله رشدك يساجل بيت النبوة ، ومغرس الفتوة ، ومتنزل الوحي ، ومختلف الملائكة ، ومطلع الفضل ، وناصية

الشرف ، وذروة المجد ، وأصل الكرم .

وما ظنك بسماء فضلهم الرفيعة ، وقد اتسقت فيها جمل مناقبهم مزرية بالدراري ، مخجلة للسبع الجواري ، قد حرستها شهب الكتاب والسنة ، من شياطين الانس والجنة ، يقذفون بها من كل جانب دحورا ، فكم من مسترق هوى لجنبه كسيرا ، ومستشرف بلح دونها حسيرا .

(القسم الثالث) مسائل علمية ، واحكام شرعية ، واحاديث نبوية ، لبس فيها الحق بالباطل ، وخلط الحابل بالنابل ، وسوى بين الحالي والعاطل ، وجمع بين المتباين وفرق بين المتشاكل ، ونكب عن معالم الدلائل ، الى معامي الخطأ والمجاهل .

فهذا القسم هوالذي اخذنا انفسنا ببيانه وشرحه ، حتى ينكشف ليله عن صبحه ، باثبات ماصدقه الدليل وأيده ، ونفي ماخالفه البرهان وفنده ، ليهلك من هلك عن بينة ويحي من حي عن بينة وان الله لسميع عليم .

وسنذكر هنا جل المواضع التي انكرناها في كتابه ونؤخر الرد عليها الى مواضعه فنقول .

(الاول)

قوله بتكافىء الشعوب والقبائل واستوائها في معادنها ومنابتها

وانسابها الصالحة والطالحة ، وتسويته بين ذوي المعادن الكريمة ، وذوي المعادن الدنيئة ، والاصول الزكية ، والاصول الخبيثة ، وهذا هوالأصل الذي الف كتابه من أجله وقوله هذا مخالف للعقل وصريح النقل ولاقوال اهل السنة والجماعة بل ولقول جمهور الباحثين في علم طبائع الانسان وعلم الاجتماع من علماء هذا العصر المحققين في ذلك

(الثانى)

انكاره فضل العرب وهو قول المبتدعة من الشعوبية وهو خلاف مذهب اهل السنة والجماعة القائلين بفضل العرب على غيرهم وقد قطع بذلك ابن تيمية وتلاه تلميذه ابن القيم وللعلماء على هذه الفرقه ردود كثيرة وقد تبرأ منهم ائمة الحق واساطين علمآء السنة والجماعة كالامام احمد بن حنبل واسحق بن ابراهيم وعبد الله بن مخلد وعبد الله بن الزبير الحميدي وسعيد بن منصور وغيرهم وسنذكر مانقل عنهم في ذلك ومن صنف في الرد عليهم وقد سماهم ابن تيمية مبتدعة كما سمى منكري انتفاع الاموات بالصدقة والدعاء وماشاكلهما مبتدعة وسيأتي الكلام في ذلك مستوفى ان شآالله تعالى

(الثالث)

انكاره فضل قريش وحمله عليهم وهذا هومذهب الخوارج

الذين اتفقت الأمة على ضلالهم ، وجدت في قتلهم وقتالهم ابتغآء ثوابَ الله وما عنده من الجزاء الحسن لمن قتلهم كما وردت به الاحاديث الصحيحة الصريحة

(الرابع)

انكاره فضل بني هاشم واهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهذا مذهب الخوارج وغلاة النواصب ، وبعضهم لا يجرؤ على انكاره اصالة ولكنه يعرف وينكر ، وهذه البدعة اعظم ضلالاً ومحالاً وبعدا عن الحق مما تقدم لأنها مستلزمة للبدعتين السابقتين ، ولأن فيها مع رد الاحاديث الصحيحة الصريحة الواردة فى فضلهم خاصة ، وهي اكثر وأنور وأشهر . ردا للاحاديث والادلة المثبتة لفضل العرب وقريش لان ما تدل عليه ثابت لبني هاشم واهل البيت من باب الاولى ، لذلك كان منكر فضلهم منكرا لفضل العرب وقريش لا محالة ، لأن فضل هذين انما جآء من ناحيتهم وبهم فضلوا وفضلوا ، فهم منهم مكان القطب من الرحا والروح من البدن ، فمنكر فضل بني هاشم يجحد من الحق ويلتزم من الباطل اكثر مما يجحد ويلتزم منكر فضل العرب اوقريش فكانت بدعة الخارجية

والنصب من هذه الجهة اعظم فسادا وابين عنادا من بدعة الشعوبية ، ولأن من الشعوبية من يثبت فضل بني هاشم ويقربه ولا ينكره وان انكر فضل غيرهم وقد قال ابن تيمية ان لآل محمد حقا لايشركهم فيه غيرهم وقال انهم يستحقون من المحبة والموالاة مالا يستحقه غيرهم كما ان جنس العرب يستحق من المحبة والموالاة مالا يستحقه سائر اجناس بني آدم وقال ان ذلك مذهب الجمهور الذين يرون فضل العرب على غيرهم وفضل قريش على سائر العرب وفضل بني هاشم على سائر قريش قال وهذا هو المنصوص عن الائمة كاحمد وغيره وعلى هذا دلت النصوص اه المراد نقله منه وسيأتي نقل كلامه برمته وبيان مافيه وان المخالفين فى ذلك هم المبتدعة من الشعوبية

(الخامس)

انكاره صحة حديث الائمة من قريش وقوله بضعفه ونكارته وبطلان ما ينبني عليه من مسئلة الخلافة والامامة الكبرى مع انها من مسائل الاجماع وقوله هذا يستلزم تكذيب المهاجرين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتغريرهم بالانصار ، وان الانصار اخطئوا لبنائهم ما هو من اعظم معاقد الدين على غير رضى ولا مقنع ولا امر يصح الرجوع اليه عن المعصوم

صلى الله عليه وآله وسلم وان الصحابة قد اجمعوا على امر باطل مفترى والعياذ بالله تعالى ويقتضي تضليل جميع الامة المحمدية الا الخوارج كلاب النار وحدهم فيقتضي قوله انهم هم على الحق فقط ويقتضي ان يكون جميع من قاتل الخورج فاسقا وقد قاتلهم جمع من الصحابة وفضلاء التابعين واجمعوا على ضلالهم ومروقهم من الدين كما وردت به الاحاديث الصحيحة الى غير ذلك من اللوازم الباطله والاقوال الخبيثة ، مع ان هذا الحديث وما في معناه انعقد عليه اجماع الصحابة وقال بصحته الحفاظ ، وقد عده الحافظ ابن حجر من الاحاديث المتواترة وجمع في طرقه مؤلفا سماه (لذة العيش ، في حديث الائمة من قريش) رواه فيه عن اربعين من الصحابة فاذا كان مثل هذا الحديث منكرا أو ضعيفا فلا يصح فى الدنيا حديث

(السادس)

قوله بضعف حديث آية التطهير وهو من الاحاديث الصحيحة المشهورة المستفيضة المتواترة معنى اتفقت الأمة على قبوله فهم بين محتج به كالشيعة ومؤول له كغيرهم والتأويل فرع القبول وقد قال بصحته سبعة عشر حافظا من كبار حفاظ الحديث .

(السابع)

تضعيفه حديث الثقلين وقوله بنكارته مع انه قد روي عن بضعة وعشرين صحابيا وورد من طرق صحيحة مقبولة وهو من الاحاديث المتواترة اجمع الحفاظ على القول بصحته واليهم المرجع في ذلك لا اليه .

(الثامن)

تضعيفه حديث الاصطفاء مع تصحيح الحفاظ له وقد سلك فى تضعيفه طريقا باطلة مخالفة للاصول بل هي من الاغلاط الفاضحة وذلك انه ضعفه بأن راويه عن الاوزاعي هو الوليد بن مسلم وهو مدلس فلعله دلسه عنه وقوله هذا غير صحيح ولا مقبول وذلك ان الوليد بن مسلم ثقة غير مدافع وقد صرح فيه بالتحديث فانتفى توهم التدليس وايضا فقد رواه عن الاوزاعي غيره كشعيب بن اسحاق وأبي المغيرة ومحمد بن مصعب ويزيد بن يوسف ، وقد زعم ايضا ان تماما الرازي قال فى الوليد بن مسلم انه منكر الحديث وهذا خطأ فان الذي قال فيه تمام ذلك القول هو الوليد بن سلمة لا الوليد بن مسلم وسيأتي شرح القول في ذلك ان شاء الله تعالى

(التاسع)

اهداره كلام المعصوم صلى الله عليه وآله وسلم وحمله له على المعاني التافهة

التي لا محصول لها بل تدل بقية روايات الحديث اوما في معناه على ان ذلك تحريف وتبديل ، وتعال بالاضاليل ، كما فعل فى تأويل حديث الاصطفاء وقد اتبع فى ذلك خطوات ابن حزم وقدرد كلامه ابن تيمية كما سيأتي شرح ذلك ان شاء الله تعالى

(العاشر)

قوله فى آية والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنابهم ذريتهم الآية بغير ماقاله المفسرون من الصحابة ومن بعدهم وتضعيفه الروايات الصحيحة الصريحة فى ذلك وتحريف المحتملة منها الى مايوافق هواه ثم تصحيحها مع ان فيها مقالا

(الحادي عشر)

خطاؤه فى تلك الروايات والاقوال ايضا بنسبتها الى غيرار بابها .

(الثاني عشر)

عدم ادراكه وجه الدلالة من قوله تعالى وكان ابوهما صالحا وقد اشرنا الى ذلك فيما مضى .

(الثالث عشر)

الحاشه في كلامه على حكمة تحريم الزكاة على الآل وتعريضه بتنقيصه صلى الله عليه وآله وسلم وتهمته على الدين ، مما لا يليق

التفوه به فى حق سيدالمرسلين ، ولو لاتصديره له بصيغة الاستفهام الاستنكاري لكان كفرا ظاهراً لايحتمل التأويل .

(الرابع عشر)

تضعيفه الحديث الوارد فى تحريم الزكاة عليهم وقوله بشذوذه مع انه فى الصحيح ليس فيه مخالفة لثقة وله متابعات كثيرة وورد من طرق متعددة باسانيد صحيحة وما كان كذلك فليس بشاذ وان رغم انف الراغم

(الخامس عشر)

رده علة التحريم المنصوصة وقطعه بانه لاعلة لذلك الارفع التهمة فقط وما قاله منقوض بخمس الخمس نقضا لايقبل الرد وبالاحاديث الصحيحة ولاينفعه هنا محاولته تشبيه خمس الغنائم بالمرباع الذى يأخذه رؤساء الجاهلية فقد نزه الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ان يفعل فى الاسلام فعل الجاهلية المذموم اوما يشابهه

(السادس عشر)

خطاؤه فى معنى حديث « الناس معادن كمعادن الذهب والفضة » الحديث ومخالفته في ذلك لشراح الحديث وعلماء اللغة وقدمرت الاشارة اليه

(السابع عشر)

جهله معنى الاحتجاج وذلك انه يتكلم على رجال احاديث بمالوصح لم يسقط به حديثهم عن درجة الحسن لذاته اولغيره ثم يدعي مع ذلك انه لايحتج بهم ولابها وهذا خطأفاحش فان الحجة كما تقوم بالصحيح تقوم بالحسن

(الثامن عشر)

انه حكى عن المحدثين انه لايحتج بحديث مبتدع فيما يؤيد بدعته وطعن بهذه القاعدة في حديث بعضهم لمخالفته لهواه ثم احتج بحديث رواه مبتدع فيما يؤيد بدعته ولم يحاسب نفسه ولم يطالبها بالتزام القواعد ، كأن القواعد والاصول انما جعلت لغيره اما هو فكلامه الحق المقبول ولوخالف الفروع والاصول

(التاسع عشر)

جرحه ما ينيف على اربعين راويا من رواة البخاري ومسلم والسنن ثم احتجاجه ببعضهم لنفسه وفى هولاء مثل الاعمش وشعبة بن الحجاج الذي يعدل عند المحدثين مائة راو وغيرهم من كبار الائمة والحفاظ المشهورين

(العشرون)

انه بعد جرحهم زعم انه لايحتج بحديثهم مع انه قداحتج

بهم البخاري ومسلم واصحاب السنن والفقهاء الاربعة وعملت الامة بحديثهم قرنا بعد قرن الى اليوم فى العبادات والمعاملات والدماء والفروج وغير ذلك

(الحادي والعشرون)

غلطه فى اسماء الرجال وتخليطه فيهم كما سبقت الاشارة اليه فى الصحيفة الخامسة عشرة

(الثانى والعشرون)

انه جرح بعض الرواة وزعم عدم الاحتجاج به ورد مارواه ثم عاد واحتج به في موضع آخر عند ما روى ما وافق نحلته مع ان ذلك لم يرو الا من طريقه ! !

(الثالث والعشرون)

زعمه ان ذرية الحسنين سبطي رسول الله وريحانتيه عليه وعليهما وعليهم الصلاة والسلام لا تدخل فى مسمى اهل البيت مع ورود الاحاديث بالدلالة على ذلك وهو مقتضى اللغة والاستعمال الشائع على السنة حملة الشرع من الائمة

(الرابع والعشرون)

انه اطلق القول بعدم جواز الاخذ بقول احد من الائمة الاربعة وغيرهم الا بعد معرفة دليله ، ولو انصف من نفسه لعلم انه احوج

الناس الى الأخذ باقوالهم وذلك انه بحث في مسئلة واحدة وهي مسئلة الكفاءة فارتطم فى تلك الاغلاط التى لامخرج له عنها الا بالتبرئي منها ، حتى غلط فيا صرح به القرآن وانعقد عليه الاجماع

(الخامس والعشرون)

قوله بوجوب تعيين المهر فى النكاح وهذه مخالفة صريحة لكتاب الله تعالى وخرق للاجماع

(السادس والعشرون)

انه شبه النكاح بالبيع فى الموضع الذى تباينا وافترقا فيه وذلك انه يجب لصحة البيع تسمية الثمن فيه (١) فشبه النكاح به فى وجوب تسمية المهر لصحته وهو خلاف ما اجمعت عليه الأمة

(السابع والعشرون)

زعمه ان من صور النكاح ما يكون تعيين المهر فيها شرطا للصحة واستشهد بعبارة اسنى المطالب فى ذلك وقد فهمها على غير وجهها فانهم نصوا على ان وجوب التعيين فى تلك الصور شرط للزوم المسمى لا لصحة النكاح

---

(١) قد عبر فى صورة الجوب بقوله « وعين المهر » والتعيين غير التسمية كما هو معلوم ويجب فى البيع تسمية الثمن لا التعين اه مؤلف

(الثامن والعشرون)

انه لما حاول الاعتذار عن خطاء شيخه فى اشتراطه تعيين المهر لصحة النكاح قال في الصحيفة ٤١ من فصله «واحتاج الى ذكر تعيين المهر لئلا يخرج من تعريفه الصور التي يجب فيها تعيين المهر كأن كانت المرأة غير جائزة التصرف» الى آخر ما سيأتي نقله فكلامه هذا تأييد للخطأ بمثله ، لأن دخول تلك الصور المستثناة في تعريفه يخرج ما سواها من الصور لما بين القسمين من الاختلاف فى الحكم لانها اي المستثناة يجب فيها تعيين المهر للزوم لا للصحة كما تقدم ، وما سواها لايجب فيها التعيين لا للزوم ولا للصحة فما قاله في (الصورة) أما ان يكون تعريفا (١) لهذا القسم اوذاك ويمتنع ان يصح تعريفا لهما كما هو ظاهر ، وكيفما كان الحال فهو مخطىء لان التعيين ليس بشرط لاهنا ولاهناك ، فلا محل اذاً لقوله «فما احكم هذا التعريف وادق نظر الاستاذ» !! فاين الاحكام واين دقة النظر ؟؟ ولا لقوله في (الصورة) مخاطبا سائله «وابشروا فقد وافاكم الحق نزيها يسيرا وسألتم عنه خبيرا» فمن وقف على هذه الاغاليط علم ان لا حق ولا نزاهة ولا يسر ولا خبرة وما زاده الا جهلا وعمى لبطلان ما اجابه به من كل وجه

---

(١) أطلق التلميذ على عبارة شيخه فى صورة الجواب لفظة التعريف اه مؤلف

(التاسع والعشرون)

دعواه اتفاق الائمة الاربعة على سقوط الكفاة بالاسقاط وهي دعوى باطلة فأن الخلاف في ذلك شهير

(الثلاثون)

زعمه ان مسألة الكفاءة ومسألة عدم التفاضل من المعلوم من الدين بالضرورة

(الحادي والثلاثون)

دعواه الاجماع على ان التفاضل انما يكون بالعلم والعمل والاخلاق فحسب مع شهرة الخلاف في ذلك بين المتكلمين وان خفي عليه ولا ندري مستنده فيما نقل من الاجماع فانه لم يذكر لنفسه في ذلك سندا ولا سلفا

(الثاني والثلاثون)

زعمه فى (الصورة) ان مسئلة الكفاءة ليست مبنية على تفضيل احد ولا تنقيص احد ! ! فما أعجب هذا الزعم وما اظرفه ! أتراه لم يفهم ان الكفأة معناها المساواة وعدمها عدم المساواة وذلك هو التفضيل ؟ ولذلك عبر الامام الشافعي رحمه الله تعالى فى الام بفضل النسب ونقصه ، وقطع ابن تيمية بان القول بتفاضل الانساب هو قول اهل السنة والجماعة

(الثالث والثلاثون)

نسبته السادة العلويين الى اتباع الهوى والتكبر والتعصب لقولهم ان الكفأة في النكاح من حقوق جميع الاولياء واذا كان كل من قال بهذا القول يكون متبعا للهوى متكبرا متعصبا فان الامام احمد و الثوري واتباعهما والاصبحى من الشافعية كذلك كانوا لانهم قالوا بهذا القول ومعاذ الله ان يكونوا بهذه الصفات رضى الله عنهم وارضاهم ولكنه كما قال ابو حيان رحمه الله تعالى

ويشتم أعلام الائمة ضلة * ولاسيما ان أولجوه المضايقا

(الرابع والثلاثون)

أنه قال فى صحيفة ٢٤١ من فصله أن القول « بأن الكفأة حق للمرأة وجميع قبيلتها قول مبتدع مخترع وليس له أصل في الدين البتة ولامطابقة للعقل وانما هو قول احدثه حب التأله والتكبر على عبادالله وليس هو مما اختلف فيه الائمة » اھ ومعلوم ان هذا مذهب الامام احمد رحمهالله تعالى لاينكره الاجاهل معاند بل له قول ايضا بان الكفأة من الحقوق المطلقة (اى حقلله) حتى في كفأة النسب وقد غلط ابن القيم هنا وخالف جميع من نقل قول الامام احمد من اصحابه بغير مستند فتنبه وقوله أنه ليس له اصل الخ سباب وهذيان صدر عن جهل فأن له الأصل الأصيل

من حديث سلمان رضى الله عنه وهو حديث صحيح رواه غير واحد وذكره ابن تيمية أيضا وذكر ان الامام احمد قد احتج به وعبارته بعد ايراد الحديث « واحتج به احمد في احدى الروايتين على ان الكفأة ليست حقا لواحد معين بل هي من الحقوق المطلقة في النكاح حتى انه يفرق بينهما عند عدمها » اه واما قوله ولا مطابقة للعقل فان عنى به عقل غيره فقد علمت أنه طابق عقول اولئك الائمة فقالوا به ، وان عنى عقل نفسه فالامر سهل ، وصحة الاحكام ليست مشروطة بمطابقتها لعقله وسيأتي ذكر ذلك في موضعه على وجه ابسط مما هنا مع نقول اخرى ان شاالله تعالى

(الخامس والثلاثون)

قوله « ان الائمة ماقالوا بالكفأة الا تبعا لمقتضيات السياسة اي لم يقولوا بذلك اتباعا لدليل شرعي وهذا رمي لهم بالخيانة في الدين .

(السادس والثلاثون)

سبه للسيد العلامة عبدالله صدقة دحلان وقذفه له بماشاء الهوى من الجهل والحمق والجرأة على دين الله لأنه احتج بحديث « قدموا قريشا ولاتقدموها » مع انه حديث احتج به الائمة وممن احتج به الامام الشافعي وأحمد وغيرهما وحسبه ان يكون مثلهم في ذلك هذا ما اردنا تعديده من اغلاط وبقيت اغلاط كثيرة ايضا

ستراها فى تضاعيف الكتاب وبعض ما ذكرناه من المسائل التي غلط فيها لا تخفى حتى على المبتدئين من طلبة علم الفقه ولا نواب العقود في القرى والبوادي فكيف بالمجتهدين الذين لا يجوز لهم الأخذ بقول احد من الائمة حتى يعرفوا دليله ! ! !

﴿عدم رجوعه للحق، وسبه للناصحين، وكون كتابه اجمع كتاب لالفاظ البذاء واساليبه﴾

كان الواجب عليه بعد أن نبهه من تقدم ذكرهم ونصحوا له ان يسارع الى الرجوع الى الحق والندم على قوله فى دين الله بغير علم والى الثناء الحسن على الناصحين الذي ذكروه ما نسي وعلموه ما جهل والاعتراف لهم بحق النصيحة ومنة التعليم وقد علم اولوا العلم ان الرجوع الى الحق خصلة جليلة، وفضيلة تفوق كل فضيلة، لا وصمة فيه ولا عار، بل هو ديدن العلماء الابرار، وهو لعمري غرة الفضل الشادخة، ورتبته المنيفة الباذخة، بل هو ادل دليل على الكمال، لا يتصف به الا نحارير الرجال، فلو فعل لعدها الناس فضيلة له، ولكنه اصر على الخطأ وبطر ما قالوه من الحق، واحتقرهم وغمطهم وجزاهم بما نصحوا سبا شنيعا، وفحشا قاذعا فظيعا، دخلوا به ان شاء الله في عداد من اوذي في الله، وسنعرض عن نقله البتة الا ما كان في اثناء كلام لا بد من ذكره للرد عليه فنقتصر منه على ما لو حذف لكان الكلام

بدونه مبتورا ناقصا ، ولا مندوحة هنا عن الاعتراف بأمر واقع ، وهو انا لواردنا مجاراته في ذلك لما قدرنا وكان هو الغالب لا محالة ، ولا تحسبن كلامنا هذا جاريا مجرى التنكيت والتبكيت ، كلا بل هو جار على وجهه وظاهره ، فأني لم ار في كتب المتقدمين ولا المتأخرين ولا كتب الخلاعة واشعار الخلعآء واهل البذآء ما هو اجمع من كتابه لالفاظ الفحش واساليبه وجمله المتعددة وعباراته المتنوعة ، فهو قاموس جامع وديوان حافل لطالبي الالفاظ البذية ومحبيها ، وقدرته على جمع ذلك القدر الكثير والتنقيب عنه من بطون الأسفار أغرب وأعجب ، ولايتأتى جمع مثله الالمن افني سنينا طويلة في البحث والتقييد شيئاً فشيئاً ، فأن كان ذلك من انشائه وتحريره من غير استعانة ولا استعارة فلا شك انه اعظم نابغ في هذا الفن .

وقد كنت اقول لولا انه لايوجد لهؤلآء مؤلف في نحلتهم الا هذا الكتاب السخيف لكان اشتغالنا بالرد عليه من اعظم العار ، ولكن من أمعن النظر فيما يحكيه الله سبحانه وتعالى من اقوال الكفار في ذاته العلية وما يرمون به رسله وأكرم الخلق عليه هان عليه الأمر ، ونسأل الله ان يجعلنا ممن يدرأ بالحسنة السيئة ومن الذين لايشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما .

وقد سمينا كتابنا هذا

﴿ القول الفصل ، فيما لبني هاشم وقريش والعرب من الفضل ﴾

لان الكتاب الذي نرد عليه انما الف لجحد فضائلهم وانكارها مجادلة بالباطل وانكاراً للحق ومسارعة للبدع واحياء لايامها واتباعاً لاقوامها وتلبسا بآثامها ثبتنا الله على منهج الحق وجعلنا من اهله آمين * ولما كانت تلك الفضائل أثبت من الفلك الدائر واسير فى الآفاق من المثل السائر ، وأزهر حجة من القمر الزاهر واكثر مددا من البحر الزاخر ، قد ملأت الدفاتر واستنفدت المحابر ، وعبق نشرها في المحافل والمحاضر ، كان مجرد جحودها وانكارها غير مجد ولا نافع للحاسدين المبغضين لا تقوم لهم به حجة ، ولا تستنير امامهم محجة ، فلذلك حاولوا ان يهاجموا النصوص الصريحة بالطعن فى أسانيدها والتأويل لالفاظها ومصادرة نصوصها ولكنهم لم يفلحوا ولن يفلحوا لان الحق قائم بنفسه ظاهر بنوره لا يزيده انكار المنكرين وجحود الجاحدين الا رسوخا وثباتا وانتشارا

واذا استطال الشيء قام بنفسه * وصفات ضوء الشمس تذهب باطلا

ولا يمكن انكار ما ورد فى فضائلهم ومناقبهم الا بانكار مالا يحصى من احاديث الاحكام لان الرواة الذين رووا أحاديث مناقبهم هم الذين رووا احاديث الاحكام والحفاظ الذين صححوا هذه

هم الذين صححوا تلك ولواطرحنا كل حديث رواه راو ممن جرحهم الجاحدون لتفلت من ايدينا غالب السنة النبوية وكم فى البخاري من الاحاديث التى لم يروها الا من طريق شعبة اوغندر اوزكريا بن زائده او الاعمش او غيرهم ممن طعنوا فيهم بغير حجة لأنهم رووا بعض فضائل من يحسدونهم واعلم ان الذي جمعناه فى كتابنا هذا انما جمعناه لمن يقول بصحة الاجماع ويقبل روايات اهل الحديث الموثوق بهم ويرى الاحتجاج بها لا لمن يضلل جميع المسلمين او يكفرهم او لا يقبل رواياتهم ولا اقوال ائمتهم كالخوارج واهل البدع والزيغ والاهواء المضلة

ولا للمقلدين من المبتدعة فانهم أبلد اذهانا وأشد ضلالا وأعظم غلوا وأقسى قلوبا وأوحش تعصبا من ائمتهم وهم أشد بعدا عن فهم مانقوله فانى لهم بقبوله فليكن هذا المعنى منك على بال وقد قال حبر الامة عبد الله بن عباس رضي الله عنه ان للضلالة حلاوة فى قلوب اهلها وتلا قوله تعالى أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا ولما كانت المسائل التي نرد عليها لها تعلق قريب او بعيد بالطوائف الضالة من الخوارج والنواصب والشعوبية حسن ان نشرح شيئا من حالهم ومحالهم على وجه الاختصار فنقول

﴿ القول فى الخوارج والنواصب ﴾

اعلم علمك الله تعالى والهمك رشدك انه قد هلك ببغض اهل البيت هالكون ، وضل بسوء الاعتقاد فيهم ضالون ، استدرجهم الشيطان بغروره ، وحقت عليهم كلمة العذاب باتباع زوره ، فخلت قلوبهم عن انوار الايمان والايقان ، وامتلأت بظلمات الكفر والنفاق ، فمرقوا من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، وزين لهم الشيطان اعمالهم ، فكرهوا الحق واوضعوا فى خلافه والبعد عنه والمقاومة لاهله ، فصاروا طوع ابليس يتصرفون بأمره ، ويجاهدون في سبيله ، متتابعين في الغواية ماضين على الغي والعماية ، حتى اوردهم النار وبئس الورد المورود ، وقد ورد في ذم مبغضي اهل البيت وفي الوعيد الشديد على بغضهم احاديث كثيرة منها الخاص ومنها العام ، فمن الخاص ماروته ام سلمة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لايحب عليا منافق ولايبغضه مؤمن وروى ابوسعيد بالخدري رضى الله عنه قال إن كنا لنعرف المنافقين نحن معشر الانصار ببغضهم عليا رواهما الترمذي وفي صحيح مسلم عنه عليه السلام أنه قال والذى فلق الحبة وبرأ النسمة انه لعهد النبي الامي صلى الله عليه وآله وسلم الي ان لايحبني الامؤمن ولايبغضني

الا منافق ، وعلي عليه السلام افضل اهل البيت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فان كان علة اختصاصه عليه السلام بهذا معنى آخر غير القرابة كما يدل عليه افراده بالذكر كان له وجه آخر وورد أيضا انه صلى الله عليه وآله وسلم قال للعباس رضى الله عنه والله لا يدخل قلب امرئ ايمان حتى يحبكم لله ولقرابتي وسيأتي تخريج هذا الحديث وذكر طرقه وهو حديث صحيح (١) وفيه دلالة على ان محبة اهل البيت وآل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شرط لحصول الايمان اولازم من لوازمه ويمتنع حصول الشيء بدون شرطه ولازمه وان بغضهم ضد للايمان مانع من دخوله الى قلب المبغض فالبغض دليل النفاق وبريد الكفر وان محبتهم ليست كمحبة غيرهم وان بغضهم ليس كبغض غيرهم لان محبتهم قسم من محبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقوله صلى الله عليه وآله وسلم حتى يحبكم لله ولقرابتي فهي محبة زائدة على مايجب من محبة المؤمنين بعضهم بعضا وفي تنكير الايمان في قوله « لايدخل قلب امرئ ايمان » مع مجيئه في سياق النفي دليل على انه يمتنع حصول اي معنى من معاني الايمان في قلب المرء مع وجود بغضهم فيه لان النكرة

---

(١) رواه ابوداود الطيالسي وسعيد بن منصور والترمذي والحاكم ومحمد بن نصر المروزي والنسائي وطراد والطبراني في معاجمه الثلاثة والخطيب وابن عساكر وابن النجار والروياني من طرق متعددة وصحح الاحتجاج به ابن تيمية اه مؤلف

فى سياق النفي من صيغ العموم كما هو مقرر في محله ، وايضا فهنا ثلاثة أمور لارابع لها المحبة والبغض والخلو عنهما ولايدخل الايمان القلب الامع وجود المحبة ، ووجودها مستلزم لعدم الاخيرين لامتناع الجمع والخلو ، ومايرى عند بعض المبغضين لهم مما يظن انه اثرمن آثار الأيمان هو خشوع النفاق وعلم النفاق لاغير ، فبغضهم ادل دليل على علمآء السوء الذين حذرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منهم وخافهم على امته ، وروى ابن حبان والحاكم في صحيحيهما وقال الحاكم على شرط مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لا يبغضنا اهل البيت احد الا ادخله الله النار ، فهذا الوعيد الشديد بدخول النار يدل على عظم الذنب ، وقد بين ذلك الحديث قبله اذلا اعظم من ذنب يحول بين صاحبه وبين الأيمان هذا ما يدل عليه الحديث ، وان كنا لا نحكم ظاهراً بخروج من كان كذلك عن الملة وعداد اهل القبلة كما قاله العلمآء فى نظائر ماذكرنا ولبسط الاستدلال على ما ذكرنا موضع آخر ، والقصد هنا ذكر اصناف الهالكين بسبب بغض اهل البيت ووقوعهم في العذاب والضلال البعيد ، وثبوت نفاقهم وعدم أيمانهم ، وان حقيقة الايمان المنجية لا توجد عندهم ، وما لديهم انما هو مجرد صورة تكون

سببا لغرورهم بانفسهم حتى تتم شقاوتهم ، وان اعمالهم ان كانت لهم اعمال كسراب بقيعة يحسبه الظمآن مآءً حتى اذا جآءه لم يجده شيئاً فالنواصب والناصبة والناصبية هم الذين نصبوا العداوة لامير المؤمنين علي عليه السلام ، وهو اسم جامع لهم فيدخل تحته الخوارج ونواصب السفيانيه والمروانية والحريزية والحرانية وكلهم يجمعهم بغضهم لامير المؤمنين عليه السلام وبقية اهل البيت ، وما تراه في تراجم بعض علماء النواصب صنائع ملوك آل مروان بن الحكم بن ابي العاص طريد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه كان مروانيا وقد يقال سفيانيا او حريزيا ونحو ذلك فمعناه ماذكرناه ، وانما سموا بذلك لانهم يتعصبون لملوكهم من بني مروان ويتولونهم ويرونهم احق بالامامة والطاعة ، واولى الناس برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبالخلافة على امته وكانوا يرون وجوب طاعتهم حتى فى معصية الله ، فأما الخوارج فقد صحت الاحاديث بل تواترت بمروقهم من الدين ، وانهم كانوا مسلمين فصاروا كفارا وانهم سفهآء الاحلام ، وانهم يقرؤن القرآن لايجاوز تراقيهم وانهم يمرقون من الدين ثم لا يعودون حتى يعود السهم على فوقه ، وانهم شر الخلق والخليقة ، وانهم يقولون من خير قول البرية ، واجمع على ضلالتهم من بقي من اصحاب رسول الله صلى الله عليه

وآله وسلم ومن بعدهم وروى الامام مسلم الاحاديث الواردة فيهم من عشر طرق ورواها البخاري عن اربعة من الصحابة ورواها اصحاب السنن والمسانيد مع ان بعض الاحاديث المروية فيهم من الممنوع ذكرها وروايتها لذلك العهد لما فيها من مناقضة ما يعتقده أهل الامارة وصنائعهم

وقد تفرقوا الى فرق كثيرة لاداعي لذكرها ، ومن شأنهم انهم لايقيمون لاجماع الامة وزنا ولا يقبلون ماورده من الاحاديث ، ولايرون فيها حجة ، ولايعرفون ما تواتر منها لاعتقادهم كفر من سواهم وبعدهم عنهم ، واعجابهم بانفسهم وبأوليهم شديد واحتقارهم لمن سواهم أشد فلا فائدة فى محاجتهم ومجادلتهم ولوارادوا ان يتوبوا ويرجعوا عن بدعتهم ماقدروا لقوله صلى الله عليه وآله وسلم يمرقون من الدين ثم لايعودون الحديث ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم وانه سيخرج في امتي اقوام تجارى بهم تلك الاهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه لايبقى منه عرق ولا مفصل الادخله ومن المعلوم ان داء الكلب دآء عضال قلما يشفى منه صاحبه والخوارج اشد اهل الاهوآء غلوا وضلالاً ولذلك يكثر فيهم الاصرار على بدعتهم والنضال عنها والعجب بارآئهم وتقديمها على النصوص كما استحسن ذو الخويصرة رأيه على فعل المعصوم صلى الله

عليه وآله وسلم حتى قال له اعدل فأنك لم تعدل وذوالخويصرة هو ضئضئ الخوارج وأصلهم كماورد في الحديث وكلام العلمآء في هذا المعنى كثير .

واما النواصب فبعضهم اشد غلوا من بعض ويجمعهم البغي والتغلب والاستبداد والقول به ، ومناصبة امير المؤمنين علي عليه السلام ومعاداته ، والتكلم في جنابه الرفيع ، والطعن في خلافته الراشدة وجحد مناقبه ، وبغض سائر اهل البيت واشدهم فى ذلك من قاتلهم وقتلهم مسارعة الى مرضاة ملوكهم وتأييدا لسلطانهم والتماسا لفضتهم وذهبهم وعلماء هذه الفرقة يرون ان قتل سبط رسول الله وريحانته وسيد شباب اهل الجنة الحسين عليه السلام كان حقا وعدلا أحسن فيه فاعلوه وأجروا على مافعلوه وقد شاركوا بقولهم هذا من باشر قتله كالكلب الابقع شمر بن ذي الجوشن (١) ويزيد بن انس واشباههم من الانتان ومنهم من جعل سيف ابن مرجانة الزنيم ابن الزنيم كسيف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان من هولآء ابوبكر بن العربي المالكي ورحم الله القائل

وقد رخصت قراؤنا في قتالهم * وماقتل المقتول الاالمرخص

---

(١) ورد فى بعض الآثار انه صلى الله عليه واله وسلم رأى كلبا ابقع يلغ فى دمه فكان ذلك هو شمر قاتل الحسين عليه السلام لانه كان ابقع من البرص اه مؤلف

وقد دلت الاحاديث الصحيحة على ان الناصبي منافق وانه لايدخل قلبه الأيمان وقد كان على هذا المذهب الخبيث المخبث كثير من العلماء على عهد ملك آل مروان وكانوا صنائعهم وشر العلمآء علمآء الملوك وكان آل مروان يقربون من العلمآء من عرف ببغض اهل البيت ويقطعونه الاقطاعات ويبذلون له الاموال ويجزلون له العطايا والجوائز ويوطئون الرجال عقبه ، فكان هذا النوع اكثر شهرة فى ذلك الزمان تبعاً لمظهر القوة ، وميل السطوة ، وقد كثر اتباعهم من طلاب الدنيا والمستشرفين الى الوظائف وهم على دين ملوكهم كما ترى في هذاالعصر من اطباق الموظفين على ما تقتضيه سياسة الحكومة فكذلك كانوا ، ولم تدل دولة بني مروان حتى تأصلت هذه العقيدة وصار لنواصب العلمآء قدر فى قلوب العامة وتعظيم وشهرة واتباع يروون عنهم ، وبقيت عقيدتهم يتنا قلها الناس بينهم ترد لاجلها الاحاديث الصحيحة الصريحة والنصوص العامة والخاصة ، ويطعن في كل من روى حديثا يدل على بطلان ما هم فيه او عرف بميل ومحبة لاهل البيت ، فلما جاءت دولة بني العباس وكانت علة الاستبداد واحدة في الدولتين حملهم الحرص على الاغضآء عن كثير مما ذاع وشاع ، في الاساتذة والاتباع وان كانت الوطأة اخف مما كانت عليه ، فذهبت شرة النصب

ولكن بقيت آثاره ، فمن الناس من غلب عليه التقليد ، وقفل على قلبه منه بقفل من حديد ، فبقي يكرع من حياض النصب الآسنة الآجنة على مثل حال سلفه ، فاذا عرض له ما يخالف معتقده فزع الى التأويل تارة والرد والانكار اخرى ، وهولآءهم الذين اعضل دآؤهم وتعسر دواؤهم وشفاؤهم ، ومنهم المتذبذب بين الطريقين طريقي الضلالة والهدى ، يعرف مرة وينكر أخرى ومنهم من ادعى انه من اهل السنة ظاهرا وبقي على نحلته باطنا ومن هؤلاء المبتلين والعياذ بالله تعالى افراد من اتباع المذاهب المشهورة وغيرهم ، يثنون صدورهم كاظمين ، وبين جوانحهم منه نار لاتخبو ، فاذا كربوا وغلبوا تنفسوا بالزفرة بعد الزفرة ، وقذفوا الجمرة تتلو الجمرة ، وهكذا لا تزال تحرق ارواحهم حتى تجتمع مع نارجهنم على حرق ارواحهم واشباحهم ، ومتى خافوا أن يفطن لهم عادوا يتذبذبون ويواربون ويوردون من الكلام ما يوهم انهم ليسوا بنواصب هكذا شأنهم ابدا ومهما تكن عندا مرئ من خليقة ، وان خالها تخفى على الناس تعلم وهذا القسم هم الذين جمعوا النفاقين نفاق النصب ونفاق الرياء باظهار خلاف ما يعتقدون وتجد كثيرا من اعمالهم واقوالهم وضلالهم فى غير هذا الموضع عافانا الله من الفتن بمنه وكرمه آمين

﴿ ذكر الشعوبية وبدعة القول بالتسوية ومن تبرأ منها ومنهم من الائمة ﴾

الشعوبية نسبة الى الشعوب بالضم يطلق على الفرقة التى لا تعترف بفضل العرب على غيرهم والشعب بالفتح — واحد الشعوب — القبيلة العظيمة وابو القبائل الذى ينتسبون اليه اي تنتهي انسابهم اليه وتتفرع عنه قال الله تعالى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن اكرمكم عند الله اتقاكم، فعلى القول بعموم مدلول الاكرم والاتقى — خلافا لما تفيده صيغة افعل التفضيل من كونها خاصة لان هذه الصيغة تفيد التمييز وقطع المشاركة — تكون مثبتة للافضلية فى الكرم لمن ثبتت له الافضلية فى التقوى ، اما الكرم لا الأكرمية فتثبته على قول المحققين فى مثل هذا ، لانه لا اكرمية الا مع كرم، كما اذا قلت زيدٌ أعلم الجماعة او أغناهم فقد اثبت لهم علما وغنى وان لم تثبت لهم الغاية فيهما ، وعلى قول غيرهم لا تثبته ولا تنفيه لان غاية ما تدل عليه اثبات غاية الكرم لمن ثبتت له الغاية فى التقوى وهذا حق وصدق ، كما أن الكرم ايضا ثابت للمتقي الذى هو دون الأتقى وللمعادن الكريمة والانساب الصالحة كما وردت بذلك السنة الصحيحة المبينة للقرآن والمرجوع اليها في بيانه وهذا بحث عارض سيأتي فى موضعه بابسط مما هنا ، والقصد هنا بيان معنى الشعوبية فنقول قال فى القاموس وشرحه « والشعوبى بالضم محتقر امر العرب قال ابن

منظور وقد غلبت الشعوب بلفظ الجمع على جيل العجم حتى قيل لمحتقر امر العرب شعوبى اضافوا الى الجمع لغلبته على الجيل الواحد كقولهم انصارى وهم الشعوبية وهم فرقة لا تفضل العرب على العجم ولا ترى لهم فضلا على غيرهم واما الذى فى حديث مسروق ان رجلا من الشعوب أسلم فكانت توخذ منه الجزية فأمر عمر ان لا تؤخذ منه فقال ابن الاثير الشعوب ههنا العجم ووجهه ان الشعب ما تشعب من قبائل العرب والعجم فخص باحدهما ويجوز ان يكون جمع الشعوبى كقولهم اليهود والمجوس فى جمع اليهودى والمجوسى » اه فذكران بدعة هذه الفرقة كونها لا تفضل العرب على العجم ، وبنحو هذا قال ابن تيمية ولكن الحافظ ابن حجر قال في تهذيب التهذيب «ان الشعوبية هم الذين يفضلون العجم على العرب» اه وهو مخالف لما نقلناه عن غيره ، وفى كلام المسعودي الآتي ذكر احتجاجهم على تفضيل النبط على العرب ، ووجه الجمع ان منهم غلاة ومتوسطين فالغلاة لايقتصرون على انكار فضل العرب بل يفضلون عليهم من سواهم ، ومن الغلاة امة الفرس قديما وامم الافرنج حديثا فانهم لهذا العهد يقولون بانقسام البشر الى اصناف كثيرة ادناها عندهم الجنس الأسود ، ويزعمون ان حظه من المميزات والخصائص الانسانية قليل ، ويبنون على هذا الأصل انه لايستحق السيادة ولا العزة ، ويقولون : ان جنسهم هوا علا الإجناس وارقاها وهو الذي يستحق ان يكون سيدا وماسواه من الاجناس مسودا معبدا له ويجعلون العرب من الجنس الاسود ، وقد رأيت في بعض ما ترجم

من كتبهم أن العرب من الجنس الابيض الادنى لا الا على فلا ادري أكان هذا مذهبا لاحد منهم ام هي من جراب المترجم ؟ وماذكرناه مشروح فى كتبهم وفيما ترجم عنها وقولهم هذا مردود بصريح القرآن فان الله جعل الامة الاسلامية شهيدة على الامم واختارها لذلك ، وهو العليم الحكيم الذي يضع كل شئ موضعه اللائق به . والنصوص في هذا الباب خوطب بها العرب خطاب مواجهة ودخل فى حكم ذلك من تبعهم من بقية الامم ، فلهم عليهم فضل الاولوية والسبق ، وقال صاحب الأساس «وفلان شعوبي ومن الشعوبية وهم الذين يصغرون شأن العرب ولا يرون لهم فضلا على غيرهم» اه وقد يسميهم بعضهم اصحاب التسوية ويسمي اهل السنة اصحاب العصبية وهذا جهل ووضع للأشياء في غير مواضعها ، فان التسوية التي يدعيها الشعوبية هي أن الله خلق الشعوب والقبائل متساوية فى غرائزها وفطرها واستعدادها وخصائصها ، وأن الله لم يميز قبيلة في ذلك على قبيلة ، وهذا قول مخالف للمعقول والمنقول . وانما يستدلون على قولهم هذا بتسوية الاسلام بين اتباعه في الحدود والحقوق والدماء ، ومع ان هذا القول ليس على إطلاقه فليس لهم فيه حجة أصلا ، ووجه ذلك أنهم لا ينكرون أن الاسلام اثبت فضل المتقي والعالم ونحوهما ومع ذلك فقد

سوى بينهما وبين من دونهما كالفاسق والجاهل في ذلك ، فكما أن تسويته بين اولئك ومن دونهم في الاحكام لاتدل على عدم فضلهم ، فكذلك القول فيما هنا ، والاحكام الشرعية إنما تبنى على العلل الظاهرة المنضبطه فعلق الشارع القصاص والدية بالاسلام فحسب فقال المسلمون تتكافأ دماؤهم الحديث ، فسوى بين العالم والجاهل والمتقي والفاسق والقوي والضعيف ، وسوى بين الكبير الذي ثبت له الاسلام استقلالا وحقيقة ، والطفل الصغير الذي لم يثبت اسلامه الاتبعا وحكما ، كما سوى بين العربي والعجمي ، والقرشي والعربي ، والشريف والمشروف فى ذلك ، فاستدلالهم بما ذكر مجرد شغب ، وفضل العرب ثابت بالادلة الخاصة وستأتى مستوفاة ان شاالله تعالى وقد بنى بعض المتكلمين الحجة فى التسوية على اصل من اصول المعتزلة وهو اصل التعديل والتجوير مع أن التفضيل لايندرج تحت ذلك الأصل وانما هو كما يدل عليه اشتقاقه من باب الفضل والهبات كما فضل الله بعض الناس بمال وقوة وصحة ونحو ذلك قال تعالى أهم يقسمون رحمة ربك ؟ نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون ، وقال الشهاب الخفاجي « الشعوبية اذية لله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم قال الله تعالى إن الذين يؤذون الله

ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وقد فصل ذلك الحافظ العراقي فى تأليف له مستقل سماه انفع القرب فى بيان فضل العرب» اه وروى القاضى ابو الحسين محمد بن الفراء الحنبلي فى طبقات الحنابلة بسنده الى الامام احمد بن حنبل رحمه الله تعالى وذكره ابن القيم في كتابه حادي الارواح نقلا عن الفقيه الحافظ الحجة ابو محمد حرب بن اسماعيل الكرماني وعزاه اليه ابن تيمية ايضا انه قال فى مسائله المشهورة

> «هذه مذاهب اهل العلم واصحاب الاثر واهل السنة المستمسكين بها المقتدى بهم فيها من لدن اصحاب النبي صلى الله عليه واله وسلم الى يومنا هذا وادركت من ادركت من علماء الحجاز وغيرهم عليها فمن خالف شيئا من هذه المذاهب اوطعن فيها اوعاب قائلها فهو مخالف مبتدع خارج عن الجماعة زائل عن منهج السنة وسبيل الحق وهو مذهب احمد واسحق بن ابراهيم وعبد الله بن مخلد وعبد الله بن الزبير الحميدى وسعيد بن منصور وغيرهم ممن جالسنا واخذنا عنهم العلم . وساق كلاما طويلا الى ان قال: ونعرف للعرب حقها وفضلها وسابقتها ونحبهم لحديث رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم فان حبهم ايمان و بغضهم نفاق ولانقول بقول الشعوبية وارذال الموالي الذين لايحبون العرب ولايقرون لهم بفضل فأن قولهم بدعة» اه

فبهذا تعلم ان القول بالتسوية قول مبتدع مخالف لما عليه اهل السنة والجماعة وعلماء الأثر واتباع الحديث وخلاف المنقول عن السلف من الصحابة فمن بعدهم لم يقل به الامبتدعة الشعوبية وارذال الموالي وقد ذكر الفقيه الحافظ الحجة حرب الكرماني بعض من بدعهم وانكر قولهم من اساطين الحديث فى زمانه وحمال العلم ورواسيه الشامخة كالامام احمد بن حنبل وناهيك به علما وعملا

ومعرفة بالسنة ومذاهب سلف الامة ولذلك قال ابن تيمية « وهو قوله وقول عامة اهل العلم » * واما اسحق بن ابراهيم فهو ابن راهويه امام خراسان ومقتداها في وقته وهو الذى قال فيه الامام احمد كان اعلم الناس ولو عاش الثوري لاحتاج الى اسحق وقد صنف وكان له اتباع ومذهب معروف * واما عبد الله بن مخلد فهو احد حفاظ الحديث من تلاميذ الامام احمد بن حنبل * واما عبد الله بن الزبير الحميدي فهو احد الائمة قال فيه ابن حبان صاحب سنة وفضل ودين وهو من كبار شيوخ البخارى فى القدر والمنزلة ولذلك بدأ بالرواية عنه فى صحيحه وكان البخارى اذا وجد الحديث عنه لايخرجه عن غيره وقال فيه يعقوب بن سفيان مالقيت انصح للاسلام واهله منه ولازم الشافعي بمكة ورحل معه الى مصر واقام معه الى ان مات وهو من كبار اصحابه ومشاهيرهم ولما ذكر الحافظ ابن حجر اصحاب الشافعي ذكره اولهم رحمهم الله تعالى . ولاريب انه أخذ هذا القول عن شيخه الامام الشافعي فانه كسائر علماء السنة فى مخالفته للشعوبية المبتدعة كما هو صريح مذهبه في الامامة الصغرى والكبرى وفى الديوان والعطاء وترتيبه والكفاءة بل مذهبه أبين المذاهب في ذلك كالامام احمد ولاتحسبن الامام مالكا رحمه الله تعالى يخالفهم في القول بفضل

العرب كلا بل هو مثلهم في ذلك ، ومخالفته لهم في الكفاءة لا تدل الا على انه لم ير ذلك مقتضيا للقول بها ، كما أنه لم ير ذلك في الفضل بالعلم والتقى والنسك فاعتبر فى الكفاءة التدين فحسب وهذا واضح ، فلوجعل قوله بعدم اعتبار الكفاءة فى النسب دليلا على انه لايقول بفضله لامكن جعل عدم اعتبارها فى العلم والتقى دليلا على عدم قوله بفضلها ، وكلا الامرين باطل (عود الى ذكر الحميدي) وهو الذي قال فيه اسحق بن راهويه الائمة فى زماننا الشافعي والحميدي وابو عبيد وهو القائل مادمت بالحجاز واحمد بالعراق واسحاق بخراسان لايغلبنا احد قال الحاكم ابو عبد الله الحميدي مفتي اهل مكة ومحدثهم وهو لاهل الحجاز في السنة كأحمد لاهل العراق ، واما سعيد بن منصور فهو المروزي الخراساني المكى سكنها ومات بها وهو أحد ائمة الحديث واهل الفضل والصدق والاتقان والحفظ وهو الذي قال فيه حرب الكرماني املى علينا نحواً من عشرة الاف حديث من حفظه ثم صنف بعد ذلك وهو احد من رد على اهل البدع اه ملتقطا من تهذيب التهذيب فهذا محل هولاء من العلم وقد روى عنهم حرب الكرمانى تبديع الشعوبية ومخالفتهم لاهل السنة والجماعة وقال ابن تيمية في الاقتضاء «فان الذى عليه اهل السنة

والجماعة اعتقاد ان جنس العرب افضل من جنس العجم عبرانيهم وسريانيهم ورومهم وفرسهم وغيرهم ، وان قريشا افضل العرب وان بنى هاشم افضل قريش ، وان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم افضل بني هاشم ، فهو افضل الخلق نفسا وافضلهم نسبا ، وليس فضل العرب ثم قريش ثم بني هاشم بمجرد كون النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم منهم وان كان هذا من الفضل ، بل هم فى انفسهم افضل ، وبذلك ثبت لرسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم انه افضل نفسا ونسبا والالزم الدور » اه فبقوله هذا تعلم اتفاق اهل السنة والجماعة على القول بالتفضيل وانهم المعنيون مع من وافقهم من الطوائف بقوله وهذا مذهب الجمهور حيث قال مانصه فى موضع آخر «ولا ريب ان لآل محمد صلى الله تعالى عليه (وآله) وسلم حقا على الامة لايشركهم فيه غيرهم ويستحقون من زيادة المحبة والموالاة مالايستحقه سائر بطون قريش كما ان قريشا يستحقون من المحبة والموالاة مالا يستحقه غير قريش من القبائل كما ان جنس العرب يستحق من المحبة والموالاة مالايستحقه سائر اجناس بنى آدم وهذا على مذهب الجمهور الذين يرون فضل العرب على غيرهم وفضل قريش على سائر العرب وفضل بنى هاشم على سائر قريش وهذا هو المنصوص عن الائمة كأحمد وغيره وعلى هذا دلت النصوص كقوله صلى الله عليه (وآله) وسلم فى الحديث الصحيح ان الله اصطفى قريشا من كنانة واصطفى بنى هاشم من قريش وكقوله فى الحديث الصحيح الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام اذا فقهوا وامثال ذلك وذهب طائفة الى عدم التفضيل بين هذه الاجناس وهذا قول طائفة من اهل الكلام

كالقاضى ابي بكر بن الطيب وغيره وهو الذى ذكره القاضى ابو يعلى فى المعتمد وهذا القول يقال له مذهب الشعوبية وهو قول ضعيف من اقوال اهل البدع كما بسط فى موضعه » اه فالقاضي ابو بكر وابو يعلى قد خرجوا فى هذه المسئلة عن مذهب اهل السنة والجماعة وليس فى يدهم دليل الا ما يقوله اهل الكلام من ادعائهم تساوي الاجسام لتساوي ما تتركب منه اعني الجواهر المفردة وعدم استحالتها مع التركيب وهو قول قد ابطله عليهم ابن تيمية نفسه فى كتابه بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول وقد اجاد الرد عليهم ابن القيم في هذه المسئلة خاصة اعنى مسئلة التفضيل في كتابه اعلام الموقعين وسيأتي نقل كلامه برمته وبذلك تعلم ان القاضي ابابكر وابا يعلى ومن تبعاهم من الشعوبية قد خالفوا صحيح المعقول وصريح المنقول ولبسط هذا موضع آخر والله الموفق والمعين

ذكر بعض ائمة المبتدعة من الشعوبية ومثالبهم

لم ينقل الينا ان احدا من علمآء الأثر وحفاظ الحديث والمتمسكين بالسنة قال بهذه البدعة وانما قال بها افراد من المتكلمين معروفون بشناعة المذهب ومخالفة الجمهور ، ومتهمون برقة الديانة وبالنفاق والزندقة ، مدفوعون عن الثقة والعدالة والصدق كضرار بن عمرو وثمامة بن اشرس ويونس بن ابي فروة الزنديق وامثالهم من المخذولين واول من رمى بها باطلا

فتنصل عنها عامر بن عبد قيس احد من تضرب به الامثال فى الزهد والتجرد للعبادة فقد ذكر ابن جرير فى تاريخه في حوادث سنة ثلاث وثلاثين للهجرة قصة ذكر فيها « ان عبد الله بن عامر تذاكروا يوما فى مجلسه الركوب والمرور بعامر بن عبد قيس وكان منقبضا عن الناس فقال حمران الا اسبقكم فأخبره فخرج فدخل عليه وهو يقرأ فى المصحف فقال الامير ارادان يمربك فاحببت ان اخبرك فلم يقطع قرآته ولم يقبل عليه فقام من عنده خارجا فلما انتهى الى الباب لقيه ابن عامر فقال جئتك من عند امرئ لايرى لآل ابراهيم عليه فضلا واستاذن ابن عامر فدخل عليه وجلس اليه فأطبق عامر المصحف وحدثه ساعة فقال له ابن عامر الا تغشانا فقال سعد بن ابي العرجآء يحب الشرف فقال الانستعملك فقال حصين ابن ابي الحريحب العمل فقال الانزوجك قال ربيعة ابن عسل يعجبه النسآء قال ان هذا يزعم انك لاترى لآل ابراهيم عليك فضلا فصفح المصحف وافتتح منه فكان اول ماوقع عليه ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين » اه

ومنهم ضرار بن عمرو القاضي الغطفاني المعتزلي احد من ضربت به الامثال في غرابة المذهب وكان من النفاة لايثبت لله صفة

وينكر حرفي عبد الله بن مسعود وابي بن كعب ويقول ان الله لم ينزلهما قال الدهبي فى الميزان « معتزلي جلد له مقالات خبيثة قال يمكن ان يكون جميع من يظهر الاسلام كفارا في الباطن لجواز ذلك على كل فرد منهم فى نفسه قال احمد بن حنبل شهدت على ضرار عند سعيد بن عبد الرحمن الجمحي القاضى فأمر بضرب عنقه فهرب وقيل ان يحي بن خالد البرمكي اخفاه قال ابن حزم كان ضرار ينكر عذاب القبر قلت هذ المدبر لم يرو شيئاً » اه كلام الذهبي وقال ابن عبد ربه « قالوا كانت فى ضرار بن عمرو ثلاث من المحال كان كوفيا معتزليا وكان من بني عبد الله بن غطفان ويرى رأي الشعوبية ومحال ان يكون عربي شعوبيا » الا وفى هذه العبارة نقص كما لايخفى وقد اعاد الدهر اعجوبته وهو ابو العجب في السوداني وتلميذه وذلك انهما ينتسبان الى الانصار والانصار عرب ولهم قدم فى محبة بني هاشم واهل البيت قديمة ، ولهم عليهم حق النصر فى الجاهلية والاسلام وحق الخؤولة فما عدا مما بدا ؟ ومن مذاهب ضرار الخبيثة عدم قبوله اخبار الآحاد مطلقا ومن فروع مذهبه الشعوبى ان الامامة تصلح في غير قريش حتى اذا اجتمع قرشي ونبطي قدمنا النبطي وقد حكى هذا عنه غير واحد ونسبه اليه الحافظ ابن حجر في فتح الباري ونسبه بعضهم الى خرق الاجماع في ذلك وهو كذلك وكان ضرارٌ خصيصا بالبرامكة وكانوا يريدون اعادة الملك الى الفرس ويعدون لذلك عدته فلذلك أخذ يحتج لما يهوى ذوو نعمته وشر العلمآء علمآء الملوك

وكما قال ضرار بهذا القول ارضاء للبرامكة وتأسيساً لما يمكرونه كذلك ظهر خلاف القاضي الباقلاني في مسئلة الخلافة ايام ملوك الطوائف عند ما ضعفت دولة بني العباس ومما وقع في عصرنا ان بعض من يقول بمذهب الشعوبية والنواصب اسس مع حزبه جمعية لمساعي معروفة وجعل فى قانونها انه لايمكن ان يتولى رئاستها هاشمي ولوتأهل لها فهذا هو عين مذهب ضرار بن عمرو ! !

ومنهم ثمامة بن الاشرس ابومعن النميري البصري ذكره فى الميزان بأسوأ الذكر قال فيه من كبار المعتزلة ورؤس الضلالة ثم ذكر بعض مقالاته الاعتزالية وقال الحافظ ابن حجر في لسان الميزان «وقال ابن قتيبة كان من رقة الديانة وتنقيص الاسلام والاستهزاء به وارساله لسانه على ما لا يكون على مثله رجل يعرف الله ولايؤمن به قال ومن المشهور أنه رأى قوما يتعادون الى الجمعة لخوف فوت الصلاة فقال انظروا الى البقر انظروا الى الحمر ثم قال لرجل من اخوانه انظرصنع هذا العربي بالناس» اه اقول فانظر الى هذا الخبيث كيف ظهر مايكنه جنانه على فلتات لسانه ، وماالخرج هذه الكلمة حتى اطلق عنوان العربي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الموضع الا الالحاد والحسد الذي اشتملت عليه اضلاعه للعرب حتى أدى به الى الكفر ، وما اكثر ما يكون الحسد جسرا لاهله اليه ، وهو جسر ابليس عبر عليه الى ظلمات الكفر فانه حسد آدم واستعظم ان يفضل عليه

فكفر وقد شق على هذا المارد اطباق الامم على اتباعه صلى الله عليه وآله وسلم والايمان به وتصديقه وكبر عليه اصطفاء الله له من العرب فقال « انظروا الى صنع هذا العربي » فهل يرضى ذودين وخشية ان يكون هولاء الزدناقة ائمته ومتبوعيه ؟ ! كلا ولكن سبق القضاء وغلب الشقاء ولاعاصم من امر الله الا من رحم ، وقال الشهرستاني فى ثمامة بن الأشرس انه كان جامعا بين سخافة الدين وخلاعة النفس مع اعتقاده ان الفاسق مخلد فى النار اذا مات على فسقه من غير توبة اه ومن اعظم ماحكي عنه القول بالوجوب الذاتي وهذا بعينه قول كفار الفلاسفة وقد ذكر ابو منصور البغدادى كلاما طويلا فى ثمامة وانه هو الذى سعى باحمد بن نصر المروزى الخزاعي الى الواثق حتى قتله ثم ندم على قتله ، وان الخزاعيين رأوا ثمامة بمكة فقتلوه ثم اخرجوا جيفته من الحرم فأكلته السباع ، وكان قد قال للواثق في قتل احمد بن نصر سلط الله علي السيوف ان لم تكن انت مصيبا فى قتله فكان عاقبة ابتهاله عقوبته وظهور كذبه قال ابو منصور

«وحكى الجاحظ في كتاب المضاحك ان المأمون ركب يوما فرأى ثمامة سكران قد وقع في الطين فقال له : ثمامة ؟ قال اي والله. قال الا تستحى. قال : لاوالله. قال عليك لعنة الله. قال تترى ثم تترى . وذكر الجاحظ ايضا ان غلام ثمامة قال يوما لثمامة قم صل. فتغافل. فقال له : قد ضاق الوقت فقم وصل واسترح فقال انا مستريح ان تركتني » اه

* ومنهم الزنديق الشهير يونس بن ابي فروة الف كتابا فى مثالب العرب وعيوب الاسلام وصار به الى ملك الروم فأخذ عليه مالا

* ومنهم معمر بن المثنى ابو عبيدة كان شعوبيا ورمي بالخارجية ايضا ذكره غير واحد قال ابن الانباري في طبقات الادباء «عن الكديمي او ابي العيناء قال قال رجل لابي عبيدة ذكرت الناس وطعنت في انسابهم فبالله عليك الا ماعرفتني من ابوك وما اصله؟ فقال حدثني ابي ان اباه كان يهوديا!» اه وفى التهذيب للحافظ أنه كان يبغض العرب وصنف فى مثالبها كتبا وقال ابو منصور الازهري فيه كان متهما فى روايته مغرى بنشر مثالب العرب فهو مذموم من هذه الجهة غير موثوق به ونقل عن النديم نحو ذلك اه قال ابو حيان فى تفسيره «والنسب الى الشعوب شعوبية بفتح الشين (كذا) وهم الامم التى ليست بعرب وقيلهم الذين يفضلون العجم على العرب وكان ابوعبيدة خارجيا شعوبيا وله كتاب في مناقب العرب (كذا) ولا بن غرسبة رسالة فصيحة في تفضيل العجم على العرب وقد رد عليه ذلك علماء الاندلس برسائل عديدة» اه وقوله ان الشعوبية بالفتح غلط من الناسخ فان اباحيان لايخفي عليه مثل هذا وقد ذكرنا كلام صاحب القاموس واللسان في ذلك وانه بالضم لاغير وقوله في مناقب العرب لعل الصواب مثالب العرب كذلك ذكره غيره وله كتاب آخر فى مآثر العرب وقوله ابن غرسبة لعله ابن عبدربه وحرفه النساخ فتأمل * ومنهم احمد بن بشير الكوفى ذكره في الميزان قال

«كان رأسا في الشعوبية عاصم في ذاك (كذا) فوضعه ذلك عند الناس» ثم نقل تضعيفه عن الدارقطني وقال النسائى ليس بذاك القوي وقال عثمان الدارمى هو متروك اه وقد ذكر ابن عبد ربه في كتابه العقد الفريد في الجزؤ الاول منه في فرش كتاب الوفود قصة للنعمان مع كسرى وفيها طول فلامحل لذكرها ، ذكر فيها رد النعمان على كسرى وتفضيله للعرب بعزها ومنعتها وحسن وجوهها وبأسها وسخائها وحكمة السنها وصفاء عقولها وشدة أنفتها ووفائها في كلام طويل حسن بليغ فلير اجعه من اراده ، وعلماء الطبيعة من الافرنج لهذا العهد يتعصبون على العرب ويعدونهم من الجنس الدنىء الاسفل الناقص وهو الجنس الاسود ، ومنهم من يقول بتعدد الاصول البشرية ، ومن يقول بتعدد اصنافها ، ومن يقول ان اباهم انما كان قردا من القرود ومازالت به طبيعة الانتخاب حتى صار بشرا ثم مازالت طبيعة الانتخاب تستصفى النوع بعد النوع من اولاده الى ان كان الخلاصة الخاصة منهم جنسهم الأبيض ، فهم مع قولهم بأنهم خلاصة اولاد ذلك القرد يزعمون انهم افضل الاجناس البشرية ، وهذا القول مخالف للحديث الصحيح ان الله خلق الخلق فجعلني من خير خلقه وجعلهم فرقتين فجعلني فى خير فرقة وخلق القبائل فجعلني في خير قبيلة

وجعلهم بيوتا فجعلني في خيرهم بيتا فأنا خيركم بيتا وخيركم نفسا فما قالوه خطأ وظلم للعرب وتحامل عليهم . وعندنا النص الثابت باختيار الله لشعب العرب جيلا فجيلا وقبيلة فقبيلة فلا نعدل عنه وايضا فان التاريخ لم يحفظ لامة من الامم ماحفظ للعرب من طهارة العنصر وزكاء النسب واعتدال الخلق وما جرى على ايديهم من حسن الايالة والسياسة والعدل الذى لم تكتحل عين الزمان بمثله ، وما اختاره الله لهم واختارهم له من الدين المبين وبعثة خاتم النبيين الذي بذوا به الامم فسبقوا كل سابق ، وفاتوا كل لاحق ومن العجب ان قول الشعوبية انما ظهر عند ما ترجمت كتب الفلسفة اليونانية فى زمن المأمون وما قبله وتسامى كثير من الفرس الى المناصب العالية فى تلك الاوقات ، وقد اعاد الكرة اليوم عند ما انتشرت علوم الافرنج وفلسفتهم بين المفتونين بها بواسطة التعليم فى مدارسهم التي نشروها فى الاقطار ، ولهم فى ذلك اغراض سياسية فانهم بجعلهم جنسهم هو الجنس الافضل الكامل فى الانسانية ومميزاتها يبقى افرادهم متشبثين بطلب السيادة والعلو فى العالم ومن طلب شيئاً ادركه ، ومنها ان تصغر نفوس المتعلمين من افراد الامم الأخرى فيرأموا للذل والمهانة ويستخذوا لهم ويستلذوا العبودية ويعتقدوا انها لهم بحق ويغتبطوا بالاقتداء

باسياد هم الذين استخلصتهم الطبيعة واصطفتهم ، ولذلك تجد هولاء المتعلمين اشد الناس استحقارا لأمتهم وجهلا بتاريخها ، وترى بعض هولاء المخدوعين يقرن بين محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعظمآء امته وبين نابليون وبسمارك وغلادستون واشباههم من عظمآء الافرنج وينظمهم فى سلك واحد متكلما عن تاريخهم وعظم شأنهم ، وهذا من الجهل القبيح والبعد عن التحقق بمعاني الايمان ، وعدم التفرقة بين الممدوح والمذموم والحسن والقبيح فى الشرع ، ومن المتعلمين عندهم من اصاب ذروا من علم الدين مع ما تعلمه من فلسفتهم وعجز عن التمييز بين حق الأمر وباطله ، ثم لما رأى ان من محاسن الدين الاسلامى تسويته بين الامم والشعوب المسلمة فى الاحكام ، ظن أنه اثبت استواءهم في الفطر والمعادن والأنساب ، فلهج به ليزيل ما شوش فكره من قول اساتذته من الافرنج بدناءة اصله ونقصان جنسه ، ومنهم من بقي في غوايته محتقرا لابناء جنسه آلة لمستعبديه ، فصارى امره ان يتشبه بهم فى ازيائهم وعاداتهم ، متقربا منهم متباعدا عن قومه رجآء ان ينفضوا عليه من غبار فضل جنسهم الأبيض ، ولبعض المتكلمين منهم في التاريخ تعصب قبيح وقد رايت من الف تاريخا للعرب قبل الاسلام فاستقرب ان يكون اصل

اهل اليمن من الحبشة واستدل على ذلك بتقارب اشكال الكتابة الحبشية واليمنية الاولى المعروفة بالمسند وباتحاد بعض العوائد التي لا ينبى على مثلها حكم بين قطرين متجاورين يحتمل ان يكون كل واحد منهما هو المتلقي عن اخيه ، ومعلوم أن عهد آسيا التي منها اليمن بالمدنية قديم ، وكان مهدها العراق ولا يشك احد فى اتصال اليمن به واقتباسه آدابها ، والشبه بين المدنيتين — كما تدل عليه الآثار — بين واضح لمن جانب التعصب ، وايضا فان لغة اليمن كانت واحدة وهي الحميرية ، وكتابتهم المسند وهم جنس واحد ، فاتحد جنسهم ولغتهم وكتابتهم ، اما الحبشة فتشتمل على اصناف كثيرة كالقالا والقراقي وغيرهم ، وهم عدد كثير ولهم لغات مستقلة متقاربة فى كثير من مفرداتها ، لاتشبه لغة العرب ولا توافقها فى شئ من مفرداتها ، والذين يوجد عندهم القلم المسند منهم هم الجنس المعروف بالامحرى خاصة ، ولغتهم مشتقة من العربية لاتشابه بقية اللغات الحبشية فهم غرباء هناك ، ومن نظر في لغتهم الفصحى المسماة بالجيز لم يبق عنده مرية في ذلك ، وفيهم شبه بالعرب لو لا تأثير الاقليم فى سحنتهم ، فالذى عندنا أن الحبشة اخذت من اليمن وان هذا الجنس المختص دون بقية اهلها باللغة المشابهة للعربية اليمنية وبالكتاب العربي اليمني هو جنس طارئ عليها من غير بلادها

ولا يحتمل ان يكون هذا الفرع المنتبذ هناك أصلا لاهل البلاد اليمنية والعراقية ، وذلك انا نجد التشابه بين اللغة العبرانية التي كان مهدها العراق والعربية التي مهدها الجزيرة والحبشية المحاطة بلغات اجنبية ، فنعرف انها غريبة بارض الحبشة فارقت اختيها فجازت البحر اليها ، ثم لم تقو على محو ما تقدمها من اللغات ، فعلى ماذكرنا يكون اصل الجنس الامحري من اليمن دخل الحبشة فاتحا في قديم الزمان فاستولى عليها ، وبقيت له لغته وكتابته وان ضاع عليه باقي المميزات العربية ، بل بقي له في اسمه المحرف ما يدل على اصله فان لفظة (امحرى) يقرب قربا قويا من لفظة (حميرى) وقد تحول بطول الاستعمال وتقادم السنين ، والقائل بان اهل اليمن من الاحباش لمشابهة كتابتهم القديمة لبعض قبائل الحبشة يلزمه ان يقول ان اصل العبرانيين ايضا كان حبشيا لمشابهة اللغتين وكل هذا خطأ ، وقد حفظ التاريخ للعرب وقائع كثيرة اندفعوا فيها على ما جاور بلادهم فاستولوا عليها وحافظوا على لغتهم وبعض مميزاتهم كما فعلوا فى مصر فى العهد الاول وقد جآء هذا الكلام استطرادا والقصد بيان تعصب الافرنج ومن أخذ بعلومهم على العرب وتصغير شأنهم ما استطاعوا الا طائفة قليلة يتهمهم قومهم بالشذوذ والميل عن الجادة

﴿ اجماع الصحابة ومن بعدهم على فضل العرب ﴾

كان المسلمون فى القرن الاول وما بعده مجمعين على أفضلية العرب معترفين لهم بالمكانة التى خصهم الله بها والنعمة التى اسبغها عليهم ، يدلك على ذلك ما روي عن سلمان الفارسي انه حضرت الصلاة فقيل له تقدم فقال ما انا بالذى اتقدم وانتم العرب منكم النبي صلى الله عليه وآله وسلم و فى رواية انتم بنو اسماعيل الائمة ونحن الوزرآء اخرجه ابن ابى شيبة بسند صحيح وقد ذكر هذا الحديث ابن تيمية في الاقتضاء محتجابه من طريق اخرى غير التى ذكرناها فقال :

وايضا في المسئلة ماروى ابو بكر البزار: حدثنا ابراهيم بن سعيد الجوهري حدثنا ابو احمد حدثنا عبد الجبار بن عبد العباس وكان رجلا من اهل الكوفة يميل الى الشيعة وهو صحيح الحديث مستقيمه وهذا والله اعلم كلام البزار عن ابي اسحق عن اوس بن ضمعج قال قال سلمان نفضلكم يامعاشر العرب لتفضيل رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم اياكم لاتنكح نساءكم ولا نؤمكم في الصلاة وهذا اسناد جيد وأبو احمد هو والله اعلم محمد بن عبد الله الزبيري من أعيان العلمآء الثقات وقد اثنى على شيخه ، والجوهري وابو اسحق السبيعى أشهر من ان يثنى عليهما وأوس بن ضمعج ثقة روى له مسلم وقد اخبر سلمان أن رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم فضل العرب فأما انشآء واما اخبار ، فانشاؤه صلى الله عليه (وآله) وسلم حكم لازم ، وخبره حديث صادق ، وتمام الحديث قد روي عن سلمان من غير هذا الوجه رواه الثوري عن ابي اسحق عن ابي ليلى الكندي عن سلمان الفارسي انه قال : فضلتمونا يامعاشر العرب باثنين لانؤمكم ولاتنكح نساءكم رواه محمد بن ابي عمر العدني وسعيد في سننه وغيرهما وهذا مما احتج به اكثر الفقهاء الذين جعلوا العربية من الكفاءة بالنسبة الى العجمي واحتج به احمد في احدى الروايتين على

ان الكفاءة ليست حقالو احد معين بل هي من الحقوق المطلقة في النكاح حتى انه يفرق بينهما عند عدمها . واحتج أصحاب الشافعي واحمد بهذا على ان الشرف مما يستحق به التقديم في الصلاة ومثل ذلك مارواه محمد بن ابي عمر العدني : حدثنا سعيد بن عبيد انبأنا علي بن ربيعة عن ربيع بن نضلة انه خرج في اثنى عشر راكبا كلهم قد صحب محمدا صلى الله عليه (وآله) وسلم غيره وفيهم سلمان الفارسي وهم في سفر فحضرت الصلاة فتدافع القوم أيهم يصلي بهم فصلى بهم رجل منهم اربعا فلما انصرف قال سلمان : ماهذا ؟ مرارا ، نصف المربوعة قال مروان يعنى نصف الاربع نحن الى التخفيف أفقر فقال له القوم : صل بنا يا أبا عبد الله أنت احقنا بذلك فقال : لا . انتم بنواسماعيل الائمة ونحن الوزآء» اه

ولكلامه بقية وانما اوردنا هنا مايدل على ان الصحابة كانوا يعرفون هذا الفضل للعرب ولاينكرونه ، وحسبك بشهادة سلمان رضى الله عنه وروايته وخبره فانه قال تفضلكم يامعاشر العرب بتفضيل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اياكم وقوله لا ننكح نسآءكم ولا نؤمكم في صلاتكم تفسير لذلك التفضيل وذلك لاينافى ان يكون هناك تفضيل بامور اخرى غير ماذكره ، وكان سلمان رضى الله عنه يتجنب نكاح العربيات اخرج احمد فى مسنده عن عمرو بن ابي قرة الكندي قال عرض ابي على سلمان اخته فأبى وتزوج مولاة له يقال لها بقيرة الحديث ، واما ما ذكره الحافظ ابن حجر في الاصابة ان سلمان رضي الله عنه تزوج امرأة من كندة ، فانما اراد انها منهم بطريق الموالاة وليست من صميمهم لما ذكرناه ، وايضا فان النسخة المطبوعة من الاصابة فيها اغلاط

فلعل الاصل من موالي كندة ثم ذكر ابن الصلاح فى شرح مشكل الوسيط « ان عمر رضي الله عنه هم بأن يزوج سلمان الفارسي ابنته رضي الله عنهما فتداخل ابنه من ذلك شيء فشكى ذلك الى عمرو بن العاص فقال عمرو انا اكفيك فلقي سلمان وقال هنيألك تواضع لك امير المؤمنين فقال سلمان ألمثلي يقال هذا !؟ والله لا انكحها ابدا وسلمان له من الصلاح ما هو مشهور ولكن فاته نسب ابنة عمر رضي الله عنهما » اه كلام ابن الصلاح والمعروف عن سلمان رضي الله عنه الامتناع عن نكاح العربيات كما نقلناه عن مسند الامام احمد وكما تدل عليه الروايات السابقة وهي روايات صحيحة، ومن المستبعد ان يروي سلمان عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمرا ثم يخالفه الى مانهي عنه وقول ابن تيمية « واحتج اصحاب الشافعي واحمد بهذا على ان الشرف مما يستحق به التقديم في الصلاة » اه فيه أنه قدورد في المسألة احاديث خاصة منها ما احتج به الامام الشافعي في الام وهو حديث « قدموا قريشا ولا تقدموها » ومنها مارواه الأثرم واحتج به احمد فى روايته عن سعيد بن جبير قال: كان ابن عباس في سفر معه ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منهم عمار بن ياسر فكانوا يقدمونه لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فصلى بهم ذات يوم الحديث وسيأتى الكلام في هذا المعنى ان شأ الله تعالى والقصد هنا بيان ما كان عليه الصدر الاول من

القول بفضل العرب فمن ذلك أيضا ما اخرجه ابن جرير عن الامام زين العابدين علي بن سبط رسول الله الحسين بن علي المرتضى على جدهما وابيهما وعليهما الصلاة والسلام وقد قال له رجل كيف اصبحت اصلحك الله فكان من جملة جوابه قوله «واصبحت قريش تعد ان لها الفضل على العرب لان محمدا صلى الله عليه وآله وسلم منها لاتعدلها فضلا الا به واصبحت العرب مقرة لهم بذلك واصبحت العرب تعد ان لها فضلا على العجم لان محمدا صلى الله عليه وآله وسلم منها لا تعد لها فضلا الا به واصبحت العجم مقرة لهم بذلك فلئن كانت العرب صدقت ان لها فضلا على العجم وصدقت قريش ان لها الفضل على العرب لان محمدا منها ان لنا اهل البيت الفضل على قريش لان محمدا منا فأصبحوا يأخذون بحقنا ولايعرفون لنا حقا» اه فقد حكى عليه السلام اقرار العجم بفضل العرب واقرار العرب بفضل قريش وقد قال ابو تمام في معنى ماذكره

بجدكم نالوا علاها فأصبحوا * يرون بها فخرا عليكم ومظهرا

وقال

ومن الخزامة ان تكون حزامة * ان لا تؤخر من به تتقدم

وخير منه قول الامام الصادق عليه وعلى اسلافه السلام

فما ساد من ساد الابنا * وما خاب من حبنا زاده

ومن ذلك قول بعض الامويين يخاطب الرشيد

يا أمين الله انى قائل * قول ذي فهم وعلم وادب
عبد شمس كان يتلو هاشما * وهما بعد لأم ولأب

فاحفظ الارحام فينا انما * عبد شمس عم عبد المطلب
لكم الفضل علينا ولنا * بكم الفضل على كل العرب

ويكفي في هذا الباب ماتقدم نقله عن ائمة الحديث واساطين السنة من اتفاقهم على القول بفضل العرب وان قول الشعوبية بدعة ، ومن الواضح انه لايكون بدعة الا اذا كان القول به مخالفاً لما كان عليه سلف الامة من الصحابة والتابعين من قولهم بفضل العرب على العجم وبفضل قريش على العرب وبفضل بني هاشم على قريش ، ولو كان منهم قائل بخلاف هذا لما كان قول اهل التسوية بدعة ولما ندد بهم علماء السنة وحفاظ الحديث ، وبذلك يتم الاستدلال ويحصل المقصود وصاحب الكتاب الذي نرد عليه لم يؤلف كتابه لبيان مذهب اهل السنة والجماعة فى ذلك ولا لبيان سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فانه لم ينقل مذهبهم في ذلك ولا اشار اليه ، بل عابه وشنع عليه ورمى القائلين به بكل عظيمة ولم يقبل ماصح من الاحاديث بل ردها وطعن فيها ، وبالجملة فكلامه كله موجه للرد على السنة واهلها ، فلذلك يحسن ان نورد هنا خلاصة مذهب اهل السنة والجماعة في هذه المسئلة لتكون مرجعا للمستفيدين .

﴿ خلاصة مذهب اهل السنة والجماعة فى مسئلة التفضيل ﴾

قال الامام الحبر الجامع ، ذوالفهم الثاقب والعلم الواسع ، وجيه الدين عبد الرحمن بن عبدالله بن احمد بلفقيه العلوى (١) في منظومته عمدة المحقق فى علم التوحيد بعد ان ذكر مذهب اهل السنة فى تفضيل الافراد مانصه

«وفي القبائل آل المصطفى فقر * يش فالكناني فالعرب الذي اتصلا
فنسل يعقوب ثم الآدميون ثم * الجن والفضل عمن يكفر انعزلا »

قال السيد العلامة المحقق الجهبذ الفهامة علوي بن سقاف بن محمد الجفري العلوي (٢) فى شرحه عليها المسمى النهر المتدفق على حدائق عمدة المحقق بعد ذكرهذين البيتين مانصه « اي ان القبائل أفضلهم آل المصطفى وهم بنو هاشم وبنو المطلب ويتفاوتون في (الفضل كتفاوتهم) في القرب اليه فمن كان اقرب كان اولى بالفضل(٣) فيفضل السبطان على غيرهما من بني هاشم وبنو هاشم على بني المطلب ثم قريش لانها اقرب الى النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم ثم كنانة لقربها ثم العرب لقربهم الى النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم ثم بنو اسرائيل وهم نسل يعقوب لأن فيهم الانبياء ثم بقية الآدميين افضل من الجن لقوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم وشاهد

---

(١) توفي رضي الله عنه ليلة الاربعاء ٢٦ من جمادى الآخرة سنه ١١٦٢ كان عالما عاملا متفننا ناظما ناثرا له مؤلفات كثيرة ومناقب عظيمة اه مؤلف

(٢) له مؤلفات عده ترجمه الحبيب العارف بالله عيدروس بن عمر الحبشي في كتابه عقد اليواقيت في الجزؤ الثاني منه توفي عصر يوم الخميس سادس شهر ربيع الاول سنه ١٢٧٣

(٣) في النسخة المنقول عنها كان الفضل به اولى

هذا الترتيب حديث مسلم ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم وتفضيل نسل يعقوب يدل عليه قوله تعالى مخاطبا بني اسرائيل واني فضلتكم على العالمين واعلم ان الفضل لايتصف به الكافر لان الكفر درجة خسيسة تباين الفضل فلهذا قال عمن يكفر انعزلا » اه وفيما ذكره كفاية ولو اقتصرنا عليه لقال بعض المفتونين انظروا الى العلويين يستدلون بقول اسلافهم الخارج عن مذهب اهل السنة والجماعة ولم يقل به احد من اهل العلم كما شنع عليهم التلميذ في (فصله) ، لما قالوه فى مسئلة الكفاءة فصدقه الجاهلون مع انهم لم يقولوا الا بما قد سبقهم غيرهم الى القول به او بنظيره ، ولكن صاحب الهوى والحسد لايرضيه شيء ، فنذكر هنا ما قاله ابن تيمية لاشتهاره عندهم وولعهم بكتبه قال (١) «وهذا كله بناء على ان الصلاة والسلام على آل محمد واهل بيته تقتضي ان يكونوا أفضل من سائر البيوت وهذا مذهب اهل السنة والجماعة الذين يقولون بنو هاشم افضل قريش وقريش افضل العرب والعرب افضل بني آدم وهذا هو المنقول عن ائمة السنة كما ذكره حرب الكرماني عمن لقيهم مثل احمد واسحق وسعيد بن منصور وعبدالله بن الزبير الحميدي وغيرهم وذهبت طائفة الى منع التفضيل بذلك كما ذكره القاضي ابو بكر والقاضى ابو يعلى في المعتمد وغيرهما والاول أصح» ثم ساق حديث الاصطفاء وقال في موضع آخر (٢) «ولاريب أن لآل محمد صلى الله عليه (وآله) وسلم حقا على الامة لايشركهم فيه غيرهم الى آخر ماسبق نقله في الصحيفة ٧٨ وما بعدها فارجع اليه

---

(١) فى ج ٢ ص ٦٦ من منهاجه

(٢) ج ٢ ص ٢٥٩ منه

ذكر من ألف في فضل العرب ورد على المنكرين المبتدعين

لما أعلن مبتدعة الشعوبية بدعتهم واحتجوا لها وخالفوا ماكان عليه سلف الامة وما اتفق عليه علماء السنة والجماعة تبرأ منهم ومن نحلتهم من ذكر ناهم من الائمة الكبار اساطين السنة وحماة الملة وغيرهم ، وممن عابهم وندد بهم من المتأخرين الشهاب الخفاجي والحافظ العراقي وابن حجر الفقيه الشافعي وغيرهم ، وقد ذكرهم المسعودي فى تاريخه مروج الذهب وذكر بعض حججهم ورد عليهم بمثلها ، وشنع عليهم الز مخشري في خطبة كتابه المفصل وقد جرح ائمة الحديث من عرف بهذه البدعة ونسب اليها كأحمد بن بشير الكوفي وابي عبيدة معمر بن المثنى وغير هما وممن جود التأليف واطال الرد عليهم ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، فان له مصنفا فى ذلك قد طبع مع بعض رسائل البلغاء وممن صنف فى ذلك من علماء العصر العالم الشهير جميل العظم له مؤلف في ذلك سماه نيل الارب فى فضل العرب ذكر في آخره ما اطلع عليه من الكتب المؤلفة في فضلهم وهي «كتاب فضل العرب على العجم لابي الفضل احمد بن ابي طاهر طيفور البغدادي. وكتاب سعادة العرب لابي عبد الله محمد بن حمد المعروف بالمفجع البصري ، وكتاب بيوتات قريش لهشام بن محمد بن السائب الكلبي . وكتاب بيوتات ربيعة له ، وكتاب بيوتات اليمن له ايضا .

وكتاب بيوتات قريش لابي عبد الرحمن الهيثم بن عدي الثعلي ، وكتاب بيوتات العرب له أيضا ، وكتاب مناقب قريش لابي بكر عبد الرحمن بن محمد النسابة ، وكتاب فضائل قريش لابي الحسن على بن محمد المدائني ، وكتاب مفاخر العرب له ايضا ، وكتاب فضائل عيلان لهشام الكلبي وكتاب شرف قصي بن كلاب وولده في الجاهلية والاسلام له ايضا ، وكتاب فضائل قريش وكنانة لابي محمد القاسم بن اصبغ بن يوسف الاندلسي ، وكتاب مآثر العرب لابي عبيدة معمر بن المثنى ، وكتاب الاستدلال بالحق في تفضيل العرب على سائر الخلق لابي مروان عبد الملك بن محمد الاوسي ، وكتاب الآثار الرفيعة فى مآثر بني ربيعة لرضي الدين الحنبلي ، وكتاب مبلغ الأرب فى فضل العرب للشيخ احمد بن حجر الهيتمي المكي الشافعي ، وكتاب محجة القرب في محبة العرب للحافظ العراقي ، وكتاب مسبوك الذهب فى فضل العرب لمرعي المقدسي الحنبلي ، » اه بحذف وتصرف وقد ذكر ابوحيان ان لعلمآء الاندلس فى ذلك رسائل عديدة ، وممن الف فى الرد عليهم الجاحظ وابو الحسن احمد بن يحيي ، وقد كنا نقلنا فى كتابنا هذا نبذا من كلام ابن قتيبة والمسعودي والزمخشري وجميل العظم ، ثم رأينا الكتاب سيطول بها فحذفناها اختصارا ، وقد دللنا عليها بما ذكرنا فمن احب الاطلاع عليها بحث عنها ، والله الهادي الى سوآء السبيل

﴿ ابتداء الرد على صاحب الصورة ﴾

قد ثبت بما ذكرناه حقيقة مذهب اهل السنة والجماعة في هذه المسئلة ، وظهر به أن ماقرره صاحب الصورة وتلميذه بدعة مردودة مخالفة لنصوص الكتاب والسنة ، ومباينة لعقائد سلف الامة ،

وكل مااورداه فى كتابيهما من ادلة المبتدعة ، ليس فيه حجة لهم ولا دلالة مقبولة ، وانما هي شبه يتبعها اولو الزيغ والفتنة ويتعلق بها دعاة البدعة والفرقة ، فلابد من الكلام عليها ، والكشف عن زخارفها الباطلة ، لان المقام مقام احتجاج واستدلال ، لابد فيه من التفصيل بعد الاجمال ، على وجه تنكشف به وجوه الدلالة ، وتنكسف معه وجوه الضلالة ، والله الموفق والمعين قال الشيخ في صورته بعد البسملة

« الحمد لله وبه نستعين وصلى الله وسلم على رسوله الصادق الامين ، حضرة مدير جريدة (صولوه هنديا) المحترم تولاه الله آمين بعد تقديم تحف الاحترام » اه

(الرد) ننتقد عليه ترك الصلاة على الآل فان عمل العلماء على خلافه ولم ترد عنه صلى الله عليه وآله وسلم ولا عن اصحابه اوالتابعين لهم صيغة صلاة ليس فيها ذكر الآل ، ولما سأل الصحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن كيفية الصلاة عليه علمهم الصيغة الابراهيمية المشهورة وفيها الصلاة على آله فلا تكون الصلاة عليه مشروعة بدون ذلك ومن اقتصر على الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم دون آله كان مقتصرا على بعض المشروع وتاركا لبعضه فلم يفعل المأموربه ولايكون مع ذلك ممتثلا لقول الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي ياايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما لان السنة مبينة للقرآن وليس فى

السنة صلاة بدون ذكر الآل ولذلك قال ابن تيميه انه حق لآل محمد امر الله به وقد كثر من بعض المصنفين العصريين ترك آداب الاسلام فى تصانيفهم ، فمنهم من لايكتب بسملة ولاحمدلة اقتداء بكتاب الافرنج ومترجمي كتبهم وقد حكي عن بعض النواصب انه الف مؤلفا ابتدأه بعد الحمدلة بالصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم وذكر الاصحاب ولم يذكر الآل فانتقده بعضهم بانه ذكر المقيس وترك المقاس عليه ، فغلبته الحمية لما الف ثاني تاليف فترك الكل ، وهذا وان كان تركا لمستحب فانه خلاف ما عمل به سلف الامة وعلماؤها فينبغي للمرشد والعالم والمفيد ان لا يكون قدوة للناس في التملص من الآداب الاسلامية وقوله بعد تقديم صحف الاحترام يدل على انه قد قدم لصاحب الجريدة صحفا قبل هذه النبيذة متضمنة عبارات الاحترام فما الداعي ؟ !

قال : « نعرض اننا قد قرأنا بواسطة الترجمان فى جريدتكم الغراء عدد (٢) صحيفة (٢) الصادرة فى ٨٢ (كذا) اكتوبر سنة ١٩١٥ مقالا صادرا عن بعض الاخوان المتحمسين من ذكر المساواة بين المسلمين » اه

ونقول المتحمس في اللغة المتشدد المتصلب فى دينه وكونه متصلبا متشددا من ذكر المساواة غير واضح ، ثم ان المساواة التى يلهج بها كتاب الجرائد ويكثر من ذكرها السوداني وتلميذه ليست المساواة الاسلامية فانها يجهلانها كل الجهل كما مربيان ذلك وكما سيأتي ، وكلام

اكثرهم متلقف عن فلاسفة الغرب ومقلديهم مع ان فيها خلافا بينهم فنهم من يقول العدل هو المساواة بين المستحق وغيره ، والفاضل والدنيء والشريف والمشروف ، وهكذا ظن ضئضئ الخوارج وأصلهم كما سيأتي ، ومنهم من يقول ان العدل هو وضع كل شيء موضعه فقد يكون فى التفضيل وقد يكون فى المساواة , وهذ القول الاخير قريب من المساواة الاسلامية وان اختلفنا معهم فى التفصيل ، فان المساواة في الاحكام الاسلامية أغلب ، والتفضيل فيها قليل ، ومع ذلك فله حكم ظاهرة ، واسباب واضحة جلها لاحيلة في كسبه قال: « تحت امضاء حرف « Z » فهذا الاخ الفاضل قدم الينا فى مقاله هذا واتى فيه بما لايليق وهول الامر في موضوعه واطال التشنيع وخرج عن جادة الانصاف وسلك طريق التشفي والاقتراف فنزل بذلك عن مرتبة من يستحق منا الجواب ولعله يريد زيادة حطب في نار العصبية التي اوقدها بعض الجهال » اه ونقول انه لم يكن بين العرب بحاولا تعصب ولاعصبية بل كانوا أخوة يتعاونون ويتعاضدون ليس بينهم الا ما لايخلو عنه مجتمع انساني من الامور الطفيفة التى لايبنى عليها حكم ، ولم يكن بينهم شعوبي ولا خارجي ولا ناصبي ولا رافضي وقد علم الله والمسلمون الدعاة الذين كانوا سببا لصدع وحدتهم وتفريق جماعتهم وتغيير عقيدتهم ، الذين صيروهم احزابا وشيعا فأفسدوا عليهم امر دينهم ودنياهم ، وقد مضى على العلويين

بالقطر الحضرمى ما يناهز احد عشر قرنا لم تنصدع فيها جماعة ولم توقد عصبية وما جاءت الفتنة والبلاء ، الا من الدخلاء قال :

« ولما كان مقاله هذا يشف عن عدم ادراكه لحقيقة هذه المسئلة وعن عدم حفظه لشروط المباحثة وقانون الادب وكان مقصوده به هتك اعراض المسلمين المصونة فقط عدلت عن جوابه وضربت عنه صفحا واكرمت نفسي بعدم هتك الاعراض ومقابلته بمثل كلامه كما صفحت عن غيره من قبل ممن سب وصاح واخترع الاكاذيب واشاع وآذى بما استطاع »

ونقول ان هتك الاعراض والطعن فى الانساب ، كله موجود فى فصل الخطاب ، وجراب السباب ، وهو الذي صار على مؤلفيه فضيحة باقية ما بقي الدهر ، وسبة لايمحوها الماء ، ومحكا عرفت به حقيقة اهله ، ومبلغهم من العلم والمعرفة ، وما عندهم من التحقق بآداب الايمان والاسلام ، ومرآة منطبعة فيها سرائرهم ، يقول : انه اكرم نفسه عن مجاراته فى هتك اعراض المسلمين ، فياليته صدق فافلح ، والواقع انه امضى سنينا طويلة لاهم له ولا لاتباعه الا تحرير المقالات المملوءة بالسباب وهتك الاعراض ، ولا يزال ينشر مجلة مرصدة لذلك العمل الذي لم يتقن غيره ، وانظر مع ماذكرناه الى قول تلميذه فى مدحه : « كالطود الراسخ والقاموس الهادئ ينظر اليهم نظر الاب الشفوق الذي جن اولاده اذا سبوه تبسم واذا هددوه تحلم واذا بارزوه بانواع القبائح صفح وتكرم !! » فرحم الله المعرى ماحسن لاميته (١) قال : « ولست عائدا الى مخاطبته

---

(١) هي التي مطلعها الا في سبيل المجد ماانا فاعل

لان التصدي لرد الكلام الذي ليس مبنيا على اساس المعقول ولا معضدا بحجج المنقول عبث وضياع وقت فلا يشتغل به الا من لا شغل له كما أنه لايعتمد على مثله الا من لا عقل له ولكن سوال حضرتكم عن الحق واستفساركم عن الحقيقة ضغط على ضميري وقهره وساقه الى كتابة هذه الكلمات بزاجر قوله تعالى(واذ(١) اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه) وقوله تعالى (ان الذين يكتمون ماانزلنا من البينات والهدى من بعد مابيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ، الا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فاولئك اتوب عليهم وانا التواب الرحيم) وقوله صلى الله عليه (وآله (٢)) وسلم من سئل عن علم يعلمه فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار» اه نقول ان الكاتم للعلم كالقائل على الله بغير علم ، كلاهما مذمومان ، قد جاء في شانهما الوعيد الشديد ، قال الله تعالى : ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون ، متاع قليل ولهم عذاب اليم ، وقال تعالى : قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق الى قوله وان تقولوا على الله مالا تعلمون ، وقد سئل فافتى بخلاف قول الله تعالى : لاجناح عليكم ان طلقتم النسآء مالم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة ، وخالف نصوص السنة واحكامها فان

---

(١) في اصله (لقد) فاصلحناه

(٢) زدناه من عندنا هنا وفى مواطن كثيرة مما نقلناه عن غيرنا تجنبا للصلاة البتراء

فعل ذلك عن علم فهو من الكاتمين ، وان فعله عن جهل فهو من الذين يقولون على الله ما لايعلمون ، فان قيل : ظن بنفسه العلم والمعرفة خطأ فله نوع عذر ، قلنا اذا كان هذا صحيحا فلم اصر على خطائه ورد السنة الصحيحة وخالف الاجماع ومذهب اهل السنة والجماعة ؟ ! ! واما الحديث الذي ذكره في كتم العلم فقد اخرجه احمد وابو داود والترمذي بلفظ من سئل عن علم علمه ثم كتمه الجم يوم القيامة بلجام من نار ، ورواه ابن ماجه بلفظ من سئل عن علم يعلمه فكتمه الجم يوم القيامة بلجام من نار ، ولم نقف على رواية باللفظ الذي ذكره صاحب الصورة ، ومن البديهي انه غير داخل تحت هذا الوعيد لانه سئل عن علم لايعلمه كما ظهر من نبيذته وجوابه عن البنجري

﴿ المعلوم من الدين بالضرورة وجهله به ﴾

نقول ان الكلام على عباراته هذه من وجوه ، (الاول) في تحقيق الأمر الذي زعم انه معلوم من الدين بالضرورة ، هل قصد به التفضيل ، أو المساواة ، او حكم الكفاءة ، اما الاول فظاهر أنه لم يقصده ، فيتعين ان يكون قصد الأخيرين او أحدهما وليسا من المعلوم من الدين بالضرورة ، فالسوداني مخطىء على كل حال ، اما الاستدلال على تعيين الذى قصده منها فانما يظهر ببقية كلامه

وكلام تلميذه فانه قال في صحيفة (٢) من الصورة «من ذكر المساواة بين المسلمين» وقال فى صحيفة (٣) منها «ومن توهمكم في دين الاسلام المقدس عدم المساواة بين المسلمين واضاعة حقوق الاعمال بمراعاة الانساب حتى احتجتم الى السوال عنه» ثم عقبه بالجواب عن النكاح وحكمه بقوله «ان النكاح بين المسلمين» الخ ما سيأتى نقله والكلام عليه ثم قال «لما كان حل ذلك معلوما عند حضرتكم ولم يدا خلكم الشك الا في مسئلة النكاح فقط من جهة حكم الدين» فهذه الجملة تدل على انه قصد بالامر المعلوم من الدين بالضرورة مسئلة النكاح لانه اجاب سائله بحكمه ولانه قال له ولم يداخلكم الشك الا في مسئلة النكاح فسائله قد شك فيها فسأله عنها فاجابه بما فى الصورة وأيضا فانه قال «غير أني اتاسف من خفاء مثل هذا الامر المعلوم من الدين بالضرورة على امثالكم» فالامر الذي خفي على سائله هو الذي داخله الشك فيه وهو الذى وقع عنه السوال والجواب وتدل هذه المواضع ايضا على ان مسئلة المساواة من جملة ماوقع فيها الأخذ والرد بينه وبين بعض الاخوان المتحمسين وان مسألة الكفاءة تفرعت عنها ولذلك انكران تكون مبنية على التفضيل وعدمه (٭) وقال التلميذ فى فصله

(٭) عبر صاحب الصورة بالتفضيل والتنقيص للتشنيع فان عدم التفضيل لايسمى تنقيصا

صحيفة (٥) «سأل سائل من اخواننا الجاويين مستفهما عن الاخاء بين المسلمين وعن مايفضل به بعضهم بعضا وعن حكم التزاوج بينهم ووجه سؤاله الى الاستاذ فاجاب حفظه الله تعالى على ذلك السؤآل» اه فهذه ثلاث مسائل ، الاخاء بين المسلمين ، مايفضل به بعضهم بعضا ، حكم التزاوج بينهم ، كلها زعم السوداني انها من المعلوم من الدين بالضرورة ، وكان جلها معلوما لسائله الا مسئلة النكاح ، وانما احتجنا لهذه الاطالة لان تلميذه حاول التملص من هذا الخطأ الفاحش بتوجيه جملة المعلوم من الدين بالضرورة الى مسئلتي التفاضل والمساواة وقد ظنهما من المعلوم من الدين بالضرورة أيضا !!

(الوجه الثاني) من المعلوم ان عادة اهل الاهواء والاغراض التعبير بالكلمات المبهمة المجملة ليتوجه لهم ايراد الأدلة عليها مع اجمالها فيغتر بها من لايعرف حقيقة الامر ومن ذلك هنا قول السوداني «ومن توهمكم في دين الاسلام المقدس عدم المساواة بين المسلمين واضاعة حقوق الاعمال بمراعاة الانساب» اه فمتى وقف الجاهل على هذه العبارة توهم لامحالة ان القول بالتفضيل يوجب عدم المساواة بين المسلمين واضاعة حقوق الاعمال ، والحق ان هذه العبارة من عبارات اهل الباطل الجوف (١) المزخرفة التي لامحصول لها الا انها تغر الغبي والجاهل وبيان ذلك انا لو فرضنا الممتنع وقلنا ان الله يثيب اهل الانساب

---

(١) جمع جوفاء

ويعطيهم ما اعطى اهل الاعمال بمجرد انسابهم فقط، كما يثيب اهل الاعمال بأعمالهم، لم يكن في هذا اضاعة لحقوق الاعمال بمراعاة الانساب، بل غاية ما فيه التفضل على اهل الانساب بمثل ما جوزي به اهل الاعمال، فاي تضييع لحقوق الاعمال فى مثل هذا؟ فان الله يفعل ما يشاء، مع انه لم يقل بهذا احد على الاطلاق وايضا فان القول بتفضيل الانساب الذى قال به اهل السنة والجماعة ودلت عليه النصوص الصريحة ليس فيه تضييع لحقوق غيرهم، لأن الدين الاسلامى سوى بين اتباعه في الحقوق والحدود غالبا، وهذا فيه نهاية العدل ومراعاة الحقوق لا سيما انه مع اثباته ما اثبته العلم وحققته التجارب من تفاوت الشعوب والقبائل وتفاضلها سوى بينها فى الحقوق فاي عدل اعظم من هذا؟ واي حفظ لحقوق الاعمال خير واهدى منه؟ (الثالث) انهم يعبرون بلفظ المساواة تارة وبلفظ الاخاء بين المسلمين تارة اخرى، فيتوهم الناظر في كلامهم ان لفظة المساواة مرادفة لمعنى الاخوة الاسلامية، وان الدليل على الاخوة هو الدليل على المساواة، وليس الامر كذلك فان معنى المساواة هو ان الاسلام ساوى بين اتباعه فى الحقوق والحدود غالبا، ومن غير الغالب تحريم الزكاة على الآل، وقسمهم فى خمس الخمس، وحصر الخلافة في قريش،

وحكم الكفاءة عند من يقول بها، والتفضيل فى العطاء على قول بعض الخلفاء الراشدين وما اشبه ذلك وليس فى ذلك اضاعة لحقوق غيرهم ، وذلك لأنه لا يقول أحد ان صلاح الصالح وعمله يقتضى ان تحرم عليه الزكاة . او يعطى من خمس الخمس كما بعطاها أهل البيت . او يكون له حق في الخلافة ونحو ذلك . لان هذه احكاما خاصة بأهلها ليس علتها محض العمل حتى يكون منعها لغيرهم منافيا للمساواة . وبيان ذلك ان كل حكم اوتفضيل سببه العمل فلاشك ان اثباته لبعض العاملين دون بعض مناف للمساواة . وكل حكم اوتفضيل لم يكن سببه وعلته العمل فتخصيصه بأهله ليس فيه اضاعة لحقوق الاعمال . لأن الاعمال لا تقتضيه ولا توجبه وليست علة ولا ملزوماله وهذا واضح . وحينئذ فالتفضيل للعرب فقريش فبني هاشم الذي يقول به أهل السنة والجماعة وتخصيصهم ببعض الاحكام كما سبق ليس فيه اضاعة لحقوق العاملين لان علة التفضيل والتخصيص امر آخر غير العمل كما سيأتي بسطه .

واما الاخوة الايمانية بين المؤمنين فلا شك انها من المعلوم من الدين بالضرورة . ولكن ليس معناها المساواة ولا هي موجبة لها . فأن مقتضى الاخوة التساوي فى الحقوق والتناصر والتعاضد لا التساوي فى الذوات والصفات والخصائص . فان بني الأب

الواحد توجب لهم اخوتهم التساوي في حق الأرث ونحوه لا التساوى فى الكبر والصغر والقوة والضعف والصحة والشباب وسائر مايحصل به التفاوت والتفاضل من الاعمال والأخلاق ونحوه وبهذا يعرف ان الاخوة غير المساواة المطلقة وانها لاتقتضيها ولكنها تقتضي مطلق المساواة وهي المساواة فى الحقوق والحدود فقط وذلك لا ينافي التفاضل فيما سواه * الرابع ان قول السودانى بالمساواة اي عدم التفاضل فى الأنساب وعدم الكفاءة مخالف فى المسئلة الاولى لاهل السنة والجماعة وفي الثانية للجمهور وقوله بأن ماقاله فيهما معلوم من الدين بالضرورة تضليل آخر لهم بأنهم لا يعرفون الضروري من دين الاسلام وهذا من اخبث تعريض بهم وتمريض لهم (الخامس) ان قوله «فقد وافاكم الحق نزيها يسيرا وسألتم عنه خبيرا» يدل على الجهل المركب، لانه افتى سائله بالخطأ الذى لايحتمل التأويل، مع مبالغته فى وصفه بالحق النزيه اليسير، وفي وصف نفسه بالخبير، فكل هذا غير مطابق للواقع

﴿ اغلاط فاحشة غريبة في مسائل سهلة قريبة ﴾

ثم قال: «ان النكاح بين المسلمين كالبيع والايجار من جهة انه متى عينت المنفعة المقابلة من المهر أو الثمن اوالاجر وسمح من بيده الامر وقبل الاخر. صح العقد وحل بذلك الانتفاع والتمتع ولا خلاف في ذلك بين علماء الامة المعتبرين وكلا الفريقين حر مختار فيما فى يده او

تحت حكمه قبل المعاقدة وقد ينوب عن صاحب السلعة وليه او وكيله اذا كان ناقص الرشد أوالمعرفة لدفع المغابنة ولما كان جل ذلك معلوما عند حضرتكم بالضرورة ولم يداخلكم الشك الا فى مسئلة النكاح فقط من جهة حكم الدين فاني اذكر لكم فى هذه الا سطر بعض ما بلغني من قضايا الرسول صلى الله عليه (وآله) وسلم واصحابه في ذلك لتعلموا حكم الدين الحقيقي وعدله وبراءته عن الادناس والسفاسف السياسية لان ماجاء به الرسول وما فعله وما أمر به وما اقر عليه هو الدين لا غيره واليه التحاكم واليه الرجوع لقوله تعالى وان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تومنون بالله واليوم الاخير ذلك خير واحسن تأويلا ولقوله تعالى (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله) ولقوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) ولقوله تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) ثم ان شئتم بعد ذلك مزيدا من اقوال اهل العلم المتبعين لا ثار الرسول أذكر لكم من نصوص علماء الامة المعتبرين من اهل المذاهب الاربعة ما يكون به الاقناع وينكشف به القناع في مقالة اخرى إن شاء الله تعالى لان الائمة الاربعة المجتهدين متفقون على انه اذا رضيت المرأة ووليها الاقرب او أولياؤها الاقربون لتزويج مسلم وعين المهر وحصل الايجاب والقبول بغير شرط صح النكاح بدون نظر الى شئ وراء ذلك وتبعهم على ذلك علماء الامة المعتبرون واما من شذ وخرج عن هذا المنهج الذي اجمع عليه النبي واصحابه والائمة المجتهدون وعلماء الامة وحكماؤها المعتبرون وغض النظر عن حكم الشرع لمجاراة عادة اولارضاء ذي سلطان اوعصبية فليس منا ولسنا منهم قل هذ سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني وسبحان الله وما انا من المشركين وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) كل ذلك مبني على عدل الاسلام ومساواته بين المسلمين ومحافظته على حقوق الشعوب المتشرفة بتفيىء ظلاله» اه ☆ ان في عباراته هذه على قلتها اغلاطا كثيرة وقد

استدرك بعضها فى جواب سوال زعم ان سائلا بنجريا سأله به ، ومازداد الا تهافتا وغلطا ، واعتذر تلميذه عن بعضها فى مواضع من (فصله) فلم يوفق لشيء مقبول . ونحن نرد على ذلك التخليط على الترتيب لتعلق الكلام بعضه ببعض فنقول

(الخطاء الأول والثاني ومخالفته للأجماع)

في قوله ان النكاح بين المسلمين الى قوله لدفع المغابنة وذلك انه شبه النكاح بالبيع وبالاجارة من جهة اشتراطه تعيين المهر لصحته كما يشترط تعيين الثمن لصحة البيع وتعيين الاجرة لصحة الاجارة والمراد بالتعيين التسمية فان اراد بالتعيين مقابل ما في الذمة كأن خطأ ثالثا ، وكله مخالف لمادل عليه القرآن ولما اجمعت عليه الامة وذلك انه قد انعقد الاجماع على ان النكاح لا يشبه البيع من جهة اشتراط تسمية المهر فلا تجب لا لصحته ولا للزومه كما تجب تسمية الثمن في البيع لأن الثمن ركن من اركانه لابد من ذكره والمهر ليس ركنا من اركان النكاح اجماعا ، فلذلك اجمعوا على صحة النكاح بدون تسميته وقد قالوا في صور معدودة بوجوب تسميته لا لصحة النكاح ولاللزومه ولكن للزوم المهر المسمى ، ومن فروع هذه القاعدة المجمع عليها أنا لانعلم صورة يبطل النكاح فيها لعدم تسمية المهر ولكن توجد صورة

اوصورتان يبطل فيها النكاح بسبب تسميته ! !

قال الامام الشافعي في الام «واستد لنا بقول الله عزوجل لاجناح عليكم ان طلقتم النسآء مالم تمسوهن اوتفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره ، ان عقد النكاح يصح بغير فريضة صداق وذلك ان الطلاق لايقع الا على من عقد نكاحه واذاجاز ان يعقد النكاح بغير مهر فيثبت فهذ ادليل على الخلاف بين النكاح والبيوع ، البيوع لاتنعقد الا بثمن معلوم ، والنكاح ينعقد بغير مهر ، استدللنا على ان العقد يصح بالكلام به وان الصداق لايفسد عقده ابدا » اه كلام الامام وعبارة مختصر الزني » فدل على ان عقدة النكاح بالكلام وان ترك الصداق لايفسدها » اه

(الخطأ الثالث)

انه اشترط لصحة النكاح بين المسلمين امرين تعيين المهر والصيغة التى عبر عنها بقوله « وسمح من بيده الامر وقبل الاخر» ومع اقتصاره على هذين فقط فقد قال «صح العقد وحل بذلك الانتفاع والتمتع ولا خلاف فى ذلك بين علماء الامة المعتبرين » ومعلوم انه ترك شروطا اخرى اشترطها العلمآء للصحة منها المتفق عليه بينهم ومنها المختلف فيه كالبينة وعدم الاحرام والخلو عن الموانع وعن المرض على قول مالك واشتراط الكفاءة عند من يجعلها شرطا للصحة ولايجوز النكاح بدونها ، والخلاصة ان قوله بعدم الخلاف في صحة النكاح بما ذكره فقط خيانة فى نقل العلم وتغرير بالمسلمين وتبديل للدين ، فان قال ذلك جاهلاً كان تعرضه للافتاء مع هذا الجهل المركب

من مصداق قوله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله لايقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا فافتوا بغير علم فضلوا وأضلوا

(الخطاء الرابع)

قد علم انه اشترط لصحة النكاح شرطين تعيين المهر والصيغة وقد علمت ان اشتراط تعيين المهر مخالف لما دل عليه القرآن وللاجماع فلم يبق الا الصيغة فقط ، فاستقر كلامه على انه لايشترط لصحة النكاح الا الصيغة ، فهل سمع السامعون بمجتهد بلغ مثل هذا التحقيق الغريب ؟ ! ! !

(الخطأ الخامس)

فى قوله «لأن الائمة الاربعة المجتهدين الى قوله فليس منا ولسنا منهم» وذلك انه صدر هذه الجملة باذا رضيت وعطف عليها بقية الجمل بالواو فد خلت في حكم الشرط ومعناه وهي قوله «وعين المهر وحصل الايجاب والقبول بغير شرط صح النكاح بدون نظر الى شئ وراء ذلك» فقد جعل الرضا وتعيين المهر وحصول الايجاب والقبول وعدم الشرط شروطا لصحة النكاح ، ثم أكد انه لاينظر الى شيء وراء ذلك ففيها مثل ما في العبارة السابقة من الخطاء وزيادة منها وهو

(الخطأ السادس)

انه اشترط عدم الشرط ، ومعلوم ان من الشروط ما اتفق العلماء على عدم بطلان النكاح معه وان اختلفوا في وجوب الوفاء به ، وحينئذ فجعل عدم الشرط مطلقا شرطا للصحة من أبطل الباطل

(الخطأ السابع)

في قوله « اذا رضيت المراة ووليها الاقرب أوأولياؤها الاقربون لتزويج مسلم » وبيانه ان لفظة مسلم تعم العدل والفاسق وقد اتفق العلماء على ان التدين معتبر فى الكفاءة لامجرد الاسلام فقط ومنهم من لايقر النكاح مع فقده وفقد النسب كما قاله ابن تيمية فاطلاقه هذا اللفظ هنا كما قال فى العبارة السابقة «ان النكاح بين المسلمين» مفهم خلاف مذاهبهم ولم يتفقوا عليه قط فما معنى قوله لان الائمة الاربعة المجتهدين متفقون الخ ؟ !

(الخطأ الثامن وفيه كلام في الكفاءة)

انه اغفل الكفاءة وهي في النسب والدين شرط لصحة النكاح عند احمد وسفيان الثوري وغيرهم قال ابن تيمية فى فتاويه « والذي يقتضيه كلام احمد ان الرجل اذا تبين له انه ليس بكفوء فرق بينهما وانه ليس للولي ان يزوج المرأة من غير كفوء ولا للزوج ان يتزوج ولا للمرأة ان تفعل ذلك وان الكفاءة ليست بمنزلة الامور المالية مثل مهر المرأة

ان احبت المرأة والاولياء طلبوه والاتركوه ولكنهامر ينبغي لهم اعتباره وان كانت منفعته تتعلق بغيرهم وفقد النسب والدين لايقر معهما النكاح بغير خلاف عند احمد» اهـ وقال فى موضع آخر «واما الكفاءة فى النسب فالنسب معتبر عند مالك (كذا) (١) واما عند ابي حنيفة والشافعي واحمد في احدى الروايتين عنه فهي حق للزوجة والابوين فاذا رضوا بدون كفوء جاز وعند احمد هي حق لله فلا يصح النكاح مع فواتها والله اعلم» وبهذا يعلم ان دعواه الاتفاق على صحة النكاح بما ذكره دعوى باطلة

(الخطأ التاسع)

انه **قال**: «اذا رضيت المرأة ووليها الاقرب أو اولياؤها الاقربون» فجعل رضى الاولياء شرطا متفقا عليه، والصواب ان من العلماء من جوز للمرأة تزويج نفسها من كفوء بغير ولي، وهذا منقول عن ابي حنيفة وزفر والشعبي والزهري

(الخطأ العاشر)

ان من العلماء من اجاز للولي انكاح الصغيرة التى لا يعتبر رضاها وهذا يخالف ماقاله من اشتراط رضاها ورضى وليها معا. فإن قيل انه قد قال في العبارة السابقة «وقد ينوب عن صاحب السلعة وليه» الخ قلنا نعم ولكنه هناك لم يجعله ضمن اداة الشرط كما ذكره هنا فانه هنا جعل رضى المرأة والولي معا شرطا علق

---

(١) لعل الصواب غير معتبر

صحة النكاح بوجوده ففيه دعوى الاتفاق على اشتراط ماليس بشرط

(الخطأ الحادي عشر)

انه بعد حكاية اتفاق الائمة على مالم يتفقوا عليه بل وعلى ماقد أجمعوا على خلافه ، قال وتبعهم على ذلك علماء الامة المعتبرون والاشارة فى ذلك الي مازعمه وهذه دعوى اخرى منظومة فى سلك اخواتها

(الخطأ الثاني عشر)

انه قال : «واما من شذ الى قوله فليس منا ولسنا منه» وقد علمت ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم واصحابه والأئمة المجتهدين وعلماء الامة وحكماءها كلهم لم يقولوا فى مايصح به النكاح بمثل قوله قط وقد تبرأ منهم بقوله «فليس منا ولسنا منه» كما قد تبرؤا من امثاله من قبل فبعدا للقوم الظالمين وهذا وان تردد النظر فى قصده له ولكن كلامه يقتضيه

(الخطأ الثالث عشر)

انه قال : «اجمع عليه النبي واصحابه والائمة» الخ فأدخل النبي صلى الله عليه واله وسلم في ضمن اهل الاجماع وقد انتقده عليه السيد العلامه عبد الله دحلان ونصه «ما كنا نظن احداً يجهل معنى الاجماع حتى جاء هذا . . . وتبجح بهذه العبارة التى لم يسبق اليها فهي من مبتكراته وبدع منكراته لان الاجماع عبارة عن اتفاق جملة من اهل الحل والعقد من امة محمد في عصر من الاعصار على حكم واقعة من الوقائع و . . . جعل النبي صلى الله

عليه وآله وسلم احد المتفقين في الاجماع وعزله عن منصب التشريع وجعله كواحد من العلما المجتهدين وفي ذلك من حط قدر النبي صلى الله عليه وآله وسلم مالا يخفى » اهـ ونقول أن التلميذ قد اورد في (فصله) كلمات يفهم منها الحط من قدره صلى الله عليه وآله وسلم لاتعد هذه الكلمة معها شيئاً مذكورا فالله المستعان

(الخطأ الرابع عشر وفيه تعريضه بالائمة انهم كانوا مداهنين فى دين الله)

وذلك في قوله « ولم يداخلكم الشك الا فى مسئلة النكاح الى ان قال فاني اذكر لكم في هذه الاسطر بعض مابلغني من قضايا الرسول صلى الله عليه (وآله) وسلم واصحابه في ذلك لتعلموا حكم الدين الحقيقي وعدله وبراءته عن الادناس والسفاسف السياسية » اهـ ثم انه لم يذكر الا القضايا التى استدل بها على عدم الكفاءة فمراده بالسفاسف السياسية ماقاله الائمة ابو حنيفة والشافعي وأحمد وغيرهم ممن قال بالكفاءة وبالدين الحقيقي ماعرفه هووجهلوه هم بزعمه وقد فصل هذه الجملة تلميذه فى (فصله) فى الصحيفة (٥٩) و (٦٠) وخلاصة مافيه ان من قال من العلماء بالكفاءة انما قال بها تبعا لمقتضيات السياسة الملكية والسياسة المعاشية فراعى ابو حنيفة بني امية بل نساءهم المتكبرات كما فعل مثل ذلك الشافعي في زمن بني العباس . وذلك مستند الائمة المجتهدين ، لاادلة الدين . فقد اكتشف التلميذ وشيخه من قبل مسئلة من مسائل السياسة الملكية لاالشرعية اشتملت عليها كتب هذين الامامين واصحابهما وهذا اكتشاف عجيب ، واعجب منه استدلال

هذين الامامين واصحابهما عليها بالقرآن كما صنع الشافعي فى الأم وبالحديث كما فى كتب اصحابهم ، ونتيجة هذا انهم تلاعبوا بدين الله وكتابه وحديث رسوله مراعاة لخواطر نساء الملوك المتكبرات ! ! ! (سبحانك هذا بهتان عظيم) نعوذ بالله من مضلات الفتن

(الخطأ الخامس عشر وفيه بيان أن اصل ضلال الخوارج توهمهم ان العدل في المساواة)

في قوله «كل ذاك مبني على عدل الاسلام ومساواته بين المسلمين ومحافظته على حقوق الشعوب المتشرقة بتفيء ظلاله» يقع فى اوهام اكثر الناس ان العدل مستلزم للمساواة وعكسه ، وانه لايتم العدل الابها ، وهي شبهة قديمة ، كانت من جملة شبه الخوارج التى افتتنوا بها فمرقوا من الدين ، وقد زاد انتشار هاتين الكلمتين فى هذا العصر ولاكتها السنة الخاصة والعامة ، ومنهم من يضيف اليها الحرية ، وقد دبجت المقالات المزخرفة فى مدحها اجمالا ، وغلا الناس فى مدلولها لاسيما مع الاحتكاك بالغربيين وفشو نحلهم بين اهل المشرق ، فيحملون الحرية على الانطلاق عن قيود الدين على اختلاف فى مفاهيمهم وقد اتبعت بعض الحكومات الاسلامية هذه الخطوات الشيطانية فاجازت الربا والزناء للنساء المسلمات وغير ذلك من الامور المخالفة للدين بناء على مايسمونه الحرية ، وماهي بها ولكنها الخلاعة وترك

الدين والعياذ بالله تعالى . اما المساواة فقد غلا فيها الآن بعض الامم حتى زعموا انها لاتتم الا بنسخ حكم الملك والاختصاص فصيروا الاموال والاختصاصات كلها شرعا بينهم وكل هذا مخالف لدين الاسلام ، والمقصود هنا بيان ان العدل لايستلزم المساواة المطلقة ، لان العدل هو وضع كل شئ موضعه واعطاء كل مستحق مايستحقه ، فقد يكون فى المساواة وقد يكون فى التفضيل ، وان المساواة انما تكون في الحقوق التى هي نتيجة الاعمال والاكساب المتساوية فتركها ترك للعدل غالبا ، ومن غير الغالب ان تكون هناك مصلحة عامة تقتضي التفضيل ، واما الحقوق التي ليست نتيجة لعمل ولا كسب بان كان علتها وموجبها امورا خلقية كالنسب أوعملية لاتتكرر كالسبق بالهجرة والجهاد وماشا كل ذلك ، فليست من هذا القسم ، فلما جعل السوداني عدم الكفاءة مبنيا على عدل الاسلام ومساواته بين المسلمين ومحافظته على حقوق الشعوب كان المفهوم من كلامه ان اعتبار الكفاءة مبني عنده على الظلم والأثرة واضاعة حقوق الشعوب المسلمة . فالائمة الذين قالوا بها ماهم عنده الاظلمة مستأثرون مضيعون لحقوق المسلمين وهذه جرأة عظيمة وتهجم على الدين وائمته وحط من قدرهم وفضلهم وتقبيح لهم وقد نالوا بهذا حظا من الوراثة لمتبوعهم

الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم فقد لمزه اصل الخوارج وضئضئهم ذو الخويصرة لما توهم ان العدل أنما يكون فى المساواة ، وبقيت شنشنته متوارثة فى اتباعه والآخذين بشبهته ولا يزالون حتى يخرج آخرهم مع المسيح الدجال ، اخرج النسائي عن ابي برزة قال اتي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمال فقسمه فاعطى من عن يمينه ومن عن شماله ولم يعط من وراءه شيئاً فقام رجل من ورائه فقال يامحمد ماعدلت فى القسمة رجل اسود مطموم الشعر عليه ثوبان ابيضان ، فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غضبا شديدا وقال : والله لا تجدون بعدي رجلا هو أعدل مني ، ثم قال : يخرج في آخر الزمان قوم كان هذا منهم يقرؤن القرآن لايجاوز تراقيهم يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية سيماهم التحليق ، لا يزالون يخرجون حتى يخرج آخرهم مع المسيح الدجال فاذا لقيتموهم فاقتلوهم هم شر الخلق والخليقة ، وفي رواية شرقتلى تحت اديم السماء وقد ورد تسمية هذا الرجل فى اكثر الاحاديث انه ذوالخويصرة وفي رواية ان رسول الله عليه وآله وسلم قال لعمر لما استاذنه فى قتله دعه فانه سيكون له شيعة يتعمقون فى الدين حتى يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية قال ابن تيمية في الصارم المسلول بعد أن اوردعدة روايات سبق بعضها ما نصه

« فلما راى النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم الرجل الطاعن عليه في القسمة الناسب له الى عدم العدل بجهله وغلوه وظنه ان العدل هو ما يعتقده من التسوية بين جميع الناس دون النظر الى ما في تخصيص بعض الناس وتفضيله من مصلحة التأليف وغيرها من المصالح علم ان هذا اول اولئك فاذا طعن عليه في وجهه على سنته فهو يكون بعد موته وعلى خلفائه اشد طعنا » اه كلامه

وعندنا ان لما وقع فيه الخوارج من الضلال والمروق من الدين سببا آخر مع ما ذكره ابن تيمية لا محل هنا لشرحه، وكما ان الخوارج كانوا يعبرون عن باطلهم الذي اعتقدوه ومرقوا به من الدين بقولهم لا حكم الا لله * وهي كما قال الامام المرتضى عليه السلام كلمة حق اريد بها باطل . كذلك فعل دعاة الشعوبية في تعبيرهم عن معتقدهم المخالف لمذاهب السلف بلفظتي العدل والمساواة ، وهما كلمتان ظاهرهما حسن جميل ، وباطنهما ما يعتقدونه من انحصار العدل فى المساواة ، فيؤدي لا محالة الى رد جانب من السنة النبوية والطعن فى احكامها كما فعل صاحب الصورة وتلميذه ، وقد اشرنا فيما سبق الى تقارب الخوارج والشعوبية فى هذا المعنى

(الخطأ السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر)

انه قال فى الصورة «وهاك من كتاب ربك برهانا على ما ادعيه وسراجا يضيء لك ما تبتغيه قال تبارك اسمه (يا ايها الناس انا خلقناكم مّن ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير) ان تقسيم القبائل والشعوب أو تسميتها بالاسماء المختلفة انما هو لاجل التعارف » اه

ونقول : ان مجمل ما في الآية ان الله جعل الناس شعوبا وقبائل لاجل التعارف وليس فيها نفي ما سوى التعارف من الحكم فى ذلك ولا الحصر الذى لبس به صاحب الصورة فقال « انما هو لاجل التعارف » فالتعبير الصحيح ان يقال : ان الله جعل الناس شعوبا وقبائل للتعارف ولايجوز ان يقال للتعارف لا غيره ، او انما هو للتعارف ونحو ذلك من العبارات التى تفيد الحصر من غير دلالة عليه بل ولومع ما يوهم الدلالة وذلك مثل قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ففي هذه حصر حكمة الخلق فى العبادة وقال في الآية الأخرى ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم فهذه حكمة أخرى في خلقه اياهم ، ونظائر هذا كثيرة وايضا فانه فسر الجعل بالتقسيم والصواب تفسيره بالتصيير او الخلق فمعنى وجعلناكم شعوبا وقبائل اي صيرناكم او خلقناكم كذلك ، وقال او تسميتها بالاسماء المختلفة وهذا خطأ ثالث ، فان جعلهم شعوبا وقبائل ليس معناه تسميتهم شعوبا وقبائل وهذا ممالا خلاف فيه

(الخطأ التاسع عشر)

ثم قال : «كتسمية الاشخاص من ابناء الرجل الواحد لتميزهم عن بعضهم فقط وهي كتقسيم البحار والرياح والاقطار ولاتفاضل بينهم الا بالنتائج والآثار » اه الذي يفهم من كلامه ان معنى قول الله تعالى وجعلناكم شعوبا

وقبائل سميناكم أي كما يسمي الرجل ابناءه فاسماء الشعوب والقبائل عنده توقيفية ، مع أن تسمية الرجل ابناءه لتمييزهم لاتنفي تفاضلهم في الخلق والجبلة والقوة والبطش وسائر مايجبل الله عليه العباد كما يتفاضلون باعمالهم وآثارهم ، ويقال في الشعوب والقبائل المختلفة بمثل ذلك ، فكما ان تسمية ابناء الرجل ليعرفوا لاينفي تفاضلهم فى جبلاتهم ، كذلك كان جعلهم شعوبا وقبائل ليعرفوا لاينفي ذلك ، وقوله « وهي كتقسيم البحار والرياح والاقطار » حجة عليه فان البحار تتفاضل كما تتفاضل الرياح والاقطار والبلاد وقد خلقها الله متفاضلة ، وقال فى كتابه العزيز والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لايخرج الانكدا وقد خلق الله البلد الطيب طيبا والبلد الخبيث خبيثا ولذلك قال بعض المفسرين ان الله ضرب اختلاف انتاج البلاد مثلا لما في البشر من اختلاف الاستعداد للغي والرشاد وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير اصاب ارضا فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكان منها اجادب امسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا واصاب طائفة اخرى منها انما هي قيعان لاتمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من

فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي ارسلت به ، وهذا الحديث في الصحيحين واخرجه احمد والنسائي فارجع الانتفاع الذي حصل لاهله الى ما جبلهم الله عليه من الاستعداد وطيب العنصر ، ومن هذا يظهر بطلان نفي ماسوى التعارف من الحكم كما زعمه السوداني فيما سبق ، وان التفاضل حاصل في هذه الأمور المختلفة قبل ظهور نتائجها وآثارها ، وأن تفاضل نتائجها وآثارها تابع لتفاضلها في ذواتها من قبل ، وان النصوص الواردة في فضل العرب وقريش وبني هاشم دالة على افضلية اعمالهم وآثارهم كما دلت على افضلية معادنهم واستعدادهم وذواتهم

(الخطاء العشرون)

في قوله : « ان جميع اهالي الاديان متفقون على ان اصل جميع الناس واحد بلا خلاف ولا فضل لاحد على احد بذات دمه ولحمه » اه اما دعواه اتفاق جميع الاديان على ان اصل الناس واحد ، فان عنى بهم اهل الاديان الثلاثة فقوله صحيح ، وان عنى من سواهم فلا تثبت دعواه وقوله « ولافضل لاحد على احد بذات دمه ولحمه » من الدعاوي المجردة عن الدليل ، وقد علمت ان الآية لا تدل عليها اصلا ، وان الاختلاف والتفاضل بين الشعوب والقبائل في استعدادهم وفطرهم واخلاقهم

الجبلية واقع كما اثبته العيان والتجربة ودلت عليه النصوص وحققه علماء الاخلاق وغيرهم ، وهو القول الذي قال به محققو فلاسفة الغربيين ، وسواء كان مصدر ذلك التفاوت والتفاضل اللحم والدم او ما وراء ذلك من الارواح والانفس ، فان ذلك غير قادح فيما نقوله ، ثم ان هذه الجملة فيها من الابهام والاجمال ما يدعو الى الالتباس . فلابد من تحقيق ما يفهم منها لذلك . فنقول (الاول) ان يعني بذلك ان لحوم الناس ودماءهم متساوية فى اللون والطعم وما شاكل ذلك من الاعراض ، ولااختلاف بينهم في ذلك كما اختلفت لحوم اصناف النوع الواحد من الحيوان لاختلاف الاصول والمرعى ونحو ذلك ، فهذا امر لا نعلمه وانما ينبغي ان يسأل عنه اكلة لحوم البشر من اهل افريقا ، وما خلق الله البشر ليؤكلوا حتى يفاضل بين لحومهم ودمائهم من هذا الوجه (الثاني) أن يعني به عدم تفاوت استعداد الناس وفطرهم وجبلاتهم وهذا امر يكاد يقطع العقل ببطلانه ، واما كيفية تعلق ذلك التفاوت المعنوي بنفس اللحم والدم فلا يعنينا لان المقصود حاصل بدونه (الثالث) ان يعني بذلك عدم اختلاف حكم القصاص والديات بينهم ونحوه على خلاف في الأخير . فليس في هذا مايمنع تفاضلهم فيما سواه . لان الشرع علق هذه الاحكام بعلة ظاهرة

منضبطة وهي الاسلام . ولو لم يفعل ذلك لما امكن تنفيذ حكم القصاص اصلا . لتعذر استواء القاتل والمقتول في جميع الصفات الحسية والمعنوية وعلى هذا فاستدلاله به على استواء المعادن والاصول باطل كما سبق شرحه *

(الخطأ الحادي والعشرون)

ثم قال : « لكنهم يتفاضلون بالصفات والآثار وحسن التربية » اهـ ونقول ان التفاضل بين الناس بالثلاثة المذكورة مسلم ، ولكن حصر التفاضل فيها غير مسلم ان قصر الصفات على المكتسب ، وذلك انه قد ثبت بالنص الصريح الصحيح تفاوت اصول القبائل ومعادنها كما سيأتي تفصيله ، ونص علماء الاخلاق كالاصبهاني وغيره على ان الابناء قد يرثون من ابآئهم طباعا واخلاقا كما يرثون منهم الامراض والقوة وماشاكلها ، واجمع المحققون من الفلاسفة الغربيين على ان الوراثة هي العامل الاقوى فى الاخلاق لا التربية فقط ، ولهم على ذلك ادلة كثيرة مشهورة فيما ترجم من كتبهم وقالوا : انه قد تظهر بعض صفات جد أعلا فى احد احفاده الموجودين بعد مئات من السنين ، وهذا قد جاء فى معناه احاديث فى تفسير قوله تعالى ﴿ في اي صورة ماشآء ركبك ﴾ وسيأتي ذكرما تيسر منها ان شآء الله تعالى وقالوا : ان ابن الاصلاء المعرقين في المجد

والمعدن الزكي تكون فيه الاخلاق الكريمة اثبت وارسخ ، وان ضعف مثلا فى جانب الذكاء والفطنة ، فلواعتني مثلا بتعليم احد ابناء الزنج والأصيل تعليما واحدا فربما يفوقه الزنجي ذكاء وفطنة وحفظا وتقدما في العلم ، ولكن الأصيل يفوقه من جهة اخرى اذا طرأت عليهما الاحوال وباغتتهما الحوادث ، فان الزنجي يعود لطبع اسلافه من الرعونة والخفة والطيش . ويظهر على الأصيل ماورثه عن اسلافه من الطباع الكريمة . وماذكرناه يحكى عن محقق منهم لهذا العصر (١) وقد وافقه عليه اكثر فلاسفتهم وما خالف عن هذه القاعدة فانه يرجع الى امتزاج دم اجنبي بالدم الزكي . ويدل على هذا ما ورد ان عرق السوء كأدب السوء . وماورد فى التحذير من خضراء الدمن وهي المرأة الحسناء فى المنبت السوء . والكلام في هذا المعنى طويل . وخلاصة ما اشرنا اليه ان السوداني قد خالف في قوله ما ورد به الاثر وما قاله أهل النظر

(الخطأ الثاني والعشرون)

فى قوله «كالأثمار المأخوذة من شجرة واحدة فانها تتفاضل في حلاوة الطعم وعظم المقدار والسلامة من الفساد وكذلك الناس يتفاضلون فى العلم والعمل والاخلاق »

---

(١) هو جوستاف لوبون

اهـ ونقول انه ضرب هذا المثل ليكون حجة عليه ، ووجهه انه قد اثبت ان الاثمار المأخوذة من شجرة واحدة ـ ومن المعلوم انها لا تكون الا من صنف واحد ـ تتفاوت طعما وعظما وسلامة ، فما بالك بالتفاوت بينها اذا كانت من اشجار متعددة من صنف واحد فانه يكون لامحالة اعظم ، فاذا كانت من اصناف نوع واحد كانت اعظم تفاوتا وتفاضلا ، وبهذا يثبت عين ما نقوله ، ومن البديهي ان البشر وان كانوا نوعا واحدا فانهم اصناف كثيرة ، كل صنف متميز بخواصه واعراضه عن بقية الاصناف والتفاوت بين الاصناف ظاهر بين ، كظهور التفاوت بين افراد الصنف الواحد ، وهذه الامور ثابتة عند المشتغلين بالبحث فيها ، ومن اجاد النظر والتأمل فى خواص الاصناف ومميزاتها ازداد تحققا بعلم ما أشرنا اليه ، اما المثل الصحيح لهذا المعنى فهو ماتراه فى كل ثمرة او فاكهة ذات اصناف ، اونوع من الحيوان كذلك ، كالعنب فان اصنافه كثيرة ولا يتحول صنف الى صنف ابدا سواء حسنت التربية ام سآءت ، كالعنب الملاحي لايعود رازقيا وعكسه ، ومثله التفاح والعنب لا يتحول صنف منه الى غيره كالعجوة لاتعود برنيا وعكسه ، وغاية تأثير حسن الطينة والتربية ان يحسن ذلك الصنف حسنا ما ، من

غير ان يجاوز دائرة صنفه ، وهكذا القول في الخيل فان سائر اصناف الخيل لاتبلغ مبلغ الصنف العربي ولو اطيل انتقاؤها واحسنت تربيتها واجيد تضميرها وتدريبها ، والقول فى سائر الانواع بالنسبة الى اصنافها واحد . وسيأتي نقل كلام الراغب الاصبهاني في الوراثة ، وكلام العلمآء فى ذلك كثير سنذكر منه ما تيسر ان شاء الله تعالى والحاصل ان السوداني اخطأ في ضرب هذا المثل فانه غير صحيح ولامطابق للموضوع

(الثالث والرابع والخامس والسادس والسابع والعشرون)

فى قوله : «وكما ان البذرة المأخوذة من الشجرة الصغيرة تنتج بحسن التربية والعناية شجرة كبيرة ذات اثمار عظيمة فائقة على اصلها في الحلاوة والنضارة كذلك البذرة المأخوذة من الشجرة العظيمة الجيدة من ذلك النوع يصغر ثمرها وتنقص حلاوته ويفسد اذاساءت التربية ونقصت العناية بها» اه فالاول خطاؤه في نفس المثل فانما زعمه من كون البذرة المأخوذة من شجرة صغيرة تعود بحسن التربية شجرة كبيرة من ابطل الباطل . فان علماء الفلاحة يوصون بانتقاء البذر من الشجر الكبير السالم من الآفات . وذلك ان الشجرة الموؤفة تكمن في بذورها جراثيم الآفة ثم تظهر في اول مستنبت منها اوفيما بعده . كما ان بذر الشجرة الصغيرة لايكون ابدا وان احسنت تربيته كالمأخوذ من اصل كبير الا على وجه الندور والشذوذ

ولا يبنى على مثله حكم. فهو كالشيء الذى خرق ورقع. وينبني على الخطاء الاول في المثل الخطأ الثاني فى الممثل له. وهو المعدن الخبيث فقضية كلامه ان اعراقه الخبيثة تتحول بحسن التربية الى اعراق طيبة. وهذا غير صحيح. فان هذا التحول لا يرسخ الا بعد اجيال كثيرة على ماقاله بعض علماء هذا الشان، الخطأ الثالث في قوله كذلك البذرة الخ وذلك ان بذرة الشجرة الجيدة الصنف او النوع وان ساءت تربيتها تكمن فيها الاعراض الجيدة، حتى اذا وافقت بذورها طينة طيبة وتربية حسنة عادت الى حسن اصلها وكرمه، الرابع ان تمثيله هذا غير صحيح فان ذا المعدن الزكي ولو اسيئت تربيته تبقى اعراق اصله في نسله، والخطأ الخامس ان هذين المثالين انما يصح ضربهما للافراد المنتسبين الى اصل واحد، لا للأصول المتعددة والقبائل المختلفة والمعادن المتباينة وقد ضربنا لها آنفا مثلا صحيحا والحمد لله. وقد ابقي قسما ثالثا لم يضرب له مثلا، وهو المنتسب الى المعدن الطيب الزكي، والنسب الصالح العلي، اذا وافق مطرا من العلم صيبا، وحظا من التربية طيبا، فمثله كمثل حبة بربوة اصابها وابل فآتت أكلها ضعفين، وكالبلد الطيب يخرج بناته باذنه ربه، وكالشجرة المباركة يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور

(الثامن والتاسع والعشرون)

في قوله «فكذلك الحال في بني آدم وفي بني كل رجل فاضل عظيم من البشر فان ابن الكريم العالم الفاضل الحسن الاخلاق يكون بليدا جبانا خسيسا سيء الاخلاق اذا ساءت التربية ويكون ابن البليد الاحمق الخسيس الجاهل كريما شجاعا فاضلا عالما حسن الاخلاق اذا حسنت تربيته» **فقوله فكذلك الحال الخ** قد بينا بطلانه بنقد الأمثلة التي ذكرها ومابناه عليها وقررنا القياس التمثيلي الصحيح بما ذكرناه ، وهو مقتضى الاحاديث الصحيحة ، ولو كان ما يذكره الباحثون فى هذا الشأن لهذا العهد مخالفا لما وردت به السنة لجادلنا به السوداني وتلميذه كما فعل امثالهم من المتكلمين القائلين بتساوي الجواهر من قبل ، فانهم جادلوا اهل السنة والجماعة بالفلسفة اليونانية ، ولكن كان من صنع الله لأهل السنة ان الباحثين اليوم قد عثروا بعد شدة البحث والتنقيب والاستقراء على قريب مما وردت به السنة ، فان قواعد هذا العلم عندهم اربع ، الجديد يبيد القديم ، الطبيعة تستبقى الاحسن ، الانتخاب سنة فى الكون ، الفروع ترث الاصول ، فالقاعدة الثالثة اشارت اليها احاديث الاصطفاء والقاعدة الرابعة دل عليها حديث (الناس معادن) والدليل الذي به نأخذ وعليه نعتمد هو السنة النبوية ، وما سواها شواهد تورد للتقوية والعمدة غيرها ، وقوله فان ابن الكريم الى قوله اذا حسنت تربيته قد اخطأ فيه ايضا

وذلك ان الصفات تنقسم الى قسمين غريزي ومكتسب والبلادة والجبن والشجاعة من الغرائز ، وقد اجمع علماء الاخلاق على ان الذكاء لا يكتسب ، كما ان البلادة لا تزيلها التربية ، والمكتسب لا يكون كالجبلي ابدا وليس الطبع كالطبع ،

* ليس التكحل فى العينين كالكحل . *

وبالجملة فقد جمع فى هذه العبارة ما يمكن معالجته بالتربية وما لا يمكن . فالبليد يطبع بليدا ثم لا يقدر احد ان يحوله ذكيا لا بتربية ولا غيرها . كما ان الذكي يطبع ذكيا وينشأ كذلك ثم لا يعود بليدا الا ان ألمت به آفة . وأثر التربية انما يكون فى تصريفها لافي احالة الجبلة فيها . وابن الكريم الشجاع اشد استعدادا للشجاعة والكرم من ابن اللئيم الاحمق . فان تخلف ذلك فيه كان له سبب آخر من جهة امه او عرق قديم . وسيأتي الاستدلال على ذلك بالأثر وكلام الحكماء ان شآء الله تعالى اما قوله « فلا محل اذا للاغترار بالانتساب الى كريم او عالم اونبي من الانبياء » اه فانه حق وصدق ومن اغتر بالله هلك فكيف بمن اغتر بغيره ، واذا كان الاغترار بالعمل الصالح والاعتماد عليه دون رحمة الله مهلكا لصاحبه فمابالك بما سواه ، ومن المعلوم ان النهي عن الاغترار بالنسب الصالح لاينفي فضله ، كما ان النهي عن الاغترار بالعمل الصالح لا ينفي فضله

وفي ذلك يقول امام الارشاد الحبيب عبد الله بن علوي الحداد بعد ان ذكر بعض مفاخر اهل البيت النبوي وفضائلهم

ثم لا تغتر بالنسب ❀ لاولا تقنع بكان ابي
واتبع في الهدى خير نبي ❀ احمد الهادى الى السنن

وقال ايضا

واحذر واياك من قول الجهول أنا ❀ وانت دوني في فضل وفي حسب
فقد تأخر اقوام وما قصدوا ❀ نيل المكارم واستغنوا بكان ابي

وبالجملة فكلام اسلافنا فى هذا المعنى كثير قل ان يخلو عنه مؤلف من مؤلفاتهم والله الموفق والمعين

(الخطأ الثلاثون)

في قوله «ولتقرير هذا المبدأ واقناع المتوهمين خلاف ذلك قال رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم من ابطأبه عمله لم يسرع به نسبه وقال صلى الله عيله (وآله) وسلم ليس لأحد فضل على احد الابدين اوعمل صالح» اه

وذلك انه استدل بهذين الحديثين على نفي فضل النسب الصالح مطلقا ، ومثلهما ما في معناهما وبيان ذلك من وجوه (الاول) انه ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم احاديث تدل على فضل النسب الصالح والمعدن الزكي كحديث الاصطفاء وفى معناه حديث الاختيار وكحديث من أكرم الناس ونحو

ذلك ، وهي صحيحة صريحة فى فضله بل هى أصح واقوى سندا واكثر طرقا ، والقاعدة في مثل هذا الموضع ان يقدم الاصح على الصحيح والصحيح على الضعيف اذا لم يمكن الجمع . هذا على تقديرأن بينها تعارضا وستعلم مما نورده عدم التعارض وليس من سنة طلاب الحق ان يضربوا السنة بعضها ببعض (الثاني) ان اهل السنة والجماعة وعلماء الأثر قد رووا هذين الحديثين ومافي معناهما ، ورووا حديث الاصطفاء وحديث المعادن وما في معناهما ووضعوا كلاً منها موضعه ، فأثبتوا ما تقتضيه هذه وقالوا به واثبتو ماتقتضيه تلك وقالوا به ، وكانوا اسعد بالسنة من الشعوبية ومن سلك سبيلهم اذ قبلوا بعضها وردوا بعضها ، فكانوا كمن يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض . وذلك لانهم افهم عن الله ورسوله من الشعوبية واعرف بمواقع الحق منهم (الثالث) ان الحديث الاول صحيح رواه مسلم عن ابي هريرة وابو هريرة ايضا هو الذى روى عنه مسلم حديث من اكرم الناس وفيه انه صلى الله عليه وآله وسلم قال افعن معادن العرب تسألوني تجدون الناس معادن كمعادن الذهب والفضة الحديث . وفسر العلماء معادن العرب بأصول قبائلها لا بنفوس افرادها ، كما فسره به التلميذ في (فصله) وغاية مايدل عليه هذا الحديث ان النسيب لا يسرع به

نسبه اذا أبطأ به عمله ، وهذا حق صحيح ، فان الامر الذي يحصل فيه التباري والتسابق هو العمل الصالح وهو الذي يمكن الاستزادة منه . اما النسب فلا يؤثر فيه الاكتساب فلا يمكن من فاته ان يدركه ولا من ادركه ان يستزيد منه وانما هو من قبيل الامور الخلقية كالجمال والصحة والقوة والذكاء ونحوها فنفي الاسراع والسبق بمجرد النسب لايدل على نفي ما سوى ذلك من مزاياه (الرابع) ان اهل السنة والجماعة ومن قال بفضل النسب من غيرهم لم يقولوا انه يسرع بمن ابطأبه عمله بل اثبتوا فضله مع لوازمه ونفوا عنه ما لا يستلزمه ، فاثبتوا ما صحت به السنة من هذا وهذا وحينئذ فلا يصح الرد به عليهم (الخامس) ان الجملة الثانية قطعة من حديث عقبة بن عامر وقد اخرجه احمد والبيهقي وابن جرير بالفاظ مختلفة وفى سنده ابن لهيعة تركوا الاحتجاج به وعند ابن جرير روايتان مختلف لفظهما مع ان سندهما واحد والظاهر ان ذلك من تخليط ابن لهيعة فلا يحتج بمثله (السادس) ان حديث عقبة بن عامر والحديث الذي لفظه لافضل لعربي على عجمي الحديث كلاهما مما يتضمن نفيا واثباتا كقوله صلى الله عليه واله وسلم انما الاعمال بالنيات وقوله لاصلاة لجار المسجد الا في المسجد ولانكاح الابولي ولافضل لعربي على عجمي ولا

لعجمي على عربي الا بالتقوى الحديث ولا صيام لمن لم يبيت النية من الليل ونحو ذلك وقد اختلف العلماء في هذا النوع هل هو من المجمل لأن المنفي حقيقة موجودة ولا يصح نفيها ، وانما المنفي صفة لها أو معنى مجازي ، وكلا هما غير مذكور فكان مجملا مفتقرا الى البيان ولا يصح العمل به بدونه وممن قال بذلك القاضي ابو بكر الباقلاني وابو عبد الله البصري وابو الحسين البصري وطائفة من المعتزلة فعلى هذا لا يصح الاستدلال بالمجمل على نفي المبين * وأما الجمهور فقد قالوا بانه لا اجمال في هذا النوع وانما فيه تردد بين العرف الشرعى والوضع اللغوي وبين الاضمار ، وبيان ذلك انه اما ان يكون للشارع عرف فيما تطلق عليه هذه الالفاظ فيحمل على عرفه ، وان لم يثبت له عرف فى ذلك وثبت فيه عرف لغوي وهو ان مثله يقصد منه نفى الفائدة والجدو كقولهم لا علم الا مانفع ولا كلام الا ما افاد ولا رجال بالبلد ولا بلد الا بسلطان وليس لاحد غنى الا بالقناعة ونحو ذلك حمل عليه ، وان قدر انتفاء العرفين اوعدم ثبوتهما حمل على نفي الصحة او الكمال والا ولى الاول ، ومعلوم ان ثبوت الاولوية في احدهما لا تنفي أصل التردد في إضمار احدهما ، ففيه شمة إجمال ، لاسيما ان كان للثاني قرينة تقويه فيضعف جانب الاولوية أو يتساويان ، وحاصل

ذلك ان الاستدلال به على نفي اصل الفضل غير صحيح (السابع) ان نفي الفضل فيه محمول على الفضل الاخروي وهو ما لازمه كثرة الثواب ورفعة الدرجة ، فيكون معناه موافقا لمعنى حديث من ابطأ به عمله لم يسرع به نسبه ، وكلامه صلى الله عليه وآله وسلم يصدق بعضه بعضا ، كما ان القرآن يصدق بعضه بعضا ، وكل ما يتوهم فيه الاختلاف له عند الراسخين في العلم محامل صحيحة ومخارج بينة واضحة ، وبيان ذلك ان الثواب انما يكون للعمل الذي يعمله المرء غالبا ، ولا يكون لما هو من قبيل الخلقة كقوة البطش والذكاء والشجاعة وطيب المعدن ونحو ذلك وان حصل بها وفيها الفضل والتفاضل ، وانما يثاب على ما صدر عنها من الآثار والاعمال ويعاقب ، فاختلف مورد النفي والاثبات لان فضل النسب المثبت بالاحاديث الصحيحة غير الفضل الاخروي المنفي عنها فلا تعارض مع اختلاف موردهما ومن المعلوم انه لا يصح التناقض بين قضيتين مالم تجتمع شروطه ، ولم تجتمع هنا وقد صرح بهذا الفرق علماء السنة والجماعة وقرروه فى كتبهم وبه مع ما يأتي جمعوا بين هذه الاحاديث (الثامن) ان قوله صلى الله عليه وآله وسلم لا فضل لعربي على عجمي الحديث وقوله ليس لاحد فضل على احد الا بدين او عمل صالح ، محمول على فضل الفرد على الفرد وما ورد

فى احاديث الاصطفاء والاختيار محمول على فضل الجملة على الجملة ، فجملة العرب افضل من جملة العجم وجملة قريش افضل من جملة العرب وجملة بني هاشم افضل من جملة قريش وهذا هو الذى قاله علماء هذا الشأن وفصله ابن تيمية فى مواضع من كتبه فليرجع اليه اما الحبيب عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه فانه قال فى منظومته

والخلق فى الاصل اشباه وفضل بالتـ * ـوقيف والقرب والاحوال اوعدلا
والفضل بالقرب والتقوى لدى الله * والاعراض ترفع او يدنو بها العملا

الى ان قال

ويفضل الآل اوذو العلم والسبق منـ * ـهم بل ونسل النبي الطهر ما عدلا

ثم ذكر تفضيل القبائل كما تقدم ذلك وقوله والخلق فى الاصل أشباه اي قبل ان تتصنف الاصناف البشرية وتتفاوت في صفاتها وأعراضها وهذا واضح . فان قيل هل كان ملحظ التسوية الأفرادية أصل الخلق كما كان ملحظ التفضيل بين القبائل خصائص الصنف لأنها انما تتكامل فى مجموعه قلنا هذا محل نظر وفيه تفصيل ليس هذا موضعه والله اعلم (التاسع) ان العلماء قد قرروا التفضيل من وجه دون وجه وقالوا قد يوجد فى المفضول ما لايوجد فى الفاضل فيكون المفضول أفضل من الفاضل من بعض الجهات كفضيلة النسب اوالقرابة وممن نص عليه الطبري والدهلوي

والسمهودي وابن القيم وغيرهم ونتيجته اثباتهم فضيلة النسب للفرد كما ثبتت للمجموع وقولهم بعدم التعارض بين الاحاديث

(الخطأ الحادي والثلاثون)

في قوله «وقد اخرج الله كنعان ابن نوح من آل نوح حينما ساء عمله مع رجاء ابيه وشفاعته فيه بقوله الاسمى انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسئلن ماليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين فزجره الله بذلك عن الحاق من لا يعمل مثل عمله» اه وذلك ان فضل النسب اعم من النجاة وهي اخص منه بل لم يقل اهل السنة والجماعة القائلين به ان النجاة من لوازمه حتى يلزم من نفيها نفيه وقد قرروا ان اصل بناء الثواب انما كان على الاعمال والاكساب ، لا على الانساب والاحساب ، وذكروا لفضل النسب لوازم اخرى غير النجاة كالتعظيم والتقديم والاحترام والاختصاص ببعض الاحكام ، وغرض السوداني هنا الاستدلال بالآية على اخراج العاصي من الآل عن حضيرتهم وقد قال العلماء بخلافه واماالذى فى الآية فانه تخصيص لعموم الوعد بنجاة اهله كلهم ، فاخرجه من مطلق الاهل الموعود بنجاتهم لامن الاهل مطلقا كمايدل على ذلك تعقيبه النفي بتعليله بانه عمل غير صالح ، وبيانه ان الله وعد نوحا عليه الصلاة والسلام ان ينجيه واهله فأخذ نوح عليه السلام بمقتضى عموم الوعد فلما غرق ابنه وهو من اهله قال فيما حكى الله عنه (ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من اهلي وان

وعدك الحق وانت احكم الحاكمين قال يانوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسئلني ماليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين) فأنبأه الله بوجه فيه تخصيص لعموم الوعد وهو ان الموعود بنجاتهم هم المؤمنون منهم ، اما الابن فكان كافرا كما ورد فى بعض الروايات اوأنهم المطيعون لامره بركوب السفينة لامن عصى الأمر وترك سبب النجاة ، وفي الآية قرآتان الاولى انه عملٌ غيرُ صالحٍ بصيغة المصدر وهذا كما يظهر إخراج له بكفره عن الاهل المؤمنين الموعود بنجاتهم ، لان العاصي لايخرجه عصيانه عن عداد اهل نسبه ، كما لايخرجه عن عداد الامة المحمدية ، والثانية انه عَملَ غيرَ صالحٍ بصيغة الماضي وهذا اخراج له عن عداد المطيعين منهم اما بمخالفته الأمر اوبتركه سبب النجاة وهو ركوب السفينة اوبكليهما أوبذلك مع اعمال اخرى له ، فالله يعلم اي ذلك كان اما الروايات فستاتي ان شاالله تعالى ، والحاصل ان العقوبة الدنيوية قد تكون على الكفر وقد تكون على المعصية ، والآية انما تدل على اخراجه عن عداد الاهل الناجين لامطلقا وان لزوم النجاة لفضل النسب ولو للعاصي من اهله لم يقل به احد لامن اهل السنة والجماعة ولامن غيرهم ، فنفيها لايستلزم نفيه ، واما الاحكام اللازمة للنسب الفاضل فهي ثابتة لمن كان من اهله ولو عاصيا كتحريم

الزكاة وخمس الخمس والصلاة عليهم ونحو ذلك وحينئذ فالاستدلال بما ذكر على نفي اصل فضل النسب غير صحيح واستدلاله به على ذلك هو الذي يدل عليه آخر كلامه وأوله ، ولو اورد ذلك مورد التحذير من الاغترار بمجرد النسب الصالح لكان صوابا

(الخطأ الثاني والثلاثون)

قال «وقال تعالى (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنابهم ذريتهم) فقيد الله الالحاق في الدرجة بالايمان والاتباع لست اعني الالحاق اللحمي الموضوع لاجل التمييز والتشعيب اي ان يقال فلان ابن فلان ولكن اعنى الالحاق (١) في الفضيلة» اه ونقول انه اراد بالاتباع الاتباع فى الاعمال كما صرح به فيما يأتي والذي فى الآية ان الذرية اتبعت آباءها بايمان وليس فيها انها اتبعتهم بايمان واتباع فى الاعمال مع ان من السلف من حمل الذرية فيها على الصغار وانما يحكم باسلامهم تبعا لآبائهم فلم يبلغوا اوان الايمان الاستقلالي فضلا عن الاتباع في الاعمال ، ومن حمل منهم الذرية على الكبار لم يشترط مساواة أعمال الابناء لاعمال الاباء . وكلا القولين دال على فضل النسب الصالح فالاستدلال بها على نفيه من القول في كتاب الله بغير علم وقد عقدنا للكلام على الآية فصلا حافلا فارجع اليه

---

(١) في الاصل الاحقاق

(**الخطأ** الثالث والرابع والخامس والسادس والسابع والثامن والتاسع والثلاثون)

قال «فاذا فهمت ذلك فاعلم ان شرط الايمان بالله ورسوله ان يكون هوى المؤمن تابعا لاحكام الله ورسوله بدون ترددولا اختيار ولانظر الى ما يحبه ويتخيله مصلحة له اوتكليفا عليه لقوله تعالى (فلاوربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ولقوله تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان تكون لهم الخيرة من امرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلا لامبينا) وعليه فلا يظهر ايمان المرء وقوته الا عند مايأتي حكم الله مخالفا لما يهواه اولما يتخيله مصلحة له فان رايته خاضعا لحكم الله مسلما له بالقلب والقالب فذلك برهان ايمانه وان رأيته حرج الصدر متعا ظما عليه يتطلب التخلص منه بالاحتيال اوبالتأويل الى ماينا سب هواه اوبتغطيته على الناس فهو عبد هواه ولم يبرهن ايمانه بالله ورسوله ولا ينفعه حينئذ مايعمله من الاعمال الدينية الموافقة لهواه لأن دينه حينئذ يكون تابعا لشهواته لامتبوعا لها فيكون داخلا في مضمون قوله تعالى (ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خيرا اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين » اه ونقول انه اخطأ هنا في مواضع

(الاول) في قوله «فاعلم ان شرط الايمان بالله ورسوله ان يكون هوى المؤمن تابعا» الخ فانه جعل كون هوى المؤمن تابعا لاحكام الله ورسوله شرطا للايمان وانما هو لازم من لوازم اصله اوكماله

(الثاني) فى قوله «بدون تردد ولا اختيار ولا نظر الى مايحبه» الخ فان هذا من التكليف بما لايطاق كمحبة الاعداء والذى دلت عليه النصوص انه يلزم لكمال الايمان الكمال الواجب اوالمستحب لوازم منها ماورد في الحديث ثلاث من كن فيه وجد حلاوة

الايمان من كان الله ورسوله احب اليه مما سواهما الحديث فوجود حلاوة الايمان عبارة عن حصول كامله لا أصله ، وقول الله تعالى قل ان كان ابآؤكم وابنآؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لايهدى القوم الفاسقين ، فيه وعيد على احبية غير الله ورسوله من ابآئهم وابنائهم الخ لا على اصل محبتهم فضلا عن النظر الى مايحبونه ، فكل ذلك جائز لايخل بأصل الايمان ولا بكماله فقد اشترط السوداني ماليس بشرط واوجب ماليس بواجب (الثالث) في قوله «وعليه فلا يظهر إيمان المرء وقوته الاعند مايأتي حكم الله مخالفا لما يهواه اولما يتخيله مصلحة له» فانه اول كلامه جعل كون هوى المؤمن تابعا لاحكام الله ورسوله شرطا للايمان ومن لازم التابعية انتفاء المخالفة ، وهنا منع ظهور الايمان او قوته الاعند مايأتي حكم الله مخالفا لهواه . فتلخص من كلامه ان من لم يأت حكم الله مخالفا لهواه لم يظهر ايمانه اولم تظهر قوة ايمانه ، والذي قرره اولا انه يمتنع وجود الايمان فضلا عن ظهوره اذا لم يكن هواه تابعا لامخالفا لحكم الله لانه جعل ذلك شرطا للايمان ولايوجد الشيء بدون شرطه فاستحال في

كلامه الشرط مانعا والمانع شرطا ، وبالجملة فمن كان هواه تابعا لاحكام الله ورسوله ، لاتأتي احكامها مخالفة له ، فكلامه ينقض بعضه بعضا (الرابع) في قوله «فان رايته خاضعا لحكم الله مسلما له بالقلب فذلك برهان ايمانه» اه فانه تفريع على تفصيله السابق وقد بينا تناقضه ، وقوله فذلك برهان ايمانه مؤيد لما بيناه من تناقض كلامه ، فانه جعل الخضوع والتسليم مع مخالفته لهواه برهانا للايمان وهناك جعل التابعية المستلزمة لعدم المخالفة شرطا له (الخامس) في قوله «وان رايته حرج الصدر الى قوله – ولم يبرهن ايمانه بالله ورسوله» اه فانه يدل على انه مع ذلك مؤمن وأن الايمان موجود وذلك يناقض مااشترطه اولايوضحه انه قال ولم يبرهن ايمانه ، فنفى عن الايمان فعل البرهان ، فدل على انه موجود الا انه لم يبرهن (السادس) في قوله «ولاينفعه حينئذ مايعمله من الاعمال الدينية الموافقة لهواه» اه وبيانه انه لم يقل احد من علماء الامة بعدم نفع الأعمال الدينية الموافقة لهوى العبد ، وان قالوا بعدم نفعها اذا فعلها لموافقتها هواه لاتعبدا ، فان بين الامرين فرقا ظاهرا ، وقد تكون الاعمال الدينية موافقة لهوى العبد تارة ومخالفة له اخرى وقد جاء فى الحديث اعبد الله بالرضا واليقين فان لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير اوكما قال وقال عمر بن عبد العزيز إذا وافق الحق

الهوى كان كالزبد بالنرسيان وان قيل لعل مراده بكلامه هذا ان من استسلم لأمر الله تعالى إذا وافق هواه وتبرم منه إذا خالفه كان متبعا للهوى لا للامر ودل فعله على أن اعماله مدخولة معلولة يعمل للهوى لا للامتثال لأنه انما ياتى بما وافق هواه لا ما خالفه والا لاستوت حالاه في المنشط والمكره * قلنا لوان كلامه دل على ما ذكر او نحوه لما وجد من يناقشه ولكنه متنافر متناقض كما ترى والله المستعان (السابع) فى قوله «لأن دينه حينئذ يكون تابعا لشهواته لامتبوعا لها» الخ لانه تعليل لما قبله وقد علمت انه خطأ وانما يصلح ان يعلل به عدم نفع اعمال العامل لموافقة الهوى لا لما ذكره والله اعلم

(الخطأ الاربعون)

في قوله «فاذا تأملت فيما ذكر يظهر لك ان الالحاق في الفضيلة مشروط بالايمان والاتباع في الاعمال الصالحة» اه قد بينا ان الذي في الآية هو الاتباع بايمان قال الله واتبعتهم ذريتهم بايمان وليس فيها ذكر الاتباع بالاعمال الصالحة وان كانت الاعمال الصالحة من الايمان ولكن ينبغي ان يؤتى الامر من وجهه وسواء صح ان إلحاق الذرية بآبائهم مشروط بالايمان المقترن بالعمل الصالح ام لم يصح فليس فى ذلك ما ينفي فضل النسب الصالح بل فيه

ما يثبته لوكان يدري ما يقول وذلك انه لابد ان يكون لتخصيص الحاق الذرية المؤمنة بابائهم مزية ليست لغيرهم هي فائدة التخصيص والعناية ، فتلك المزية من اسباب فضل النسب فالآية إذاً من الادلة التي تثبته لا التي تنفيه ، وحاصله ان تقييد الالحاق بالايمان والعمل الصالح لا ينفي فضل النسب فالاستدلال به عليه خطأ مبين

(الخطأ الحادي والثاني والاربعون)

في قوله «وان الايمان شرطه التفويض لاحكام الله ورسوله وان الفضل بالاعمال والآثار لا بالانساب والاحساب» اه فهنا جعل التفويض شرطا للايمان يقال فوض امره الى الله اي رده اليه والتفويض لاحكامه الرجوع اليها وضده العناد وهو غير ما تقدم وفى اطالته فى شرح هذا الشرط وذاك اللازم في سياق الكلام على تينك المسئلتين تعريض بالمخالفين له فى مسئلة التفضيل وهم اهل السنة والجماعة وفى مسئلة الكفاءة وهم الجمهور بانهم ليسوا مفوضين لاحكام الله ورسوله وان اتباعهم الذين انكروا عليه كذلك كانوا ، وفى **قوله** «وان الفضل بالاعمال» الخ ما قد بيناه من الحصر الباطل ، والحق ان الفضل كما يكون بالاعمال والآثار يكون بالانساب الصالحة والمعادن الكريمة ، وبذلك جاءت النصوص الصحيحة الصريحة واتفق على القول به اهل السنة والجماعة ولم يخالف فى

ذلك الا مبتدعة الشعوبية ومن سلك سبيل البدعة كما سلكوا

(الخطأ الثالث والاربعون)

في قوله " ولوكان الفضل بالتوارث والانتساب لما رأيت في بني آدم ساقطا ولاجاهلا ولاشريرا لان انتساب جميع الناس الى آدم والى نوح عليهما الصلاة والسلام وهما ابوا الرسل والاصفياء والحكماء والملوك والامراء وهما ايضا ابوا الفاسقين والملعونين والجهال والحمقاء والساقطين وانظر الى آل ابراهيم وآل عمران الذين اصطفى الله منهم الرسل والمقربين كموسى وعيسى ويحيى واسماعيل ومحمد عليهم الصلاة والسلام فانظر كيف لعن الله المعتدين منهم والعاصين الذين لايتناهون عن المنكر بقوله تعالى لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون

ونقول ان هذ الشبهة هي اوثق دليل عند مبتدعة الشعوبية واعظمها فى انفسهم وقعا ، وقد دندن حولها التلميذ في (فصله) وحاصلها محاولتهم نقض القول بفضل النسب الصالح والمعدن الكريم ، بما يرى من تخلف الصلاح في بعض ابناء الصالحين او الزكاء في بعض المنتسبين الى معدن زكي ، وشبهتهم هذه باطلة من وجوه (الوجه الاول) ان كلامهم هذا خارج عن موضوع النزاع لأن اهل السنة والجماعة قالوا بفضل بني هاشم وقريش والعرب من حيث المجموع فاثبتوا ما اثبتته النصوص الصريحة من ان الله خير الفرق اي فضلها بعضها على بعض فاختار منها العرب ثم خير القبائل اي فضلها بعضها على بعض

فاختار منها قريشا ، ثم خير البيوت اي بيوت قريش اي فضلها بعضها على بعض فاختار منها بني هاشم ، فبيتهم خير البيوت من خير القبائل من خير الفرق ، ففي الأمر تخيير ثم اختيار اي تفضيل ثم اصطفاء للافضل ،. واجتباء له ويقولون ان الاختيار من العليم الحكيم قد صادف موضعه ومحله وأهله والله اعلم حيث يجعل رسالته ، وقد ظهرت آثار الخيرة الالهية فيهم بالفعل بعد أن كانت بالقوة فظهر في بني هاشم من الخير والهدى والبركة مالم يظهر مثله ولامايقاربه فى سائر قريش وظهر فى قريش من ذالك مالم يظهر مثله ولا ما يقاربه فى سائر العرب ، وظهر من ذلك فى العرب مالم يظهر مثله ولا ما يقاربه فى سائر الشعوب المسلمة المشار اليها بقوله تعالى وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ، وحينئذ فايراد مبتدعة الشعوبية عليهم هذه الجموع الكثيفة من بني آدم ونوح وابراهيم واسرائيل وآل عمران عليهم الصلاة والسلام خارج عن موضوع الدعوى فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا (الوجه الثاني) من البديهي أن لتخلف آثار الوراثة في مسئلتنا اسبابا كثيرة كتغلب عرق اجنبي في بعض الافراد وتأثير البيئة (١) او التربية او التعليم او استيلاء الجهل ومعاشرة الاضداد

---

(١) كان شيخنا الحبيب العارف بالله احمد بن حسن العطاس يعبرعنها بالموطن وهو تعبير حسن قريباه مؤلف

وحينئذ فيكون التخلف دليلا على وجود المانع او تعدد العلة لا على مازعموه يوضحه (الوجه الثالث) وهو ان العلة المؤثرة انما يتم تأثيرها بتوفر المواد، وعدم المضاد، فاذا لم تتوفر عليها مواد التأثير كان عدم تأثيرها في بعض المواضع دليلا على ضعفها لعدم المساعد لا على عدمها، ولا على بطلانها، ومثل ذلك ما لو توفرت عليها مواد التأثير ولكن عارضها من الموانع ماهو اقوى منها فصدها عنه. اوعارضتها علل أخرى وتغلبت عليها ومثال ذلك ما نراه في حبة البر اوالذرة ونحو ذلك فانها مشتملة على قوى كثيرة قائمة بها باذن الله تعالى، كقوة الانبات والقوة الحافظة لمقومات نوعها وخواص صنفها حتى لا تستحيل الى غير اصلها وخلاف نوعها، ولكن ظهور هذه القوى منها وبروزها من عالم الكمون الى عالم الظهور متوقف على مواد خارجية لابد من وجودها، ولها موانع تمنعها ومؤثرات تفسدها لابد من عدمها اوضعفها، فصار بروزقواها، وماخفى من جوهرها وهيولاها، متوقفاً على وجود وعدم، وجود المواد، وعدم المضاد، فمن موادها التربة الطيبة والماء العذب ثم حسن الحرث، فاذا لم يكن لها تربة طيبة ولاماء ولاحرث واستنبات لم تنبت اولم يحسن نباتها، ويكون ذلك دليلا على ان تخلف القوى عن البروز انما كان لعدم المواد الخارجية لا لعدم القوى نفسها، ومثل ذلك مالو وجدت

مواد التأثير ولكن وجدت موانع اقوى منها منعت تاثيرها او افسدت ماظهر منها كالعوارض التى تعرض للاستنبات والنبات وهي كثيرة معروفة ، والمراد هنا تقريب المعاني الغامضة الى الافهام بضرب الامثال ، وهكذا القول فيما تناسل عن معدن زكي او نسب فاضل فسنة الوارثة انما تتخلف في بعض افراده لشيء مما اشرنا اليه ، فسقط استدلال الشعوبية وبان بطلان شبهتهم واما مخالطة العرق الخبيث الاجنبي للعرق الطيب الزكي فانما يأتي من جهة الخال قال الشاعر: والخال عرق لاينام ولايكدي * ومثاله ما يسمى في علم الفلاحة بالتطعيم وهو ان يركب غصن من بعض اشجار الفواكه في شجرة أخرى فيأتي ثمره مزيجا من أصله والشجرة التى ركب فيها فهكذا يأتي النسل الذي مازجته الاعراق الخبيثه وفي ذلك يقول بعض العرب يخاطب ابناءه

واول احساني اليكم تخيري * لما جدة الاعراق باد عفافها

وقد قال الباحثون من علماء هذا الشأن ان الشعب الدنيء لايزكو بمصاهرة الشعب الشريف ولكن الشعب الشريف يدنؤ بمصاهرة الشعب الدنيء وبالجملة فلهم تجارب كثيرة نتجت عنها نتائج غريبة ، وبها وبامثالها تنكشف كثير من الامور التى يصعب

فهمها (الوجه الرابع) ان فساد فرد او أفراد انما يدل على فساد الفرد نفسه فقط لا على خبث صنفه ولا فساد أصله كفساد حبة او حبات من ثمر الشجرة الزكية لا يدل على فساد الشجرة نفسها وهذا واضح (الوجه الخامس) انه اذا قيل بخيرية جماعة من الناس او قبيلة او أمة او قرن فانما يراد بذلك خيرية المجموع لا خيرية الجميع كما في قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس المراد بذلك مجموعها لا جميعها فلا ينافي ان يكون في سائر الامم افراد يفضلون على كثير منها من بعض الجهات ومثل ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم خير القرون قرني ثم الذين يلونهم الحديث فانه كان في اهل قرنه السابقون من المهاجرون والانصار والذين اتبعوهم باحسان . وقد كان فيه ايضا المنافقون والمرتدون والمقارفون للفواحش . ووقع فيما يلي ذلك من القرون فتن ووقائع عظيمة . وظهر فيها جبابرة فعلوا في الامة الافاعيل . ولهم على ذلك من اعوانهم جموع كثيرة . فلو كان المراد بخيرية هذه القرون سائر افرادها لم يكن مدلوله صحيحا ولكن المراد من ذلك المجموع كما ذكرنا يوضحه (الوجه السادس) وهو ان القاعدة فى المفاضلة بين الشعوب والقبائل والبيوت ان ينظر الى فضائلها فى مجموعها فكل شعب او قبيلة او بيت كانت

فضائله فى مجموعه اكثر مماسواه فهو افضل وبمقتضى هذا جاء الحديث الصحيح اخرج الترمذي وأحمد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ان الله خلق الخلق فجعلني من خير فرقهم وخير الفريقين ، ثم خير القبائل فجعلني من خير القبائل ، ثم خير البيوت فجعلني من خير بيوتهم . فانا خيرهم نفسا . وخيرهم بيتا ، وفي رواية احمد فانا خيرهم بيتا وخيرهم نفسا ، فدل الحديث على ان فضائل قبيلته صلى الله عليه وآله وسلم فى مجموعها اكثر من سائر القبائل فكانت خيرها وافضلها كما ان بيته والمراد بيت نسبه وهم بنو هاشم كانت فضائله فى مجموعه اكثر فكان خيرها وأفضلها يوضحه (الوجه السابع) وهو انا اذا فاضلنا بين قبيلتين اوبيتين مثلا فلابد ان نلاحظ مع ما تقدم كثرة عدد القبيلة وقلته ، فالقبيلة التي عددها مائة وقد انجبت بعشرة من النجباء تعتبر ازكى معدنا من القبيلة التي عددها مائتان وانجبت بعشرة لتفاوتهما بالنسبة الى المجموع لأن الاولى أنجبت عشرة من المائة والثانية إنما انجبت خمسة من المائة وعلى هذا القياس ، وبالجملة فانما يحتاج الى مثل هذه الموازنة والمعادلة فى غير المنصوص عليه اما ماورد النص بفضله فلا نقبل فيه بحثا ولا مقايسة ولا موازنة وانما اوردنا هذا لبيان كيفية تفضيل المجموع على المجموع وتقريبه من الفهم

(الوجه الخامس) ان اهل السنة والجماعة لم يقولوا بانه يلزم للنسب الكريم الفاضل ، والمعدن الزكي الكامل ، ان لايكون من أهله ظالم اوفاسق أواحمق ، وان أثبتوا له تمام الاستعداد والنجابة فى مجموعه فلايرد عليهم ماذكره مبتدعة الشعوبية (الوجه السادس) ان للاعمال والاكساب اسبابا كثيرة منها مايرجع الى المعدن وماترثه السلالات بعضها من بعض ، ومنها مايرجع الى الجهل اوسوء التربية اوالى اعراق خبيثة دمرت على الاعراق الطيبة فافسدت بسوء اثرها ماسواها ، وحاصله ان سوء الاعمال لايدل على خبث المعدن ولا عدم التوارث لخفاء العلة الموجبة لها وتعدد العلل وامكان استقلال كل واحدة منها بالتأثير (الوجه السابع) أن يقال لهم ان الله تعالى قال فى كتابه العزيز ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ، فهذه الآية نص على التكريم والتفضيل لجنس بني آدم على كثير ممن خلق تفضيلا موكدا بالمصدر وقد كان فيهم ومنهم من ذكره صاحب الصورة من الانبياء والمرسلين والصديقين والشهداء والصالحين ، ومن الجبابرة والظالمين ، والحمقاء والسفهاء والضالين ، وكلهم من بنى آدم الذين تشملهم الآية فما وجه التكريم والتفضيل اذاً ؟ فاي جواب اجابنابه المنازع عن هذا السوال اجبناه بمثله

(الخطأ الرابع والاربعون)

فى قوله «فالمدح والذم والفضل والنقص تابعة للاعمال لالدم مخصوص ولا النسب مخصوص فقد افلح من زكى نفسه بصالح الاعمال وقد خاب من دساها» اه فقد اطلق ان المدح والذم والفضل والنقص كل ذلك تابع للاعمال وهذا الاطلاق غير صحيح وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم فانا خيركم بيتا وخيركم نفسا، ولامدح اعلا من هذا المدح، وناهيك بالخيرية التى تجمع كل مادونها من الخير وقال صلى الله عليه وآله وسلم تجدون الناس معادن في الخير والشر في رواية رواها ابو داود الطيالسي والخير يتبعه المدح كما ان الذم يتبع الشر وكما يمدح معدن الخير لصدور الخير عنه، كذلك يذم معدن الشر لصدور الشر عنه، وقد بينا اتفاق اهل السنة والجماعة على فضل بني هاشم وقريش والعرب على غيرهم، ومعلوم ان الفضل والنقص من مقولة الاضافة وفضلهم على غيرهم مستلزم لمنافيه بحكم الاضافة، لأن المتضائفين يتوقف تعقل احدهما على تعقل الآخر، ومازال الناس يقولون معدن كريم واعراق طيبة ومعدن خبيث واعراق خبيثة وعرق لئيم وعرق سوء وقال الشاعر

ولو قيل للكلب يابا هلي عوى الكلب من لؤم ذاك النسب

فيما ذكرناه وماشبهه وهو كثير لاحاجة لنقله يظهر ان المدح والذم والفضل والنقص قد يتعلق بدم مخصوص ونسب مخصوص وقوله فقد افلح من زكى نفسه الخ صحيح لاغبار عليه ولعله اراد ان يقول ان

الاسماء الشرعية كالصالح والفاسق والمتقي والمفلح والفائز وماشا كل ذلك انما تطلق على اصحابها تبعالاعمالهم ، فاغرق في العبارة حتى اتى بهذا الاطلاق المخل

(الخطأ الخامس والاربعون)

فى قوله «واما دين الاسلام فكما علمه كل من اطلع على قواعده الشريفة العالية واصوله الشريفة هو دين العدل والمساواة هو الدين الذي يمكن للعقل ان يرضى لاحكامه بدون ضغط ولا اجبار ولا تخويف» اه ونقول ان دين الاسلام كما وصف وخير مما وصف، ولكن في جمعه بين العدل والمساواة ذلك الايهام الذى اشرنا اليه فيما سبق وهو اعتقاد ان العدل منحصر في المساواة وقد بينا بطلان هذا الوهم وانه من جملة شبه الخوارج التى افتتنوا بها فردوا السنة ، ومرقوا عن الملة

(الخطأ السادس والسابع والاربعون)

في قوله «وهو الذي جعل الحكم والتمييز في الامور للعقل والعلم خاصة» اه فهنا خطآن كبيران عظيمان (اولهما) انه زعم ان دين الاسلام جعل الحكم للعقل مع ان الحكم هو خطاب الشارع المتعلق بافعال المكلفين بالاقتضاء اوالتخيير او الوضع ، فالحلال ما احل الله والحرام ما حرمه ، وليس للعقل ان يتحكم فى الدين ولم يكل الله احكام دينه اليه ولم يقل بذلك احد من المسلمين ولو صح قوله لاستغنى الناس عن بعثة الرسل وانزال

الكتب والشرائع جملة ، لانه قد جعل الحكم لعقولهم فيحكمون بما شآؤا ، فان قيل لعله اراد بالحكم الاسناد وهو الرابطة بين المسند والمسند اليه قلنا وهذا ايضا ليس من الجعل الشرعي فكما لايقال ان دين الاسلام جعل الابصار للعين خاصة والسمع للأذن خاصة والبطش لليدين خاصة والمشي للرجل خاصة ، كذلك لايقال ان الدين الاسلامي جعل الفهم للعقل خاصة اوالحكم اي تعقل الاسناد اوالحكم به للعقل خاصة ، لان هذا من الجعل الكوني لانه فصل للعقل وجد معه حينما وجد لم يتوقف على بعثة رسول ولا انزال كتاب ولا تشريع شريعة ، وانما هذه العبارة التي اوردها من العبارات التي ينشرها دعاة التجدد ليصرفوا الامة عن دينها ويستمسكوا بالقوانين المستحدثة المخالفة لما جاء به صلى الله عليه وآله وسلم (ثانيهما) زعمه ان الدين الاسلامي جعل التمييز للعقل خاصة وهذه مثل سابقتها فان عنى بالتمييز ان له صفة يميز بها بين الحسن والقبيح ، كما تميز العين بين الصور الحسنة والقبيحة فهو كسابقه وليس هذا من الجعل الشرعي ، وان عنى ان للعقل ان يستقل بالتحسين والتقبيح فهذه المسئلة من اعظم المسائل التي اختلفت فيها الطوائف ومذهب الاشعرية فيها معروف وخلاصته ان العقل لايحسن ولا يقبح والحسن ما امر الشارع بالثناء على فاعله والقبيح ما امر الشارع بذم فاعله وقالت المعتزلة ان العقل قد يدرك صفة الحسن

والقبح ولكن لم يقولوا ان له الاستقلال دون الشرع فى تشريع ما توجبه الصفة من ايجاب اومنع او تخيير. فكلامه باطل من كل وجه وفى جمعه بين الحكم والتمييز في سياق واحد ما يشعر بانه يرى ان للعقل إذا ميزان يحكم وهذا لم يقل به مسلم والله المستعان فان قيل اليس قد قال جعل الحكم والتمييز للعقل والعلم خاصة فذكر العلم مع العقل، فجوابه انه ان اراد بالعلم علم الدين نفسه فهو بعينه الحكم الذي هو الخطاب الشرعي فكيف يجعل الشيء لنفسه وايضا فهو المميز بين الحلال والحرام والحسن والقبيح وثبوت هاتين الصفتين له يمتنع معه اثباتها للعقل، وانما العقل هو المتلقي والمستعد لفهم ما جاء به الشرع وقبوله لا ان الدين الاسلامي وكل اليه الحكم والتمييز حتى يشرع ويحكم، فان قيل انما عنى بكلامه هذا تلك القاعدة التي اسسها المتكلمون لعقولهم وهي انه اذا تعارض العقل والنقل قدم العقل، قلنا ومن الذي قال منهم او من غيرهم ان الدين الاسلامى اسس هذه القاعدة وفي اي اية أو حديث وردت، وكيف يوردها السوداني وهو يهول ويطول آنفا فى التفويض لاحكام الله ورسوله فما باله يقدم عليها عقول الناس، والصحيح ان كلامه لايدل على هذه القاعدة ولا يفيدها لأن هذه القاعدة مخصوصة بما اذا تعارض العقل والنقل، وكلامه مطلق في ذلك على ان هذه القاعدة نفسها باطلة، وفرض تعارض العقل والنقل فرض غيرواقع، ولا تأتي الرسل بمحالات العقول ولكنها قد تأتي بما يعجز العقل عن

فهمه فاذا هدى الى وجهه اهتدى وان هذا العقل الذى قدموه على النقل لاضابط له ، وان اهله الذين ينتحلون علمه قد اختلفوا فيه اختلافا شديدا ، فظهر انه منبع اختلاف لاائتلاف ومع الاختلاف الضلال والباطل ، بل وقد ظهر بالفلسفة الجديدة بطلان كثير من الاصول التى بنوا عليها آرأهم ومن اطلع على اقوالهم علم حق العلم ان السلامة كل السلامة في الاستمساك بما جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم والتصديق به فما فهمه العبد فذاك وما لم يفهمه وكله الى عالمه مع غاية التصديق والتسليم به ، والحاصل ان كلام صاحب الصورة من أبطل الباطل فاحذره والله ولي هدانا وهداك

(الخطأ الثامن والتاسع والاربعون)

في قوله « وجعل التفاضل بين الناس بالعلوم والاعمال فقط هو الدين الذي لا يؤاخذ فيه الوالد بذنب الولد ولا الولد بذنب الوالد » اه وذلك انه زعم انه جعل التفاضل بين الناس بالعلوم والاعمال فقط والحصر باطل ، وقد علمت مذهب اهل السنة والجماعة فى ذلك والتفاضل فيما سوى ذلك واقع ثابت عقلا ونقلا ولا عبرة باساطير مبتدعة الشعوبية ولا حجة بها ، وايضا فانه قال هو الدين الذي لايواخذ الخ وهذا المعنى قد حكاه الله تعالى عن الاديان السابقة ايضا في قوله عزوجل أم لم ينبأ بما فى صحف موسى وابراهيم الذي وفى ان لا تزر وازرة وزر اخرى فما تفيده عبارته وسياقه من الخصوصية باطل

(الخطأ الخمسون)

فى قوله « هو الدين الذي يقول شارعه على رؤس الاشهاد لا فضل لعربي على اعجمي ولا لأعجمي على عربي الا بالتقوى ولا لأسود على احمر ولا لأحمر على اسود الا بالتقوى » اه ونقول وهو الذى ينادي شارعه على رؤس الاشهاد بأنا محمد بن عبد الله بن عبد المطاب ان الله خلق الخلق فجعلنى فى خيرهم، ثم جعلهم فرقتين فجعلني في خيرهم فرقة، ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة، ثم جعلهم بيوتا فجعلنى من خيرهم بيتا وخيرهم نفسا، قال هذا صلى الله عليه وآله وسلم على المنبر على رؤس الاشهاد، فان ضاقت حوصلة صاحب الصورة عن الجمع بينه وبين الحديث الذى ذكره فسيجد في ما قاله اهل السنة والجماعة مخرجا من الحيرة ولا يجمل به ان يطعن في الاحاديث الصحاح بمجرد الهوى كما فعل تلميذه فى (فصله) وهذه الرواية التي اوردها فيها ابدال لفظة أعجمي بعجمي وهي رواية باطلة غير موجودة في شئي من كتب الحديث. والأعجمي يطلق على غير الفصيح سوآء كان عجميا ام عربيا وقد رواه الترمذي بلفظ لافضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي الا بالتقوى الحديث، وقال الترمذي « حديث غريب لا نعرفه من حديث عبد الله بن دينار عن ابن عمر الا من هذا الوجه وعبد الله بن جعفر يضعف ضعفه يحيى بن معين وغيره وهو والد علي بن المديني وفي الباب عن ابي هريرة وابن عباس » اه أقول اما عبد الله بن جعفر المديني فقد ضعفه

ايضا عمر بن علي وقال ابو حاتم منكر الحديث جدا يحدث عن الثقات بالمناكير يكتب حديثه ولايحتج به وقال النسائي متروك الحديث وقال العقيلي ضعيف وتكلم فيه ابو أحمد الحاكم وابن ابي حاتم فلايحتج بروايته ولا تصح ان تكون معارضة للاحاديث المثبتة لفضل الانساب الصالحة لامن جهة سندها ولا من جهة مدلولها. واما حديث ابي هريرة الذي اشار اليه الترمذي فقد اخرجه الطبراني في الاوسط والصغير والبيهقي قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا كان يوم القيامة امر الله مناديا ينادي الا اني جعلت نسبا وجعلتم نسبا الحديث رواه البيهقي مرفوعا وموقوفا وقال المحفوظ الموقوف فقط فقد علمت الاختلاف في رفعه ووقفه وان المحفوظ وقفه فحسب، وقال الطبراني بعد ايراده له «لا يروى عن ابي هريرة الا بهذا الاسناد تفرد به صالح» اه وفي سنده طلحة بن عمر ضعفه ابن معين واحمد والنسائي بل قالا متروك الحديث وضعفه البخاري وابن المديني وابو زرعه واما حديث ابن عباس فقد رواه البخاري في الادب المفرد عنه من قوله موقوفا عليه. وفي الباب ايضا حديث ابي ذر بلفظ انظر فانك لست بخير من اسود ولا احمر الحديث فقد رواه احمد عن بكر بن عبد الله المزني عن ابي ذر ولكنه منقطع لان بكر بن عبد الله لم يسمع من ابي ذر وبالجملة فلم نقف على رواية صحيحة لهذا الحديث لامطعن فيها

الا ان ابن تيمية زعم في الاقتضاء صحة رواية رويت عن سعيد الجريري عن ابي نضرة عمن شهد خطبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم نقف على سندها حتى نقر ماقاله اوندفعه ، وعلى تقدير صحة هذه الاحاديث وما في معناها فلابد من الجمع بينها وبين غيرها من الاحاديث التى هي اصح منها متنا واقوى سندا واكثر طرقا فاستدلال السوداني بهذا الحديث على نفي فضل النسب الصالح والمعادن الكريمة باطل من وجوه قد سبق شرحها، وخلاصتها انه لابد من تحرير القول في المراد بقوله صلى الله عليه وآله وسلم (لافضل) وعلى ماذا يحمل وهل للشارع عرف شرعي في هذه اللفظة ام لا ؟ وعلى القول بان له عرفا شرعيا فى ذلك لابد من اثباته واذا لم يثبت العرف الشرعي وحمل على الوضع اللغوي فما هو وضع اللغة فى ذلك ؟ وعند تعذر ثبوتهما اوالحمل عليهما فهل يحمل على الصحة او الكمال وهل هناك ادلة تدل على تعين حمله على الكمال دون الصحة وما هي تلك الادلة . وبالجملة فلابد من ايضاح وجه الدلالة تمام الايضاح وبدون هذا لايتم له الاستدلال وايضا فانه لابد من تحقيق مناط التفضيل فى احاديث الاصطفاء والاختيار حتى تتبين العلة المقتضية للتفضيل الذي صرحت به تلك الاحاديث وبذلك يعرف التعارض بينها وبين حديث الباب او عدمه فان تعارضا قدمت احاديث الاصطفاء والاختيار لصحتها وقوة اسانيدها وكثرة

طرقها وان لم يتعارضا فقد ظهر وجه الجمع وسقط الاستدلال به على نفي فضل النسب وقد حررنا هذا المطالب أتم تحرير كما سيأتي ان شاء الله تعالى

(الخطأ الحادي والثاني والخمسون)

في قوله «ولوكان الاسلام دين سياسة اوتفضيل اشخاص وانساب بغير عمل اوكان يميز قريبا عن بعيد فى حكمه لما انتشر هذا الانتشار الذي لم يعهدله مثال في الاديان بغير دعاة ولاسعاة مع فقر اهله وسقوطهم وفشلهم في هذا الزمان ليس الا لترامي العقول والقلوب عليه لسهولة مباديه وعدله وانصافه وسماحة قواعده» اهـ ونقول ان عادة ذوي الاهواء والبدع ان يطلقوا على مالا تهوى انفسهم من عقائد الاسلام واحكامه ألفاظا شنيعة واطلاقات منكرة ، يشنعون بها على احكام الله ورسوله ويتوصلون بذلك الى التنفير عنها والذم للمستمسكين بها وامثلة ما ذكرنا كثيرة شهيرة فى كتب المقالات ، ولك فيما تراه هنا اصدق شاهد على ذلك فان صاحب الصورة نفى ان يكون الاسلام دين سياسة ومحاباة وتفضيل اشخاص وانساب ، ومراده بذلك التوصل الى تكذيب ماصح عنه صلى الله عليه وآله وسلم من تفضيل الله لمن تقدم ذكرهم واختياره لهم وقد حكينا عن بعض حزبه انه رمى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالتعصب لقومه وهذا كفر صريح وانخلاع عن الايمان وقريب من من هذا صنيعه فى الكلام على علة تحريم الزكاة فانه زعم ان القول بان العلة فيه التطهير ونحوه يفضي الى القول بانه صلى الله عليه وآله

وسلم كان ساعيا فى توسيخ المسلمين واذلالهم (حاشاه ثم حاشاه) كما سيأتي ذكر ذلك وله ولامثاله فى هذه الاطلاقات المنكرة غرضان (الاول) تقبيح هذه الاحكام الاسلاميه وتكذيبها والطعن فيها وفي نقلتها والقائلين بها من علماء الامة وحماة الملة واساطين السنة وحملة الاثار وحفاظ الحديث (الثاني) ترويع الناظرين في كلامه والمخالفين له بتلك الالفاظ الهائلة وادخال الوهم عليهم ليتوهموا ان اثبات هذه الاحكام والقول بها يلزم منه الطعن في الاسلام وأهله فينخذلوا والعامي ومن هو قريب من العامي من طلبة العلم يرتاع عند سماع ذلك وينزعج ويهوله الموقف لظنه صحة كلامه ، وهو في الحقيقة من جنس الترويع بالخرافات والخيالات والاوهام ، وانما ينخدع بذلك النساء واشباه النساء من الاجلاف والاغبياء والذين تستولي عليهم القضايا الوهمية وتقصر افهامهم عن الفرق بين البرهان الصحيح والمغالطة ، والاحكام الاسلامية اجل واعلا واطهر واقوم من ان يلصق به تشنيع ذي شناعة وقد اخطأ هنا في موضعين فى جملة الشرط وجملة الجواب (فالاول) قوله «ولوكان الاسلام دين سياسة الى قوله في حكمه» اه فان عنى بالسياسة القيام بما يصلح به شأن الملة وحال الأمة فما طرق العالم دين أطهر سياسة ولا الطف مدخلا اليها ولااجمع لدقائقها وما تفرق منها من دين الاسلام ، وهو دين سياسة بهذا المعنى بل لم يبلغ مبلغه في ذلك دين البتة ، وان عنى

بالسياسة المعنى المنتشر بين اهل العصر وهو التوصل الى ظلم الناس واكل اموالهم وافساد ذات بينهم وتفريق جماعتهم والقاء الشبه فى عقائدهم والطعن فى دينهم والاستيلاء على الامم واستعبادها بالمكر والخداع والغدر والغش والرياء والنفاق والتوصل الى الباطل بالباطل والى الفاسد بالفاسد ونحو ذلك فدين الاسلام ليس دين سياسة بهذا المعنى البتة ، فمن قال : ان في الاحكام الاسلامية شيء من هذا المعنى ، فهو اما منافق يحمل احكام الله ورسوله على ما وقر في قلبه من الشك وما خالطه من ظن الجاهلية ، وما عنده من خبث الدخلة وسوء النية ، او عدو مداج اومجاهر يجعل حسنات الاسلام ذنوبا ، ومحاسنه عيوبا . او جاهل مخدوع على جهله ، مصاب فى دينه وعقله ، وحينئذ فما اخبر به صلى الله عليه وآله وسلم من الخبر الصادق الذى لايتخلف من تخيير الله للعرب وقريش وبني هاشم واختيارهم هو محض الحق وعين الصدق الذى تطمئن اليه قلوب المؤمنين ، وتستبشر به افئدة المتقين ، وتقر به عيون المسلمين ، المسلمين لاحكام رب العالمين ، والمصدقين للصادق الامين ، ليس فيه سياسة مذمومة ولا محاباة ، ولا مخادعة للامة ولا مداجاه ، فليستمسك المؤمن بعروة الحق ولا يخدعه المتهوكون عن دينه فان الزمان مظلم ، والجهل غالب والفتن فاشية ، والباطل قوي ، والحق خفي ، وانصاره قليل ، والصابر على

دينه كالقابض على الجمر. وكل مؤمن يقطع ويجزم ان الله بعث نبيه صلى الله عليه وآله وسلم من خير اهل الارض نسبا واخلاقا، فاخبر صلى الله عليه وآله وسلم بنفس الواقع، ولو ان الله بعثه من غيرهم مثلا لم يمنعه عن الاخبار بذلك مانع، وانه كما اخبر عنه مولاه ماينطق عن الهوى ، ان هو الا وحي يوحى ، وقوله « وتفضيل اشخاص وانساب بلاعمل » اه جوابه انا قد بينا ان هذا تفضيل بالمعدن الذي هو جرموثة ماوراه وبالخير الذي قدر لهم ومنهم وكل فرد منهم يحتمل ان يكون شذرة ذهب برزت من ذلك المعدن اذا صلحت آثاره واعماله اوجرثومة اشتملت على شذرة اوشذرات كما تشتمل الصدفة على اللآلي، ولايخفى ايضا ماتناله الامة من الرفعة والمجد وعظم القدر والمحل (اومن المكانة الادبية كما يقوله كتاب العصر) بتاريخها وقديمها وقديم بني هاشم وقريش والعرب في مجموعهم لم تبلغه امة من الامم ولن تبلغه فقد وافق الخبر الخبر والحمد لله وقوله « اويميز قريبا اوبعيدا عن حكمه » اه من ابطل الباطل اذ ليس في دين الاسلام شيء من هذا التمييز الا ما كانت المصلحة فيه للملة والامة قبل من ميز به، ولاريب ان المحافظة على معادن بيوتات الأمة اعظم صلاح واصلاح لها لانها منها بمنزلة الاعضاء الرئيسة ، وماتأكد من المحبة لاقارب صلى الله عليه وآله وسلم حتى صار لازما من لوازم لايمان فذلك لعظم حقه صلى الله عليه وآله وسلم على الامة ووجوب

محبته الشاملة لمحبتهم فمحبتهم جزء من محبته ومحال ان يوجد الشيء بدون اجزائه وهكذا القول في محبة سائر من نصره ووازره واحسن صحبته وفي محبة قومه على اختلاف رتب القرب والقرابة والطلب الشرعي كما تنقسم انواع العبادات الى متعين فرضه معظم شأنه ومؤكد نفله عظيم ثوابه والى ماهو دون ذلك . وبالجملة فالاسلام دين سياسة بالمعنى الذي ذكرناه ومسئلتا التفاضل والكفاءة لم يكن عدمهما من اسباب انتشار الاسلام ولم يتوقف انتشاره على ذلك البتة لانهما معروفتان في القرون الاولى من تاريخه . وليس فيهما ما تكره العقول ولا القلوب . ولم ينقل لنا ان شعبا اوقبيلة او فردا توقف اسلامه على علمه بحكمهما وكل هذا من الكذب على التاريخ والمغالطة فيه وما سبب انتشار الاسلام الا وعد الله الصادق بالاظهار لدينه والنصر لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم قال الله تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون فهيأ لذلك اسباب الظهور والنصر واذا اراد الله شيئاً هيأ اسبابه

(الخطأ الثاني) في قوله « لما انتشر هذا الانتشار الى قوله وسماحة قواعده » اه والكلام فيه من وجوه (الاول) انه لايعني بهذا الانتشار انتشار الاسلام القديم في قرونه الاولى ايام دولته وصولته ودعاته وسعاته وظهور الملة وحياة الامة يدل على ذلك قوله « بغير دعاة ولاسعاة مع فقر

اهله وسقوطهم وفشلهم في هذا الزمان » اه فهذا يدل على انه يعني لامحالة انتشاره في هذا الزمان وسبب هذا الانتشار الأخير مازعمه من انه ليس دين سياسة ولا محاباة يعرض بهاتين المسألتين لانه يستدل على بطلانهما بما ذكره اما في قرونه الاولى فكانت علة انتشاره وعد الله لنبيه المصطفى بقوله هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون فهيأ لذلك اسبابه من الدعاة والسعاة والقوة والسطوة فكانت الامور تجري على وفق سنن الكون المعروفة (الثاني) اننا نعلم ان الداعي الاعظم والرسول الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم قد لقي في سبيل الدعوة الى دين الاسلام من العنا والتعب والاذى والقتال ماهو مشهور هذا والدين غض طري لم تشبه شائبة ولم تشنه فرقة واما اليوم فهو ينتشر بلادعاة ولاسعاة هكذا يزعم السودانى (الثالث) انه لايعقل انتشار دين بلادعاة ولا سعاة ولم تجر العادة بذلك ولوجرى الحال على هذا المنوال لما بعث الله الرسل مبشرين ومنذرين ولما اوجب التبليغ عليهم وعلى المؤمنين من بعدهم ولما قال صلى الله عليه وآله وسلم ليبلغ الشاهد منكم الغائب وبلغوا عني ولوآية ولما قال الله تعالى ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر لانه حينئذ يلج القلوب ويجادل الامم ويزيل الشبه وينبه الغافلين ويدعو المعرضين بنفسه بلا دعاة ولاسعاة فيكون

الدعاة والسعاة له مما لاتدعو اليهـا ضرورة او من الكمالي الذي لاتشتد الحاجة اليه مع فقده (الثالث) ان العادة قاضية والعقول حاكمة بان كل دين لم تكن له دعاة ولاسعاة لاينتشر انتشارا ما فكيف ينتشر في هذا الزمان انتشارا لايعهد له مثيل في الاديان ، وذلك لان الدعوة حياة الاديان والنحل والمذاهب كما نرى انتشار دعوة النصرانية والبابية والقاديانية في اقطار المعمور لما لاهلها من الجد والاجتهـاد في نشر دعوتهم مع ما فى نحلهم من مخالفة العقل (الرابع) انه قد اشيع في كثير من الجرائد السيارة والمجلات الجوابة اخبار متعددة عن انتشار الاسلام فى اوربا وامريكا وتردد صداها فى افق العالم الاسلامي فصدقها اكثر الناس ولا يعلمون حقيقة الحال مع ان هولآء الناس الذين يشاع عنهم انهم اسلموا انما دخلوا فى دين البابية اوالقاديانية فينشر دعاتها تلك الاخبار بواسطة الجرائد تحت عناوين انتشار الاسلام وهاتان النحلتان لهما جمعيات ودعاة واموال مرصدة لاعمال النشر والتغرير وقد اتخذوا لقب الاسلام والدعوة اليه شعارا لهم لينتفعوا بصيته وتاريخه الشهير فى توطيد مكانتهم بين الجهال والاغبيآء ومن اهل الجرائد من ينشر اخبارهم هذه وهو يعلم ما فيها من المكر والخداع للمسلمين وغيرهم والدواعي الباعثة على ذلك لاتخفى (الخامس) ان كثيرا من الاحبار والرهبان مازالوا ينشرون اخبارا

مصطنعة عن انتشار الاسلام فى افريقا وغلبته للنصرانية يريدون بذلك الهاب حمية اخوانهم واثارة غيرتهم ، ليزيدوا جدا واجتهادا فى تكثير دعاتهم بتلك الجهات ، وانفاق الاموال فى سبيل ذلك ، ويزداد المسلمون غرورا وغفلة ، وليضحكوا منهم اذا صدقوا بما لايكون ، واعتمدوا على ان دينهم ينتشر فى اكناف افريقا بلا دعاة ولاسعاة وقد اغتر بمكرهم وخداعهم وكاذب اخبارهم كثير من افاضل المسلمين ثم ظهرت لهم حقيقة امرهم ، وحاصل ماذكرناه ان مازعمه السوداني من انتشار الاسلام اليوم انتشارا فائقا غير الانتشار القديم لا اصل له ، واذا سلمنا له هذا الزعم لم نسلم له ان علة انتشاره ماذكره لانه لم يستقرئ احوال كل من اسلم حتى يعلم الدواعي التي حملته على الدخول فى الاسلام واذا سلمناله معرفة ذلك فلا نسلم له ان الدين الاسلامي الحقيقي ليس فيه هاتان المسئلتان لثبوتهما عند الجمهور فليس فيهما ما يُنكره العقل ولا يكذبه الوجود فبطلت علة السوداني ومعلوله

(الخطأ الثالث والرابع والخامس والسادس والسابع والثامن والتاسع والخمسون)

في قوله » فاذافهم ذلك فالقول بان بعض الشعوب افضل من غيرهم لذات دمائهم ولحومهم بدون اعتبار عمل اوعلم ونسبة هذا القول الى الشرع الشريف تلويث له بمالايناسب شيئا من اصوله وايقاظ لفتنة عظيمة بينه وبين العقل الذي جعله الله ميزانا لكل شيء واثبات لدعاوي اعدائه المتعنتين عليه فمن دس على الدين شيئا من ذلك فهو مردود عليه والله ورسوله برآء منه قال رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم

من احدث في امرنا هذا ماليس منه فهورد » اه ونقول هذه هي النتيجة التى وصل اليها فى كلامه وهو انكار فضل العرب على سائر الشعوب وفضل قريش على سائر العرب وفضل بني هاشم على سائر قريش وقد علمت ان هذا خلاف مذهب اهل السنة والجماعة وحملة الاثار واهل الحديث وانه بعينه مذهب مبتدعة الشعوبية وفى ذلك عدة اغلاط (الاول) مخالفته لمذهب اهل السنة والجماعة كما ذكرنا (الثاني) انه قال « بدون اعتبار علم ولا عمل » وهذا قيد يراد منه التشنيع وقد اشرنا الى ان تفضيل العرب وقريش وبني هاشم من جهات متعددة، منها الاخذ بمقتضى النص في ذلك ، ومنها المعدن الذي هو اصل للعلم والعمل والاخلاق ومنها تاريخهم العظيم الذي لا يوجد مثله لامة من الامم ، ومنها كونهم قومه صلى الله عليه وآله وسلم وكونه منهم ، ومنها نزول القرآن بلغتهم ، وظهور الاسلام على ايديهم وسبقهم اليه ، وتوقف الاجتهاد فى الدين على العلم بلغتهم ، ومنها غير ذلك كما سيأتي فلا داعي لهذا القيد الا مجرد التشنيع (الثالث) في قوله « ونسبة هذا القول الى قوله بما لا يناسب شيئا من اصوله » اه فان ورود النصوص فيما ذكرنا مما لا يشك فيه احد من اهل العلم ، وانما يمتري في ذلك من قل حظه من علم الآثار والاحاديث واقوال اهل السنة ، وليس في ذلك مخالفة لاصول الاسلام اصلا ، وقد بينا ان القول بالتفاضل بين الشعوب هو الامر

الذي دل عليه الوجود واخباره صلى الله عليه وآله وسلم بذلك من اعظم المعجزات لأن ذلك من العلوم الذي لم يهتد اليها البشر الافى العصور الحديثة (الرابع والخامس) فى قوله « وايقاظ لفتنة عظيمة بينه وبين العقل الذي جعله الله ميزانا لكل شيء » اه فان عنى بالعقل عقله نفسه فلا يضر ذلك دين الاسلام ولايقتضي صحة طعنه في احكامه سوأ استيقظت الفتنة بين عقله وبين الاسلام أوخمدت وانما الضرر كل الضرر واقع عليه لحرمانه التسليم والتصديق بما اخبر به صلى الله عليه وآله وسلم ، وان عنى بالعقل ماسوى ذلك فليبينه حتى نرد عليه ، ولامخالفة بين النقل والعقل في هذه المسئلة البتة وقوله «العقل الذى جعله الله ميزانا لكل شيء» خطأ فان من الامور مالا يقدر العقل على الاحاطة به فضلا عن ان يكون ميزانا له ، وايضا فانا نرى اهل المعقول الذين ينتحلون علمه ويزعمون انهم اهله تختلف ارآءهم وانظارهم اختلافا شديدا ومن شأن الميزان ان تظهر به مقادير الامور على وجه الصحة وميزان العقول فى مقابل المنقول عائل مائل وقدرد كثير من النظار نصوصا صريحة اوأولها وزعم أنها مخالفة للعقل فاطراحها أمر لازم وقد قبلها غيره ولم يرفيها منافاة ولامناقضة لشيء من ذلك ، وطالما اتفق كبراؤهم على مقدمة هي عندهم قطعية ثم ظهر لهم او لغيرهم انها باطلة ، واذا نظرنا الى المكذبين والجاحدين نجد من اسباب تكذيبهم بالدين وجحدهم رسالة المرسلين ، اعتمادهم على موازين

عقولهم ، فمن البديهي ان الله لايجعل العقل ميزانا لكل شيء مع صدور امثال هذه الاختلافات عنه وليس لنا ان نزن كتاب الله بموازين عقولنا فنقبل منه ماقبلته ونرد ما نفته ، وكذلك سنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم الصحيحة وانما وظيفة العقل بالنسبة اليهما تدبرهما والتسليم لما خفي عليه علمه منهما ، وكما انه لايصح ان يقال ان الله جعل العين مبصرة لكل شيء لان هناك امورا كثيرة لا تراها كالملائكة والجن والشياطين وما خفي عن العيون من امور الغيب ، كذلك لايصح ان يقال ان الله جعل العقل ميزانا لكل شيء لان هناك اقوال المعصوم صلى الله عليه وآله وسلم ولايصح ان يتوقف قبولها نفسها على وزنها بميزان العقل فلم يجعل الله العقل ميزانا لها لاتقبل الا به وترد به ، وهناك امور اخرى يقصر العقل عن الاطلاع على كنهها ، فضلا عن وزنها بميزانه ، وايضا فقوله العقل الذي جعله الله ميزانا لكل شيء ان اراد بهذا الجعل الجعل الكوني فقد علمت بطلانه بما سبق ، وان اراد بذلك الجعل الشرعي فاين الايات والاحاديث ، التي تثبت ان الله جعل العقل ميزانا شرعيا لكل شيء وانما هي كلمة جوفاء لاطائل تحتها ، وايضا فانه قد ظهر للباحثين في شئون الانسان وطبائع شعوبه وخواصهم ، انهم يتفاوتون فى الخلق والاخلاق والطبائع ، وان الخاصة التى امتاز بها احد الاصناف عن غيره لاتزال تتوارث فيه سلالة عن سلالة ، وقد انتشر هذا العلم

وألفت فيه المؤلفات الممتعة ،وقبلته العقول ،وقررة المدرسون في مدارسهم ، ولاريب انهم يقابلون منكره بالتجهيل والغباوة وقلة الاطلاع ، وعلى هذا فالقول بتساوي الشعوب هو الذي يوقظ الفتنة بين الدين القائل به وبين العقل ، لاالقول بتفاضلها (السادس) في قوله « واثبات دعاوي اعدائه المتعنتين عليه » اهـ ونقول انه لايجوز لنا ترك شيء من كتاب ربنا ولاسنة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ولا احكامها مخافة دعاوي اعداء الاسلام المعتدلين فضلا عن المتعنتين ، ياايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين ، ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ، ومن البديهي أنهم يرون دين الاسلام نفسه باطلا وظلالا دع عنك هذا الحكم فقط ومن احكامه مايعدونه عيبا وعارا ومخالفا لعقولهم ، وسبب ذلك سبق الشقا واتباع الهوى وتقليد الاباء وانتكاس العقول وفساد الفطر ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً ، وعند اعداء الاسلام من الامور المعكوسة المنكوسة التي لايمتري فيها منصف اضعافماينكرونه على الاسلام ، على انهم مخطؤن في انكارهم عليه من كل وجه ، ولايشترط لصحة الاحكام الاسلامية والاخبار النبوية عدم اثباتها لدعاوي المتعنتين عليه من اعدائه ، وان كثيرا من الاحبار والرهبان والمتصدين لالقاء الشبه في الاسلام يستبشعون تعدد الزوجات والطلاق وما

اشبه ذلك من الامور المخالفة لدينهم المبدل فهل نبطلها ونجحدها ونمتنع عن القول بها لئلا نثبت دعاوي اعدائه المتعنتين عليه ؟!! وهذه الجملة التي اوردها السوداني لها صولة في قلوب المتفرنجين والمقلدين لهم ، ويحتمل انْ تكون هذه الكلمة المزخرفة وامثالها من الشبه سبب منع بعض الحكومات الاسلامية تعدد الزوجات والطلاق ونحوه لهذا العهد ويحتمل ان يكون سبب ذلك الالحاد المحض والتمادي فى التجدد والردة نسأل الله العفو والعافية والثبات على الايمان والاسلام آمين

(السابع) قوله «فمن دس في الاسلام شيئاً» الخ ونقول ان هذه العبارة ظاهرها حسن جميل ، وباطنها سيء خبيث ، ومقصوده منها ان اهل السنة والجماعة وحملة الآثار وحفاظ الحديث قد دسوا فى دين الاسلام هاتين المسئلتين مسئلة التفاضل ومسئلة الكفاءة وكذبوا على النبي صلى الله عليه واله وسلم فى رواية النصوص الدالة على ذلك اوصدقوا الكاذبين واعتمدوا على كذبهم

﴿الخطأ الستون والحادي والثاني والثالث والرابع والخامس والسادس والسابع والستون﴾

(وفيه نقل كلام العلماء فى فضل النسب ونقصه)

في قوله «واما مسئلة الكفاءة بين المسلمين التى خاض فيها بعض العلماء فليست مبنية على تفضيل احد ولا على تنقيص احد وانما النظر فيها الى وسائل حسن المعاشرة والاتفاق بين الزوجين والنظر في حالة معاشها ، فان بنت الغني التى تلبس كل يوم بدلة جديدة وتاكل كل يوم الوانا كثيرة وتبيت على الفراش اللين الناعم اذا دخلت في

بيت فقير ليس عنده شيء من ذلك فانها تتكدر وتسيء حالتها (كذا) فيجر ذلك الى بغض الزوج واحتقارها له فيكون ذلك سببا لعدم الاتفاق ولسوء المعاشرة فرأوا ان المناسب ان يتزوجها من يناسب حالتها وكذلك الحال بين المتعلمة والجاهل وبين المتربية وقليل التربية وغيرها ممن لامناسبة بين احوالهم واخلاقهم ولما كان هذا الاعتبار تابعا لامر المعاش والمعاشرة كان ساقطا عند حصول رضاء المرأة مع العلم بحال الرجل الخاطب اذا كان مسلما اذا كانت رشيدة تميز بين محاسن الرجال ومساويهم لانه ربما كان رضاؤها به مع ماذكر لمزية اخرى تعادل مافقدته من خصوبة العيش ونعومة اللباس والفراش والعلم والحضارة وشرف المحتد كالقوة والشباب وحسن الاخلاق وحسن المنظر وغير ذلك من الصفات التى ترضي النساء ولذلك جعل الشارع المدار على رضائها مع الرشد فان لم تكن رشيدة كان اقرب الناس نائبا عنها في ذلك ومن ادعى على الشارع شيئاً وراءذلك فقد افترى عليه ماهو بريءمنه هذا حكم الله وهذا حكم رسوله فمن اتبعه وأسلم وجهه فقد استمسك بالعروة الوثقى ومن تكبر على احكام الله واعرض عنها فليبتغ نفقا في الارض اوسلما في السماء فالله يحكم لامعقب لحكمه » اه

ونقول انه قد غلط هنا اغلاطا متعددة (الاول) في قوله « واما مسئلة الكفاءة الى قوله ولا تنقيص احد » الخ اه وذلك من وجوه (الاول) ان العلماء قد اتفقوا على اعتبار الكفاءة في الدين ، والمراد بذلك التدين لامطلق الاسلام فقط وقد اتفقوا ايضا على تفضيل المتدين على من ليس بمتدين ، وحينئذ فاعتبار الكفاءة فى ذلك مبني على اساس التفضيل والتنقيص بذلك (الثاني) ان الكفاءة هي المساواة وضدها عدم المساواة وهو مستلزم للتفاوت والتفاضل ، والكفء النظير والمساوي وفي الحديث المسلمون تتكافأ دماؤهم اي تتساوى في القصاص والديات ، ويقال هو

كفوء وكفيء ومكافئ بين الكفاءة قال الشاعر

وانكحها فى غير كفوء ولا غنى * زياد اضل الله سعي زياد

ويقال هم اكفاء كرام ، وبالجملة فكل تصاريف هذه الكلمة تدل على معنى المساواة فكل معتبر للكفاءة من العلماء انما قصد بذلك مساواة الزوجين في الخصال المعتبرة فى ذلك من الدين والنسب والحسب والصنعة ونحو ذلك ، وعدم الكفاءة معناها عدم المساواة وقولهم ليس بكفوء اي ليس بمساو فعدم كفاءة أحد الزوجين للاخر معناه عدم مساواته له وذلك مستلزم للتفاوت بينهما لامحالة ، سوآء كان التفاوت في الدين او في النسب والحسب ونحوه من خصال الكفاءة وهذا واضح لا ينكره الا من لايعرف اللغة ولا كلام العلماء (الثالث ان من العلماء من صرح بالتفاضل فى سياق الكلام على الكفاءة وغيرها ومنهم الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه

(كلام الامام الشافعي رضي الله عنه في فضل النسب ونقصه)

قال في خطبة الرسالة : «وكان خيرته المصطفى لوحيه المنتخب لرسالته ، المفضل على جميع خلقه ، بفتح رحمته ، وختم نبوته ، واعم ما ارسل به مرسل قبله ، المرفوع ذكره مع ذكره في الاولى ، والشافع المشفع في الأخرى ، افضل خلقه نفسا ، واجمعهم لكل خلق رضيه في دين ودنيا ، وخيرهم نسبا ودارا ، محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وشرف كرم» الخ ماقاله فانظر كيف قال «خيرهم نسبا ودارا» وقال فى الام في ابواب الامامة

في الصلاة ((ولوكان فيهم ذونسب فقد موا غير ذي النسب احزأهم وان قدموا ذي النسب (و) اشتبهت حالهم في القراءة اوالفقه كان حسنا لأن الامامة منزلة فضل وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قدموا قريشا ولاتقد موها فأحب ان يقدم من حضر منهم اتباعا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا كان فيه لذلك موضع))اه وسيأتي بيان صحة استدلال الامام الشافعي بهذا الحديث وماجاء فى معناه في اثناء ردنا على التلميذ وقال الامام الشافعي ايضا فى ترتيب قسمة العطاء انه يبدأ بالأقرب فالاقرب الى رسوله الله صلى الله عليه وآله وسلم فاذا خلصت قريش قدمت الانصار على جميع قبائل العرب لمكان الاسلام ، فكلامه هذا يدلك على ان للنسب الفاضل من التقديم في منازل الكرامة والتجلة والفضل والشرف ماليس لغيره ، حتى قدم لاجله القارئ العالم على مساويه فى القرأة والعلم ، وقدمت سائر قبائل قريش على الانصار مع ان فيهم من ليس له قدمهم ولا سابقتهم ولا مقاماتهم العظيمة فى الاسلام ، وعقب الامام الشافعي ماتقدم بقوله:

«الناس عباد الله فاولاهم ان يكون مقدما اقربهم بخيرة الله لرسالته . ومستودع امانته ، وخاتم النبين ، وخير خلق رب العالمين ، محمد صلى الله عليه وآله وسلم

«ومن فرض له الوالي من قبائل العرب رأيت ان يقدم الاقرب فالأقرب منهم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى النسب فاذا استووا قدم اهل السابقة على غير اهل السابقة ممن هم مثلهم فى القرابة» اه وله فى الام عبارات كثيرة ردد فيها التعبير بفضل النسب ونقصه نورد منها ماتيسر قال « واذا زوج الولي الواحد كفوا بأمر المرأة المالك لامرها باقل من مهر مثلها لم يكن لمن بقي من الولاة رد النكاح ولا ان يقوموا عليه حتى يكملوا لها مهر مثلها لانه ليس

فى نقص المهر نقص نسب» اه فقال نقص نسب فاثبت له النقص وقال «وكذلك لوكان بعضهم افضل من بعض نسبا فتناكحوا في الشرك نكاحا صحيحا ثم اسلموا لم افسخه بتفاضل النسب ماكان التفاضل» اه فقد اثبت التفاضل فى النسب وقال به وقال «اوانتسب لها الى نسب فوجدته من غير ذلك النسب ومن نسب دونه ونسبها فوق نسبه» اه فذكر الدون والفوقية في النسب والمراد بذلك فوقية الرتبة وضدها وقال «وهذا كان لاوليائها على الابتداء اذا اذنت فيه ان يمنعوها منه بنقص في النسب» اه وقال «ولم يكن للولاة معها الا بما وصفنا والله اعلم الا ان تنكح من ينقص نسبه عن نسبها» اه وقال «ولوغرته بنسب فوجدها دونه وهو بالنسب الدون كفوء» اه وقال «ولوغرت بنسب اوغربه فوجد خيرا منه» اه فذكر خيرية النسب وكلامه هذا في احكام الكفاءة كما يعلم بمراجعة الأم وقال الحافظ ابن حجر فى تلخيص الحبير لتخريج احاديث الرافعي الكبير بعد كلامه على حديث الاصطفاء وقد اورده الرافعي استدلالا به على اعتبار الكفاءة في النسب مانصه «وحديث واثلة يستفاد منه الكفاءة ويذكر على سبيل شكر النعم» اه

(كلام الحنفية على فضل النسب ونقصه)

قال في المبسوط «افضل الناس نسبا بنو هاشم ثم قريش ثم العرب لماروى عن محمد بن علي عنه عليه السلام ان الله اختار من الناس العرب ومن العرب قريشا واختار منهم بني هاشم واختارني من بني هاشم ولافخر» اه نقله الزيلعي شارح الكنز واقره

(كلام الحنابلة في فضل النسب ونقصه)

قد تقدم نقل كلام ابن تيمية في ذلك واستدلال الامام احمد بحديث سلمان رضى الله عنه وفي ذلك كفاية وبما ذكرناه تعلم بطلان دعوى صاحب الصورة ان العلماء لم يبنوا مسئلة الكفاءة على تفضيل احد ولا تنقيصه

(كلام المالكية في ذلك)

قد قلنا ان المالكية كسائر اهل السنة والجماعة يقولون بتفاضل الانساب ، وان لم يعتبروها في كفاءة النكاح ، وقال الزرقاني المالكي فى شرح المواهب «قال بعض العلماء والتفاضل في الانساب والقبائل والبيوت باعتبار حسن خلقة الذوات والتفاضل فيما قام بها من الصفات حتى في الاقوات والله فضل بعضكم على بعض في الرزق وهذا جار فى سائر المخلوقات فضل الله يؤتيه من يشاء فلا اتجاه لما عساه يقال الانسان كله نوع فما معنى التفاضل في الانساب» اه وقوله الانسان كله نوع هذا صحيح ولكن النوع تتفاوت اصنافه تفاوتا عظيما (الخطأ الثاني) فى قوله «وانما النظر فيها الى وسائل حسن المعاشرة الى قوله احوالهم واخلاقهم» اه وذلك انه ان عنى بالنظر نظر العلماء فقد علمت اقوالهم وقد تقدم منها ما فيه كفاية وهي مخالفة لما نسبه اليهم ولحوق العار للاولياء انما ينبنى على النظر الى أسباب الشرف والفضل والدناءة والنقص لا لأمر المعاش واللباس والفراش الناعم والوان الاطعمة ، وذلك ان اصحاب البيوتات

الرفيعة والشرف والمجد يرون مراعاة الشرف ألزم واهم من مراعاة الوان الاطعمة وانواع الثياب ، ومنهم من يقدم نفسه وماله فى سبيل المحافظة على شرفه ومجده ، الا من افسدت الحضارة اخلاقه ، واستولى الحرص والجشع على فؤاده ، وفي اعتبار اليسار في الكفاءة خلاف في مذهب الشافعي رضي الله عنه والمعتمد عدم اعتباره ، وما اطال صاحب الصورة الا فيه كأنه الكل في الكل وكأن ماسواه من خصال الكفاءة لا تستحق الاهتمام كالدين والنسب والحسب وغير ذلك ، مع انها فى قلوب اهلها اعظم قدرا ومحلا من الاطعمة والالبسة ، وتوقف حسن المعاشرة على الكفاءة فيها أعظم من توقفها على اليسار ، وحسبك بالمنافرة التي تحصل بين العفيفة المتدينة والفاسق الخليع وبين النسيبة الحسيبة فى قومها والزنيم الدنئ ، ولكنه يحاول اسقاط فضل النسب باي وجه كان من غير مبالاة بما يقع فيه من الخطأ وان عنى بالنظر نظر نفسه فلا قيمة له (والثالث والرابع) فى قوله «ولما كان هذا الاعتبار تابعا لامر المعاش والمعاشرة كان ساقطا عند حصول رضاء المرأة الى قوله التي ترضي النسآء» اه وذلك ان الكفاءة لا تسقط برضا المرأة فقط بل لابد مع ذلك من رضا الاولياء ايضا ولا نعلم في ذلك خلافا بين العلماء القائلين بها وقوله مع العلم بحال الرجل الخاطب اذا كان مسلما فيه ماتقدم من اتفاق العلماء على اعتبار الدين فى الكفاءة وان المراد بذلك التدين لامطلق الاسلام

فقط (والخامس والسادس) فى قوله « ولذلك جعل الشارع الى قوله نائبا عنها في ذلك » اه وذلك انه ان عنى بكون المدار فى ذلك على رضاها صحة اسقاط الكفاءة به ولو لم يرض اولياؤها فكلامه باطل ولا حجة له وان عنى امرا آخر فما هو؟ وقوله «وان لم تكن رشيدة كان اقرب الناس اليها نائبا عنها فى ذلك» من ابطل الباطل لانه لايجوز تزويج غير الرشيدة الامن كفوء ولا نعلم بين العلماء خلافا في ذلك ونسبته له مع ذلك الى الشارع من الافتراء على الله ورسوله (والسابع) فى قوله «ومن ادعى على الشرع شيئا وراء ذلك فقد افترى عليه ما هو بريء منه» اه يظهر ان اسم الاشارة يرجع الى ماقاله هو في هذا الموضع من سقوط الكفاءة برضا المرأة الرشيدة او ولي غير الرشيدة وقد علمت مخالفته في ذلك للشارع والشرع وحملته فجملة الجزاء انما تتنزل عليه قبل غيره (والثامن) في قوله «هذا حكم الله وحكم رسوله الى قوله لامعقب لحكمه» اه وذلك انا قد بينا المواضع التى خالف فيها القرآن والاجماع ومذهب اهل السنة والجماعة وقول الجمهور بما فيه كفاية فدعواه مع ذلك ان ماقاله هو حكم الله و رسوله خاتمة تلك الدواهي والله المستعان وقد أخرنا الكلام على القضايا التي ذكرها مستدلا بها على حكم الكفاءة الى آخر الكتاب كما فعل ذلك السيد العلامه عبد الله دحلان والتلميذ

﴿ جواب السؤالات البنجرية وما فيه من الخطأ ﴾

لما نشر صاحب الصورة صورته ، والقى بين الناس نبيذته ، همس بعضهم

ببعض مافيها من الخطأ فلما نمى اليه الخبر بذلك أصدر جوابا مستدركا فيه بعضها ولكنه وقع به في اغلاط أخرى ، ولولا تصدي من ذكرنا للرد عليه لتوالت الجوابات . وطالت الاستدراكات . ولكنه رأى ان الخرق واسع لايحتمل الترقيع فكان قصارى امره اصدار ذلك الجراب المملوء بالسباب . على لسان تلميذه فكان ما اشتمل عليه من الاغلاط اكثر وافحش ، فنشيرهنا الى بعض مافى جوابه على وجه الاختصار فنقول

(مجمل مافي السوآلات البنجرية وجواباتها)

اماالسوال الأول فعن الذين عناهم فى قوله «ولا خلاف في ذلك بين علماء الامة المحمدية المعتبرين» اه وقد اجاب بما حاصله ان العلم ينقسم الى نقلي وعقلي وان مسئلة الكفاءة من النقلي . وان جميع ماوصل اليه من النقول الشرعية دالة على جواز التزاوج بين المسلمين اذا حصل التراضي بين الفريقين . وان من الائمة المعتبرين الائمة الاربعة ابا حنيفة ومالكا والشافعي واحمد رضي الله عنهم وان مرجع الاشارة من قوله «فى ذلك» الى تشبيه النكاح بالبيع من الجهات التي ذكرها كما شبهه غيره قال «ثم قلت ولاخلاف فى ذلك اى التشابه المذكور» وانه ذكر في الصحيفة بقية الامور التى اذا حصلت يتفق معها الائمة الاربعة على صحة النكاح وان كلمة «بحضور شاهدين» سقطت من النسخة المطبوعة هذا مجمل جوابه عن السوال الاول من آخر الصحيفة ٤٤ الى اثناء الصحيفة ٤٦

من (الفصل) وليس فيما ذكره الا ترديد الاغلاط السابقة وذلك من وجوه (الاول) ان كون العلم ينقسم الى نقلي وعقلي الخ ما اطال به خارج عن الموضوع فهو من التهويل بالتطويل (الثاني) ان عدم وصول نقول شرعية اليه تدل على ماقاله الائمة في مسئلة الكفاءة لايجوز له ان يحكى اتفاقهم على مالم يتفقوا عليه، أو ينسب اليهم مالم يقولوه، او ينفي عنهم ما قد قالوه واعتمدوه واتخذوه مذهبا يدينون الله به ويفتون به سائر الامة كما بيناه فيما سبق وقد درج العلماء على نسبة كل قول الى قائله لان المدارك مختلفة وفوق كل ذي علم عليم (الثالث) ان قوله بأن الأئمة الاربعة من الائمة المعتبرين الذين لاخلاف بينهم فيما ذكره شاهدنا طق على ماوقع فيه من الخطأ، وقد بينا انه لايقول احد منهم بصحة النكاح بما ذكره فضلا عن اتفاقهم على ذلك (الرابع) تصريحه بان الأشارة في قوله في ذلك راجعة الى تشبيه النكاح بالبيع من الجهات التي ذكرها. وقد علمت ان الامة مجمعة على عدم تشابه النكاح والبيع فيما ذكره وانه انفرد بهذا التشبيه ولم يقل به احد غيره لامجتهد ولامقلد (الخامس) قوله انه ذكر فى الصحيفة السابعة بقية الامور التى اذا حصلت يتفق معها الأئمة الاربعة على صحة النكاح، وقد علمت عدم صحة النكاح بما ذكره عند الأئمة الاربعة فراجع ماتقدم وحينئذ فخلاصة ماذكره انه ردد اغلاطه السابقة واصر عليها

(السوال الثاني وجوابه وما فيه)

واما السوال الثاني فعن المراد بالأئمة الاربعة في قوله «لأن الائمة الاربعة المجتهدين متفقون» الخ ومجمل الجواب ان المراد بالأئمة الاربعة ابو حنيفة ومالك والشافعي واحمد رضي الله عنهم وان الامام احمد قد نقل عنه قولان بالتجويز وعدمه ، ورد قوله بعدم التجويز بانه ليس معضدا بدليل ولا موافقا للكتاب والسنة المتواترة ولاوافقه عليه احد من حفاظ الحديث الموثوق بهم واحتمل فيه ايضا امورا ثلاثة (الاول) ان عدم التجويز محمول على الكفاءة الاسلامية كما ذكر ابن القيم (والثاني) انه قاله قبل ان يسمع قضايا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم !! (والثالث) ان يكون قاله عن دليل بلغه ولكن لم يصل اليه هو ولا يجوز ان يفتي به لذلك ، هذا خلاصة مايستحق الرد عليه منه وهو من الصحيفة ٤٦ الى آخر الصحيفة ٤٩ من (الفصل) وهو كالأول من وجوه (الاول) انا قد بينا بطلان ما اشترطه لصحة النكاح وزعم اتفاق الائمة عليه من عدة وجوه وذلك انه اشترط لصحته تعيين المهر وقد اجمعوا على عدم اشتراطه وشبه النكاح بالبيع من هذه الجهة وقد اجمعوا على المباينة التامة بينهما فى ذلك . واسقط البينة وقد اشترطوها واشترط مالك الاظهار ايضا ، واغفل بقية ما يشترط لصحة النكاح كالخلو عن الاحرام وعن الموانع والمرض عند الامام مالك والكفاءة عند من يجعلها لجميع الاولياء الاقربين

والابعدين وعند من يجعلها حقا لله تعالى ، واشترط عدم الشرط وقد اتفقوا على ان الشروط لاتفسد النكاح الا ما اريد به ابطال مقصود العقد على تفصيل في ذلك ، وجعل رضا الاولياء الاقربين شرطا لصحة النكاح ولم يتفقوا على ذلك الى غير ذلك مما تقدم مفصلا ، وخلاصته انهم لم يتفقوا على صحة النكاح بما ذكره من جهة الكفاءة ولا غيرها ، وان دعوى الاتفاق على ذلك باطلة وأقراره هنا بانه قصد بالأئمة الاربعة ابا حنيفة الخ اصرار على تلك الاغلاط كلها (الثالث) انا لو سلمنا صحة ما اعتذر به عن عدم مراعاة مذهب الامام احمد فى مسئلة الكفاءة فلا يصح له عذر فيما سوى ذلك فانه قد اشترط مالايشترط لصحة النكاح ونفى مالايصح بدونه وادعى الاتفاق على مالم يتفقوا عليه (الرابع) ان ما اعتذر به عن عدم مراعاة مذهب الامام احمد رضى الله عنه باطل أيضا ، وتوضيح ذلك ان الذي يقتضيه كلام السوداني سقوط الكفاءة اذا رضيت المرأة واولياؤها الاقربون واما مذهب احمد في احدى الروايتين عنه انها تسقط برضا المرأة واوليائها الاقربين والابعدين لاالاقربين فقط ، والرواية الثانية انها حق لله فلا تسقط بحال ، اذا علمت ذلك فقوله انه قد نقل عن الامام احمد قولان احدهما بالتجويز كباقي الائمة غير صحيح فلم ينقل عنه قول بذلك اصلا ، وانما نقل عنه فيما اذا رضي الاقربون والابعدون من الاولياء

لاالاقربون فقط (الخامس) ما زعمه من ان قول الامام احمد بعدم التجويز غير معضد بدليل زعم باطل ، لانه قد استدل بحديث سلمان رضي الله عنه وغيره وسيأتي شرح ذلك ان شا الله تعالى (السادس) احتماله ان يكون قول الامام احمد بأن الكفاءة حق لله تعالى خاص بالكفاءة الاسلامية (كذا) لاوجه له لصحة النقل عنه باجراء ذلك في النسب ايضا كما نقلناه عن ابن تيمية (السابع) احتماله ان يكون الامام احمد قاله قبل ان يسمع قضايا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم رجع عنه احتمال بعيد ، بل باطل لان الامام احمد قد روى في مسنده بعض تلك القضايا ويستبعد عدم سماعه لباقيها وان لم يخرجها فيه (الثامن) انا اذا سلمنا له انه لايجوز له الافتاء بقول الامام احمد لعدم اطلاعه على دليله فبما ذا جاز له ان ينسب اليه قولا لم يقله فهنا يتحرج ان يفتي بقوله لعدم اطلاعه على دليله وهناك نسب اليه غير قوله بغير دليله فياللعجب ! !

(السوال الثالث وجوابه والرد عليه)

واما السوال الثالث فمن قوله «واما مسألة الكفاءة بين المسلمين التي خاض فيها بعض العلماء فليست مبنية على تفضيل احد ولا تنقيص احد» قال السائل فهذه ايضا من المشكلات وتحتاج الى دليل واضح بان الكفاءة ليست مبنية على تفضيل احد اوتنقيصه وكونها مبنية على امر المعاش الخ مافي الصحيفة ٥٠ من (الفصل) اما الجواب فهذا نصه

مع تعقيب كل جملة منه بمناقشة مختصرة « الحمد لله اقول ان من امعن النظر في نصوص الكتاب والسنة الواردة في الحكم بين ذوات المسلمين لم يجد فيها نصا واحدا يفضل احدا بذات دمه على آخر بل اناط الشارع التفاضل في جميع احكامه بالاعمال والصفات ونص على مساوات الذوات والدماء فقال تعالى انما المؤمنون اخوة وقال تعالى بعضكم من بعض وقال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض» اه ونقول ماذا يريد بالحكم بين ذوات المسلمين هل مراده بالحكم الخطاب الشرعي بانواعه الثلاثة من الاقتضاء والتخيير والمنع ، فقد قلنا ان الاسلام قد ساوى بينهم في الاحكام بهذا المعنى فسوى في ذلك بين فاضلهم ومفضولهم وعالمهم وجاهلهم فكلهم مخاطبون بفعل الواجبات وترك المحرمات سواء تساوت اعمالهم واخلاقهم او تفاضلت وعلى هذا فما معنى قوله «بل اناط الشارع التفاضل في جميع احكامه بالاعمال والصفات» اه وذلك انه ليس في الشرع تفاضل في الاحكام الواجبة او المحرمة الا ما كان من قبيل الخصوصية ولكن مناطها النسب أو نحوه لا الاخلاق والاعمال وان عنى بالحكم امرا آخر فما هو؟ فان قيل لعله اراد الحكم الاخروي قلنا فما معنى قوله «بل اناط الشارع التفاضل في جميع احكامه بالاعمال والصفات ونص على مساوات الذوات والدماء» اه فظاهر من عبارته انه فاضل بينهم في الاحكام الشرعية واناط التفاضل فيها بالاعمال والصفات ، ولكنه ساوى بين ذواتهم ودمائهم ويظهر ان مراده من هذه العبارة ان حكم الكفاءة راجع الى الاعمال والصفات لان الشارع اناط التفاضل في

جميع احكامه بها لا الى النسب لانه ساوى بينهم في الذاوت والدماء وما ذكره باطل من كل وجه (اولا) قوله «لم يجد نصا واحدا يفضل احدا بذات دمه على اخر» ان عنى بذلك نفي الاحاديث الواردة في فضل بني هاشم وقريش والعرب فهو باطل بل فيه النصوص الكثيرة الشهيرة وان عنى بذلك امرا آخر فلا يعنينا (ثانيا) قوله «بل اناط الشارع التفاضل في احكامه بالاعمال والصفات» باطل ايضا لان الشارع لم يفاضل بينهم في الاحكام الا ما كان من قبيل الخصوصية وليس مناطها ما ذكر ومناط الاحكام التكليف والاسلام (ثالثا) قوله «ونص على مساواة الذوات والدماء» اما مساواة الدماء فنصوصه واضحة ظاهرة ومناطها اصل الاسلام من غير نظر الى ما يقع فيه من التفاضل، واما مساواة الذوات فان عنى في الفضل فالنصوص انما تدل على المفاضلة لا المساواة. وان عنى غير ذلك فليس من موضوع النزاع (رابعا) ليس في الادلة التي استدل بها دليل على ما ذكره لان قوله تعالى انما المؤمنون اخوة دل على ما يقتضيه الايمان بينهم من التآخي ومن لوازمه التواد والتعاطف والتراحم والحكم اذا ربط بمشتق دل على انه علة له، فعلة الاخوة الايمان، والمؤمنون يتفاضلون في الايمان، وهو نفس العلة التي صاروا بها اخوة فلا يمتنع تفاضلهم فيما سوى ذلك من باب الاولى، وقوله بعضكم من بعض اما ان يكون المعنى بعضكم من بعض في الايمان فقد علمت ان الاخوة

بالايمان لم تمنع التفاضل فيه وهو نفس العلة فلا تمنع التفاضل بغيره من باب اولى وكذلك القول في البعضية التى مناطها الايمان واما ان يكون المعنى بعضكم من بعض في النسب العام فكذلك لأنا لاندعي الفضل لنسب عام وانما ندعيه لنسب خاص ، ولان لوازم العام ثابتة للخاص ولاعكس واما قوله تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض فيدل على ثبوت الموالاة بين المؤمنين وليس فى ذلك ما يدل على عدم تفاضلهم فى ايمانهم وهو علة الموالاة فما بالك بما سواه وقوله «وقال صلى الله عليه (وآله) وسلم المومنون تكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم» فيه دليل المساواة فى الدماء وهذا مسلم لانزاع فيه ولكنه لايستلزم المساواة فى نفس الايمان وهو العلة التى علق الحكم بها فكيف بما سواه ، وقوله ويسعى بذمتهم ادناهم يدل على خلاف ما زعمه من اناطة الشارع التفاضل في جميع احكامه بالاعمال والصفات فان الذمة اي بذل الامان من جملة احكامه ولا مفاضلة فيه بينهم بل قال يسعى بذمتهم ادناهم فهذا حجة عليه وحجة لنا ، واما قوله «وقال صلى الله عليه وآله وسلم ليس لاحد فضل على احد الابدين اوعمل صالح» فقد بينا فيما سبق ضعف سنده وما فيه من الاجمال ومخالفة ماهو اصح منه والمعنى الذي حمله عليه علماء السنة والجماعة واما قوله «وقال صلى الله عليه وآله وسلم ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل» فهو قطعة من حديث ابي ذر وقد تقدم الكلام عليه ولم نر له

رواية لامطعن فيها، واما قوله «وقال صلى الله عليه وآله وسلم لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأسود على ابيض ولا لأبيض على اسود الا بالتقوى» فقد سبق الكلام عليه وسيأتي فيه زيادة تفصيل

﴿ الكلام على قوله تعالى يا ايها الناس انا خلقنا كم من ذكر وانثى الآية ﴾

واما قوله «وقال تعالى في اسباب الفضل يا ايها الناس انا خلقنا كم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير» فقوله في اسباب الفضل باطل لانها وردت مورد النهي عن التفاخر والسخرية والتنابز بالالقاب وما شاكل ذلك يدل على ذلك ورودها بعقب الآيات الناهية عما ذكرنا او للحكم في الاكرمية التي يقع فيها التنازع فقطع عرق التباري فيها بما ذكره لا لحصر اسباب الفضل وقد جاءت السنة ببيان منطوق هذه الاية ومفهومها فيما رواه البخاري ومسلم والنسائي واحمد عن ابي هريرة رضى الله عنه قال قيل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم من اكرم الناس؟ قال اكرمهم اتقاهم قالوا يانبي الله ليس عن هذا نسألك قال فأكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله قالوا ليس عن هذا نسألك قال افعن معادن العرب تسألوني ؟ قالوا نعم قال خياركم فى الجاهلية خياركم في الاسلام اذا فقهوا وفي رواية عند احمد عن ابي هريرة الناس معادن كمعادن الذهب والفضة زاد الطيالسي الناس معادن في الخير والشر وقد اخرجه الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه والكلام هنا من

وجوه (الاول) ان الذي فى الآية ان الله جعل وعلا خلق الناس من ذكر وانثى وجعلهم شعوبا وقبائل ليتعارفوا بينهم، والتعارف قد يكون سببا للتواصل والاجتماع، كما ان التناكر قد يكون سببا للتقاطع والتفرق وأيضا فالشعوب نسب عام والقبائل نسب اخص منه، ولكل منهما اثر في التواصل، وعطف النسيب على نسيبه معروف فى طباع البشر، فهذه جامعة نسبية ينبني عليها التعارف المفيد لمجموعهم، ولما كان التفاخر في الانساب يؤدي الى اثارة العصبية التى هي من اعظم اسباب الفتن قطع عليهم سبيل التعالي فيه والتباري فى شأنه باعلامهم ان اكرمهم عنده اتقاهم فاثبت الاكرمية للاتقى منهم هذا خلاصة ماتفيده الآية فليس فيها دلالة على نفي تفاضل الانساب (الثاني) ان الآية تدل أيضا على مبدأ التميز بينهم وهو جعلهم شعوبا وقبائل فان نفس انقسامهم الى ذلك قد ثبتت له لوازم كالرحم القريب والبعيد ومايتبع ذلك من الحقوق اللازمة والمواريث وما اشبه ذلك، فكانت اما اصلا للتفاوت بينهم او تابعة له كما تبع ذلك ماتقتضيه طبيعة الانتخاب من التفاوت، ومع ذلك فلايجوز ان يجعل سببا للتناكر (الثالث) ان اثبات الافضلية لشيء من الاشياء فى معنى من المعاني لايستلزم نفي الفضل عما سواه وهذا هو المعروف فى لغة العرب، فاذا قيل زيد أغنى اهل بلده لم يستلزم ذلك نفي الغنى عن غيره من اهل بلده وان امتاز عنهم بكونه اغناهم ومثل

ذلك مالوقيدنا افضليته فى الغنى بنوع من انواع المال كما لوقلنا زيد أغنى اهل بلده بنقوده او بعقاره ونحو ذلك وحينئذ فدلالة الاية منحصرة في اثبات الاكرمية للاتقى اذالاكرمية افضل الكرم فهي اعلا رتبة منه كما ان الاكرم غير الكريم لان الكرم المطلق غير مطلق الكرم كما ان الاتقى غير التقي واصل التقوى غير اعلاها واجمعها فقول الله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم مثبت للاكرمية للاتقى غيرناف لما دون ذلك (الرابع) انه لايصح ان تكون الآية نافية لما سوى الاكرمية الثابتة للاتقى لان ذلك يستلزم نفي كرم المتقي فيكون كل متق غير كريم وهذا مما لاخلاف فى بطلانه (الخامس) ان قوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم له منطوق ومفهوم كما ذكرنا فمنطوقه اثبات الاكرمية للاتقى ومفهومه نفيها عن غير الأتقى وماسوى هذين الحكمين باق على الأصل يرجع فيه الى الدليل (السادس) ان السنة مبينة للقرآن وموضحة له وقد ورد فيها اثبات ما اثبتته الآية بمنطوقها وحكم مالم تدل عليه بمفهومها كما فى حديث ابى هريرة المذكور آنفافانه صلى الله عليه وآله وسلم حين سئل من اكرم الناس ؟ قال اكرمهم اتقاهم فهذا منطوق الآية قالوا يانبى الله ليس عن هذا نسألك قال فاكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله وهذا كرم النسب الصالح ، ولم يدخل في منطوق الآية ولامفهومها لان منطوق الآية

كما ذكرنا اثبات الا كرمية للاتقى ونـفيها عن غيره وايضا فالذي فيها اكرمية مطلقة مناطها العمل ، وما سواها إنمـا منـاطها النسب فلا تعارض لاختلاف العلة والموضوع فالا كرمية بجهة التقوى لا تعارضها الا كرمية بجهة النسب الصالح لعدم اتحاد جهتيهما ، ولأن المرادبها اكرمية دون اكرمية التقوى ، ولانا نقول هذا أكرم الناس فنطلق القول اذا كان أتقاهم ولانقيده ، ولو قلنا في غيره هذا اكرم الناس نسبا فقيدناه لم يكن في هذا التقييد وضع من شأنه اونقص من حقه ، فلما قالوا الثانية ليس عن هذا نسألك قال افعن معادن العرب تسألوني ؟ فأسس للجواب الحكيم بهذا الاستفهام الجامع ، وأخرجهم به عن السوال عن الافراد الى اكرمية المجموع . لان المراد بمعادن العرب اصول قبائلها ، فقالوا نعم قال الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم فى الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا ومن المعلوم ان خيارهم فى الجاهلية قريش وبنو هاشم فكانوا خيارهم فى الاسلام كما صدقه الواقع . ولملاحظة هذا المعنى اورد الائمة هذا الحديث فى مناقب قريش فتأمل (السابع) ان الله تعـالى خاطب الناس كافة . فقال لهم ان اكرمكم عند الله اتقاكم ، ولايكون الاكرم الذي لاأكرم منه الا واحدا . كما انه لا يكون الاتقى الذي لايوجد اتقى منه الاواحدا ، ولايثبت هذا النعت الا لرسول الله صلى عليه وآله وسلم ولاتكون هذه الخصوصية لأحد غيره فهوأكرم الناس واتقاهم . وقد نظرنا

في سنته صلى الله عليه وآله وسلم فوجدنا فيها ما يصدق هذا المعنى ويدل عليه دلالة بينة ، ففي حديث انس بن مالك عند الترمذي انه صلى الله عليه وآله وسلم قال وانا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر وفى حديث ابن عباس وانا اكرم الاولين والآخرين ولافخر وفي حديث مسلم مابال اقوام يرغبون عما رخص لي فيه فوالله لانا اعلمهم بالله واشدهم له خشية وفي حديث البخاري ان اتقاكم واعلمكم بالله أنا ، فهذه سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذاك كتاب الله وفيهما الدلالة على ان اكرم الناس أتقاهم ، وعلى ان أكرم الناس وأتقاهم محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلذلك قلنا والله اعلم انه صلى الله عليه وآله وسلم هو المراد بالآية يؤيده الوجه (الثامن) ان اول سورة الحجرات نزل فى قصة وفد بني تميم الذين جاؤا يفاخرونه صلى الله عليه وآله وسلم وقد وردت فى ذلك روايات منها ، ماأخرجه الترمذي عن البراء بن عازب فى قوله تعالى ان الذين يُنادونك من وراء الحجرات قال قام رجل فقال يارسول الله ان حمدي زين وان ذمي شين فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذاك الله ، وقد ذكر القصة ابن سعد عن الزهري وسعيد بن عمرو وذكرها محمد بن اسحق واخرجها ابو عبد الله بن مندة عن جابر بن عبد الله واسندها الواحدي فى اسباب النزول له قالوا جاء بنو تميم الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشاعرهم وخطيبهم فنادوا على الباب

اخرج الينافان مدحنازين وان ذمناشين فسمعهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فخرج اليهم وهو يقول انما ذلكم الله الذي مدحه زين وذمه شين . فما ذا تريدون؟ فقالوا ناس من بني تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا لنشاعرك ونفاخرك فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما بالشعر بعثت ولا بالفخار امرت ولكن هاتوا ، فقال الزبرقان بن بدر لشاب من شبانهم قم فاذكر فضلك وفضل قومك ، فقال الحمد لله الذي جعلنا من خير خلقه وآتانا اموالا نفعل فيها ما نشاء فنحن خير اهل الارض اكثرهم مالا واكثرهم عدة واكثرهم سلاحا فمن ابى علينا قولنا فلياتنا بقول هو احسن من قولنا وفعال هي خير من فعالنا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لثابت بن قيس بن شماس قم فاجب فقام فقال الحمد لله احمده واستعينه واومن به واتوكل عليه واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله دعا المهاجرين من بني عمه احسن الناس وجوها واعظم الناس احلاما فاجابوه ، الحمد لله الذي جعلنا انصاره ووزراء رسوله وعزا لدينه فنحن نقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله فمن قالها منع منا ماله ونفسه ومن ابى قاتلناه وكان ارغامه علينا في الله هينا . اقول قولي هذا واستغفر الله لي وللمؤمنين والمؤمنات فقال الزبرقان بن بدر لشاب من شبانهم قم يا فلان فقل ابياتا تذكر فيها فضلك وفضل قومك فقال

نحن الكرام فلاحي يعادلنا * نحن الرؤس وفينا يقسم الربع

الى آخر ابياته فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علي بحسان بن ثابت فانطلق اليه الرسول فقال وما يريد مني وقد كنت عنده قال جاءت بنو تميم بشاعرهم وخطيبهم فامر رسول الله ثابتا فاجابه ، وتكلم شاعرهم فبعث رسول الله اليك لتجيبه فقال حسان لقد آن لكم ان تبعثوا الى هذا العود فجاء حسان فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ياحسان اجبه فقال يارسول الله مره فليسمعني ما قال فقال اسمعه ما قلت فاسمعه فقال حسان

نصرنا رسول الله والدين عنوة على رغم سار من معد وحاضر

الخ ابياته والقصة مشروحة بطولها في كتب السير و فيما ذكرناه دلالة على احتمال ان تكون هذه الآية من تمام الرد على بني تميم في مفاخرتهم له صلى الله عليه وآله وسلم ومباراته في الكرم ولذلك قال لهم حسان

فلا تجعلوا لله ندا واسلموا * ولا تفخروا عند النبي بدارم

فان قيل ان الآية التي نزلت في بني تميم هي في اول السورة وآية ياايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى الآية بعدها بآيات قلنا ان في القرآن لهذا نظائر كثيرة فانه قد يذكر قصة ويستطرد في اثنائها الى احكام كثيرة ثم يعود الى اتمامها وذلك كما تراه في سياق قصة احد في سورة آل عمران وقصة بدر في سورة الانفال على انه قد روي عنه صلى الله

عليه وآله وسلم الرد على الذين راموا ان يضعوا من نسبه وقام فيهم خطيبا وذلك لامرين الاول انهم يكذبون فى قولهم فبين لهم صلى الله عليه وآله وسلم كذبهم وظنهم الباطل والثانى ان ذلك يؤدي الى الغض من مقامه صلى الله عليه وآله وسلم والطعن في خيرية نسبه وافضليته وذلك كفر او نفاق فبين لهم طريق النجاة منهما ببيان ذلك والرسل انما تبعث في انساب قومها يوضحه الوجه (التاسع) فقد اخرج الترمذي وحسنه عن العباس ابن عبد المطلب قال قلت يارسول الله ان قريشا جالسوا فتذاكروا احسابهم بينهم فجعلوا مثلك مثل نخلة في كبوة من الارض فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق فجعلني من خير فرقهم وخير الفريقين، ثم خير القبائل فجعلني من خير القبائل، ثم خير البيوت فجعلني من خير بيوتهم فانا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا وفي رواية بلغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان قوما نالوا منه وفى رواية البيهقى ان القائل هو ابو سفيان فقصة بني تميم وقصة قريش متشابهتان فعلى ماتقدم يكون الله تعالى قد تولى الدفاع عن رسوله والرد على بني تميم وتبين ما في الآية من الابهام بما قاله صلى الله عليه وسلم في الرد على قريش فان في قوله صلى الله عليه واله وسلم فانا خيركم نفسا وخيركم نسبا بيان لافضليته عليهم فى نفسه وهذه اكرمية التقوى وفى نسبه وهذه

اكرمية النسب فكتاب الله وسنة رسوله يصدق بعضها بعضا و يؤيد بعضها بعضاً يوضحه الوجه (العاشر) ان تنزيل هذه الآية على غيره صلى الله عليه واله وسلم يؤدي الى احد امرين اما إحالة معنى الآية اذ لايوجد في الناس من هو بتلك الصفة غيره ، واما تفضيل غيره عليه وكلا الامرين ممتنع (الحادى عشر) ان الخطاب في الآية عام لسائر الناس لقول الله تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير . ولا نعلم خلافا في شمول هذا النوع من الخطاب له صلى الله عليه وآله وسلم فاذا اضيف الى ذلك ان صيغة افعل التفضيل تقتضي التميز وقطع المشاركة تبين لنا بذلك اختصاصه صلى الله عليه واله وسلم بمعنى الاكرمية المدلول عليها بهذه الاية والا كان فيها تفضيل غيره عليه والاجماع منعقد على خلافه (الثاني عشر) ان يكون المراد بالعندية فى قوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم عندية المنزلة في الدار الاخرة فلا تعارض ماكان متعلقا بالحكم الدنيوي كما قال تعالى بل أحياء عند ربهم يرزقون ، وما عند الله خير وابقى ، ماعندكم ينفد وما عند الله باق ، وان له عندنا لزلفى وحسن مآب ، لهم دار السلام عند ربهم . قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله ، فى روضات الجنات لهم مايشاؤن عند ربهم ، والذين عند ربك لايستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون ، فان استكبروا فالذين

عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون ، فى مقعد صدق عند مليك مقتدر . والآيات فى هذا المعنى كثيرة والله اعلم

(فصل) قال السوداني «وقال تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر اولو الالباب» ونقول انه اورد هذه الآية فى سياق الاستدلال على ما تقدم ولم يبين وجه الدلالة منها على ذلك فان فضل من يعلم على من لا يعلم وعدم التساوي بينهم من جهتي العلم والجهل أمر مسلم لا خلاف فيه ، ولكن ذلك لا ينفي ان يكون للنسيب فضل على من ليس كذلك فلا وجه للاستدلال بها على نفيه ، فان قيل بل لها الوجه الوجيه وذلك ان نفي المساواة بين الشيئين من صيغ العموم فتقتضي نفي الاستواء في جميع الأمور على ما ذهب اليه جمهور الشافعية وطوائف من الاصوليين والفقهاء فلا مساواة اذاً بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون من كل وجه (فجوابه) فليكن كذلك ونحن انما نستدل على التفاوت الذي هو عدم المساواة ، والتفاوت لا يناقض التفاوت لاختلاف الجهات فليس في ذلك رد علينا بحال ، على ان في اقتضاء هذه الصيغة للعموم خلافا شهيرا فقد ذهبت الحنفية والمعتزلة والغزالي والرازي الى انها ليست من صيغ العموم وغاية ما تدل عليه سلب عموم التسوية لتقدم حرف النفي لا عموم السلب وقد رجح الصفي الهندي ان نفي الاستواء من باب المجمل من المتواطي لا من باب العام وتقدمه

الى ترجيح الاجمال الكيا الطبري كما نقله الشوكاني ، فان قيل لعل وجه الدلالة منها انه مانفى المساواة بينهم الابسبب العلم ففاضل بينهم به (قلنا) هذا وجه صحيح ولكن ليس فيه ماينفي التفاضل ايضا بامور اخرى

﴿فصل﴾ واما استدلاله بقوله تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر وقوله تعالى ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء مايحكمون وقوله تعالى ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار وقوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية فلعمري ان هذا لهو القصص الحق آمنا بالله وآياته . والتفاوت بين هذه الاصناف واقع ماله من دافع ، وطوبى لمن آمن وعمل صالحا ، ولكن ليس فى هذا ماينفي فضل النسب الصالح لانالم نقل ولم يقل احد قبلنا ان الله وضع عن ذوى الانساب التكاليف واوجب لهم الفوز والفلاح بلا عمل صالح واما قوله بعد ايراد هذه الآيات ((وهكذا قدناط الله الفضل بالعلم والعمل الصالح والتقوى وقوة الايمان والعكس بالعكس في جميع احكامه بغير استثناء لطائفة من البشر)) اه فنقول ان عنى بكلامه اثبات الفضل والتفاضل بما ذكر مع اثبات فضل النسب الصالح والمعدن الكريم على ماليس كذلك فكلامه صحيح لاغبار عليه وان عنى به ذلك مع جحد فضل النسب الصالح والمعدن الكريم فالاخير باطل واما قوله ((فلا يفضل احد احداً الا اذا عمل

مايوجب الفضل ولا ينقص احد عن احد الا اذا اتصف بما يوجب النقص)) اهـ قلنا قد بينا ان هذا القول فيه حق وباطل والفضل قد يكون بمزايا اخرى غير العمل فقد يكون بالنبوة والرسالة والتكليم والمواهب الالهية والاصطفاء والاختيار والمحبة الالهية والخلة وبالاعمال الصالحة والنسب الصالح والمعادن الكريمة لانها أصل للاعمال الصالحة وبالقرابة كما تقدم وكما سيأتى مشفوعا بأدلته * ثم عقب ما تقدم بأدلته على عدم اعتبار الكفاءة وسياتي الكلام عليها في موضعه ان شآء الله تعالى وقد انتهى ما اردنا من كشف الحجاب، عن اغلاط صورة الجواب، حتى بدت واضعة النقاب، عارية الاهاب، ولما كان الذي في (فصل) التلميذ مبنيا على المنهار من بنيانها، والمتداعي من اركانها، فسنكتفي في ردما تكرر منها بما قد تقرر، وهذا اوان الكلام على اغلاط التلميذ فنقدم قبله تمهيدا ومقدمات

﴿ معنى الفضل ﴾

الفضيلة والفضل الخير وهو خلاف النقيصة والنقص قال في القاموس وشرحه «الفضل معروف وهو ضد النقص جمعه فضول والفضيلة خلاف النقيصة وهي الدرجة الرفيعة في الفضل وفضله على غيره تفضيلا مزاه اي اثبت له مزية اي خصلة تميزه عن غيره اوفضله حكم له بالتفضيل اوصيره كذلك» اهـ ملتقطا منهما وحكى الشارح عن الصيمري ان الفضل هو السودد وقال الراغب في مفرداته «والفضل اذا استعمل لزيادة احد الشيئين على الآخر فعلى ثلاثه اضرب فضل من

حيث الجنس كفضل جنس الحيوان على جنس النبات . وفضل من حيث النوع كفضل الانسان على غيره من الحيوان وعلى هذا النحو قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم الى قوله تفضيلا وفضل من حيث الذات كفضل رجل على آخر فالاولان جوهريان لاسبيل للناقص منهما ان يزيل نقصه وان يستقل بالفضل كالفرس والحمار لايمكنهما ان يكتسبا الفضيلة التي خص بها الانسان والفضل الثالث قد يكون عرضيا فيوجد السبيل الى اكتسابه ومن هذا النوع التفضيل المذكور في قوله تعالى والله فضل بعضكم . فضلا من ربكم يعني المال وما يكتسب وقوله بما فضل الله بعضهم على بعض فانه يعني بما خص به الرجل من الفضيلة الذاتية له والفضل الذي اعطاه من المكنة والمال والجاه والقوة قال ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وكل عطية لاتلزم من يعطي يقال لها فضل نحو قوله واسألو الله من فضله ذلك فضل الله . والله ذوالفضل العظيم وعلى هذا قل بفضل الله ولولا فضل الله» اه والذي يظهر من تصاريف هذه الكلمة انها مأخوذة من الفضل بمعنى الزيادة فان الفاضل يزيد فى المعنى الذي فضل به على من دونه ، والفضيلة التى هى الدرجة الرفيعة في الفضل تستلزم هذا المعنى ، والتفضيلُ اثبات مزية للغير ففيه معنى الزيادة بها ، وقد قالوا في السيد انه من زاد على قومه بخصلة من خصال الخير ففسروه باللازم لأن سيد القوم يكون كذلك غالبا ، ولهذا قال الصيمري ان الفضل هو السودد وكلام الراغب فى انواع الفضل حسن وقد ذكر ما يكون بالجنس وبالنوع وبالصنف وقوله «والفضل قد يكون عرضيا فيوجد السبيل الى اكتسابه ومن هذا النوع التفضيل المذكور في قوله تعالى بما فضل الله بعضهم على بعض به فانه يعني بما خص الرجل من الفضيلة الذاتية له» فيه تناقض فان كون الفضيلة ذاتية للرجل يمتنع

معه كونهـا عرضية يوجد السبيل الى اكتسابها ولعله اراد بالعرضي الذى يمكن اكتسابه ماسوى ذلك فانه قال بعد ما تقدم «والفضل الذي اعطاه من المكنة والمال والجاه والقوة » اولعله اراد بالذاتي خواص الصنف وقوله «وقال ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض فضل الله المجاهدين على القاعدين» فاما الاية الاولى فليس التفضيل الذي فيهـا من قسم العرضي الذي يكتسب ولم تكن نبوة مكتسبة فان قيل لعل المراد تفضيلهم في ماسوى ذلك من الاعمال، قلنا ان ربط التفضيل بلفظ النبيين وهولفظ مشتق يدل على ان النبوة هي العلة الذى وقع بهـا وفيها التفضيل ، ويرشح ذلك قوله وآتينا داود زبورا فانه مشعران التفضيل المراد هنا كان بما اوتوا ووهبوا . لابما عملوا وكسبوا ، فان ذلك فضل وتفاضل آخر، اما تفضيل المجاهدين على القاعدين فلاشك انه من القسم الذي يمكن اكتسابه ولكن تفضيل القاعدين اولي الضرر على القاعدين من غيرهم ليس منه وقوله « وكل عطية لا تلزم من يعطي يقال لها فضل » اه في معناه ما نقله شارح القاموس عن المناوي والجرجاني « ان الفضل ابتداء احسان بلاعلة» ولامنافاة بين العبارتين والابتداء بالاحسان بلاعلة يقتضي للمحسن اليه التفضيل والفضل على من لم يحصل له ذلك الاحسان

﴿ القول في اسباب الفضل ﴾

اسباب الفضل كثيرة فقد نقل الخفاجي والسمهودي والزرقاني عن

القرافي انه قال « ان اسباب الفضل اعم من الثواب فانها منتهية الى عشرين قاعدة» وقد بينها فى كتاب القواعد له ثم قال « بل انها اكثر وانه لايقدر على احصائها خشية الاسهاب » وقال السبكى بنحو ذلك من عدم الحصر فى مابه الثواب فقط وآيات القران تدل على التعميم وقد حصر بعض المتكلمين اسباب الفضل فيما يكون به الثواب وهو اصطلاح حادث تدل الايات القرآنية والاحاديث النبوية على خلافه

(ماقاله الراغب الاصبهاني في اسبابه)

قال فى كتابه تفصيل النشأتين في الكلام على اسباب تفاوت الناس مانصه « اسباب ذلك سبعة اشياء (الاول) اختلاف الامزجة وتفاوت الطينة واختلاف الخلقة كما اشير اليه فيما روي ان الله تعالى لما اراد خلق آدم عليه السلام امر ان يؤخذ من كل ارض قبضة فجاء بنو آدم على قدر طينتها الاحمر والابيض والاسود والسهل والحزن والطيب والخبيث والى نحو هذا اشار الله تعالى بقوله والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لايخرج الا نكدا وقال تعالى هوالذي يصوركم في الارحام كيف يشاء (والثاني) اختلاف احوال الوالدين في الصلاح والفساد وذلك ان الانسان قديرث من ابويه آثار ماهما عليه من جميل السيرة والخلق وقبيحهما كما يرث مشابهتهما في خلقهما ولهذا قال الله تعالى وكان ابوهما صالحا وعلى نحوه روي انه قال في التوراة اني اذارضيت باركت وان بركتي لتبلغ البطن السابع واذا سخطت لعنت وان لعنتي لتبلغ البطن السابع تنبيها على ان الخير والشر الذي يكسبه الانسان ويتخلق به يبقى موروثا الى البطن السابع (والثالث) اختلاف ما تتكون منه النطفة التي يكون منها الولد ودم الطمث الذي يتربى به الولد فذلك له تأثير بحسب طيب ماتكونا منه وخبثه ولهذا قال صلى الله عليه واله وسلم تخيروا النطفكم وقال الناكح غارس فلينظر احدكم اين يضع غرسه وقال اياكم وخضراء الدمن قيل وماخضراء الدمن قال المرأة

الحسناء فى المنبت السوء (والرابع) اختلاف مايتفقد به من الرضاع ومن طيب المطعم الذي يتربى به ولتاثير الرضاع تقول العرب لمن تصفه بالفضل لله دره (والخامس) اختلاف احوالهم في تأديبهم وتلقينهم وتطبيعهم وتعويدهم العادات الحسنة والقبيحة فحق الولد على الوالدين ان يؤخذ بالآداب الشرعية واخطار الحق بباله وتعويده فعل الخير كما قال النبي صلى الله واله وسلم مروهم بالصلاة لسبع واضربوهم لعشر ويجب ان يصان عن مجالسة الارديآء فانه فى حال صباه كالشمع يتشكل بكل شكل يشكل به وان يحسن فى عينه المدح والكرامة ويقبح عنده الذم والمهانة ويبغض اليه الحرص على المآكل والمشارب ويعود الاقتصاد فى تناولها ومخالفة الشهوة ومجانبة ذوي السخف ويؤخذ بقلة النوم فى النهار فهو يشيب ويورث الكسل ويعود التأني فى افعاله واقواله ويمنع من مفاخرة الاقران ومن الضرب والشتم والعبث والاستكثار من الذهب والفضة ويعود صلة الرحم وحسن تأدية فروض الشرع قال بعض الحكمآء من سعادة الانسان ان يتفق له فى صباه من يعوده تعاطي الشريعة حتى اذا بلغ الحلم وعرف وجوبها فوجدها مطابقة لما تعوده قويت بصيرته ونفذت فى تعاطيها عزيمته (والسادس) اختلاف من يتخصص به ويخالطه فيأخذ طريقته فيما يتمذهب به ، عن المرء لاتسئل وابصر قرينه ، (والسابع) اختلاف اجتهاده في تزكية نفسه بالعلم والعمل حين استقلاله بنفسه والفاضل التام الفضيلة من اجتمعت له هذه الاسباب المسعدة وهو ان يكون طيب الطينة معتدل الامزجة جاريا في اصلاب آبآء صالحين ذوي امانة واستقامة متكونا من نطفة طيبة ومن دم طمث طيب على مقتضى الشرع ومرتضعا بدر طيب ومأخوذا في صغره من قبل مربيه بالآداب الصالحة والصيانة عن مصاحبة الاشرار ومتخصصا بعد بلوغه بمذهب حق ومجهدا نفسه في تعرف الحق مسارعا الى الخير فمن وفق في هذه الاشيآء تتجمع فيه الخيرات من جميع الجهات كما قال الله تعالى لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم ويكون جديرا ان يعد ممن وصفه الله تعالى بقوله وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار والرذل التام الرذيلة هو من يكون بعكس هذا في الامور التي ذكرناها واعلم ان من طابت احواله انتفع بمن ماسمعه وشاهده ان خيرا وان شرا

ومن خبثت احواله استضر بكل ماسمعه وشاهده وعلى ذلك دل الله تعالى بقوله والبلد الطيب يخرج نباته بأذن ربه والذى خبث لايخرج الانكدا فالخبث من الارض وان طاب بذره وعذب مآؤه لاينبت الاخبثا والطيب من الارض وان كدر بذره وملح مآؤه لاينبت الاطيبا ولذلك قال سبحانه وتعالى في كتابه تسقى بمآء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل وقال في صفة كتابه قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لايؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى » اه وقال في موضع اخر من المفردات فى تحديد اطلاق لفظة فوق «الخامس باعتبار الفضيله الدنيوية نحو ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات او الاخروية والذين اتقو فوقهم يوم القيمه فوق الذين كفروا» اه فقد ذكر الراغب فى قوله الاول للفضل ثلاث جهات فضل الجنس على الجنس وفضل النوع على النوع ، وفضل الذات على الذات ، وذكر فى قوله الثانى للتفاضل والتفاوت بين الناس سبعة اسباب (الاول) اختلاف الامزجة والطينة والخلقة (الثانى) اختلاف حال الوالدين صلاحاً وفساداً وما يرثه الابن منهما وهذا هو المعدن وما يورث عنه (الثالث) اختلاف ما تتكون منه النطفة (الرابع) اختلاف الرضاع والطعام فان الرضاع يغير الطباع (الخامس) التأديب والتربية والعادة واختلاف انواعها (السادس) اختلاف القرين والمخالط (السابع) العمل فى التزكية او التدسية اذا استقل بنفسه وبقيت عليه اسباب كثيرة من اسباب الفضل والتفضيل بل ان تقسيمه المذكور اذا فصل عاد الى اسباب كثيرة ، وقد ذكر الراغب ان من اجتمعت له الاسباب السبعة فهو الفاضل التام الفضيلة ومن فقدت فيه فهو الرذل التام الرذيلة ، ويفهم من قوله هذا ان مابين ذلك درجات متفاوتة

ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم ، والذين يستوقف النظر في كلام الراغب هو قوله بتوارث الصفات التى تخلق بها الاب اذا صارت كالجبلة واستدل عليها بذلك الاثر وقد قال بمثله كثير من الباحثين لهذا العهد فى الخلق الذى تتخلق به السلالات وتحافظ عليه طبقة بعد اخرى حتى يرسخ ويتمكن في طبقاتها فيتوارث بعد رسوخه كما يتوارث الجبلي وقد غلا بعضهم فادعى التوارث حتى فيما تخلق به الشخص ولو قرب عهده وقد ردوا عليه دعواه

(مذهب ابن حزم فى اسباب الفضل)

ابن حزم معروف الحال كثير الشذوذ جرىء القلم ملموز بالنصب وفيه يقول ابن خفيف قلم ابن حزم وسيف الحجاج شقيقان وهو صاحب الحملات المشهورة المذكورة على الاشعري واكابر اصحابه وقد ذكر فى كتابه الفِصَل كلاما طويلا فى اسباب الفضل والتفضيل نلخص منه ما يأتي مع تعقيبه برد مختصر

(تقسيم الفضل)

ينقسم الفضل عنده الى قسمين لا ثالث لهما (الاول) فضل اختصاص من الله بلا عمل (والثاني) فضل مجازاة من الله بعمل ، فاما فضل الاختصاص فيخص الله به من يشاء من المخلوقين * الناطق كفضل الانبيآء عليهم الصلاة والسلام فى ابتداء خلقهم (يعنى قبل مباشرتهم الاعمال ونحوها) على الانس والجن وفضل ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وآله وسلم على سائر

الاطفال * وغير الناطق كفضل ناقة صالح عليه الصلاة والسلام وفضل مكة وفضل المدينة وفضل المساجد وفضل الحجر الاسود وفضل رمضان وفضل الايام الفاضلة والليالي الفاضلة فهذا هو فضل الاختصاص المجرد بلاعمل ، واما فضل المجازاة فلايكون البتة الا للحي الناطق من الملائكة والانس والجن وهذا هو القسم الذى تنازع الناس فيه

﴿ نتيجة الفضل وثمرته ﴾

له نتيجتان (اولاهما) ايجاب الله تعظيم الفاضل فى الدنيا على المفضول وهذه يشترك فيها كل فاضل سوآء كان فضله بعمل ، او اختصاص مجرد بلاعمل ، وسوآء كان ذلك الفاضل عرضا اوجمادا اوحيا ناطقا اوغير ناطق كما امر الله بتعظيم الكعبة والمساجد ويوم الجمعة والشهر الحرام وشهر رمضان وناقة صالح عليه الصلاة والسلام وابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (ثانيتهما) ايجاب الله تعالى للفاضل درجة فى الجنة اعلا من درجة المفضول ، وقد يكون دخول الجنة اختصاصا مجردا وذلك للاطفال كما ذكرنا قبل

﴿ قوله بفضل امهات المؤمنين رضي الله عنهن على سائر الخلق بعد الانبياء والمرسلين ﴾

قال ان زوجات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم افضل الخلق بعد الانبياء والمرسلين لانهن في درجته صلى الله عليه وآله وسلم وفى قصوره فى الجنة وعلى سرره فيها بيقين لايداخله الشك وفضلهن هذا فضل عمل

لافضل اختصاص مجرد لأن عملهن افضل من عمل بقية الصحابة

﴿ ايراد اورده على نفسه وجوابه ﴾

ثم اورد على قوله هذا مايلزمه في ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فانه في درجة ابيه صلى الله عليه وآله وسلم فيكون افضل من سائر الصحابة كأمهات المؤمنين (واجاب) عن ذلك بان الذي حصل لابراهيم بن رسول الله عليه وآله وسلم اختصاص مجرد اكراما لابيه صلى الله عليه وآله وسلم لابعمل كان منه لانه لم يبلغ اوان العمل ، وحينئذ فلا تصح المفاضلة بينه وبين بقية الصحابة لعدم اتحاد جهة التفضيل

﴿ ايراد آخر ﴾

ثم اورد على نفسه حديث انه لن يدخل احد منكم الجنة بعمله اي فيكون دخول المؤمنين كلهم اختصاصا مجردا ورحمة من الله وفضلا (واجاب) عن ذلك بان المنفي دخول الاستحقاق بالعمل والوجوب على الله به

﴿ استنتاج مما تقدم ﴾

ثم استنتج مما تقدم انه يمتنع يقينا ان يجازى الافضل بالانقص وعكسه وانه لايجزى احد من اهل الاعمال الا بما استحقه برحمة الله جزاء على عمله ، ولله ان يتفضل على من شآء بماشآء ، وجائز ان يقدم على ذوي الاعمال الرفيعة لانه يختص برحمته من يشآء ، فمفهوم من كلامه هذا ان الممتنع من جهة الجزاء جائز من جهة التفضل

﴿ سوال وجواب ﴾

ثم قال لو قال: قائل اي المكانين اعلى فى الجنة وافضل أمكان ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ام مكان ابي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم؟ قلنا مكان ابراهيم اعلى بلا شك، ولكن ذلك المكان اختصاص له مجرد لم يستحقه بعمل ولم يستحق ان يقصر به عنه، ومواضع هؤلاء المذكورين جزاء لهم على قدر فضلهم وسوابقهم، وكذلك الزوجات ولذلك صحت المفاضلة بينهن وبين الاصحاب

﴿ سوال وجواب آخر ﴾

ثم قال فان قال قائل انهن لولا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ماحصلن على تلك الدرجة اي فيكون فضلهن من نوع الاختصاص المجرد (واجاب بقوله) نعم ومثل ذلك يقال في جميع الصحابة فلولا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ماحصلوا ايضا على الدرج التي لهم واذ قد ثبت فضلهم مع ذلك فليثبت فضلهن معه ويبقى ما كان على ما كان اي فيكون هذا الايراد مشترك الالزام

﴿ اعتراض وجوابه ﴾

ثم بعد ان اطال الكلام في تفضيل عائشة رضي الله عنها على بقية الصحابة، ذكر انه اعترض عليه بانه يلزم على قوله هذا ان تكون امرأة ابي بكر افضل من علي رضي الله عنهما لأن امرأة ابي بكر مع

ابي بكر في الجنة في درجة واحدة وهي اعلى من درجة علي عليه السلام ، ثم اجاب بعد تذبذب وتذاؤب وترنح وتجاهل بايهما الأفضل انه يحتمل ان يكون لازواج الصحابة من الصحابيات والتابعيات منازل سافلة عمن يفضلهن من الصحابة فينزل ازواجهن اليها ولا يرتقين الى درجاتهم العالية

اعتراض وانتقاض

ثم ذكر انه عورض بانه يلزم على ما ذكره ان يكون ازواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم افضل من جميع الانبياء والمرسلين لانهن معه صلى الله عليه وآله وسلم في درجته التي تعلو كل درجة وقد استحققنها باعمالهن (واجاب) بأن الجنة دار ملك وطاعة وعلو منزلة ورئاسة واتباع من التابع للمتبوع ، والانبياء متبوعون والازواج تابعات فلا ينظر في التفاضل بينهم مع اختلاف الطبقة ، وانما يفاضل بين المتبوعين أيهم افضل اوبين الاتباع أيهم افضل ، ويعلم الفضل بعلو درجة كل فاضل على من دونه في الفضل ، ولايجوز ان ينظر بين الاتباع والمتبوعين لأن المتبوعين لايكونون احط درجة من التابعين قال واذ قد صح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه يأتي مع امته فنحن مع نبينا صلى الله عليه وآله وسلم فالزمنا من هذا الاعتراض يلزم المعترض مثله فيما ذكرنا

﴿ اعتراض آخر ﴾

ثم قال فان قال قائل هل قال هذا احد قبلكم ، قلنا له وبالله التوفيق وهل قال هذا أحد قبل من يخالفونا الآن ومعنى كلامه هنا والله اعلم انا قلنا في التفضيل بغير سلف لنافيه ، كما قال مخالفونا فيه بغير سلف فما جاز لهم جاز لنا ، ثم تمادى في ايرادات واعتراضات لامحل لذكرها

﴿ الرد على ابن حزم ﴾

ونقول ان تقسيمه الفضل الى قسمين لاثالث لهما خطأ بين وتأصيل فاسد فلذلك جاءت نتائيجه فاسدة باطلة ، والصواب ان الفضل ينقسم الى ثلاثة أقسام (الاول) فضل الاختصاص (والثاني) فضل الاعمال (والثالث) فضل مركب من الاختصاص والاعمال ، فاما فضل الاختصاص وفضل الاعمال فقد مثل لهما واما الفضل المركب منهما فقد جاء في كلامه امثلة له ولكنه غض طرفه عنها لمكان العصبية والنصب ، ولو لا اغفاله هذا القسم لما وصل به الحال الى خرق الاجماع والقول بما لم يقل به احد قبله

﴿ تذبذ به في فضل الاختصاص ﴾

قد جعل من فضل الاختصاص المجرد عن العمل فضل ابراهيم بن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لانه في درجة ابيه صلى الله عليه وآله وسلم ثم لم يفضله بذلك على بقية الصحابة كما فضل امهات المؤمنين عليهم ، فنقول له انك جعلت رفعت الدرجة لازما من لوازم الفضل ومهما وجد اللازم

وجد الملزوم وتعدد السبب لا يوجب اختلاف المسبب المعين ، فان قلت ان رفعة الدرجة ان كانت مسببة عن عمل اوجبت لصاحبها فضلا على غيره ، وان كان سببها الاختصاص المجرد لم توجب له فضلاً قلنا لك ان هذا تحكم وفيه شمة من قول المعتزلة في علة التكليف ويلزمك ان لاتجعل لابراهيم بن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فضلا على غيره من سائر الامة ولا اطفالها الذين ماتوا صغارا ، لانه اذا امتنع التفضيل بينه وبين سائر الصحابة امتنع لامحالة بينه وبين سائر الامة وهذا يناقض اصلك السابق ، وينفي فضل الاختصاص فلايكون للانبياء عليهم الصلاة والسلام فضل اختصاص على غيرهم ولا لبعضهم على بعض وقد قال الله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس فنص على تفضيلهم بما هو من قبيل الاختصاص ، وقال تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا فنص على مافضل به دواد وهو الزبور ، ويلزم ان لا يكون للنبيين فضل على غيرهم بالنبوة لان نبوة النبي غير تقواه ونبوته اختصاص مجرد ، ومن البديهي انهم سيفضلون على غيرهم فى درجات الجنة لا بالاعمال فقط لان من النبيين من لم يؤمن به احد من أمته فيمكن ان يكون لغيره من غير الانبياء من الاعمال ما ليس له مع الاجماع على افضلية النبيين على

غيرهم ، فيلزم ان ترفع درجته بنفس النبوة فالانبياء قد فضلوا على غيرهم بالاختصاص والمواهب هنا وهناك ، وبذلك يثبت ان لرفعة الدرجة فى الجنة فضلاً سوآء كان سببها العمل او الاختصاص فانه قد يكون للشيء الواحد سببان وبهذا يظهران ابراهيم بن النبي صلى الله عليه وآله وسلم افضل من جهة فضل الاختصاص الذي حصل له لكونه ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اكراما لابيه كما يقال مثل ذلك في الذرية الذين الحقوا بابائهم وان ذوي الاعمال من الصحابة افضل من جهة شرف الاعمال وكثرة انواع النعيم لامن جهة لازمها الذي هو رفعة الدرجة لانه ارفع درجة منهم . واما تفضيلك ازواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على سائر اصحابه لوجود لازم الفضل وهو رفعة الدرجة وزعمت ان هذا فضل جزاء وان اعمالهن تفضل اعمال الصحابة ، فجوابه ان درجتهن رفيعة وقد بلغنها بفضل الاختصاص والتفضل لابأعمالهن فقط . لانا نعلم ان اعمالهن لاتبلغ بهن درجة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لانه يلزم عليه ان تكون اعمالهن كاعمال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والقول بهذا كفر ، ويقال بمثل هذا في زوجة كل نبي وفي زوجات الصديقين والشهداء والصالحين فيلزم على قولك ان يكون عمل زوجة النبي الافضل مماثلا لعمله ، واعظم من عمل كل فرد من امته . وهكذا فان قيل ان امهات المؤمنين

رضي الله عنهن قد فضلت اعمالهن جميع اعمال السابقين الاولين لقول الله تعالى ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين فبسبب ايتائهن الاجر مرتين زادت اعمالهن على اعمالهم ، قلنا وهل ساوى عمل كل واحدة منهن عمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى بلغن الى درجته فلابد من لا ، قلنا فبطل قولك ونقول ايضا من أين اتاهن الاختصاص بايتاء الاجر مرتين ؟ ولم خوطبن بقوله تعالى لستن كأحد من النسآء ؟ اليس ذلك من اجل وصلتهن به صلى الله عليه وآله وسلم اكراما له ؟ فهذا من فضل الاختصاص وحينئذ فلابد من القول بالقسم الثالث الذى هو الفضل المركب من الاختصاص والعمل، وبه يتم الخروج من هذه الالزامات وامثالها ، ولو فرضنا انه تم ما هم به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من طلاق سودة رضي الله عنها فماذا يقول ابن حزم فى اعمالها رضى الله عنها ؟ هل تبلغ بها درجة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كسائر الازواج الباقيات في عصمته صلى الله عليه وآله وسلم ؟ وهل يقول بفضل اعمالها التي عملتها وهي فى حال الزوجية على اعمال افاضل الصحابة ؟ ولواتصل طلاقه لها بموتها فهل تستحيل اعمالها من المضاعفة الى النقص حتى تنزل بذلك من الدرجة توجبها المضاعفة الى درجة امثالها من سائر النسآء آم لافيخالف قوله تعالى يانساء النبي

لستن كأحد من النسآء وماذا يقول فى سراريه صلى الله عليه وآله وسلم كمارية القبطية فانهن معه صلى الله عليه وآله وسلم ولم يأت النص بمضاعفة اجورهن كما جاء في شان الازواج فتعين أن الحاق ازواجه صلى الله عليه وآله وسلم بدرجته هو من محض الفضل والاختصاص ولم يبلغنها باعمالهن ، والالزم الممتنع فى مطلقته مثلا وهو مساواة درجتها له أو لنسائه فان قال ، ان مضاعفة عملها ورفعة درجتها مشروط ببقائها فى عصمته قلنا وبهذا صحت المسئلة ، وايضا فانه قال يمتنع جزآء الافضل بالانقص وعكسه وجوزان يقدم المتفضل عليه بمحض الاختصاص على ذوي الاعمال الرفيعة ، وهذا إقرار منه بتجويز ان يكون بعض ذوي الاختصاص أعظم درجة من ذوي الاعمال ، واذا ثبت ذلك له ثبت فضله عليه لامحالة ، وان لم يكن سبب فضله العمل لان الثمرة والنتيجة واحدة والاسم المجرد لايجدي فى صحة الفرق ، والرزق لا يتخلف معناه وفائدته اذا كان باكتساب او بغير احتساب ، وبهذا يظهر تناقضه فى حكمه برفعة درجة ابراهيم بن النبي صلى الله عليه وآله وسلم على درجة كل صحابي مع نفيه لازم ذلك وهو فضله عليهم ، لامتناع وجود لازم الشيء بدون ملزومه ، لانه قال ان رفعة الدرجة لازم من لوازم الفضل وذلك موجود هنا ، واما نحن فنقول ان ابراهيم عليه السلام افضل من جهة القرابة التى نال بسببها تلك المنزلة الرفيعة ، وان فضله غيره من جهة فضل العمل

وكما ان الاعمال سبب المجازاة كذلك كانت القرابة سببا لهذا الاختصاص واما ما اورده على نفسه بان ازواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ماادركن ذلك الا به صلى الله عليه وآله سلم فانه ايراد صحيح لايدفع وجوابه عنه بانه يقال مثله فى سائر الصحابة فلولا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما حصلوا على تلك الدرج التى بلغوها جواب مؤيد للايراد . مبرهن عليه . وبه يثبت ان الازواج وسائر الصحابة مابلغوا الدرجات العالية الا به صلى الله عليه وآله وسلم وكان لهم حظ من فضل الاختصاص ، به فاقت اعمالهم سائر الاعمال وبه بلغوا مالا يبلغ الا به

﴿ اضطرابه فى ام رومان رضي الله عنها وامير المؤمنين علي عليه السلام ﴾

وان تعجب فعجب ذلك الايراد الذي اورده على نفسه وهو انه يلزم على قوله ان ام رومان في درجة ابي بكر رضي الله عنهما ان تكون افضل من علي كرم الله وجهه وقد تجاهل في جوابه وترنح وراوده النصب ان يفضل ام رومان ثم جبهته النصوص والفضائل العالية ، فاضطرب ووصل به التذبذب الى النكوص والتقهقر فلاذ باحتماله ان يكون لابي بكر رضي الله عنه منازل عالية تعلو سائر الاصحاب ، ومنازل سافلة عن كثير منهم يلتقي فيها بام رومان رضي الله عنها ويقال بمثل هذا فى ازواج الافضل من سائر الصحابة بالنسبة الى المفضول منهم وانما ضرب ابن حزم المثل بام رومان وعلي

كرم الله وجهه دون عمر وعثمان رضي الله عنهما لان عليا عليه السلام زوج البتول ابنة رسول صلى الله عليه وآله وسلم وهي سيدة نساء العالمين وهي مع زوجها عليه السلام وقد قال لها ابوها انك اول اهلي لحوقا بي ونعم السلف أنا لك فيلزم ان تكون درجتها أسفل من درجة ام رومان بل ودرجة ازواج سائر الخلفاء وبالجملة فلكلامه هذا لوازم باطلة خبيثة (الاول) أنه يلزم ان لا يكون لابي بكر رضي الله عنه ازواج في درجاته العالية فى الجنة، لامن الحور العين ولا غيرهن لان الآدميات افضل منهن، فيلزم على القول بوجود الزوجات فيها ان تكون الحور العين اوغيرهن من زوجات ابي بكر افضل من ام رومان الصحابية المهاجرة السابقة، بل ومن في درجتها او دونها من الصحابة (الثاني) أن هذا تشتيت لشمل الصحابة وازواجهم وتفريق بينهم في الدار التى يجمع الله فيها شمل المؤمن ويقر عينه (الثالث) انه احتمل ان يكون لابي بكر درجات سافلة يلتقي فيها بام رومان رضي الله عنها فيقال له ان ابا بكر قد ادرك هذه الدرجات بعمله وعمله يقتضى درجات عالية لاسافلة، وايضا فان ام رومان لا تبلغ بعملها درجات ابي بكر، ولا يصح ان يدعي لاعمالها المضاعفة كامهات المؤمنين، لانه يلزم ان يدعي ذلك ايضا لكل زوجة مع زوجها اذا كانت اعمالها لا تبلغ بها درجته، اوتتفاوت درجاتهم فيؤدي ذلك الى تباعدهم وتفرقهم وان تنزل الزوجة

اذا كانت درجتها عالية الى درجة زوجها السافلة ، و يرد ماذكرناه بالنسبة الى زوجات الرسل مع من دونهم في الفضل من المرسلين والمؤمنين ويلزم ايضا ان تكون الاعمال موجبة للنقص لاللفضل لان فاطمة على ابيها وعليها الصلاة والسلام لوماتت صغيرة لكانت مع أخيها ابراهيم فى درجة أبيها عليهم الصلاة والسلام فلما بلغت الايمان والاعمال قصرت بسببها عن الوصول اليها ، وبالجملة فانه يلزم على قوله مالايحصى من اللوازم الباطلة الفاسدة المردودة عقلا ونقلا ولكن ما على مثله يعدالخطاء

﴿ انتقاض اصله الذي أصله ﴾

اورد على نفسه انه يلزم ان يكون ازواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم افضل من ابراهيم وموسى وبقية الانبيآء عليهم الصلاة والسلام لرفعة درجتهن التى استحققنها بالاعمال ، لان لازم الفضل وهو رفعة الدرجة موجود فالملزوم موجود ، ثم اجاب عنه بأن الانبيآء فى درجاتهم ذوو رئاسة وانهم متبوعون فيها وهذا جواب فاسد ، لانه جعل رفعة الدرجة لازم للفضل ولايجوز انفصال اللازم عن ملزومه فالا يراد باق بحاله وهذا قول بما لم يقل به احد وتفضيل لهن على الانبياء عليهم الصلاة والسلام من جهة واحدة ، لانه يقول انهن بلغن درجة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باعمالهن فلم يكتف بدعواه موازاة اعمالهن لاعماله صلى الله عليه وآله وسلم حتى قال بفضلها على اعمال سائر

الانبيآء والمرسلين * سلمنا ان لهم من فضل الرئاسة والمتبوعية ماليس لهن ولكن هذا لاينفي رفعة درجتهن المستلزمة لفضلهن وغاية مايقتضيه جوابه هذا ان يكون لهم فضل آخر ليس لهن وهو فضل الرئاسة على اتباعهم ، وقوله انه لايجوز النظر في التفضيل بين الاتباع والمتبوعين قول فاسد لادليل عليه فانه كما يصح النظر بين الاتباع والمتبوعين من طبقة واحدة كذلك يصح النظر بين هذه الطبقة ومتبوعي غيرها وقد قال في امهات المؤمنين انهن افضل من جميع الخلق بعد الملائكة والنبيين عليهم الصلاة والسلام فنظر في فضلهن الى الاتباع والمتبوعين ، وتأتي مثل هذه الايرادات في النظر بين ازواج سائر الانبيآء وبقية افاضل الصحابة ، واما قوله انه قد صح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه يأتي مع امته فنحن مع نبينا صلى الله عليه وآله وسلم فهو نقض لأصله السابق ، لان هذا من الاختصاص اكراماله صلى الله عليه وآله وسلم لايدرك بمجرد العمل ، وسيأتي في كلامنا ماتنحل به كثير من هذه الاشكالات ولا مندوحة عن القول بالفضل المركب من فضل العمل وفضل الاختصاص وقال الحافظ ابن حجر في الفتح « وقد سئل السبكي هل قال احد أن احدا من نسآء النبي صلى الله عليه وآله وسلم غير خديجة وعائشة افضل من فاطمة فقال قال به من لايعتد بقوله وهو من فضل نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم على جميع الصحابة لانهن في درجته في الجنة قال وهو قول ساقط مردود اهـ وقائله هو ابو محمد بن حزم وفساده

ظاهر قال السبكي ونساؤه صلى الله عليه وآله وسلم بعد خديجة وعائشة متساويات في الفضل لقول الله تعالى لستن كأحد من النسآء ان تقيتن الخ » اه والخلاف في التفضيل بين هؤلاء منتشر لا محل لذكره والله اعلم

كلام ابن القيم فى الاختيار والاصطفاء والتفضيل بهما

لابن القيم كلام فى ذلك مفرق في مؤلفاته نقتطف منه ماتيسر وقد وضعنا لما نقلناه تراجم تدل على مضمونه

معنى الاختيار والفضل به

« ليس المرادبا لاختيار الارادة التي يشير اليها المتكلمون فان هذا الاصطلاح حادث منهم لايحمل عليه كلام الله — اي ولا كلام رسوله — بل لفظ الاختيار في القرآن مطابق لمعناه في اللغة وهو اختيار الشيء على غيره وهو يقتضي ترجيح ذلك لمختار وتخصيصه وتقديمه على غيره وهذا امر اخص من مطلق الارادة والمشيئة قال في الصحاح الخيرة الاسم من قولك خار الله لك فى هذا الأمر والخيرة ايضا يقول محمد خيرة الله من خلقه وخيرة الله ايضا بالتسكين والاختيار الاصطفاء وكذاك التخير والاستخارة طلب الخيرة بقال استخر الله يخرلك وخيرته بين الشيئين فوضت اليه الاختيار انتهى فهذا هو الاختيار فى اللغة وهو اخص مما اصطلح عليه اهل الكلام قال الله تعالى والله يخلق مايشاء ويختارما كان لهم الخيرة سبحانه وتعالى عما يشركون فالاختيار العام الذي هو المشيئة وهو الذى يعنيه المتكلمون داخل فى قوله تعالى والله يخلق مايشاء وهو اختيار قبل الخلق وقوله تعالى و يختار المرادبه ههنا الاجتباء والاصطفاء فهو اختيار بعد الخلق وهو اخص ومتأخر فهو اختيار من الخلق وذلك اى الاختيار العام الذي هو بمعنى المشيئة اختيار من الخلق وذلك اي الاختبار العام الذي هو بمعنى المشيئة اختيار للخلق واصح القولين ان الوقف التام على قوله تعالى ويختار ويكون ماكان لهم الخيرة نفيا اي ليس هذا الاختيار اليهم بل هو الى الخالق وحده فكما هو المتفرد بالخلق فهو المتفرد بالاختيار منه فليس لاحد ان يخلق ولايختار سواه فانه سبحانه اعلم بمواقع اختياره

وحال رضاه ومايصلح للاختيار ومالا يصلح له وغيره لايشاركه في ذلك بوجه فهو سبحانه وتعالى ينفي هذا عنهم ويبين تفرده بالاختيار كما قال تعالى وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون فانكر عليهم سبحانه تخيرهم عليه واخبر ان ذلك ليس اليهم بل الى الذي قسم بينهم معائشهم المتضمنة لارزاقهم ومدد آجالهم وكذلك هو الذي قسم فضله بين اهل الفضل على حسب علمه بمواقع الاختيار ومن يصلح له ممن لا يصلح وهو الذي رفع بعضهم فوق بعض درجات وقسم بينهم معائشهم ودرجات التفضيل فهو القاسم ذلك وحده لاغيره وهكذا هذه الآية بين فيها انفراده بالخلق والاختيار فانه سبحانه وتعالى اعلم بمواقع اختياره كما قال تعالى واذا جاءتهم آية قال لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله الله اعلم حيث يجعل رسالته اي الله اعلم بالمحل الذي يصلح لاصطفائه وكرامته وتخصيصه بالرسالة والنبوة دون غيره » اه من زاد المعاد له

تعديد بعض المخلوقات المختارة المصطفاة

ذكر ابن القيم « ان الله خلق السموات سبعا فاختار العليا منها فجعلها مستقر المقربين من ملائكته واختصها بالقرب من عرشه وغير ذلك مما عدده قال وهذا التفضيل والتخصيص مع تساوي مادة السموات من ابين الادلة على كمال قدرته وحكمته وانه يخلق مايشاء ويختار ومن هذا تفضيله سبحانه جنة الفردوس على سائر الجنات قال ومن هذا اختياره من الملائكة المصطفين منهم على سائرهم كجبريل وميكائيل واسرافيل وكذلك اختياره سبحانه للانبياء من ولد آدم عليه الصلاة والسلام واختياره الرسل منهم واختياره اولي العزم منهم واختياره منهم الخليلين ابراهيم ومحمد صلى الله عليهما (وآلهما) وسلم ومن هذا اختياره سبحانه وتعالى ولد اسماعيل من أجناس بني آدم ثم اختار منهم بني كنانة بن خزيمة ثم اختار من ولد كنانة قريشا ثم اختار من قريش بني هاشم ثم اختار من بني هاشم سيد ولد آدم محمد صلى الله عليه (وآله) وسلم وكذلك اختار اصحابه من جملة العالمين واختار منهم السابقين

لاولين واختار منهم اهل بدر واهل بيعة الرضوان واختار لهم من الدين اكمله ومن الشرائع افضلها ومن الاخلاق ازكاها واطهرها واطيبها واختار امته صلى الله عليه (وآله) وسلم على سائر الامم كما فى مسند الامام احمد وغيره من حديث بهز بن حكيم ابن معاوية بن حيدة عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انتم موفون سبعين امة انتم اخيرها واكرمها على الله قال علي بن المديني واحمد حديث بهز بن حكيم عن ابيه عن جده صحيح وظهر اثر هذا الاختيار فى اعمالهم واخلاقهم وتوحيدهم ومنازلهم في الجنة ومقاماتهم في الموقف فانهم اعلى من الناس على تل فوقهم مشرفون عليهم ومن هذا اختياره سبحانه وتعالى من الاماكن والبلاد خيرها واشرفها وهي البلد الحرام » اه من زاد المعاد

(اثبات المزية لما ثبت له الاصطفاء وكون الفضل ذاتيا وصفاتيا والانكار على من زعم خلاف ذلك اوساوى بين ذوات المخلوقات المصطفاة وغيرها مما ليس كذلك)

اورد ابن القيم في كتابه اعلام الموقعين السوال المشهور وهوان الله خص بعض الازمنة على بعض وبعض الامكنة على بعض بخصائص شرعية مع تساويها في الذات فجعل ليلة القدر خيراً من الف شهر وجعل شهر رمضان سيد الشهور وجعل مكان البيت افضل بقاع الارض ثم رد عليه بقوله « فالمقدمة الاولى صادقة والثانية كاذبة ومافضل بعضها على بعض الالخصائص قامت بها اقتضت التخصيص وما خص سبحانه وتعالى شيئا الا بمخصص ولكنه قد يكون ظاهراً وقد يكون خفيا واشتراك الازمنة والامكنة فى مسمى الزمان والمكان كاشتراك الحيوان فى مسمى الحيوانية والانسان فى مسمى الانسانية بل وسائر الاجناس في المعنى الذي يعمها وذلك لايوجب استواءها في انفسها والمختلفات تشترك في امور كثيرة والمتفقات تتباين فى امور كثيرة والله سبحانه وتعالى احكم واعلم من ان يفضل مثلا على مثل من كل وجه بلا صفة تقتضي ترجيحه هذا مستحيل في خلقه وامره كما انه سبحانه لايفرق بين المتماثلين من كل وجه فحكمته وعدله تأبى هذا وهذا وقد نزه سبحانه نفسه عمن يظن به ذلك وانكر

عليه زعمه الباطل وجعل حكمه منكرا ولوجاز عليه مايقول هولاء لبطلت حججه وادلته فان مبناها على ان حكم الشيء حكم مثله وعلى ان لايسوى بين المختلفين فلايجعل الابرار كالفجار ولا المؤمنين كالكفار ولا من اطاعه كمن عصاه ولا العالم كالجاهل وعلى هذا مبنى الجزاء فهو حكمه الكوني والديني وجزاؤه الذى هو ثوابه وعقابه وبذلك حصل الاعتبار ولاجله ضربت الامثال وقصت علينا اخبار الانبياء واممهم ويكفي فى بطلان هذا المذهب المتروك الذي هو افسد مذاهب العالم انه يتضمن مساواة ذات جبريل لذات ابليس وذات الانبياء لذات اعدائهم ومكان البيت العتيق بمكان الحشوش وبيوت الشياطين وانه لافرق بين هذه الذوات فى الحقيقة وان ماخصت به هذه الذات عن هذه الذات كان لمحض المشيئة المرجحة مثلا على مثل بلا موجب بل قالوا ذلك في جميع الاجسام وانها متماثلة فجسم المسك عندهم مساو لجسم البول والعذرة وانما امتاز عنه بصفه عرضية وجسم الثلج عندهم مساو لجسم النار فى الحقيقة وهذا مما خرجوا به عن صريح المعقول وكابروا فيه الحس وخالفهم فيه جمهور العقلاء من اهل الملل والنحل وماساوى الله بين جسم السماء وجسم الارض ولا بين جسم النار وجسم الماء ولا بين جسم الهواء وجسم الحجر وليس مع المنازعين فى ذلك الا الاشتراك في امر عام وهو قبول الانقسام والابعاد الثلاثة والاشاره الحسية ونحو ذلك مما لايوجب التشابه فضلا عن التماثل وبالله التوفيق » وقال في زاد المعاد بعد ان افاض في ذكر خصائص البيت الحرام «وهذا كله سر اضافته اليه سبحانه وتعالى بقوله وطهر بيتي فاقتضت هذه الاضافة الخاصة من هذا الاجلال والتعظيم والمحبة مااقتضته كما اقتضت اضافته لعبده ورسوله الى نفسه مااقتضت من ذلك وكذلك اضافته عباده المؤمنين اليه كستهم من الجلال والمحبة والوقار ما كستهم فكلما اضافة الرب تعالى الى نفسه فله من المزية والاختصاص على غيره ما اوجب له الاصطفاء والاجتباء ثم يكسوه بهذه الاضافة تفضيلا آخر وتخصيصا وجلالة زيادة على ماله قبل الاضافة ولم يوفق لفهم هذا المعنى من سوى بين الاعيان والافعال والازمان والاماكن وزعم انه لامزية لشيء منها على شيء وانما هو مجرد ترجيح بلا مرجح وهذا القول باطل باكثر من اربعين وجهاً قد ذكرت في غير هذا الموضع ويكفي تصور هذا

المذهب في فساده فان مذهباً يقتضي ان يكون ذوات الرسل كذوات اعدائهم في الحقيقه وانما التفضيل بامر لايرجع الى اختصاص الذوات بصفات ومزايا لاتكون لغيرها وكذلك نفس البقاع واحدة بالذات ليس لبقعة على بقعة مزية البتة وانما هو لما يقع فيها من الاعمال الصالحة فلامزية لبقعة البيت والمسجد الحرام ومنى وعرفة والمشاعر على اي بقعة سميتها من الارض وانما التفضيل باعتبار امر خارج عن البقعة لايعود اليها ولا الى وصف قائم بها والله سبحانه وتعالى قد رد هذا القول الباطل بقوله تعالى واذا جاءتهم آية قالو لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله قال الله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالته اى ليس كل احد اهلا لها ولاصالحًا لتحمل رسالته بل لها محال مخصوصة لاتليق الا بها ولا تصلح الا لها والله اعلم بهذه المحال منكم ولوكانت الذوات متساوية كما يقول هولاء لم يكن فى ذلك رد عليهم وكذلك قوله تعالى وكذلك فتنا بعضهم بعض ليقولوا أهولاء من الله عليهم من بيننا اليس الله باعلم بالشاكرين اى هو سبحانه وتعالى اعلم بمن يشكره على نعمته فيختصه بفضله ويمن عليه ممن لايشكره فليس كل محل يصلح لشكره واحتمال منته والتخصيص لكرامته فذوات ما اختاره واصطفاه من الاعيان والاماكن والاشخاص وغيرها مشتملة على صفات وامور قائمة بها ليست فى غيرها ولاجلها اصطفاها الله وهو سبحانه الذى فضلها بتلك الصفات وخصها بالاختيار فهذا خلقه وهذا اختياره وربك يخلق مايشاء ويختار وما ابين بطلان رأي يقتضي بان مكان البيت الحرام مساو لسائر الامكنة وذات الحجر الاسود مساوية لسائر حجارة الارض وذات رسول الله صلى الله عليه واله وسلم مساوية لذات غيره وانما التفضيل في ذلك بامور خارجة عن الذات والصفات القائمة بها وهذه الاقاويل وامثالها من الجنايات التى جناها المتكلمون على الشريعة ونسبوها اليها وهي برئية وليس معهم اكثر من اشتراك الذوات في عام مع اختلافها في صفاتها النفسية وما سوى الله بين ذات المسك وذات البول ابداً ولا بين ذات الماء وذات النار ابداً والتفاوت البين بين الا مكنة الشريفة واضدادها أمر اعظم من هذا التفاوت بكثير فبين ذات موسى عليه السلام وذات فرعون من التفاوت اعظم مما بين المسك والرجيع وكذلك التفاوت بين نفس الكعبة وبين

بيت السلطان اعظم من هذا التفاوت ايضا بكثير فكيف يجعل البقعتان سواء في الحقيقة والتفضيل باعتبار مايقع هناك من العبادات والاذكار والدعوات، ولم نقصد استيفاء الرد على هذا المذهب المردود والمرذول وانما قصدنا تصويره والى اللبيب العادل العاقل التحاكم ولايعبأ الله وعباده بغيره شيئاً والله سبحانه وتعالى لا يخصص شيئاً ولايفضله ويرجحه الا لمعنى يقتضي تخصيصه وتفضيله نعم هو معطي ذلك المرجح وواهبه فهو الذي خلقه ثم اختاره بعد خلقه وربك يخلق مايشاء ويختار»

انتهى وقال فيه فى نسبه صلى الله عليه وآله وسلم وهوخيراهل الارض نسباً على الاطلاق فلنسبه من الشرف اعلى ذروة واعداؤه كانوا يشهدون له بذلك ولهذا شهدله به عدوه اذذاك ابوسفيان بين يدي ملك الروم فاشرف القوم قومه واشرف القبائل قبيلته واشرف الافخاذ فخذه» اهـ

﴿ الامور التى تؤخذ من كلام ابن القيم ﴾

يتضح مما نقلناه عن ابن القيم انه جعل لكل مقام مقالا وان كلامه في مسألة الكفاءة ليس مبنيا على القول بالتسوية وما يقوله مبتدعة الشعوبية ولكنه لم ير ذلك مقتضيا للقول بالكفاءة، فماقاله فيها اختيار له خالف فيه مذهب امامه احمد بن حنبل والجمهور ويؤخذ من كلامه امور

(الاول) ان الاختيار في لسان الشرع ورد بمعنى الاصطفاء اي اخذ صفوة الشيء وخلاصته والاجتباء اى اخذ جباية الشيء لابمعنى الاختيار المصطلح عليه بين المتكلمين وغيرهم فان ذاك ضد الجبر (الثاني) ان الاختيار والاصطفاء من المخلوقات يقتضي ثبوت مزية وخصوصية وترجيح وتقديم وفضل لذلك الشيء المصطفى (الثالث) انه يجوز ان

تخفى علينا المزايا التي كان الاصطفاء من اجلها (الرابع) ان هذه المزايا قد تكون ذاتية وقد تكون صفاتية، وان الذوات المصطفاة لايساويها ماليس بمصطفى في حقائقها ولا عوارضها (الخامس) ان اصطفاء الله للمصطفين لرسالته اوالايمان به كان لمزية اخرى هي الاستعداد والصلاحية، وهي مزية ذاتية جبله الله عليها يكون بها مستعدا لما اريد به وله (السادس) ان هذا الاختيار والاصطفاء يكون للاماكن والازمان والاعمال والاخلاق وذوات الناس والشعوب والقبائل والانساب، وكل ذلك موجب لها خيرية ومزية وفضلا خاصا (السابع) ان الاختيار قد يتكرر فيكون الشيء خيارا من خيار من خيار وصفوة من صفوة من صفوة كما كان جنس الانسان الخيار من المخلوقات ثم كانت بنو كنانة الخيار منهم ثم كانت قريش الخيار من بني كنانة ثم كان بنو هاشم الخيار من قريش ثم كان محمد صلى الله عليه وآله وسلم الخيار من بني هاشم فيثبت الاختيار لكل طبقة من هذه الطبقات على من قبلها (الثامن) ان عدم فهمنا وجه الخصوصية التي كان الاختيار لاجلها لايقدح فى وجود الاختيار الموجب للفضل، لان الخصوصية هبة من الله قارنت خلق الشيء المختار اي كان خلقه على الهيئة المختارة ثم اختير، فالاختيار دال على الفضل وهو الشاهد والعلامة عليه (التاسع) ان الفضل والخيرية ووقوع الاختيار لايتوقف على سبق العلوم والاعمال لان هناك مزايا تقتضي ذلك

سواهما كما دل عليه اثبات الاختيار لما لم يسبق له شيء من ذلك (العاشر) ان نفس الدماء والذوات لا تتساوى وذلك ان الاختيار المبني على خيرية الذات يمنع التساوي بينها وبين ماليس كذلك والدم بعض الذات وجزء من اجزائها فهو تابع لها طهارة وخبثا (الحادي عشر) ان عدم التساوي بين الذوات ودمائها ليس بسبب امور عرضية بل ذاتية وصفاتية (الثانى عشر) ان تخلف ثمرات الاختيار المظنونة لايدل على عدمه مهما ثبت بالنص لانا لانقطع بالمعنى الذي كان الاختيار له او لعل ذلك كان نظرا الى الاغلب من الشيء المختار او لأن خصوصية الاختيار متوقف انتاجها على شرائط قد تتخلف او يعارضها مانع اقوى منها وذلك كالحبة الموهوب لها قوة الحياة اذا تخلفت عنها شرائط الانبات من الماء والتراب والهوى فانها لا تنبت ومثل ذلك مالو عرض لها مايخنق تلك القوة ولامانع ان يقال نحو هذا في كل شعب مختار تخلف في بعض افراده نتائج الاختيار والله يحكم لامعقب لحكمه (الثالث عشر) ان المعنى الذى اقتضى التخصيص بالاختيار لا بد ان يكون عطية مبتدأة وهبة سابقة لكل معنى صدر عنه او انبنى عليه والا لزم التسلسل فان الاستمداد على قدر الاستعداد والاستعداد ومواد الاستعداد هبة من المهيمن الجواد

﴿ اسباب الفضل ﴾

قد تقدم ان القرافي انهاها الى عشرين قاعدة ولو اطلعنا على كلامه

لنقلناه بفصه ونصه ولكـنا نذكر هنا ما ظهر لنا مستعينين بالله تعالى

(فمنها) الاختيار الازلي اي السابق في علم الله تعالى وهذا اصل كل فضل وسبب كل فوز وفلاح، وعليه ينبني جميع اسباب الاختـيار والتفضيل قال الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون وهذا يرجع الى محض الارادة الازلية والعلم الالهي لا يدرك بخلق ولا عمل ولا كسب ولا وسيلة، لتقدمه على كل سبب فهو صادر عن محض الارادة المقتضية للتخصيص بالمشيئة المحضة كيف شآء الله ولمن شآء الله

(ومنها) الاستعداد الفطري والتأهل واللياقة للاصطفاء والاختيار اللاحق لهما والمترتب عليهما، وهو من اسباب الفضل الظاهرة وقد قال الله تعالى الله أعلم حيث يجعل رسالاته قال ابن جرير «يقول جل ثنآؤه فانا اعلم بمواضع رسالاتي ومن هو لها اهل فليس لكم ايها المشركون ان تتخيروا ذلك علي انتم لأن تخير الرسول الى المرسل دون المرسل اليه والله اعلم اذا ارسل رسالة بموضع رسالاته» اهـ ففي الآية دلالة واضحة ان الله يختار لرسالته وانزال وحيه من علم منه الأهلية لذلك وكل ذلك منه فهو الذي أهله على علم منه سبحانه وتعالى بما أهله له ثم اصطفاه بعد ذلك له فالأهلية وهي الاستعداد الـفطري جبلة جبل الله عليها من احبه ورضيه لرسالته، وهذا قول المسلمين كلهم اما كفار الفلاسفة فقد جعلوا الاستعداد للنبوة كسبياً يحصل بالعمل والتزكي والـتخلق وتصفية النـفس حتى اذا صفت وتـزكت وجانست المـلائكة بذلك فاض

عليها الوحي وهو مبني على اصولهم الكفرية من نفي الفاعل المختار وقولهم انه فاعل بالذات وقد مال الى قولهم هذا السوداني في كتابه توجيه الاخوان وقد نقله عنه التلميذ فى الصحيفة ١٨٨ من (فصله) وقوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالته فيه دلالة على ما تقدم من اسباب الفضل وهو العلم الازلي الذي يدل عليه قوله تعالى الله أعلم والأهلية والاستعداد اللذان يدل عليهما قوله (حيث) فالحيثية تقتضي التميز والتفرد عن غيرها كما يشعر بها سياق الآية وورودها مورد الرد على اولئك الجاحدين قال تعالى واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل اوتي رسل الله الله اعلم حيث يجعل رسالته سيصيب الذين اجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون قال النيسابوري فى تفسيره «قال بعض العقلاء الارواح متساوية في تمام الماهية فحصول النبوة والرسالة لبعضها دون بعض تشريف من الله تعالى واحسان وتفضل وقال آخرون بل النفوس مختلفة في جواهرها وماهياتها فبعضها خيرة طاهرة عن علائق الجسمانيات مشرقة بالأنوار الالهية مستعلية موثرة وبعضها خبيثة كدرة محبة للجسمانيات والنفس مالم تكن من القسم الاولم تصلح لقبول الوحي والرسالة» اه وكلا هذين القولين خال عن التحقيق واتحاد ماهية الارواح لايوجب تساويها فان الناطقية فى الانسان من تمام الماهية وهي تختلف في الناس ضعفا وقوة وقلة وكثرة وظهورا وخفاء كما هو مشاهد ومعلوم ولا دليل بيد مدعي التسوية الا مجرد الحدس وقد اعد الله النبي وسوى خلقه وروحه

ليجعله نبيا ثم اوحى اليه ونبأه ولا نعلم خلافا بين علماء الإسلام فى فضل روحه على روح غيره، ومجرد طهارة الروح لا يستلزم النبوة ولا يوجبها، فان النبوة احسان وتفضل من الله تعالى على من شاء من عباده والأهلية لها التي اشارت اليها الآية تفضل واحسان منه ايضا جار على مقتضى مشيئته وتصرفه المطلق لا اثر فيه لطبع ولا علة مادية، وقول القائل باختلاف جواهر النفوس ان عنى به اختلاف حقائقها فباطل، وان عنى اختلافاً فيما سوى ذلك فهو صواب ان شاء الله تعالى. وقد اخرج الحاكم في صحيحه في تفسير قوله تعالى واذا اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم الآية قصة عرض ذرية آدم عليه وانه رأى فيهم الانبياء مثل السرج وفى رواية اسحق عن ابي هريرة موقوفا انه رأى الانبياء على هيئتهم وفي رواية أخرى عن ابن عباس قال مسح ظهر آدم فاخرج كل طيب فى يمينه وفى يده الاخرى كل خبيث وفي رواية اخرى عنه قال فخرجت كل نفس مخلوقة للجنة بيضاء وكل نفس مخلوقة للنار سوداء وروي نحو ذلك عن ابن مسعود وابي مرة الهمداني ففي ذلك مايستأنس به لاختلاف الارواح وتفاوتها طهارة وخبثا وان لم تختلف ما هياتها، وبالجملة فقد اجمع المسلمون على ان النبوة لا تكتسب وهي امر خاص فلا بدع ان يخلق الله لها استعداداً خاصا وكلاهما لا مدخل للكسب فيه والله اعلم، ويدل على نحو ما تقدم قوله

تعالى وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهولآء من الله عليهم من بيننا أو ليس الله بأعلم بالشاكرين، ففي الآية دلالة على ان الحكمة في تخصيصهم بالأيمان ماعلمه الله تعالى منهم من تأهلهم للشكر واستعدادهم له، ومن البديهي ان الشكر على النعمة يأتي بعقب النعمة لاقبلها فليس كل احد اهلا لقبول ماجاءت به الرسل والتصديق به، وقال تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير. فالايراث للكتاب وقع بعد الاصطفاء والاصطفاء وقع للايراث، ولايكون الاصطفاء الا لمن قد هيأته العناية الالهية له بالاستعداد اللائق بما اصطفي له فقد اصطفاهم ليورثهم الكتاب والاشارة في قوله تعالى ذلك هو الفضل الكبير استظهر ابو حيان انها لايراث الكتاب واصطفاء الله لهذه الامة وقال النيسابوري ذلك الذي ذكر من التوفيق اومن السبق او من الايراث وقال قتادة ذلك نعمة الله والذي تدل عليه بقية الآيات انه اشارة للاصطفاء، ومن ذلك قوله تعالى ولقد اخترناهم على علم على العالمين، قالوا في تفسيرها على علم منا بانهم اهل للاختيار ومحل له فالاهلية سابقة للاختيار وليست متأخرة عنه. فقد أهلهم للاختيار ثم اختارهم، وهذا هو الاختيار للرسالة والنبوة اوالايمان، وان قلت اختارهم للتأهيل ثم أهلهم كان صوابا والله يخلق ما يشأ ويختار، وقال الراغب في

هذه الآية « يصح ان يكون اشارة الى ايجاده تعالى اياهم خيرا وان يكون اشارة الى تقديمهم على غيرهم » اه ومما تقدم تعلم ان كلا المعنيين صحيح واحدهما مستلزم للآخر وقال تعالى ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ، قال بعضهم في تفسيرها بنحو ما قالوا فى ما تقدم ، ومن الناس من لايشترط سبق الأهلية والاستعداد الفطري فراراً من مشابهة القول بان النبوة تكتسب ، والفرق بين القولين ظاهر جلي فان القائلين بسبق الأهلية يقولون انها استعداد جبلي يجبل الله عليه الشيء المصطفى ثم يصطفيه لما اعده له وهو الحكيم العليم الذي يهيىء اسبابا لاسباب ، وما كان من قبيل الجبلات لا يكون كسبيا وهو امتياز خاص خارج عن طوق البشر فانتفى هذا الوهم ، وقال الله تعالى قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشآء والله واسع عليم ، قال الراغب فى مفرداته « الاصطفاء تناول صفو الشيء كما ان الاختيار تناول خيره والاجتباء تناول جبايته واصطفاء الله بعض عباده قديكون بايجاده صافيا عن الشوب الموجود في غيره وقديكون باختياره و بحكمه وان لم يتعر ذلك من الاول » اه وقال « واصطفيت كذا على كذا اي اخترت » اه فقوله تعالى ان الله اصطفاه عليكم اي اختاره وفضله عليكم ولعل هذا هو الاختيار الاول للتهيئة والتأهيل ، وقوله وزاده بسطة في العلم والجسم هذا هو التأهيل بالمزية الخاصة لما اريد به وله ، وقوله والله يؤتي ملكه من يشآء هذا هو الاصطفاء الثاني الذي يجيء بعدهما وبمعناه

قوله تعالى ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا ، وانما قالوا ونحن احق بالملك منه لجهلهم باصطفاء الله له وبما اعطيه من الاستعداد الذي خفيت عليهم حقيقته ، وقد حكى الله عن الامم مع رسلهم نحو ذلك في قوله تعالى قالوا إن انتم الابشر مثلنا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا ، وكان جواب الرسل بذكر منة التخصيص لهم قال الله تعالى قالت لهم رسلهم ان نحن الابشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده ومثل ذلك قوله تعالى وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم اي ان هولاء المتعين اضافوا الى تكذيبهم بالحق وزعمهم انه سحر اعتراضا آخر على اختيار الله لك يامحمد وتخصيصك بمنه ورحمته وقد بينه بقوله (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين) اي مكة والطائف (عظيم) فان الذي له من العظمة الظاهرة يحسن معها لديهم تخصيصه بالاصطفاء والرسالة فقال الله تعالى منكرا عليهم قيلهم واعتراضهم (أهم يقسمون رحمة ربك ؟) اي ليس ذلك اليهم (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا) وهي الامر الزائل والشيء الفاني (ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) وهذا هو التفضيل بينهم في المتاع والمراتب الدنيوية والجاه والمال وكثرة الاتباع فلم نكل هذا الى قسمتهم واختيارهم بل خصصنا من شيئنا منهم بما شيئنا فكيف نكل اليهم الاختيار فيما هو خير من متاع

الدنيا الذى يجمعونه (ورحمة ربك خير مما يجمعون) والآيات في هذا المعنى كثيرة وما زال الناس ينكرون المزية والخصوصيه على المصطفين من العباد، وكله صادر عن العجب والغرور بالنفس والحسد لحسد آدم لابليس وادعائه انه خير منه، وكحسد اليهود لبني اسماعيل عليه الصلاة والسلام، وكحسد مبتدعة الشعوبية للعرب، وحسد النواصب لاهل البيت وهو يؤل بصاحبه الى النفاق او الكفر، واعلم ان الاختيار الاول لابد ان يكون بغير مزية سبقت والافيلزم الدور، وذلك انا اذا قلنا باشتراط سبق المزية لكان لايختاره حتى يخصه بها ولا يخصه بها حتى يختاره وهذا دور وبما ذكرناه تعلم غلط السوداني وتلميذه فى معنى الاصطفاء والاختيار (ومن اسباب الفضل) المزايا الظاهرة كالرسالة والايمان والاعمال وايراث الكتاب والاستخلاف في الارض ورفعة الدرجة بين الناس وما يتفاوت فيه الناس من الاموال والاولاد والعشائر والاتباع والجاه والأيد والقوة والحشمة والحرف والصنائع والانساب والاحساب، فان بلغت هذه المزايا الى الغاية المقصودة كان الفضل بها فضلا دنيويا واخرويا والا فيكون دنيويا فقط، وقد ورد فى القرآن التعبير عن التخصيص بها بالفضل والتفضيل قال الله تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض) فهذا اثبات لوقوع التفضيل بينهم اجمالا وقوله (منهم من كلم الله) بيان لبعض اوجه التفضيل، والتكليم مزية وخصوصية ليست من باب اكثرية

الثواب فى الآخرة المنبني على العمل وقوله (ورفع بعضهم درجات) تفضيل بالمزايا التي عبر عنها بالدرجات كما قال في اهل الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات، وبين القسمين من الفرق مثلما بين أهلها قال المفسرون والبعض المبهم هو سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقال تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا فهذا تفضيل بالمواهب كالذي ذكر في الآية السابقة يدل على ذلك ذكر ما فضل به داود من ايتاء الزبور. ومن ذلك قوله تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم فمعنى اصطفائه اياهم على العالمين انه فضلهم عليهم وليس المراد به والله اعلم الاصطفاء بالرسالة فقط لان من آل ابراهيم وآل عمران المؤمنين الذين ليسوا بمرسلين فيكون للاصطفاء على القول الاخير معنيان معنى بالنسبة الى آدم ونوح ومعنى بالنسبة الى آل ابراهيم وآل عمران وذلك خروج عن مقتضى الظاهر، فان قيل لعل الآية مخصوصة بالمرسلين منهم قلنا ان المفسرين حملوها على عموم المؤمنين منهم وقد جاء ذكر تفضيلهم في مواضع أخرى نحو قوله تعالى مخاطبا بني اسرائيل واني فضلتكم على العالمين، وهو بمعنى الاصطفاء المعدى بعلى كما في هذه الآية والمراد به مجموعهم كما مرت نظائره. والقرآن يبين بعضه بعضا وبنحو ما ذكرناه قوله تعالى واذ قالت الملائكة يامريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك

على نسآء العالمين فالاصطفاء الاول هو جعلها مصطفاة اي صفوة من آل عمران ، وقوله وطهرك تميم لهذا المعنى وقوله واصطفاك على نسآء العالمين اى فضلك عليهن ، وقد عقب ذلك بذكر المزايا الظاهرة التى فضلت بها فى الايات التى بعدها فى قوله يامريم اقنتي لربك الخ وقوله واذ قالت الملائكة ان الله يبشرك الخ وقوله تعالى قال ان الله اصطفاه عليكم الآية اي فضله عليكم وقد عدد بعد ذلك المزايا التي فضل بها وهي البسطة فى العلم والجسم وايتاء الملك وقد تقدم فى الكلام على قوله تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ان الاشارة في قوله ذلك هو الفضل الكبير الى الايراث وهو من المزايا الظاهرة وقال الله تعالى يابني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين في الآية الامر بذكر النعمة وذكرها داع الى الشكر وامتثال الامر وقوله واني فضلتكم على العالمين الخطاب فيه للمجموع والتفضيل بالنظر اليه لتكافل الشعب الواحد وتضا منه واشتراك افراده فى شرف مزايا المجموع وفضل المصطفين منه وقد عدد بعد هذه الآية كثيرا من المزايا التى فضلوا بها كاغراق عدوهم فرعون وقومه وانجائهم وايتآء موسى عليه الصلاة والسلام الكتاب وقال تعالى ولقد آتينا موسى الهدى واورثنا بني اسرائيل الكتاب والتوبة عليهم بعد الخطيئة وبعثهم بعد الرجفة وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى عليهم ورزقهم من

الطيبات وامرهم بدخول القرية وتفجير العيون من الحجر وماعقب ذلك من ذكر العقوبات التى حلت بهم لما خالفوا الامر وتركوا اتباع الرسل وفى ذلك منتهى العبرة لهم ولغيرهم وفقنا الله لمراضيه ، وجنبنا معاصيه . وقال تعالى ولا تتمنوا مافضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله ان الله كان بكل شيء عليما فقوله (ولا تتمنوا مافضل الله به بعضكم على بعض) فيه النهي عن تمني مزايا التفضيل واثباتها ، لأن التمني مدعاة للحسد والحسد مدعاة للبغي والايذاء لمن فضله الله تعالى ، وقد يدعو الى التبرم من قضاء الله تعالى والتمرد عليه . وقوله تعالى (للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنسآء نصيب مما اكتسبن) تذكير بان ابواب الكسب والاعمال مفتوحة امام الكاسبين والعاملين فان كان في مزايا التفضيل مالاسبيل الى اكتسابه كالذكورة والقوة وجمال الخلقة وطيب المعدن وشرف النسب ففيها ايضا ما يسر الله سبيله واقام دليله (واسألوا الله من فضله) فعنده منه خزائن لا تنفد وخصائص لا تحصر ، وقوله تعالى (وكان الله بكل شيء عليما) فيه ايماء الى انه يضع بعلمه كل شيء موضعه ولا يضيع اجر من احسن عملا ولا يغفل عن سائلي فضله ، وقال تعالى (الرجال قوامون على النسآء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقو من اموالهم ففي قوله (بما فضل الله بعضهم على بعض) تنبيه على ان المراد تفضيل ذوات

الرجال على ذوات النسآء وذلك انه لم يقل هنا بما فضل الله به كما قال في الآية الاولى بل قال (بما فضل الله بعضهم على بعض) فاوقع التفضيل عليهم وعلى هذا فما ذكره المفسرون هنا من المزايا التى خص بها الرجل تابع لهذا الفضل الجنسي ومبني عليه اما فطرة واما شرعا ، كالعقل والحزم والعزم والقوة والفروسية والرمي والنبوة والعلم والامامة الكبرى والصغرى والجهاد والاذان والشهادة في الحدود والقصاص وزيادة النصيب فى الأرث والتعصيب فى الميراث والحمالة والقسامة والولاية فى النكاح والطلاق والرجعة وعدد الازواج وأن اليهم الانتساب ، الى غير ذلك مما خالف فيه الرجل المرأة وقال تعالى وهو الذى جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم ففي قوله تعالى (وهو الذى جعلكم خلائف الارض) مزية فضل للجنس البشري كله ، وفي قوله (ورفع بعضكم فوق بعض درجات) مزية لبعضهم وقد بين حكمة الاستخلاف والتفضيل بقوله تعالى (ليبلوكم فيما آتاكم) وفقنا الله لشكره آمين ، ولما ذكر الله تعالى ما اعده لمريد الآجلة الساعي لها وما اعده لمريد العاجلة المقتصر عليها عقبه بقوله كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء من عطآء ربك وما كان عطاء ربك محظور ، انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا فالآيتان دالتان على تكاثر اسباب

التفضيل الدنيوي والاخروي الذى أمد بها اهل اليمين واهل الشمال فكله من امداد الله وعطائه وان انقسم الى محمود العاقبة وغيره وقال تعالى ولقد آتينا داود منا فضلا ياجبال اوبي معه والطير وألناله الحديد فتأويب الجبال والطير مع داود عليه الصلاة السلام والانة الحديد له من فضل الاختصاص ليست بعمل . وقال تعالى وورث سليمان داود وقال ياايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شيء ان هذ الهو الفضل المبين ، ومن المزايا التى وقع بها التفضيل قوله تعالى مامنعك ان تسجد لما خلقت بيدي فهذه الخصلة قد ورد ان الناس يعدونها لآدم عليه السلام في موقف الحشر وعدها له موسى فى قصة المحاجة المشهورة بينه وبين آدم عليهما الصلاة والسلام وقد ورد فى حديث الاسراء الذي رواه ابن جرير وابن ابي حاتم وابن مردويه والبزار وابو يعلى والبيهقي ان الانبياء عدوا ماخصهم الله به لما خطبوا ليلة الاسراء فعد ابراهيم عليه الصلاة والسلام الخلة والملك وكونه امة قانتا يؤتم به وانقاذه من النار ، وعد موسى عليه الصلاة والسلام تكليم الله له وإهلاك آل فرعون ونجاة بني اسرائيل على يده وان جعل من امته قوما يهدون بالحق وبه يعدلون، وعد داود عليه الصلاة والسلام الملك والزبور والانة الحديد وتسخير الجبال يسبحن والطير وايتاءه الحكمة وفصل الخطاب ، وعد سليمان عليه الصلاة والسلام تسخير الرياح

والشياطين له وتعليم منطق الطير وايتاءه من كل شيء والملك العظيم الذى لاينبغي لاحد والتفضيل على كثير من عباده المؤمنين ، وعد عيسى عليه الصلاة والسلام كونه كلمة الله وان مثله مثل آدم وتعليمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل وان يخلق من الطين كهيئة الطير وابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى والرفعة والتطهير والاعاذة من الشيطان الرجيم ، وعد نبينا محمد صلى الله عليه واله وسلم ان الله ارسله رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا وأنزل الفرقان عليه فيه بيان كل شيء وجعل امته خير امة اخرجت للناس وامة وسطا وانهم الاولون والآخرون وشرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر وكونه فاتحا وخاتما ، وفي الحديث ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام قال لبقية الانبياء بهذا فضلكم محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وبالجملة فكل ماذكره العلماء من خصائصه صلى الله عليه وآله وسلم وخصائص امته يعد من المزايا التي يكون بها الفضل وفيها ماليس من قبيل الثواب فهي ناقضة لما ادعاه السوداني وتلميذه من انحصار اسباب الفضل فيما ذكراه فقط فاستدلال السيد العلامة عبد الله دحلان ببعض ماذكرناه من الآيات صحيح ، وتشنيع التلميذ عليه بسبب ذلك في غير محله فانه لم يفهم معنى الاستدلال ولاوجه الدلالة ومن جهل شيئا عاداه والله المستعان

﴿ فصل ﴾

واما الا حاديث الدالة على الفضل بالمزايا التى ليست من قبيل الثواب والدرجات الاخروية فكثيرة يطول استقصاؤها، فنذكر منها مايفي بالمقصود، فمنها ماالخرجه البخاري في التاريخ والطبراني والحاكم فى المستدرك وصححه وابن مردوية والبيهقي فى الخلافيات عن أم هانئ رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فضل الله قريشا بسبع خصال لم يعطها احد قبلهم ولايعطاها احد بعدهم فضل الله قريشا اني منهم وان النبوة فيهم وان الحجابة فيهم وان السقاية فيهم ونصرهم على الفيل وعبدوا الله عشر سنين لايعبده غيرهم وانزل الله فيهم سورة من القرآن لم يذكر فيها احد غيرهم، فالخمس الاول والاخيرة لا تدخل تحت قاعدة السوداني، والحديث يدل على ثبوت الفضل ويستفاد من الحديث امور (الاول) ان الفضل الذي خصت به قريش لايجوز ان يشاركهم فيه غيرهم لقوله لم يعطها احد قبلهم ولا يعطاها احد بعدهم (الثاني) ان كون النبي صلى الله عليه وآله وسلم منهم موجب لهم فضلا على غيرهم ولا جدال في تفاوت هذا الفضل بين القريب والأقرب (الثالث) ان من جملة اسباب الفضل اختصاص قبيلة ومثلها اختصاص زمان او مكان بأمر شريف او فعل من افعال الحق عظيم يوجب له فضلا به على غيره ككون النبوة فيهم ونصرهم

على اصحاب الفيل (الرابع) ان المفاخر والمآثر التي اقرها الاسلام توجب لاهلها فضلاً كالحجابة والسقاية الخ (الخامس) ان نزول شيء من القرآن مخصوصا باحد يوجب له فضلا اذا لم يكن فيه وعيد ولا ذم له (السادس) ان وجود بعض المزايا في بيت من قبيلة يسري فضله الى سائر القبيلة لان الحجابة والسقاية الخ انما كانت في بعض بيوتهم ويأتي هنا ماذكرنا قبل من وجود التفاوت بين القريب والاقرب (السابع) ان الفضل يكون بالمزايا والخصوصيات التي ليست من قبيل الثواب ودرجاته، واخرج الترمذي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه ادخل الجنة وفيه اخرج منها ولا تقوم الساعة الا في يوم الجمعة وفى رواية عند ابي داود عن اوس بن اوس ان من افضل ايامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فاكثروا علي من الصلاة فان صلاتكم معروضة علي الحديث وروى هذا الحديث احمد والنسائي وابن ماجه وهذه الخلال المذكورة في الحديث من اسباب فضل يوم الجمعة هكذا قال العلماء وممن نص على ذلك ابن القيم وابن العربي فى شرحيهما على سنن الترمذي ونقل عن القاضي عياض انه قال « الظاهر ان هذه القضايا المعدودة ليست لذكر فضيلته لان اخراج آدم وقيام الساعة لا يعد فضيلة وانما هو بيان لما وقع فيه من الامور العظام ومايقع ليتأهب العبد فيه بالاعمال الصالحة لنيل رحمة الله تعالى ودفع نقمه » ذكره الملا علي قاري في المرقاة

وهو محجوج بما رواه احمد عن سعد ابن معاذ ان رجلا من الانصار اتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال اخبرنا عن يوم الجمعة ماذا فيه من الخير فقال فيه خمس خصال وساق الى آخر الحديث وهو صريح في ان تلك القضايا لذكر فضيلته وبالجملة فتخصيص يوم الجمعة بوقوع هذه الحوادث العظام فيه وما آلت اليه من الخير مزية تقتضي فضله وخيريته على غيره لما قلنا آنفا ان تخصيص مكان او زمان بفعل من افعال الحق عظيم يعد منقبة له يقتضي فضله ، ومثل ذلك ماورد في فضل شهر رمضان لحديث اذا كان اول ليلة من رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن وغلقت ابواب النار فلم يفتح منها باب وفتحت ابواب الجنة فلم يغلق منها باب الحديث رواه الترمذي وابن ماجه ورواه احمد والنسائى ايضا بلفظ آخر ومن ذلك ماورد فى فضل مكة والمدينة واليمن وبعض قبائل من العرب من المزايا التي لاتدخل تحت قاعدة أن الفضل بما يكون به الثواب فقط ولو تتبعنا ذلك لطال الكلام وفيما ذكرنا مايغني اللبيب ويقنع طالب الحق وينقض هذه القاعدة

فصل

ومن اسباب الفضل الاضافة الى الله تعالى كما تقدم فما اضافه تعالى الى نفسه كسبته الاضافة مزية وخصوصية وفضلا وشرفا نحو قوله تعالى وطهر بيتي فاضافه الى نفسه وقوله وآمنتم برسلي وقوله تعالى ان

عبادي ليس لك عليهم سلطان وقوله تعالى فبشر عبادي وقوله ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وقال ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب فهذه الاضافات من جملة الاسباب الموجبة للفضل ومن آثار الاختيار والاصطفاء ونحو ذلك الاضافة الى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم كما يقال مدينة رسول الله واهل بيته وازواجه واصحابه وحديثه وخليفته ونحو ذلك

(ومنها) المحلية كفضل المساجد لكونها محل العبادة والذكر والمصاحف لكونها محلا لكتابة كلام الله وكتب العلم لاشتمالها على شرائع الدين وفضل المدينة لحلو له صلى الله عليه وآله وسلم بها حيا وكونها مباءة الايمان

(ومنها) المجاورة كفضل بقية الحرم لمجاورته البيت الحرام والمسجد الحرام وكفضل حرم المدينة وفضل المدينة لمجاورة المسجد النبوي والروضة النبوية وفضل القبر الشريف لمجاورته جسده صلى الله عليه وآله وسلم وفضل جلد المصحف لمجاورته المصحف ونحو ذلك وللعلماء هنا بحث في فضل القبر النبوي نأتي على ذكر شيء منه لمناسبته قال السمهودي « قد انعقد الاجماع على تفضيل ماضم الاعضاء الشريفة للمجاورة ولهذا يحرم للمحدث مس جلد المصحف واعترض ذلك ابن عبد السلام في اماليه بان معنى تفضيل مكة على المدينة وعكسه ان الله يرتب على العمل في احداهما من الثواب اكثر مما يرتبه على العمل في الاخرى فيشكل قول القاضي عياض اجمعت الامة على ان موضع القبر الشريف افضل اذ لايمكن احدا ان يعد

الله فيه » اه بتلخيص وتصرف اقول وقول ابن عبد السلام هذا لايخفى ضعفه فان اسباب الفضل كثيرة ومزاياه عديدة، وكيف لا، واعظم اسبابه لا تأتى بجهد ولا اعمال كالنبوة والرسالة وايراث الكتاب، فان نبوة النبي ليست عين تقواه ولا عمله وهذا اجماع من المسلمين، وذهب كفار الفلاسفة الى امكان اكتساب النبوة ولما ذكرنا قال السبكي قد يكون التفضيل لذلك وقد يكون لامر آخر ولو لم يكن عمل، وقضية كلام ابن عبد السلام انه لايثبت للقبر الشريف فضل على غيره من الاماكن والقبور اصلا اذا فلما ذا حرص ابو بكر وعمر رضي الله عنهما على الدفن بجانب ذلك القبر المفضل بساكنه، وهذا خلاف اجماع المسلمين على احترامه، والاحترام لازم التفضيل، ولذلك قالوا بان قضاء الحاجة بقرب قبر نبي حرام وعليه كفر، وهذا يقتضي ان يكون لقبر النبي اي نبي كان فضل على غيره من الاماكن، واذ قد ثبت اصل الفضل فنفي الافضلية تحكم، فان قيل واثباتها تحكم، قلنا ليس كذلك فان في جانب الاثبات ماحكاه اولئك الاعلام من الاجماع على افضليته وايضا فلو كان ما ذهب اليه ابن عبد السلام صحيحا لما ذهب احد الى تفضيل المدينة مع مادلت عليه الاحاديث من مضاعفة الاعمال بمكة اكثر منها بالمدينة وقد ذهب الى تفضيل المدينة عمر بن الخطاب وابنه عبد الله ومالك بن انس رضي الله عنهم وقدهم عمر رضي الله عنه بضرب من

فضل مكة على المدينة وعاتبه عتابا شديد ولا يخفى ما يقوله العلماء في امثال هذه المواضع، انه قد يوجد فى المفضول مالا يوجد فى الفاضل او يفصل القول في ذلك فيقال مكة افضل من جهة مضاعفة الثواب والمدينة افضل من جهات اخرى ككونها دار الهجرة ومباءة الايمان، ومنها انتشر الدين وظهر، وفيها قبره صلى الله عليه وآله وسلم وبيته واليها هجرته وبها وفاته الى غير ذلك، وقد يكون للشيء مزايا كثير يفوق بها غيره مجموعة ويفوقه غيره اذا قويس بها مفردة، وقد نازع ابن حزم في فضل المجاورة كدعوى فضل المدينة لحديث ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة وزعم بطلان ذلك، لانه لو ثبت بذلك فضل المدينة على مكة لثبت فضل الجحفة على غيرها لانها اقرب الى المدينة، وحجة ابن حزم داحضة لانه يمكن عكسها عليه فى مكة وما منع به فضل المجاور من الحل للحرم على غيره هناك يقال بمثله هنا وايضا فلا قياس في الخصائص وقال الحافظ ابن حجر «وكون تربته افضل الترب لانزاع فيه وانما النزاع هل يلزم ان تكون المدينة افضل من مكة لان المجاور للشيء لو ثبت له جميع مزاياه لكان لجار المجاور نحو ذلك فيلزم ان يكون ماجاور المدينة افضل من مكة وليس كذلك اتفاقا كذا اجاب به بعض المتقدمين وفيه نظر» اهـ قال السمهودي بعد نقله كلام الحافظ «قلت لم يبين وجه النظر ولعل وجهه ان الافضل لقوة اصالته في الفضل يفيد مجاوره الافضلية لمزية هذه المجاورة الخاصة وهي منتفية عن مجاور المجاور الاترى جلد المصحف قد ثبتت له مزية التعظيم للمجاورة ولم يلزم من ذلك ثبوت نحوها لمجاوره» اهـ اقول والذي ظهر لي فى وجه النظر ان بقية الحرم

المدني قد سرت اليه الافضلية حتى صار حراما لمجاورته المسجد النبوي ومهبط الوحي من منزله صلى الله عليه وآله وسلم حيا وموضع قبره ميتا فكان موضع قبره افضل من المسجد. والمسجد افضل من بقية المدينة وهي افضل مما احاط بها الى آخر حدود الحرم، وهنا تنقطع خصوصية التفضيل لورود التحديد من الشارع الى تلك الغاية فسريان الفضل غير لازم، كما ان سريان التحريم غير لازم، والتحريم عنوان التفضيل ويقال بمثل ذلك فى حدود الحرم المكي فان الشارع جعل للحرم الذى اقتضاه الفضل وكان كالسياج على المسجد والبيت حدودا لايتعداها التحريم فلا يتعداها الفضل فما استلزمه ابن حزم غير لازم، وسبب الفضل واصله الذي ترجع اليه جميع الاسباب هوالاصطفاء تحقق وقوعه لما دخل في حدود الحرم دون ما سواه ولذلك لم يشرع مثل هذا التحريم لما جاور المسجد الاقصى مع انه من المساجد الثلاثة قال الخفاجي بعد ماتقدم ذكره عن ابن عبد السلام «ورد عليه تلميذه الشهاب القرافي بان التفضيل للمجاورة والحلول كتفضيل جلد المصحف على سائر الجلود فلا يمسه محدث ولايلابس بقذر لالكثرة الثواب والا للزمه ان لا يكون جلد المصحف بل ولا المصحف افضل من غيره لتعذر العمل فيه وهو خلاف المعلوم من الدين بالضرورة واسباب الفضل اعم من الثواب فانها منتهية الى عشرين قاعدة وبينها في كتابه الفروق» اهـ اقول وشبيه بما ذكرته ماجعله الله اثرا للتنزيه والتطهير من تحريم الزكاة على نبيه محمد

صلى الله عليه وآله وسلم ثم على اهل بيته لاتصالهم به وكونهم منه وهو منهم واختصاصهم بذلك ، فلا يقال ينبغي ان تحرم على بقية قريش الاقرب فالاقرب على قاعدة مجاور المجاور، لان الشرع حد هذا الحد فلا يتعدى والخصوصيات لايقاس عليها

(ومنها) الجهة كفضل جهة القبلة على غيرها من الجهات وكفضل جهة اليمين على غيرها من الجهات ولذلك ورد النهي عن البصاق الى جهة القبلة فى الصلاة ، وفضلت ميمنة المسجد على ميسرته ، وجعلت اليمين لما كان للكرامة والتشريف ، واليسار لضد ذلك وكان صلى الله عليه وآله وسلم يحب التيمن فى شأنه كله

(ومنها) القوة على قول بعضهم في حكمة تخصيص اليمين بما خصت به ان ذلك لكونها اقوى من اليسار، فهذا نوع آخر من اسباب التفضيل ويمكن ان يدخل تحته افراد كثيرة مثل قوله تعالى وزاده بسطة فى العلم والجسم فكانت بسطة الجسم من المزايا التى فضل به طالوت على سائر قومه ، ويدخل في ذلك قوة الغرائز الانسانية كالعقل والاخلاق الجبلية المحبوبة وقوة الذكورة فى الذكر والانوثة فى الانثى وقوة الحدس والفهم والذكاء والحفظ ونحو ذلك وفى الحديث ان المؤمن القوي خير واحب الى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خيرا وكما قال

(ومنها) قصد المكلف الى الشيء بتعبد وما فيه شرف وضده ، وذلك ان

لقصد المكلف وهمته اثرا فيما يتوجه اليه تورثه فضلا او نقصا اعتباريا فمن ذلك فضل الجهة التى يتوجه اليها المصلي عند تحيره في القبلة او سفره لقول الله تعالى فاينما تولوا فثم وجه الله، فالجهة التى خصت بهذه المزية افضل من غيرها بها، وضد ذلك تاثير قصد المكلف فى البقعة التى يقصد فيها قضاء الحاجة من الفلاة ونحوها مما ليس معدا لذلك فيقدم اليها يسرا الان البقعة صارت كالمستقذرة بالقصد المذكور، ومثل ذلك اتصاف المذبوح بالخبث بقصد الوثني ذبحه للوثن ونحو ذلك

(ومنها) النقص ولاغرابة في هذا، فكثير ما يؤل الشيء الي ضده والمراد بهذا مايكون من نقص في الخلقة وضعف في القوة فيعجز صاحبها بسببه عن بعض الاعمال فيكون نقصه عذراً له يدرك به مراتب العاملين اذا كان صادق الرغبة صحيح النية فى العمل متلهفا على فوته، قال الله تعال لايستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما، روي عن ابن عباس في قوله غير اولي الضرر انه قال هم اهل العذر وقد اجمع المفسرون على القول بأن اولي الضرر ينالون فضل المجاهدين لعذرهم واشترط بعضهم لذلك الحرص

على العمل لولا العذر والنصح لله ورسوله ، وقد جاءت الاحاديث مبينة لذلك وهي في الصحاح والسنن فلا نطيل بنقلها ، وقال بعضهم ان المجاهدين يزيدون على اولي الضرر بدرجة واحدة وهي درجة المباشرة بالنفس ويساوونهم في بقية الدرجات المذكورة فى قوله تعالى وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة ، وروي هذا عن ابن جريج والاكثرون على الاول وقد روي البخاري وغيره عن انس ومسلم وغيره عن جابر واللفظ لمسلم قال قال رسول الله لقد خلفتم بالمدينة رجالا ماقطعتم واديا ولاسلكتم طريقا الاشركوكم في الاجر حبسهم المرض وفى رواية البخارى حبسهم العذر وهوأ عم من الأول والذين اشترطوا النصح اخذوه من قول الله تعالى ليس على الضعفآء ولا على المرضى ولا على الذين لايجدون ماينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ، وهو ظاهر وان كانت الآية واردة فى نفي الحرج فان اشتراط ذلك لحصول الفضل اولى ، فان قيل ان الفضل الذى ادركه هذا الناقص وان شئت قلت المعذور انما ادركه بنيته ، قلنا كلا ، انما النية شرط لاسبب ولذلك وردت بعد حرف الشرط في قول الله تعالى اذا نصحوا لله ورسوله ولأن النية المجردة لاتوجب الفضل والاجر للقاعد غير المعذور كما هوواضح ، وبالجملة فالعذر اماَّ أن يكون سببا تاما للفضل اوجزأ منه ، وايا كان فهو

كاف في اثبات ماقلناه

(ومنها) رفعة الموضوع وجلالته كفضل العلوم بعضها على بعض برفعة موضوعها وخلافه كفضل علم التفسير والحديث او الفقه على ماسواها مما دونها ، ومن هذا تفضيل بعض سور القرآن على بعض كفضل سورة الاخلاص وآية الكرسي والفاتحة ونحو ذلك

(ومنها) كبر السن وقد ورد الأمر بتقديمه في الامامة وفي الحديث وليؤمكم اكبركم وفي الكلام عن القوم والخطاب عنهم كما في الحديث انه قال الكبر الكبر اي ليتكلم الاكبر ، وفيما ذكرنا احاديث لانطيل بها فان المقصود اثبات تعدد اسباب الفضل من غير نوع العمل والاشارة تغني اللبيب

(ومنها) فضل المتبوع فانه سبب لفضل التابع كما امتازت هذه الامة وفضلت غيرها من الامم واوتيت اجرها مرتين وفضلت بالخصائص العديدة في الدنيا والمحشر والجنة اكراما لمتبوعها الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم ولذلك عدها العلماء مع الخصائص النبوية والاحاديث الدالة على ذلك كثيرة في الصحاح وغيرها لاتخفى على مترسم

(ومنها) الأولية كفضل البيت بانه اول بيت وضع للناس وهكذا الاولية في كل عمل صالح سبق صاحبه اليه كالاولية في الاسلام والجهاد والرمي في سبيل الله والصدقة ، فان قيل ان هذا من فضل الاعمال ، قلنا

ان الأولية من خصائص المسجد الحرام معدودة في مافضل به غيره من بيوت العبادة ولاعمل من البيت، وانما ذلك عنوان مزيد الشرف والعناية به، والاعمال موجودة حقائقها بدون الاولية فهي معنى زائد على العمل وان تعلق به ، واذ قد وجدنا الاولية اقتضت شرفا ومزية في غيره فلامانع من عدها سببا للفضل

(ومنها) القرب من المتبوع في المكان كالقرب من الامام في الصلاة والقرب من رسول الله صلى الله عليه واله وسلم في مجلسه على عهده وقد مدح العلماء العمرين بانهما ضجيعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

(ومنها) طهارة الذات وصفاؤها كطهارة ذاته صلى الله عليه وآله وسلم وقد عرف ذلك اصحابه وسلف امته ، فكانوا يتبركون بتفله وريقه ونخامته وشعره، ومنهم من شرب دمه وآخرون ادخروا شعره وعرقه وثيابه، ومنهم من اوصى بدفنها معه والاحاديث فى ذلك كثيرة فمن ذلك حديث البخاري في قصة الحديبية قال فيه والله ان رأيت ملكا قط يعظمه اصحابه مايعظم اصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم محمدا والله ان يتنخم نخامة الاوقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا امرهم ابتدروا امره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، قال الحافظ ابن حجر زاد ابن اسحق ولا يسقط من شعره شيء الا اخذوه قال „وفيه دليل على طهارة النخامة والشعر المنفصل والتبرك بفضلات الصالحين الطاهرة» اه

فكانه جعل العلة في ذلك الصلاح فحسب . وقد ورد شرب دمه من فعل ابن الزبير، وسفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومن فعل مالك بن سنان اخرجه الطبراني وابن السكن فى صحاحه وفيه أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال لاتمسه النار. وفي حديث عند البيهقي والطبراني انه قال لخادم ام سلمة لما شربت بوله لقد احتظرت من النار بحظار وفي قصة اخرى انه قال لسامى امرأة ابي رافع اذهبي فقد حرم الله بدنك على النار رواه الطبراني واحاديث تبركهم بعرقه وشعره في الصحاح فلانطيل بذكرها، وهذا كله يدل على فضل الذات النبوية ومزيتها على غيرها وهذا كاف فى اثبات اصل تفاوت الذوات

(ومنها) الاحوال التي تحيط بالمؤمن من فقر وخوف وتفرد وقلة اعوان فان تلك الاحوال تجعل للعامل والعمل مزية خاصة وفى الحديث سبق درهم الف درهم ، فحال الفقر وقلة ذات اليد التي احاطت بالمنفق حتى كان اكثر اجرا وثوابا من المنفق الف درهم من اسباب الفضل نظراً الى حاله لانه كان معه درهمان فعمد الى احدهما فاخرجه وجاء الآخر فاخرج من عرض ماله الف درهم ، فهذا انفق نصف ماله وذاك انما انفق اقل من نصفه

(ومنها) مكان العمل فانه يوجب للعمل فضلا على مثله بمكان غيره كفضل الصلاة فى المسجد الحرام على غيره من الاماكن ومكان العمل

غير العمل وان تعلق به والا لما كان للمسجد الحرام فضل بذلك

(ومنها) مزية الزمن كفضل العمل ومضاعفته فى شهر رمضان واحبيته في عشر ذي الحجة، وفضل الدعاء يوم الجمعة في ساعة الاجابة وبعد النصف الاول من الليل، فسبب المضاعفة وقوع العمل فى الزمن الفاضل وفى معنى ذلك فضل اعمال الصحابة زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبمعيته على اعمال غيرهم وعلى اعمالهم بعده، فهذا له سببان زمنه صلى الله عليه وآله وسلم ومعيته، لانا لانثبت الفضل الخاص لعمل من لم يصحبه وان عمل في زمنه، ولالعمل الصحابة بعده والزمن والمعية غير العمل

(ومنها) الجنسية كفضل جنس بني آدم على غيرهم وهذا ظاهر لايحتاج الى استدلال

(ومنها) المحافظة على الوقت فقد قال بعضهم ان الصوم في السفر افضل من الفطر محافظة على وقته

(ومنها) مراعاة الخلاف وذلك كقولهم ان القصر في السفر اذا بلغ ثلاث مراحل افضل من الاتمام مراعاة للخلاف لان ابا حنيفة يقول بوجوبه وقولهم ان الاتمام في المرحلتين افضل لانه يقول بوجوبه

(ومنها) كراهة النفس الرخصة رغبة عن السنة، اوطعن اهل البدع فيها كما قال ابن المنذر اختلف العلماء ايهما افضل المسح على الخفين اونزعهما وغسل

القدمين والذي اختاره ان المسح افضل لاجل من طعن فيه من اهل البدع من الخوارج والروافض قال «واحياء ما طعن فيه المخالفون من السنن افضل من تركه» اه وقال «الشيخ محيي الدين صرح جمع من الاصحاب بان الغسل افضل بشرط ان لايترك المسح رغبة عن السنة كما قالوه في تفضيل القصر على الاتمام» اه من الفتح (ومنها) الذكورة فان الذكر من حيث الذكورة افضل من الانثى ولذلك خص في عقيقته بشاتين وكان له سهمان من الأرث وجعلت المرأة على النصف منه في الشهادة والدية ونقص عقلا ودينا كما صح به الحديث

﴿ من اسباب الفضل قربى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴾

ومن اسباب الفضل القرب من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نسبا وسببا كفضل اهل بيته وذريته وكفضل ازواجه رضي الله عنهم وعنهن وهذا هو موضوع النزاع بيننا وبين المخالفين من الخوارج والنواصب والشعوبية وادلة ذلك كثيرة سيأتي منها ما يسره الله في تضاعيف الكتاب (ومنها) المعدن الطيب والمغرس الزكي كما دل عليه حديث (تجدون الناس معادن)

(ومنها) الانتساب الى الآباء الصالحين كما دلت عليه آية وكان ابوهما صالحا وحديث اكرم الناس يوسف الخ وغير ذلك فهذه عدة اسباب للفضل يظهر بها عدم انحصار الفضل فيما به الثواب فقط ولعل القرا في قد عد بعضها او كلها فانا لم نقف على ماذكره والحاصل ان معنى الفضل في

كلام الله وكلام رسوله كمعناه فى اللغة وان ماذكره المتكلمون اصطلاح حادث لهم خصوا به بعض ما يتناوله

مقالة الجاحظ في فضل العرب وقريش وبني هاشم

قال « قد علم الناس كيف كرم قريش وسخاؤها * وكيف عقولها ودهاؤها * وكيف رأيها وذكاؤها * وكيف سياستها وتدبيرها * وكيف ايجازها وتحسيرها * وكيف رجاحة احلامها اذاخف الحليم * وحدة اذهانها اذا كل الحديد * وكيف صبرها عند اللقاء * وثباتها في اللاواء * وكيف وفاؤها اذا استحسن الغدر * وكيف جودها اذا حب المال * وكيف ذكرها لاحاديث غد * وقلة صدودها عن جهة الصد * وكيف اقرارها بالحق وصبرها عليه * وكيف وصفهاله ودعاؤها اليه * وكيف سماحة اخلاقها * وصونها لاعراقها * وكيف وصلوا قديمهم بحديثهم * وطريفهم بتليدهم * وكيف اشبه علانيتهم سرهم * وقولهم فعلهم * وهل سلامة صدر احدهم الا على قدر بعد غدره * وهل غفلته الا في وزن ظنه * وهل ظنه الا كيقين غيره * وقال عمر انك لا تنتفع بعقلك حتى تنتفع بظنك قال اوس بن حجر

الا لمعي الذي يظن بك الظن كائن قد رأى وقد سمعا

وقال آخر

مليح نجيح اخومازن * فصيح يحدث بالغائب

وقال بلعاء بن قيس

وابغي صواب الرأي اعلم انه * اذا طاش ظن المرء طاشت مقادره

بل قد علم الناس كيف جمالها وقوامها * وكيف ضياؤها وبهاؤها * وكيف سروها ونجابتها * وكيف بيانها وجهارتها * وكيف تفكيرها وبداهتها * فالعرب كالبدن وقريش روحها * وقريش روح وبنوهاشم سرها ولبها * وموضع غاية الدين والدنيا منها * وهاشم ملح الارض وزينة الدنيا * وحلي العالم * والسنام الاضخم * والكاهل الاعظم * ولباب كل جوهر كريم * وسر كل عنصر شريف * والطينة البيضاء * والمغرس المبارك * والنصاب الوثيق * ومعدن الفهم * وينبوع العلم * وثهلان

ذوالهضاب في الحلم * والسيف والحسام في العزم * مع الاناة والحزم * والصفح عن الجرم * والقصد بعد المعرفة * والصفح بعد المقدرة * وهم الانف المقدم * والسنام الاكوم * والعلم المشمخر * والصبابة والسر * وكالماء الذي لاينجسه شيء * وكالشمس لاتخفى بكل مكان * وكالذهب لايعرف النقصان * وكالنجم للحيران * والبارد للظمآن * ومنهم الثقلان . والاطيبان . والشهيدان . واسد الله . وذ والجناحين . وذ وقرنيها . وسيد الوادي . وساقي الحجيج . وحليم البطحاء . والبحر . والحبر . والانصار انصارهم * والمهاجر من هاجر اليهم اومعهم * والصديق من صدقهم * والفاروق من فرق بين الحق والباطل فيهم * والحواري حواريهم * وذوالشهادتين لانه شهدلهم * ولاخير الالهم اوفيهم اومعهم اويضاف اليهم * وكيف لايكونون كذلك ومنهم رسول رب العالمين * وامام الاولين والآخرين * ونجيب المرسلين * وخاتم النبيين * الذي لم تتم لنبي نبوة الابعد تصديقه والبشارة بمجيئه الذي عم برسالته مابين الخافقين * واظهره الله على الدين كله ولو كره المشركون * اه

﴿ القول في اصناف البشر وتفاضل الانساب ﴾ .

واختصاص الله تعالى بعضها بالنبوة والكتاب واصطفاء الله لها وبيان ان الشعب العربي ارقي شعوب البشر واقومه فطرة وان الله جعل ائمة الناس من ذرية ابراهيم عليه الصلاة والسلام ثم من قريش منهم

ان الله جلت قدرته ، وتعالت حكمته ، قدخلق في هذا العالم اجناسا متقاربة متباينة ، تتقارب بامر عام ، وتتباين بامر خاص ، فالعام يجمعها ، والخاص يفرقها ، ثم نوع الاجناس الى انواع متعددة ، اظهارا لمزيد القدرة ، وكشفا عن وجه الحكمة ، واتماما للنعمة ، وتوسعة لمداخل المنفعة ، وتمييزا لمنازل الفضل ، ووجوه الخصوصيات ، والتفرد بالاختيار والتوحد بالتخصيص ، وتكثيراً لمطالع العلم ومذاهبه ، ومناحي لطائفه وغرائبه ، وكلها

تجتمع في المشترك العام ، وتتباين في الخاص القريب ، واقام لها سبحانه وتعالى من القوى الخفية ، المدبرة بالقدرة الالهية ، وسنة الله التي لا تتبدل ما يحفظ عليها مقوماتها ومشخصاتها وخواصها فتتعدد افرادها ، وتتكاثر اعدادها ، متباينة من حيث التشخص الذاتي العيني متحدة في المشتركات الجنسية ، ويمتاز بعضها عن بعض ايضا بما سوى ذلك من صفات الانواع ولوازم الاصناف . وكل من اقتصر من علم هذه المعاني على ما يصل اليه الذهن من الحدود العلمية ، والاصطلاحات الفنية ، وما يفسر به الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض الخاص والعام دون تطبيقه على ما في الخارج فهو ضعيف في معرفة حقائق الموجودات ، غبي عن لطائف الكائنات ، ومن ظن انه يحيط باسرارها بالنظر المستعجل ، او القول المقتضب ، فقد قل علمه ، وضعف فهمه ، وطاش في اقتناص شوارد التحقيق سهمه ، كلا . لا يدرك الحق في ذلك ، ولا يطلع على اللطيف مما هنالك ، الا بغوص الفطن واستثارة الفكر في الاجناس والانواع والاصناف ومقابلة بعضها ببعض والموازنة بينها ، والبحث فيما تجتمع فيه ، وما تتفرق عنه ، وما يعمها وما يخص بعضها مع الاحاطة باعراضها اللازمة والمنفكة ووجوه الاختلافات فيها . فعسى إذا اتقن ذلك ان يحظى بنصيب من علم ما اودعه الله فيها من وجوه الحكم وخفايا العلم ومن قنع من معرفة النوع بانه المقول على كثيرين

مختلفين بالحقائق فى جواب ماهو ، وجمد عليه وحمله على الانواع قضية مسلمة كان مقصرا بنفسه ظالما لها ، قد حجبها عن علم غزير ، وتحقيق مفيد ، وفرائد يغتبط بها ، واوابد يطول العناء فى اقتناصها . وكان لامحالة جاهلا بما تقتضيه حقائق الانواع في الخارج لاسيما مع اختلاف افرادها وتباين اصنافها ، لايفرق بين ماتستلزمه حقيقة النوع ومالا تستلزمه ، ولهذا حار بعض من النظار الذين لم يستضيؤا بانوار صاحب الشرع فى معنى تفضيل العرب على من سواهم فوقعوا فى تأويل النصوص الصريحة لضعف العلم ، وسبق الوهم ، وما اشرنا اليه يظهر في الخيل مثلا فانه نوع من انواع الحيوان فمن جمد على قولهم في حد النوع بانه المقول على كثيرين متفقين بالحقائق من غير تحرير لمعنى الحقيقة ولا كشف عن كنهها فانه يغلط لامحالة ، لأن هذا الحد لايصل به الى معرفة الاصناف التى يشملها حد النوع فانها تتباين تباينا تتعدد وجوهه وتختلف بسببه اغراض الناس فيها ، فمن اراد اقتناء فرس للكر و الفر وملاقات الابطال . فى حومات القتال ، ومضائق النزال ، لم يغنه في الحصول على بغيته النظر الى وجود الحقيقة المشتركة بين اصناف النوع دون مميزاتها الخاصة . ومن المحال العادي ان يجد مرامه فى اصناف الخيل التي لاتصلح الا لجر العجلات وحمل الاثقال . اوفي هجين ومقرف ، ولو اجهد نفسه في تربيته وتضميره . وقتل وقته

فى تعليمه وتسييره ، فمن المحال ان يرتقي بذلك الى مرتبة جياد نجد الشهيرة ولا الى مايقار بها ويناسبها ، بل لايرتقى عن خواص صنفه الا قليلا ، ولايلبث اذا حق الحقيق ، ولز المضيق ، ويبس الريق ، ان يتبلد ويحرن وتتغلب عليه طبيعة اصله ويجذبه عرق اهله الى ميراثه القديم التليد ، دون مكتسبه الطريف الجديد . (لان التخلق يأتي دونه الخلق) ، ودونك مثال آخر هو اظهر من هذا في ان الانواع تفترق الى اصناف تلزم خواصها ومميزاتها حتى تكاد تكون انواعا مستقلة انفصلت عن نوعها الاول حتى صارلها جنسا او كالجنس، بسبب ما امتازت به من الخواص الثابتة اللازمة التي لم يشاركها فيه بقية نوعها ، فانه ماثل لك فى النخل مثلا وهو اقرب شيء الى مشابهة الانسان من جنس النبات وقد ضربه النبي صلى الله عليه وآله وسلم مثلا للمؤمن كما فى حديث البخاري فانه نوع من انواع الشجر قد امتاز بهيئة مخصوصة فى اجذاعه وسعفه وسائر مقوماته ومشخصاته وخواصه المشتركة بين افراد نوعه ، ولكن اذا تأملت اصنافه وجدت بينها فروقا واضحة يمتاز بها بعضها عن بعض عن قوى راسخة لازمة لها لزوم مقومات نوعيته ، فهي سارية في افراد صنفه كما سرت مقوماته ومشخصاته فى افراد نوعه ، حتى انك لتدرك الفرق بين الصنف الذي يعرف فى الجهة الحضرمية بالمديني اوالهجري أوالحمراء

اوالزجاج أو الصيق او البطيطة أو الجفسوس حتى في لون السعف والعراجين ، فمنها مايميل لون سعفه الى الخضرة العميقة كالبطيطة والصيق ، ومنها مايميل الى الخضرة الفاتحة كالزجاج اومع شيء من الكدرة او الحمرة كالنوع المعروف بالسريع ونحو ذلك من اصنافه ، وكما ظهرت هذه الفروق في خضرة سعفه فقد تبعها فروق في طلعه وخلاله وبلحه وبسره ورطبه وتمره في حجمه واستطالته وتدويره وحلاوته ولونه وهيئة عجمه وشماريخه . فمنها الملون بالصفرة الفاتحة او الغامقة او الخفيفة او الحمرة كذلك ثم فى اختلاف عجمه في الكبر والصغر او الضخامة وضدها ، وقد يختص بعضه بوجود الجرم الغريب فى تمره وبسره دون بقية الاصناف كالجرم الخشبي الذي يوجد فى بسر نوع البطيطة او الصيق ولايجيء في بقية الاصناف اصلا ، اذا عقلت ذلك فتأمل فى حفظ كل صنف منها لخواصه وسريان ذلك فى افراده كافة ورسوخ ذلك في فسائله وانتقاله اليها وتأصله فيها لاينفك عنها ابدا ، ولو فعل بها الغارس مافعل ، ونقلت الى اي محل ، فانها تبقى مع ذلك حافظة لخواصها متشبثة باعراض صنفها لا تحول عنه ولا تزول ، هذا والنخل نوع واحد ولكن اصنافه لاتحصر ، وكما وقع هذا الاختلاف فى اناث هذا النوع وقع في فحوله فان اصناف فحوله مختلفة اختلافا كثيرا . فمنها البين الفحولة الذى يسرع نضج ماأبر به ومنه

ماليس كذلك. ومنها ما يصلح طلعه للالقاح بعد استكمال ظهوره واطلاعه ومنه مالايصلح لذلك حتى يتشقق طلعه ويبتدئ طحينه فى التناثر، ومنها مايعظم بسببه نوى النخل المؤبر به ومنه ما يكون صغيرا ولاتجيء فسائل كل صنف اذا غرست الامثل اصولها وكما كانت اوائلها، وهذه امور معروفة لايجهلها المما رسون لها وهي عندهم اوضح من كل واضح، بل وفى مؤلفات الباحثين فى علم النبات والحيوان لهذا العصر تفصيلات كثيرة موافقة لما ذكرناه مؤيدة لما حررناه ، على انه يوجد انواع اخرى تشابه النخل بعض المشابهة فى الجذور والسعف دون الثمر واقربها شبها به النوس ثم الصار والعزف ثم النارجيل وهذه الانواع معروفة فى الجهات الحضرمية فى اصوب الاودية ومغائضها وتوجد فى غيرها انواع كثيرة تشابه النخل مشابهة بعيدة او قريبة، فاذا عقلت هذين المثالين الحيواني والنباتي المضروبين لتقريب المعاني فهلم بنا نرقى الى مستوى اعلا، ومثال اجلا، نشرف منه على الحقيقة، والمقصد الذى سلكنا لاجله هذه الطريقة. الاَ وهو وهو الانسان. وما ادراك ما الانسان. الانسان نوع لا كالانواع اقترب حتى قيل انه لااصناف له. وابتعد حتى قيل انما هو انواع ممتازة اقتربت في الصورة الظاهرة والتخطيط الاجمالي واصل النطق الحسي والمعنوي، وافترقت فيما سوى ذلك فى الالوان والاخلاق ودقائق التخطيط ،

وفروق الصور وغلبة الطباع على شعب دون شعب ، وكمال بعضها فى معنى الانسانيه ونقص غيره ، وما تتفاوت به من الغرائز والطباع . والحق انه نوع ذو أصناف، ولكل صنف منها خواص ومميزات تفرق بينه وبين بقيتها، بل لوقيل ان البعد بين اصنافه اشد من البعد بين اصناف غيره من الخيل او النخل اوغيرها لكان هذا القول اولى بالصحة واقرب الى الواقع ، وانك لترى من اصناف البشر من ليس له من الانسانية الانطق اللسان وتخطيط الصورة ، وهو فيما سوى ذلك كالبهيمة ، وما اكثر الفروق في الالوان والصور والغرائز بين القوقاسي والملق والهندي والمغولي والصيني وهلم جرا ، فان اصناف البشر تنوف على خمسة عشر صنفا وقد صرح الباحثون فى الانسان ان الزنج صنف منحط لايقبل الترقي ابدا ، ولاحظ بعضهم ان قحف الراس فيهم يلتئم قبل تمام نمو المخ اي قبل اوانه فى غيرهم فيمنع المخ عن النمو ، وتدرك الفرق واضحا اذا قابلت بين العرب مثلا وغيرهم كالزنج أوغيرهم فيظهر لك الفرق واضحا فى اللون والصورة والعقل والغريزة والبيان ، وفي سائر مقومات الانسانية فتجدها فى العرب اوضح واصرح واغزر واقوى مادة واوسع مجالا ، واعلى مثالا ، وألطف وأشرف وتجد الصنف العربي صنفا حيا ذا نباهة واعراق طيبة وغرائز أصيلة قوية ثابتة منذ بدء التاريخ ولا تجد امة من امم الارض مثل العرب فقد بذوا من سواهم وسبقوهم فى كل ميدان من تأسيس الدول

وتقنين القوانين ونشر الآداب وماهم من محاسن الصنائع وبدائعها وغرائب الفنون ، وفيهم ظهر أكمل الاديان واعلاها واتمها واليقها بكل زمان ومكان ، بل لم يعرف في التاريخ امة عريقة في المجد الاواصلها من العرب ، فمنهم العمالقة الذين اسسوا الممالك الواسعة في بابل والعراق وسورية ومصر والحبشة ، وحسبك ان لغة المصريين القدماء المسماة بالهيروغليفية منذ نحو اربعة الاف سنة اصلها عربي كما اظهره البحث كاللغة الامحرية الحبشية ، فالامم الشهيرة في بدء نهضة العالم انما كانت منهم . وما زالت الجزيرة تفيض بهم المرة بعد المرة فما تهبط السعادة بهم على امة الا وجددوا فيها الحياة واسسوا فيها الملك ، وقد اقاموا المدنية والنظام فى بابل منذ اربعة الاف سنة بل ستة الاف سنة واشتهر منهم حمورابي وقد روى عن بني اسرائيل انه بارك على ابراهيم عليه الصلاة والسلام وشريعة حمورابي عربية وهي اقدم شريعة في العالم عرف تاريخها ، وقد شادوا مملكة بمصر وهم العمالقة المعروفون بالشاسو بل ودولة مصر التي قبلها انما كانت عربية كما اظهره البحث الآن ، وبين لغتهم واللغة العربية تقارب ، فالشعب العربي شعب نشيط حي ذونباهة وقابلية ، وقد ترحل منه طائفة لى ناحية من البلاد فتتملكها وتستوطنها ، فاذا استمر بها الدهر جاءت منهم طائفة اخرى جديدة طارئة فتحل محل الاولى ، ومن العرب الامم البائدة العظيمة الشان التى

قصها علينا القرآن كعاد ارم قوم هود عليه الصلاة والسلام ، وثمود قوم نبي الله صالح عليه الصلاة والسلام ، ومدين قوم شعيب عليه الصلاة والسلام والتابعة من دولة حمير العظيمة الشان ، الذائعة الصيت الماثلة الآثار ، ذات الحضارة والتجارة والزراعة والصناعة والنظام ، ودول الاذواء وبطرا وتدمر وطسم وجديس ، الى ان ختم الله لهم بالفخر الاعظم والشرف الاكبر ببعثة محمد صلى الله عليه وآله وسلم من بني عدنان فساق الله اليهم بذلك ماهو مذكور ومشهور ، ولم يعرف لامة من الامم ماللعرب من العراقة والرسوخ فى اقامة الممالك وتشييد معالم الحضارة والتمدن وقدم السبق الى ذلك ، لم تقاربهم في ذلك امة من الامم فى القديم والحديث ولايزال البحث والتنقيب عن آثار العرب في اكناف البلاد يظهر من فضائل هذه الامة العظيمة الشان ، مايحير الاذهان ، ولو واتت الاسباب على اكتشاف آثار الدولة الحميرية والسبائية والمعينية والقتابية من دول اليمن واثار عاد من دول الاحقاف المطمورة فى الرمال ، لظهر للناس علم عظيم يكون منار عبرة وتبصرة ، ودولة عاد هي التي ارسل الله اليها هودا عليه الصلاة والسلام وقد سبقت قبله فيهم رسل غيره وقد اتى هو مجددا لشرعهم يدل على ذلك قوله تعالى واذكر اخا عاد اذ انذر قومه بالاحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ، وقال الشيخ العلامة احمد بن المبارك اللمطي نقلاً عن شيخه عبد العزيز

« انه كان من ولد اسماعيل عليه الصلاة والسلام ولم يكن من عاد انفسهم وانما سمي اخوهم لانه كان هو وعشيرته قد ساكنوهم وعاشروهم والتحموابهم فعدوا منهم » اي ومثل هذا شائع عند العرب كما حققه ابن خلدون قال « ونسبه هود بن عابر بن شياع بن الحرث بن كلاب بن قيدار بن اسماعيل قال وليست عاد الثانيه كلها من ذرية اسماعيل بل هود وعشيرته فقط ومنهم شداد بن عاد الذي له الخيمة العظيمة ذات العماد قال والعلماء يظنون ان ارم ذات العماد مدينة مبنية بالذهب على صفة الجنة في كلام طويل لهم وليس كذلك بل ارم اسم قبيلة عاد وذات العماد نعت للقبيلة اى صاحبة العماد لهذه الخيمة التى لكبيرهم اوالمراد جميع خيامهم فاني رأيت مسكنهم ووصفه بقريب مماوصف به العلماء الاحقاف » قال « وهو مسيرة تسعة ايام وكبيرهم يسكن في وسط الارض وكان من قصده يمشي حافيا عاري الراس مسيرة اربعة ايام وصف من كل ناحية بين الخيام لقوة العمارة فيها وكثرة الخلائق مع ضيقها عنهم وارسل الله تعالى اليهم مياها وعيونا تسيح على وجه الارض من ناحية جبال بعيدة عن بلادهم يزرعون عليها قال وخيمة كبيرهم مساحتها قدر رمية سهم واوتادها واعمدتها مطبقة بالذهب الخالص وحبالها من الحرير وقد رأيت قطعا من ذهبها باقية الى الآن مدفونة فى ارضهم وجميع خيامهم مطبقة بالفضة ولم يكن فى ذلك الزمان الا الابيض منه فيه يبطنون والى هولاء القوم ارسل الله هودا الذي سبق نسبه » انتهى ومما ذكره الشيخ يعلم انها كانت زراعية صناعية ذات حكومة ونظام وانها قد سبقت لها شرائع الهية وديانة مستقيمة وانحرفت عنها فارسل الله اليها هودا عليه الصلاة والسلام وعسى ان يوفق الباحثون الى الحصول على شئ من الآثار التى فيها عبرة لاولي الأبصار ، واما ارضهم التى اشار اليها فهي الاحقاف وقد روي انها الرمل فيما بين عمان الى حضرموت فاليمن، وينقسم الى شعبتين كبرى تسمى وبار والربع الخالي والبحر السافي وصغرى تسمى صيهد وهو شمالي الجبال الحضرميه وغربيها

وقال بعضهم واد بين عمان ومهرة وهذا يقع فى الجانب الشرقى الشمالي لها ، وقال بعضهم انه رمل مشرف على البحر بارض يقال لها الشحر وكانت الشحر تطلق فى القديم على سواحل ظفار وحضرموت وعمان وهذه اقوال متقاربة وقد صحح ياقوت فى معجمه قول ابن عباس وابن اسحق وقتادة انها رمال باليمن لان الحقف الرمل المستطيل ، والمراد باليمن مايشمل ناحية حضرموت فان منازل عاد فى رمالها بلاشك ، والقصد الاشارة الى ماخصت به الامة العربية من قديم الذكر وغريزة الذكاء الخاصة التي امتازت بها على الامم وسبقتها الى ذلك ، ولذلك كان من مزيتها ان الله لم يقص علينا في القرآن الا انبياء بني عمهم من بني اسرائيل وانبيائهم كهود وصالح وشعيب عليهم الصلاة والسلام واما يونس فقد بعث الى اهل نينوى من اهل الموصل وهي من مساكن العمالقة فيحتمل ان يكون المرسل اليهم عربا بعثه الله اليهم من ذرية ابراهيم عليه الصلاة والسلام ، كما بعث هوداً الى عاد من ذريته ، فان الله جعل النبوة والكتاب فى ذرية ابراهيم من بعده ، واما إلياس فقد بعث الى قوم يعبدون صنما يسمى بعلا ويغلب ان يكونوا من بقايا العمالقة من البابليين ، وقد اكتشف الباحثون كثيرا من آثار دول اليمن ومنذ عام اكتشفوا مدافن ومحافد لهم اشتملت على غرائب الصنعة في الاواني والصور من الرخام المصنوع اجمل صنة المخروط اتقن خرط واجمله من مداخن

واجانات ومداهن واواني جزعية من الجزع الجميل على اتقن هيئة واجمل صنعة وبالجملة فالكلام في هذا موضع آخر، والقصد اثبات تفاوت اصناف البشر فى الفطر والغرائز والطباع وذلك بما لها من الآثار والمجد القديم، فقد دلنا التاريخ والبحث كما دلنا الحديث النبوي على ان صنف العرب ارقى اصناف البشر وتجد بين بقية الاصناف البشرية الاخرى تفاوتا ظاهرا وقد تكفلت مؤلفات الباحثين لهذا العهد بذكر الفروق الخلقية والخلقية بينها، ولكنهم فضلوا ابناء جنسهم تعصباً وكلامهم مردود، وكم من صنف من البشر لم يحفظ لهم التاريخ قديما، ولم يعرف منهم نبيا ولا صديقا ولا خرجوا عن الدائرة التى حصرتهم فيها امزجتهم ولا ارتفعوا عن الدرجة السافلة التى جثموا فيها، وقد ورد في الحديث الصحيح انتقاء الله للقبائل قبيلة بعد قبيلة كما في حديث صحيح مسلم عن واثلة بن الاسقع قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفانى من بني هاشم وللحديث روايات اخرى في بعضها ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل واصطفى من بني اسماعيل كنانة الحديث وفي حديث آخر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله حين خلق الخلق جعلني من خير خلقه، ثم حين فرقهم جعلني من خير الفريقين، ثم حين خلق القبائل جعلني من خيرهم قبيلة، وحين

خلق الانفس جعلني من خير انفسهم، ثم حين خلق البيوت جعلني من خير بيوتهم فانا خيرهم بيتا وخيرهم نفسا وهذا الحديث قد اخرجه احمد والترمذي وحسنه وابن مردويه وابو نعيم والبيهقي وفى لفظ آخر ان الله خلق الخلق فاختار من الخلق بني آدم الحديث فهذا فيه لفظ الاختيار، فالاصطفاء كما قال ابن العربي «أخذ الصافي من جملة معه فيها غيره وليس مثله» وقال الراغب «الاصطفاء تاول صفو الشيء كما ان الاختيار تاول خيره والاجتباء تاول جبايته» فهذه الاحاديث حجة فى ان الشعب العربي صفوة الشعوب وهو حجة دامغة على الشعوبية ومن وافقهم كابن العاقب والسوداني فكنانة صفوة العرب وقريش صفوة كنانة وبنو هاشم صفوة قريش ونبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم صفوة بني هاشم فهذا ترق وانتخاب واصطفاء الهي دل عليه الحديث النبوي وهدانا اليه. وسيأتي الكلام على هذا الحديث ورواياته انشاء الله تعالى فهذا الاختيار والاصطفاء كان على ترتيب الاخيرية طبقة بعد طبقة بما تمتاز به كل طبقة عما قبلها مما يثبت لها من الخواص التي ترسخ على طول الازمان وتسوقها اليه القدرة الالهية. وتقلبها فيه يد الاصطناع الربانية، لما يراد منهم ولهم قال الله تعالى في حق موسى عليه الصلاة والسلام ولتصنع على عيني واصطنعتك لنفسي. وقد اعلمنا الله في كتابه العزيز بهذا الانتقاء والانتخاب فقال في سورة آل عمران ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على

العالمين وقبل ذلك قال الله لنوح عليه الصلاة والسلام قلنا يانوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك وامم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب اليم . فقد اقتضت القدرة الالهية بقاء ما يصلح للبقاء من الامم التى اشتملت عناصرها على جراثيم الفطر الزكية والاستعداد الخيري وقد انحصر البقاء فى ذرية نوح عليه الصلاة والسلام قال الله تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين وحصر الله في ذريته النبوة والكتاب بعدما سلف من القرون فقال ولقد بعثنا نوحا وابراهيم وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب وقد نوه عز وجل بذرية نوح عليه الصلاة والسلام فى موضع آخر فقال ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكوراً فقدر بعضهم اخص ذرية نوح انهاضاً لهم الى الاسوة والاقتداء بهذا الاب الشكور ، واعتبر ذلك بان نوحا دعى الله على قومه لما فسدت فطرهم فلم يبق فيها للايمان استعداد ، ولا من الرسول استمداد ، قال تعالى : (وقال نوح رب لاتذر على الارض من الكافرين دياراً . انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفاراً .) فكان وجود هولاء وبقاؤهم ضرراً محضاً لتأصل الاعراق الخبيثة الكفرية فيهم . ولذلك قال ولا يلدوا الا فاجرا كفارا ، فقد صاروا بمنزلة امتنع معها فيهم كل رجاء ، وانمحى منهم كل استعداد . فكانوا نفاية نوع البشر فاهلكهم الله وابقى نوحا وذريته لمكان الاستعداد فيهم فصادف الانتقاء والابقاء منهم محلاً ومصطنعا ، ثم جاء الدور لترقٍ آخر في ذرية ابراهيم عليه الصلاة

والسلام فانطقه الله بما اراده لهم من سابقة الخير ليكون له مزية استجابة الدعوة . وخاصية المكانه والحظوة . وذلك فى قول الله (واذابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن . قال اني جاعلك للناس اماماً ، قال ومن ذريتي ، قال لاينال عهدي الظالمين .) فسأل الله تعالى عند ما خص بالامامة فى نفسه ان يجعل من ذريته ائمة يؤتم بهم كما جعله اماما ، فاعطاه الله ذلك مستثنيا منهم الظالمين ، فكان فى ذريته النبوة والكتاب ، كما قال تعالى في سورة الحديد (ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون) وقال فى سورة العنكبوت (وقال اني مهاجر الى ربي انه هو العزيز الحكيم ، ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وآتيناه اجره فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين .) وقال ابن عباس في الاجر فى الدنيا انه الثناء الحسن والولد الصالح .(وقال فى سورة ابراهيم واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً واجنبني وبني ان نعبد الاصنام ، رب انهن اضللن كثيراً من الناس فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ، ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) وقال :(رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعائي .) وقال فى سورة البقرة :(واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا

تقبل منا انك انت السميع العليم * ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم * ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم *) وقد استجاب الله دعوة ابراهيم عليه الصلاة والسلام في ذريته فجعل منهم الائمة فى غابر الدهر وحاضره وجاء الشرع الحنيفي مبينا صدق هذه الدعوة شرعا كما صدقت كونا فقال صلى الله عليه وآله وسلم الائمة من قريش ، واستجاب الله له ببعثة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيهم فكان دعوة أبيه ابراهيم كما ورد به الحديث ، وقوله تعالى (واذابتلى ابراهيم ربه) اي اختبره ربه ومعنى هذا الاختبار من العليم الخبيرا ظهار ماستعد له ابراهيم من الوفاء بالعقود الشرعية والتكاليف الالهية لان الله لاتخفى عليه خافية فالمراد بالابتلاء غايته اوسببه ، وهي الكلمات ، واختلف المفسرون في الكلمات التى ابتلى الله بها ابراهيم فقيل هي التى ذكرها الله بقوله: قال اني جاعلك للناس اماما ، واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلداً آمنا ، واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم * ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا الاية . ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم الاية ، والضمير على هذا القول في فأتمهن يرجع الى الله ، ويكون معنى الابتلاء الانعام اوالاختبار بشكرها ، فكانه ذكرها اجمالا ثم ابتداء في تفصيلها

ومنهم من عدد اموراً اخرى من الآداب الشرعية كلفها الله ابراهيم (فاتمهن) اي فوفى بهن ابراهيم ومنه قوله تعالى وابراهيم الذي وفى. (قال اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي) اي ومن ذريتي انت جاعل اماما وهذا التقدير اولى لانه هو الذي يدل عليه المذكور وقدره بعضهم ومن ذريتي فاجعل اماما (قال لا ينال عهدي الظالمين) ذكر المستثنين عن الدخول تحت ما عهد الله به اليه تنبيها على بشاعة الظلم. وأقام التصريح بالخارجين عن العهد مقام التصريح بالداخلين فيه، تنبيهاً على ان ذلك من الثابت الذي لا يحتاج الى أعادة له ولا اشادة به. فلم يقتض الحال الا الاعلام بما استثني منه وفى ذلك من معنى التأكيد ما لا يخفى. وقوله تعالى (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك) مبين لما ذكرناه فقوله من ذريتنا يقتضي التبعيض واختلف فى ملحظه فقيل لما اعلمه الله ان من ذريته ظالمون اقتصر من الدعاء على بعض، وقيل انما عنى بهم العرب. وقد شنع ابن جرير على القائلين به ولا وجه للتشنيع فان لهذا القول مؤكدات قولية وحالية. اما القولية فقوله تعالى ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم والمراد بهذا الرسول نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم كما تقدم وقد قال تعالى هو الذين بعث فى الاميين رسولاً منهم. والمراد به نبينا صلى الله عليه وآله وسلم كما قال هنا وابعث فيهم رسولاً منهم. والقرآن يفسر

بعضه بعضا وكما قال فى الاية الاخرى كما ارسلنا فيكم رسولاً منكم والدلالة على عموم رسالته آيات اخرى و الاولى ان لا يتعدى بالخصوص موضعه . فالذرية المدعو لها ان يبعث فيها رسولاً منها هي الامة العربية ، فان قيل ان مدعي العموم يقول (ربنا وابعث فيهم) اي ذرية ابراهيم كلها ولا خلاف انه صلى الله عليه وآله وسلم مبعوث الى بني اسرائيل كما انه مبعوث الى قومه . قلنا انك قلت مبعوث الى بني اسرائيل ولم تقل منهم فهذا يدل على الفرق بين الامرين . وايضا فانه يشارك بني اسرائيل سائر امم الارض فى كونه صلى الله عليه وآله وسلم مبعوث اليهم . ولكن لايشارك العرب احد من الامم في كونه مبعوثا منهم وفيهم . وهذا القائل انما فر من التخصيص فوقع فى مثله . واما المؤكد الحالي فهو ان الكلام مع الامة العربية فى تذكيرها بحال ابيها ابراهيم عليه الصلاة والسلام ، وما سأل لذريته من الامامة ، وتأمين البلد الحرام ، ورزقهم من الطيبات ، والدعاء بان تكون منهم امة مسلمة ، وبعثة رسول منهم فيهم ، ليعلموا ما خبأ لهم القدر من السعادة ، وان هذا هو وقتها الذي فيه ظهرت فيسارعوا الى الاخذ باسبابها ، يدلك على هذا ما ذكره الله تعالى فى غير هذا الموضع حكاية عن ابراهيم بقوله (واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني ان نعبد الاصنام) الآيتين ، ثم قال (رب اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة) . فاتي بالتبعيض لانه انما اسكن بعض

ذريته بذلك الوادي وادي مكة وهم اسماعيل وولده فهم عين المقصود بالبعض فى قوله (ومن ذريتنا امة مسلمة لك) يؤيد ذلك قوله ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم انا دعوة ابي ابراهيم وبشارة عيسى الحديث اخرجه ابن عساكر وابن سعد واخرج احمد وابن جرير وابن ابي حاتم والحاكم وابن مردويه والبيهقى نحوه من حديث العرباض بن سارية واخرج احمد وابن سعد والطبراني وابن مردويه والبيهقى عن ابي امامة نحوه فدل ماذكرناه على ان دعوة ابراهيم واسماعيل عليهما الصلاة والسلام كانت خالصة للعرب وفى اخبار الله بذلك واجابته لها تنويه بما ادركوه من الفضل والشرف والسعادة بهذه الدعوات فقد خصوا بها دون الامم فلهم مزية هذا الاختصاص وقوله تعالى في ابراهيم (ووهبناله اسحق ويعقوب وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب) هو على العموم فى ذرية ابراهيم ولذلك ارجع الضمير اليه دون اسحق ويعقوب وهو بمعنى قوله تعالى فى سورة الصافات بعد ان اجرى ذكر اسماعيل وقصة رؤيا ابيه فى ذبحه وبشارته باسحق جزاء على صبره ، على ذبح بكره ، فقال (وباركنا عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما) فان الضمير على ماذكرناه يرجع الى اسماعيل واسحق عليهما الصلاة السلام وقد انحصرت ذرية ابراهيم فيهما ، ويحتمل ان يكون الضمير في عليه يرجع الى ابراهيم فيكون ذكر ذرية اسماعيل هنا ضمنا كما كان ذكر ذرية

اسحق ضمنا في آية سورة البقرة على قول مدعي العموم في الذرية المسلمة والاظهر ما قلناه اتماماً للنعمة على اسماعيل المأمور بذبحه واسحق المبشر به جزاء لصبره. ومزيداً لشكره. وتوحيد الذرية فى سورة البقرة مع الاضافة الى ضمير هما اعني ابراهيم واسماعيل مع وجود ذرية يصلح اضافتها اليهما واخرى لاتضاف الا الى احد هما ومع التبعيض فى الذرية فى قوله (ومن ذريتنا) اي وبعض ذريتنا كل ذلك يدل على ماقررناه من ان المراد بها ذريته من العرب وما سواه تكلف ويقويه ماسبق والله اعلم باسرار كتابه. وماذكر من التخصيص بجعل الله النبوة والكتاب في ذرية ابراهيم عليه الصلاة والسلام هو من آثار الاصطفاء الذي نصت عليه آيته في آل عمران بقوله تعالى (ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين) ودل على ذلك حديث الاصطفاء كما ان بعثته صلى الله عليه وآله وسلم من العرب ثم من قريش ثم من بني هاشم هو من آثار الاصطفاء والانتخاب والانتقاء المتكرر فيهم طبقة بعد طبقة، وحالاً بعد حال، كما دل عليه الحديث وهكذا كانت الرسل انما تبعث فى انساب قومها، وفى ذلك حكمة اخرى وهو ان اكثر الناس يقصر عن درك الحق بنفسه ويغلب على طباعه النظر الى القائل ومحله من الامة فهو ابدا انما يعرف الحق بالرجال، فجعل الله رسله من اعلا البشر محتدا ونسبا وجعل نوابهم وورثتهم كذلك. لتقبل منهم العامة ولا تنفر عنهم

الخاصة لأن النفور عن منحطي الانساب غالب على اكثر الناس ولتكون حجة الله اظهر وانور، فلا يكون لاعداء الرسل في ذلك شبهة ولا ما يتعلقون به اذا ارادوا الطعن فيهم والله يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحانه وتعالى عما يشركون

﴿ دليل على فضل النسب ﴾

اعلم ان اعظم النعم واتمها، واشملها واعمها، واجمعها لخيرات الدنيا والاخرة هي بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم فهي النعمة العظمى، والمنة الكبرى، والشرف التام فى الدنيا والاخرى، وقد امتن الله بها فى كتابه العزيز فعظمها وفخمها وردد ذكرها، فقال عز من قائل كريم يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم فذكر في هذه الاية تسبيح اهل السموات والارض له توطئه وتقدمه لذكر منته العظمى، وتنبيها على انها من مظاهر قدسيته وطهارته، وعلو صفاته وسعة ملكه، وتناهي عزته، وحكمته فلذلك وصف نفسه بالملك القدوس اي الطاهر الذي اقتضت طهارته وعزته وحكمته ان يبعث مظهر رحمته العظمى محمدا صلى الله عليه وآله وسلم لتطهير هذه الامة وتزكيتها من ادران الكفر والشرك والفسوق والعصيان، فقال: (هو الذى بعث في الاميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين وآخرين منهم لما يلحقوا

بهم وهو العزيز الحكيم فالاميون هم العرب والآخرون الذين لم يلحقوا بهم هم التابعون لهم من ابنائهم وقال بعضهم ومن غيرهم على العموم والقائل بانهم من العرب جرى على ظاهر الآية ولذلك قال ابو حيان في الحديث الوارد فى انهم فارس لوفهم منه الحصر فيهم لايجوز ان تفسر به الاية ولكن فهم المفسرون انه تمثيل فقال مجاهد الروم والعجم وقال مجاهد ايضا وعكرمة ومقاتل هم التابعون من ابناء العرب لقوله منهم اى في النسب وقال مجاهد ايضا والضحاك وابن حيان طوائف من الناس وقال ابن عمر اهل اليمن وعن مجاهد ايضا ابناء الاعاجم وعن ابن زيد ايضا هم التابعون وعن الضحاك ايضا العجم وعن ابي روق الصغار بعد الكبار و ينبغي ان تحمل هذه الاقوال على التمثيل كما حملوا قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فى فارس اه بتصرف وقول ابي حيان لوفهم منه الحصر لايجوز ان تفسر به الاية معناه ان الاية اعم من ذلك وفي التعبير بشاعة ولذلك قال ولكن فهم المفسرون انه تمثيل والتفسير بالتمثيل ورد كثيرا في السنة والاثر والظاهر رجوع الضمير فى منهم الى الاميين ودخول فارس وغيرهم من الاعاجم لايقدح فى ذلك لانهم في معناهم ولانهم منهم بكونهم على دين واحد ومثل هذا قوله تعالى ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم فانه عائد على الذرية المتقدمة وهم العرب والرسول هو نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم

وقوله تعالى ذلك فضل الله يؤتيه من يشآء فمعناه كما قال ابن جرير « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء يقول تعالى ذكره هذا الذي فعل تعالى ذكره من بعثته في الاميين من العرب وفى آخرين منهم رسولا يتلو عليهم اياته ويفعل سائر ماوصف فضل الله تفضل به على هولاء دون غيرهم يؤتيه من يشاء يقول يوءتي فضله ذلك من يشاء من خلقه لايستحق الذم من حرمه الله اياه لانه لم يمنعه حقا كان له قبله ولاظلمه في صرفه عنه الى غيره ولكنه علم من هو اهل له فاودعه اياه وجعله عنده » اه فالذي فى هذه الآية امتنان من الله على الاميين عامة من غير تقييد بوصف وهو نحو قوله تعالى لقد جاء كم رسول من انفسكم ، واما قوله تعالى فى سورة آل عمران (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولاً منهم) فهو مقيد بوصف الايمان فابتعاث الله له صلى الله عليه وآله وسلم من الامة العربية وفيها من اعظم النعم ، واكبر المنن . واسمى الشرف . والذكر الجميل الحسن الذي لاتمحوه الاجيال ، ودل ذلك على مزيد عناية الله بهم حيث بعثه منهم بالنسب الادنى والرحم القريبة وفيهم بابتداء الدعوة فيهم اولاً وبالذات فقد خصوا في في ذلك بمزية الا ولوية وفازوا برتبة السبق ، ومنهم كان المهاجرون والانصار وبهم عبد الله حق عبادته ، وان شاركهم غيرهم في النسب الابعد من حيث الجنس ، ولذلك خص الله قريشا بكونه ذكراً لهم على ما في الروايات الصحيحة فقال تعالى وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون والذكر الحسن الجميل هو من لوازم الشرف والفضل ، وهو مما

يرغب فيه الذين يحبون معالي الامور ويكرهون سفسافها ولذلك قال ابوحيان « قيل وهذه الآية تدل على ان الانسان يرغب فى الثناء الحسن الجميل ولو لم يكن مرغوبا فيه ماامتن به على رسوله فقال وانه لذكر لك ولقومك وقال ابراهيم عليه‌السلام واجعل لي لسان صدق فى الآخرين والذكر الجميل قائم مقام الحياة بل هو افضل من الحياة لأن اثر الحياة لايحصل الا من الحي واثر الذكر الجميل يحصل فى كل مكان وزمان » اه اقول ومن هذا قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك وقوله تعالى عقب ذكر الانبياء نوح وابرهيم وموسى وهرون وإلياس في سورة الصافات (وتركنا عليه فى الاخرين سلام على نوح فى العالمين) الخ الايآت فعن ابن عباس قال يذكر بخير وقال قتادة ابقى الله عليه الثناء الحسن فى الآخرين ، وروي عن السدي مثل ذلك زاد ابن زيد كما ترك اللسان السوء على فرعون واشباهه كذلك ترك اللسان الصدق والثناء الصالح على هولاء اقول وهذا جزاء من الله لاهل الفضل ودعاة الحق على ما يلقونه من اعدائهم وحسادهم من التعييب والذم لهم وقد ذكر الامام الشافعي في خطبة الرسالة كونه صلى الله عليه وآله وسلم نعمة للخاصة والعامة وعنى بالخاصة قومه وبالعامة الناس وعبارته «وعرفنا خلقه (اي معاشر خلقه او خلق الله له صلى الله عليه وآله وسلم) نعمة للخاصة والعامة والنفع في الدين والدنيا به فقال لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم وقال لتنذر ام القرى ومن حولها وام القرى مكة وفيها قومه وقال وانذر عشيرتك الاقربين وقال وانه لذكر لك ولقومك قال الشافعي اخبرنا سفيان بن عينيه عن ابن ابي نجيح فى قوله وانه لذكر لك ولقومك قال يقال ممن الرجل فيقال من العرب فيقال من اي العرب فيقال من قريش

قال الشافعي رضى الله تعالى عنه وما قال مجاهد من هذا بين فى الآية مستغنى فيه بالتنزيل عن التفسير فخص الله جل ثناؤه قومه وعشيرته الاقربين فى النذارة وعم الخلق بعدهم ورفع بالقران ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخص قومه بالنذارة اذ بعثه فقال وانذر عشيرتك الاقربين وزعم بعض اهل العلم بالقرآن ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال يابني عبد مناف ان الله بعثني أن انذر عشيرتي الاقربين وانتم عشيرتي الاقربون » اهونقول ان رواية الشافعي اخرجها عبدالرزاق وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم والبيهقى بزيادة فيقال من اي قريش فيقال من بني هاشم وقد اشار الشافعي رضى الله عنه بقوله ورفع بالقرآن ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى المعنى المراد من التفسير ولذلك اقتصر ابن جرير عليه وعبارته «وقوله وانه لذكرلك ولقومك يقول تعالى ذكره وان هذا القرآن الذي اوحي اليك يا محمد الذى امرناك ان تستمسك به لشرف لك ولقومك من قريش وسوف تسئلون يقول وسوف يسألك ربك واياهم عما عملتم فيه وهل عملتم بما امركم ربكم فيه وانتهيتم عمانهاكم عنه فيه وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال اهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال حدثنا ابوصالح قال حدثنا معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وانه لذكر لك ولقومك يقول ان القرآن شرف لك حدثنى عمرو بن مالك قال حدثنا سفيان» (فذكره بمثل رواية الشافعي) وروي عن السدي بمثل رواية علي بن ابي طلحة اقول ورواية علي بن ابي طلحة في التفسير من اقوى الروايات واصحها وعليها اعتمد البخاري فى صحيحه واعتمدها ابو حاتم واثنى عليها الامام احمد ثناء بليغا وسيأتى ذكر ذلك ان شاأ الله تعالى في الكلام على آية والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الآية ورواية الشافعي ورواية

ابن جرير من طريق سفيان الى آخر السند صحيحة أيضا قال السيوطي نقلاعن الحافظ ابن حجر «فمن الثقات مجاهد وابن جبير ويروى التفسير عنه من طريق ابن ابي نجيح ومجاهد رضي الله عنه والطريق الى ابن ابي نجيح قوية» قال «ومن طريق معاوية بن صالح عن على بن ابي طلحة عن ابن عباس وعلي صدوق ولم يلق ابن عباس لكنه انما حمل عن ثقات اصحابه فلذلك كان البخاري وابو حاتم وغيرهما يعتمدون على هذه النسخة» اه وقد حمل بعض المتأخرين الذكر على معنى التذكير والموعظة وهو صحيح لغة وماذكرناه صحيح لغة ورواية، والمعنى جامع لهما فان التخصيص بالتذكير ومثله التخصيص بالنذارة فى قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين من لازمها الشرف والذكر الحسن، لانها دليل مزيد العناية الالهية فلايخرج كلا المعنيين عن ان يكون لازما اوملزوما، والذي حمل اهل الصدر الاول على تفسير الذكر بالشرف انه قد جاء فى القرآن نحوه فى قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك بالاضافة الخاصة هنا وماجاء من وصف القرآن بالذكر فعلى العموم، ويقوي القول بان المراد بالذكر فى هذه الآية الشرف تخصيصه به صلى الله عليه وآله وسلم فى قوله وانه لذكرلك وعطف القوم عليه بقوله ولقومك والمقصود ان ماذكرناه من انه صلى الله عليه وآله وسلم نعمة خاصة وعامة على الاميين وهم العرب ثم من لحق بهم من شعوب العجم، ومنة عظيمة خاصة على خاصة قومه من قريش ثم من بني هاشم ومايلزم ذلك من كونها دليل العناية الالهية والتخصيص بالفضل انما جاء من قبل النسب، فالنسب زمام هذه النعمة

ومجرى التخصيص بها وقد دل قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين على مالذوي قرباه وذوي نسبه من الاولوية ومزية التخصيص على غيرهم بالانذار وهو النعمة العظيمة واذا كانت بعثته صلى الله عليه وآله وسلم فى العرب والاميين نعمة كبرى ، وكان انذاره نعمة اخرى ، كان التمييز والتخصيص بها فيه من معاني الفضل العظيم مافيه . واي تفضيل اعظم من تخصيصهم بالذكر الخاص ، عناية بهم وتنويها بالحق العظيم الذي اوجبته قرابتهم منه صلى الله عليه وآله وسلم ، وميزه التحامهم به ، وما يقتضيه اتمام النعمة عليه صلى الله عليه وآله وسلم باتمام النعمة عليهم . وان يكونوا أوفر الناس حظا من هذه الهداية رعاية لمكانتهم منه في الاية من معاني الشرف ومطالع الفضل ودلائل الكرامة مايبقى على الدهر منشورا ، ويخلد فى الصحف متلوا ومذكوراً . وليس فى الآية ولا فى التخصيص بالنذارة غضاضة من ذوي نسبه ، كما يفهمه ذو الفهم القاصر ، والذهن الفاتر ، بل فيها غاية التنويه بهم ، والعناية بمحلهم ، واولوية حقهم واسبقية صلتهم ، وان مكانتهم منه ينبغي ان تراعى وتخص بمزيد اهتمام وتقديم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

خصوصية من خصائص النسب

ان الله خلق الانسان اجتماعيا مدنيا ، قاصراً بنفسه كاملاً بغيره ، لايصلح شأنه ولايتم امره ولا تستتب له اسباب الحياة ولايتوفر له هناء المعيشة

الا بالاجتماع ، فهو وحده لاشيء وهو مع بقية جنسه كل شيء وقد خلقه الله على طبيعة ينساق بها الى استجلاب النافع ودفع الضار. ولكن الفطر والعوائد تتفاوت فى تحديد ذلك. ووراء ذلك اختلاف الرغائب. وبواعث الشهوات، ومنازع الاهواء، واختلاف الآراء، وكل ذلك مدعاة للبغي ومجاوزة الحدود، وهو اصل الضلال ومبدأ العدوان. فكان من تمام رحمة الله وحكمته الخاصة بهذا النوع ان امده بهداية اخرى عظيمة النفع له مقومة لما اعوج من الفطرة ومرشدة لما خفى على العقل وهي هداية الأنبياء فلم يزل الله عزوجل يمده بالراشدين من انبيائه ورسله كما قال تعالى (ثم ارسلنا رسلنا تترى) وقال (وان من امة الا خلا فيها نذير) وقال (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً) تتميما منه للهداية. واقامة للحجة وقطعا للسان العذر، وكان من طبائع البشر استحسان العادة والرجوع الى التقليد، والاستمساك بالقديم، واللزوق بما ورثوه عن الآباء، مع التعصب لما الفوه. والدفاع عما اعتادوه، والمحاماة عنه، والقتال دونه. وان كان فيه هلاك العاجلة وعذاب الآجلة وعار الدهر، وضياع العمر، فلايسمعون لداعي الحق ولا يتوجهون اليه. ولاينتظرون به الايام بل يعاجلونه بالبطش ويسرعون اليه بالبغي قد غشي قلوبهم من محبة مازين لهم وكراهة ما فوجئوا به حجب كثيفه تحجب عنهم رؤية الحق وتعميهم، وتصمهم عن سماعه وتصميهم. فالذي

يحاول اخراجهم عماهم فيه يعدونه غاصباً لحقوقهم، معتديا عليهم، عدوا لهم يحاول سلبهم واضلالهم، فهو في نظرهم من اعظم الناس جرما، واحقهم بانزال السطوة به، والتعدي على نفسه وعرضه، كما قال الله تعالى حاكيا عن قوم شعيب (قالو اما نفقه كثيرا مما تقول وانا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وماانت علينا بعزيز) فلم يمنعهم عن رجمه، الامخافة قومه ، فلوكان من سنته تعالى ان يبعث الانبياء والمرسلين حيث لامنعة تمنعهم، ولاعصبية تحدب دونهم، لهجم البغاة ومحبي العدوان على الرسول منهم في اول دعوته، وعنفوان بعثته، وبدء ارشاده، فلم تقم برسول حجة، ولم تتم له دعوة، كما قال تعالى وهمت كل امة برسولهم ليأخذوه ولكن الله اعلم بطبائع عباده، وما تتم به اسباب حجته وتبليغ نذره، وأَمنة رسله، فلم يبعث نبيا الا فى منعة من قومه كما ورد فى الصحيح بعض قومه او بمنعة الهية كما قال الله لموسى عليه الصلاة والسلام (ونجعل لكما سلطان فلا يصلون اليكما) وفى حديث آخر وكذلك الرسل تبعث فى انساب قومها قال الله تعالى حكاية عن لوط عليه السلام قال لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد، قال المفسرون في الركن الشديد انه العشيرة اخرج ابو الشيخ عن علي رضى الله عنه انه خطب فقال عشيرة الرجل خير من الرجل لعشيرته انه ان كف يده عنهم كف يداً واحدة وكفوا عنه ايديا كثيرة مع مودتهم وحفاظتهم ونصرتهم حتى لربما غضب الرجل للرجل وما يعرفه الا بحسبه، وسأتلو عليكم بذلك آيات من كتاب الله فتلا

هذه الآية (لوان لي بكم قوة اوآوي الى ركن شديد) والركن الشديد العشيرة فلم يكن للوط عليه السلام عشيرة فوالذى لا اله غيره مابعث الله نبيا بعد لوط الا فى ثروة من قومه وهذا محمول على الامم التى تعتمد النسب كالعرب وقد روي هذا التفسير عن ابن عباس وابن جريج وقتادة وروي مرفوعا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قوله اوآوي الى ركن شديد قال رحم الله لوطا كان يأوي الى ركن شديد يعني الله تعالى فما بعث الله بعده نبيا الا فى ثروة من قومه اخرجه البخاري فى الادب المفرد والترمذي وحسنه وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم وابو الشيخ والحاكم وصححه وابن مردويه من طريق ابي سلمة عن ابي هريرة رضى الله عنه ومن هذا الحديث تعلم انه كان من سنة الله جل وعلا بعد لوط عليه الصلاة والسلام في المرسلين ان يبعثهم في انساب قومهم وموضع العز والعدد ومكان المنعة والقوة ، ليحدبوا دونه ويمنعوه عمن اراده بسوء حتى تقوم به الحجة ، وتنتهى به الكلمة ويستعز به الاتباع وتبلغ به الدعوة مقطع الحجة وغاية الاعذار ، فهذه خصوصية عظيمة لولم يكن في النسب سواها لكفت ، فهي سياج النبوة وعصمة اولى الرسالة عن ايدي الظلمة واولي الجهالة ، ودرعهم الحصين الواقي باذن الله من شباة اولى الدعارة وألاف العادة واتباع التقليد ورعاع الفتنة ولولاها لأسكتوا صوت الداعي قبل البلاغ ، فهي فضيلة لا تقاس بها فضيلة الا عدلتها الى ما

للنسب من فضائل وخصائص لاتجهل فالذين يطلقون القول فى ذم الانساب ووضع محلها، وانكار فضلها، قد استولت عليهم غفلة حجبتهم عن استشفاف حكمة الله فيها فعصبية النسب هي البذرة بل المركز الذي يدور عليه محور التبليغ عن الله، حتى يجمع الله شأن المستجيبين للرسول فتعود العصبية دينية وهي جامعة اوسع من عصبية النسب لانها تضم العصائب، وتجمع اليها الاباعد والاقارب، ولكن لفضيله النسب حق التأسيس وفضيلة السبق في هذا النفع العظيم، واذا نظرت إلى بعثته صلى الله عليه وآله وسلم وكشفت عن المنعة التى بعث فيها وحدبت دونه رأيت تاج هذه المكرمة، واكليل هذه المزية المعلمة، لم يعقدا الا على راس مفاخر آل هاشم، فانهم هم عصبته وبيته وعشيرته الذين حاموا دونه، وذادوا عن حوضه وحدبوا بالنفس والنفيس عليه، وقد اعانهم وشاركهم في ذلك اخوانهم من بنى المطلب، فمن الذى تحمل فى شأنه صلى الله عليه وآله وسلم شظف العيش، وعداوة قريش، وشدة البؤس والحيف، وبأساء الحصر فى الخيف، وامتاز بذلك دون الناس ثلاثة عشر سنة لم يشاركه فى ذلك غيره حتى اذن الله لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم فى الهجرة وجاء نفس الرحمن من قبل اليمن، انك إن طلبت ذلك لم تجد سوى عشيرته صلى الله عليه وآله وسلم ولاغرو فهذا قليل من كثير من الخصائص التى خص الله بها هذا البيت الكريم، وفى ذلك

لهم شرف عظيم، ومنقبة فخيمة، وخصوصية دون العباد فى مشارق الارض ومغاربها، واختيار من الله لهم دونهم، حتى يقوموا بحق المنعة التى كانت سياجاً اعدها الله لبعثته صلى الله عليه وآله وسلم والله اعلم حيث يجعل رسالاته

دليل آخر واستطراد الى الكلام مع ابن خلدون رحمه الله تعالى

النسب لحمة متينة، ووصلة مكينة، ووشيجة تخالط الاحناء، ووليجة يخضع لتأثيرها البعيد والادنى، اعراق بمنزلة العروق التي يمتد منها جوهر الحياة، واسباب هي من اوثق اسباب النصرة والموالاة، امر مركوز فى الفطر السليمة تعظيمه، ومبنى مغروس فى الجبلات احترامه وتكريمه، وما ظنك برابطة هي من اعظم الروابط، واحكم الضوابط، يقوم بها معناك، فى شخص سواك، فتنظر اليه كانك ناظر نفسك، ومشاهد ذاتك، وما اباؤك الا الكل الذي عنه انفصلت، والمبتدأ الذي منه بدأت، وما شقيقك الاشق منك، وما عشيرتك الا اجزآء من كل انت بعضه، فان ضيم احد منهم امضتك لفحة الضيم، وان لم يبلغ منك ذلك اللوم، ووجدت له غضاضة، ونالتك منه حزازة، وان أكرم احسست انك بالكرامة مقصود، وخلت ان شرفها عليك رواق ممدود، وان فضل او نقص ثبت ميسمه عليك، وان وجه اليه مدح او قدح رأيت كأن الخطاب موجه اليك، النسب ركن من الاركان التى بنيت منه الامم، وتألفت به العشائر، وقامت به البيوت،

وانظر كيف يحكم للأمة بالفضل باعتبار مجموعها ، وما تفرق فى بيوتها وافرادها، كما يحكم للنسب الخاص بالفضل باعتبار الاغلب من اصوله وفصوله ، وان الامة لتخاطب فى الامور مخاطبة الفرد باعتبارها هيئة واحدة متحدة متواشجة متضامنة متكافلة كل فردمنها بمنزلة عضومن جسد واحد كما ان ذوي النسب الواحد يخاطبون فى الامور مخاطبة الفرد باعتبار تشعب بعضهم من بعض ، واتصالهم بعرق واصل واحد ومن هنا يظهر لك عموم مثل قوله صلى الله عليه وآله وسلم انا اهل البيت لاتحل لنا الصدقة أوإنا آل محمد كما في رواية اخرى لمن كان في زمنه منهم ولمن بعده لانهم يسمون اهل بيته وآله ولو طالت الايام وانفسح الدهر وكذلك تقول في كل ما ورد بهذا العنوان واعتبر ذلك بسنة القرآن في مخاطبة الشعوب والامم، وانظر كيف خاطب الله فيه بني اسرائيل الموجودين منهم زمن البعثة بما فعله مع سلفهم فذكرهم أنه انعم عليهم وفضلهم وانجاهم من آل فرعون وانزل عليهم المن والسلوى ورزقهم من الطيبات وظلل عليهم الغمام الى غير ذلك مما هو مذكور في سورة البقرة وغيرها يخاطبهم بذلك كانهم هم المفعول بهم ذلك ثم ثنى فذكر مخالفتهم ومجاحدتهم فقرعهم وانبهم كأنهم هم الذين فعلوا ذلك ومافعله الااسلافهم لكن لما كان ذوو النسب الواحد كالشخص الواحد والخلف نسخة السلف وكأنهم اغصان حلت محل ما اندثر من الشجرة

حتى كأنه هو، وكان العرف يثبت للخلف ما اثبته للسلف من المدح والقدح والفضل والشرف والنقص والضعة خوطبوا على تقرر من ذلك وانظر الى قول الله تبارك وتعالى (يابني اسرآئيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين) فقد خاطبهم عزوجل خطاب مواجهة بانه انعم عليهم والنعمة قد يكون المراد بها النبوة والكتاب والملك وقد يكون المراد بها اعم من ذلك وحذف المتعلق يدل على ذلك وعلى كل فالنبوة من النعم وما كانت الا في بعضهم قال الله (اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبيآء وجعلكم ملوكا وآتاكم مالم يؤت احدا من العالمين) فقال فيكم انبيآء ولكنها نعمة عليهم باعتبار ما ينالهم من الهدى وما ينالهم من الشرف كما اعتبرت كذلك بالنسبة الى هؤلآء المخاطبين وانظر مع ذلك كيف خاطبهم بالتفضيل فقال واني فضلتكم على العالمين فواجههم بخطاب التفضيل ولئن حملناه على المجاز وتركنا الحقيقة فانه لا يصح المجاز الا مع علاقة فما هي هذه العلاقة التي اعتبرها رب العالمين هذا الاعتبار حتى اقام الفرع مقام الاصل في هذه الامور العظام تعديد النعم وايجاب التفضيل والمطالبة بالشكر واللوم بما فعل الآبآء يقول لهم (واذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك) (واذ قلتم ياموسى لن نصبر) (واذ قتلتم نفسا) (فلم قتلتموهم) يخاطبهم بذلك ومعلوم انهم لم يقولوا ذلك وانما قاله اسلافهم ولم يكن القتل الا من بعضهم ولكنهم نسخة آبائهم ، فرع ناب مناب

اصله واخذ موضعه من الوجود فثبت له ما يثبت لاصله من مناقب ومثالب ، وصحة المواخذة بالموالاة والمحبة . فههنا نسبة ومواخذة وهذا يدلنا على ان الاضافة النسبية امر حق معتبر شرعا وعرفا ، شرعا لما ذكرنا من خطاب الله لهم بما ذكر وكالحكم بالاسلام وضده للذرية وعرفا لان ذلك لو لم يكن معروفا عند الناس لم يجر الخطاب على ذلك لأن خطاب الناس انما يجرى على ما يعرفون ، وبذلك تعلم ان قول ابن خلدون في النسب انه امر وهمي لا حقيقة له لا يصح أفليس اكبر مفاسد الزنا اختلاط الانساب ؟ وقد تسامح في هذا الاطلاق فافرط ولو تأمل لفقه اكثر مما قلناه ولكنه شغف من النسب بخاصة واحدة من خواصه وهي العصبية فغفل عما سواها ، وقد عظمت في عينه هذه الخصلة حتى كاد يجعلها الكل في الكل ولم ينظر اليه من حيث تفاوت منابت الشعوب وغرائز الامم ومالها من الآثار وما يغلب عليها من الطباع بالوراثة ، وان كان قد ذكر نوعا آخر من حيث تأثير العادة والبيئة وقد خالفه علمآء الاجتماع الآن فجعلوا الوراثة لما كان عليه الاباء من صحة ومرض وذكاء وحمق وغير ذلك من اكبر المؤثرات في الاخلاق والصفات والطباع ولما عاد ابن خلدون الى ذكر الفتن واراد ان يبني الاعتذارات عنها على مسئلة العصبية وقع فى مناقضات تدرك بالتأمل ولو كانت العصبية حقا كما زعم وانه ينبغي مراعاتها في الخلافة

لراعاها الصحابة في خلافة ابي بكر وعمر رضي الله عنهما لأنهما ليسا من بني عبد مناف الذين يزعم ابن خلدون ان العصبية كانت فيهم والذي يستقرأ من الحوادث ان اكثر الصحابة كانوا يرونها حقا لقريش عامة ويشترطون مع ذلك شرط السبق الى الاسلام والهجرة كما روي عن عمر رضي الله عنه انه قال: ليس لطليق ولا لابن طليق فيها شيء وانهم لم يعتبروا العصبية اصلا واعتبر ذلك بجعل الشورى في ستة منهم فهل كانت العصبية لجميع قبائلهم؟ على ان الشرع قد نهى عن الدعوة اليها وطالب العصبيات كلها بتوجيهها الى المحافظة على الدين بأن تتحد وتوجه قواها كلها الى ما ذكر، اما الجري على عادتها في الجاهلية من التعصب للقبيل والسعي وراء منافعه الذاتية الخاصة فقد نهى عنه الشرع اشد النهي كما في الاحاديث المشهورة من ذم العصبية وذم الدعوة اليها وقد حفظ التاريخ من مطالبة الصحابة وغيرهم بالشورى والتأسف على فقدها ما تفتر عنه ثناياه، وتنكشف عنه خباياه، لانه لا شورى مع العصبية ولكن معها الاستبداد المحض على بقية العصبيات واستتباعها كما فعل ذلك بنو امية فتلاقفوها تلاقف الكرة فغلبوا الامة واستعبدوها وقتلوا خيارها ورفعوا شرارها فاعتبر هذا بحق وتأمله تجده واضحا وتأمل قوله «ان النسب امر وهمي لا حقيقة له» مع اثباته الشرف والحسب له ومع قوله «ليس يوجد لاحد من اهل الخليقه شرف متصل في آبائه من لدن آدم اليه الا ما كان من ذلك للنبي صلى الله عليه واله وسلم كرامة وحياطة على الشرف فيه» اهـ وكيف يكون

الشرف بامر وهمي ويعد مع ذلك من فضائله صلى الله عليه وآله
وسلم ومعلوم ان الشرف والحسب هو غير العصبية فما معنى ذلك مع
قوله إنه لا فائدة للنسب الا العصبية وكيف يكون النسب امرا
وهميا لاحقيقة له وقد انبنت عليه امور وجودية واحكام شرعية
أينبني الوجودي والشرعي على وهمي ؟ كلا . وفي النسب امور
غيرها لايجوز اغفالها كالتولد والبعضية والكلية والتوارث الخلقي
والخلقي وغير ذلك مما يمتنع معه ان يكون النسب امراً
وهميا لاحقيقة له، واذا كان كذلك فلم جعله الله مجرى لحكمة التعارف
ولم اثبتم له الشرف والحسب والعصبية وبنيت عليه احكام شرعية وبالجملة
فقول هذا القائل لم يسلك فيه مسلك الاستدلال الشرعي، والا فكيف
يكون الامر الذي قام عليه بناء المجتمع الانساني وبه امتازت
الشعوب والامم واعتبرته الشرائع وهميا، وقد قال الله تعالى (وجعلناكم
شعوبا وقبائل لتعارفوا) ومعلوم ان الشعب ماكان شعبا الا بالنسب
الذي يجمعه، ولا كانت القبيلة قبيلة الا بالنسب الذى جمعها واحكم
وشائجها، فمقوم الشعوب والقبائل هو النسب وتعارفهم كان به، فعلى
قول هذا القائل ماقامت الشعوب والقبائل ولا تعارفت الا بالاوهام
وقد اخبرنا الله انه جعل الناس كذلك فيكون هذا الجعل ماصدر عنه
الا امر وهمي مع إن الجعل ايجاد لذات او صفة وقد قال تعالى (لتعارفوا

فذكر ان حكمة ذلك الجعل التعارف ، والتعارف غير العصبية وهي أمر زائد عليه . فكيف يقال انه لافائدة له الا العصبية مع ان هذه فائدة اخرى بل مابنيت العصبية الا عليها ، بل العصبية الخارجة عن حدودها المطلوبة قد حولت حكمة النسب الذى هو التعارف الى تناكر ، وهي اصل البلاء بين الامم وحولت الشورى الاسلامية الى تغلب واستبداد حتى نزى على امر الامة مروان واجراء مروان وايضا فان الشرع قد اعتبر النسب فى ابواب كثيرة كباب الايمان وباب الامامة الكبرى والامامة الصغرى وباب الزكاة وباب الاولياء والكفاءة في ولاية النكاح وغيره والارث والوصية والوقف والنفقات والعقيقة والاضاحي وقسمة الفيء والغنيمة والاسترقاق وفي القصاص والعاقلة والشهادة والوكالة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وابواب الاداب الشرعية بل وامر النذارة والدعوة النبوية فان الله يقول (وانذر عشيرتك الاقربين) خصهم بالنذارة زيادة في العناية بهم لمكانهم منه صلى الله عليه وآله وسلم وفي ذلك مزيد فضل لهم كما مر شرح ذلك فان كان امراً وهميا كما تقولون فيا حبذا هذا الامر الوهمي الذى يعتبره الشرع هذا الاعتبار ، ويحله هذا المحل الجليل ، وبالجملة فلا يصح كلام ابن خلدون الا بتأويل فظاهره باطل بلا شك ومن ذلك انه جعل العلة التى حملت الشارع على جعل الائمة من قريش كون العصبية كانت لهم فى العرب وليس كما قال وانما شغف بخاصة العصبية من خواص النسب واطرح ماسواها واراد ان يجعل جسرا للاعتذار فما افلح ولا انجح والحق ان العلة في

ذلك دينية نسبية فقط ونعني بذلك ماخصوا به من شرف القرب منه صلى الله عليه وآله وسلم وكرامة المنبت وما يقتضيه ذلك من تعظيم الامة لهم ولم يأت هذا الدين خاصا بالعرب وعصبيتهم فتقوم شئونه وخلافته بهم مادامت عصبية قريش فاذا انحلتا فلادين ولا امام ، هيهات ان العصبية كما يقول هو كأين فاسد توجد وتتوثق معاقدها ثم تنحل فتنعدم وما كان الشارع وهو الحكيم العليم ليبني قاعدة تعد من اقوى قواعد الدين وهي الامامة على مثل ذلك ولو كان الذي جاء به سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وآله وسلم دينا خاصا بالعرب كما ان اليهودية خاصة ببني اسرائيل لكان كلامه صوابا ، ولكن محمدا صلى الله عليه وآله وسلم ارسله الله ليكون للعالمين نذيرا ، والوجود مملؤ بالشعوب والقبائل والعصائب . ومن المعلوم ان كل قبيلة تونس من نفسها القوة والمنعة تتطاول الى ادراك هذا الامر . وتحاول ان تستتبع غيرها وذلك اصل الفتن . وما قامت الفتن فى الاسلام الا عند ما تحول الامر عصبية فالعصبية شر محض وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعوها فانها منتنة ولكن بني امية ما تركوها وانتزوابها على الامة بالسيف فغلبوها فان الاسلام قد جاء باخوة عامة تعم سائر الشعوب على اختلاف اجناسهم ، فلابد لهم من وازع وحافظ ، وذلك هو الامام فلو ترك الامر هملا لأدى ان يتسامى اليه كل من آنس ان له قوة واجتمعت له عصبية ولادى ذلك الى تنازع العصائب واقتتالها وذلك هو الامر الذي

ماجآء الاسلام الا لازالته واكثر الاقتتال بين شعوب البشر واجناس الامم على الملك افلا يكون من محاسن الدين الاسلامي ان يضع للآخذين به امرا يحسم مادة الشرور ويطفىء نيران التنازع عليه بلى وهو الدين التام، الذي جآء بالاصلاح العام، فكان من الحكمة ان ينص على ان الائمة من قريش لانهم قبيلة نبي هذا الدين الذي يعترف بشرفهم وقربهم وفضلهم وآثارهم كل من آمن به، ولما لهم من الفضائل الدينية التى ليست لغيرهم والتي يجتمع اهل الدين على الاقرار بها ولما خصوا به من طيب المنبت وكرم المعدن والشرف العظيم بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم فقرع بذلك رؤس المتطاولين الى الملك والتنازع عليه، وقريش شعب ليس بالقليل لايعدم فيهم مضطلع بهذا الامر، ولوكان الشارع انما جعل الائمة من قريش لما لهم من العصبية لجعلها في القبيلة التي زعم ابن خلدون ان العصبية ماكانت الا لها على قريش ثم على مضروهم بنوامية على مازعم، ولما بويع ابوبكر ولاعمر رضي الله عنهما ولما رشح عمر رضي الله عنه في كلامه المشهور عند وفاته عددا منهم من اكثر قبائلهم فهل يقول بانهم ماعرفوا الحكمة فلذلك جعلوها في غير نصابها من العصبية ام كان النص غير تام البيان ام لم يفهموه؟! هذا كله اذا كان الامر شورى بين المسلمين على اجتماع منهم فاذا خرج الامر عن ذلك فلا كلام لنافيه فانها

تغلب وملك لا امامة وهذا البحث طويل لايمكننا في هذه العجالة ان نزيد على ذكرناه ولا يزال كثير من الشعوب المتمدنة تحصر الملك في بيوت معروفة ولهذا سر يعرفه من عرف ان هيبة بيوت الملك انما ترسخ على طول الزمان وفي تحول الملك من بيت الى آخر سقوط لهيبته وفتح باب الاطماع للطوائف التي تسمو اليه وايضا فلودخل فى الاسلام شعب آخر ذوقوة واستتبع هذه الامة بقوته لخيف منه ان يتعصب لجنسه فيسعى الى حل مقومات هذا الدين ليدغم الامة فى جنسه ويدعم بها ملكه ولاشك ان اللغة من اعظم مقومات هذا الدين ومميزاته وهي له كالسياج والعربية لغة العرب ثم قريش وهي لغة الدين فمن الحكمة ان لايجعل امام هذا الدين الا من يحافظ على لغته طبعا وشرعا لانها لغة القرآن الذي هو معجزة هذا الدين ومستمد احكامه وحدوده وشرائعه وهي لغة عباداته ايضا ، ولا يفلح عرب ملوكها عجم ، وكلامنا هذا كله فيما اذا توفرت الأسباب وساعدت الامور والا فللضرورات احكام تخص بها ، ومما اخطأ فيه ما قاله ان العصبية في قريش والعرب اجمع كانت لبني امية مع قوله انها حق فانظر كيف جهل هذا الحق المهاجرون الاولون واهل بدر واحد وبيعة الرضوان والحق أن اجماعهم على ترك العمل به هو الحجة على بطلانه وايضا قوله ان العصبية لقريش على العرب ان اراد ان ذلك كان لهم قبل الاسلام فهو غير مسلم وقد اجتمعت قبائل الاسلام تحت راية غيرهم ورياسته وأين

ذهبت عنه قبائل اليمن وربيعة وبينهم وبين مضر ماهو معروف ومتى دخلوا في الجاهلية تحت راية قريش دع بني امية فلما ذا قال انهم كانوا مستتبعين لهم بالعصبية، هذا الخيال الذى لاحقيقة له، نعم كانت العرب تحترم قريشا لانهم سدنة البيت ولماظهر لهم من عناية الله بهم في قصة اصحاب الفيل فكانوا يسمونهم اهل الله ولكن ذلك لم يوجب لهم استتباعا حتى ظهر الدين وبعث خاتم النبيين وقد علم الناس كيف ظهر ومن اين بدأ ومن ناصبه وكابره، ومن ظاهره ووازره، وانما لدوران رحى الاسلام اسباب أخرطيها خير من نشرها، ومن كان ذافطنة ورزق اطلاعا وخبرة فلابد ان يعرف الحق فى ذلك، وبالجملة فأم المصائب ترك الشورى واقتطاع الامر دون فضلاء الامة وماسوى ذلك فتوابع ليست المحرك الاعظم ولا العامل الاكبر تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعلمون، فلنرجع الى مانحن بصدده فنقول وقد اشار المفسرون في الآيات السابقة الى شيء مما ذكرناه قال ابن جرير يعنى بقوله تعالى واني فضلتكم على العالمين اني فضلت اسلافكم فنسب نعمته على آبائهم واسلافهم الى انها نعمة منه عليهم اذ كانت مآثر الآباء مآثر للابناء والنعم عند الآباء نعم عند الابناء لكون الابناء من الآباء وقال النيسابورى والنعمة على الآباء نعمة على الابناء اذلولاها لم يبق نسلهم ولان الانتساب الى آباء خصهم الله تعالى بنعم الدين والدنيا نعمة عظيمة

في حق الاولاد لانهم اذا علموا ان آباءهم انما خصوا بهذه النعم لمكان طاعتهم والاعراض عن الكفر والجحود رغبوا في هذه الطريقة، لان الابن مجبول على اتباع الاب ومن اشبه اباه فما ظلم وقال ابو حيان وفى قوله يابني اسرائيل دليل على ان من انتمى الى شخص ولو بوسائط كثيرة يطلق عليه انه ابنه وعليه يابني آدم ويسمى ذلك ابا قال تعالى ملة ابيكم وفي اضافتهم الى اسرآئيل تشريف لهم بذكر نسبتهم لهذ الاصل الطيب وهو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم خليل الرحمن قال وهذه النعم وان كانت نعما على آبائهم فهي ايضا نعم عليهم، لأن هذه النعم حصل بها النسل ولان الانتساب الى اباء شرفوا بنعم تعظيم في حق الاولاد اه وقال الرازى فان قيل هذه النعم ما كانت على المخاطبين بل كانت على آبائهم فكيف تكون نعماً عليهم وسببا لعظم معصيتهم والجواب من وجوه (احدها) لولا هذه النعم على آبائهم لما بقوا و لما كان يحصل هذا النسل فصارت النعم على الآباء كأنها على الابناء (وثانيها) ان الانتساب الى اباء قد خصهم الله تعالى بنعم الدين والدنيا نعمة عظيمة في حق الاولاد (وثالثها) متى سمعوا ان الله تعالى خص آباءهم بهذه النعم لمكان طاعتهم واعراضهم عن الكفر والجحود رغب الولد في هذه الطريقة لان الولد مجبول على التشبه بالاب في افعال الخير فيصير هذا التذكير داعيا الى الاشتغال بالخيرات والاعراض عن الشر اه فمعنى كلام ابن

جرير انى انعمت عليكم وفضلتكم بانعامي على آبائكم وتفضيلي لهم لانكم بعض منهم اومسببون عنهم ففيه اثبات الانعام والتفضيل الذى كان للآباء لابنائهم لأنهم بسبب منهم واما النيسابورى وابوحيان والرازي فقد اشاروا الى تأويل آخر وهوان النعم سبب لبقاء الآباء بدفع الذبح عنهم والمظالم التي تودي الى انقطاع نسلهم وبقاء الاباء سبب لحصول النسل وبقائه فالواسطة في الاثبات هو السببية واشاروا ايضا الى معنى آخر وهو انه لما كان الانتساب الى آباء انعم الله عليهم يورث الشرف كما قال الخازن وغيره وهو ايضا نعمة عظيمة كما قال النيسابوري والرازي وتعظيم في حق الأولاد كما قال ابو حيان جعل اثر النعمة كالنعمة وهذا تجوز فى المثبت ويحتمل ان يكون كلامهم بيانٌ لوجه الملابسة فيكون مجازا فى الاثبات ويعود الى ان ذلك من لوازم الانتساب لانه قال ولأن الانتساب الى آباء شرفوا بنعم تعظيم في حق الاولاد وذلك ان التعظيم من لوازم الفضل كما قاله ابن حزم واشار الرازي والنيسابوري ايضا الى تأويل غيرما تقدم وهوان النعم والفضل الذى حصل للآباء كان سبباً للتذكير به والتذكير به سببا لعلم الابناء بأن ما وصل اليه آباؤهم اووصل اليهم كان بسبب لزوم الطاعة فيكون ذلك سببا لتهييج الابناء والهاب هممهم وإثارة عزائمهم فاسند ذلك اليهم لهذا المعنى وقد جعل بعضهم ذلك كله من مجاز الحذف

على القول بانه مجاز على حد قول امرئ القيس

فان تقتلونا نقتلكم ❁ وان تقصدو الدم نقصد

قالوا فان معناه فان قتلتم بعضنا نقتلكم اذ لا يتصور ان يقتلوهم بعد استيعاب جميعهم بالقتل ومن استقرأ هذه الآيات وقابلها بما ذكروه رأى انه لا يمكن اجراء ذلك فى كل موضع فما اشرنا اليه اول المقالة هو اوسع التاويلات في مثل هذا الموضع واشملها، واقوى الملابسات واكملها، وبالله التوفيق

﴿ كلام في النسب وبعض احكامه ﴾

أعلم ان الكفر قد قطع كل صلة بين الكافر والمؤمن فهو قاطع الوصلات والعلائق وسالب النسب ثمراته شرعا الاما استثني وذلك انه حسم مواد النصرة والموالاة والموادة والارث والنفع الاخروي من الصدقة عنه والاستغفار والشفاعة له لقول الله تعالى (ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء ان استحبوا الكفر على الأيمان) وقوله تعالى (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم اوابناءهم اواخوانهم اوعشيرتهم) وقال تعالى (ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء) وقال لقد (كان لكم اسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبداء بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابداً حتى تؤمنوا بالله وحده) وقال تعالى (والذين كفروا بعضهم اولياء بعض) وقال تعالى (ما كان

للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم ، واذا ثبت هذا للكفر فلابد ان يثبت للايمان ضده ، فالايمان قد ايد ووثق وقوى واحكم بين المؤمنين الاجنبيين بعض هذه الوصلات وبين المؤمنين القريبين هذه الوصلات كلها فاثبت بينهما المودة والصلة والموالاة والنصرة والارث والنفع الاخروي والصدقة والاستغفار والشفاعة له والحاق القريب بدرجة قريبه ، ومهما وجد الايمان ثبت له هذا كله وفي الاخير كلام سيأتي ان شآء الله تعالى ولايمنع ثبوته التقصير والمعصية فانا نصلي على الاموات من المؤمنين ونستغفرلهم فى صلاتنا ونتصدق عنهم ونحج عنهم ونرجو لهم العفو والتجاوز ونطمع لهم فى الشفاعة مع ماهم عليه من التقصير وانما شرع الاستغفار والدعاء والصدقة عن المقصرين بالاولى كما انه لاييأس مؤمن ان تناله شفاعة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم مهما وجد الايمان وكما ان التقصير لم يقطع الصلة بينه وبين نبيه فلا يزال يعد من امته ثابتة له صلة التبعية به وان كان مقصرا وان كانت صلة اقوى من صلة ، فكذلك شأن المؤمن مع قريبه المؤمن كما قال الله تعالى (والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنابهم ذريتهم) وقال تعالى جنات عدن يدخلونها ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم وسيأتي ايراد ماروي في معنى صلح وما المراد بالصلاح هنا وقال تعالى واولو الارحام

بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين) فدل على ان الايمان وثق تلك الصلاة النسبية واكدها وانه يرجى للقريب المؤمن بسبب قريبه مالايرجي لغيره لمكان الرحم والقرابة كما سيأتي بسط ذلك ، واذا كان الكفر هو قاطع الاسباب والوصلات فالايمان مؤيدها ومؤكدها وهذا قياس عكس من احسن القياسات واوضحها فقد ثبت حكم الانقطاع بينهما لثبوت علته وهو الكفر ، وانتفى الحكم لانتفاء العلة فيثبت ضده لثبوت علته ، وقول الله تعالى لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم يوم القيمة يفصل بينكم انما ورد فى تلك الارحام التى قطعها الكفر واختلاف الدين ، اما الارحام المؤمنة فقد علمت ما جاء في الكتاب والسنة فى جمع الله شمل اهلها واتمام نعمته عليهم وهذا كله من تغليب جانب الرحمة على جانب الغضب ، وقد منع الله الموادة والموالاة والبر مع الكفر المقارن للمحاربة والمحادة لله تعالى زيادة فى الغلظة والشدة عليهم فاذا انتفت المحادة والمحاربة جاز البر والاقساط اليهم قال الله تعالى (لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين ، انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين واخرجوكم من دياركم ان تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ،) فاذا ارتفع الكفر ارتفعت الأحكام التى علقت به جملة قال تعالى (فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم فى الدين) والوصلات النسبية والصهرية

بين الناس على اربعة اقسام وصلة كافر بكافر ووصلة كافر بمؤمن ووصلة مؤمن بكافر ووصلة مؤمن بمؤمن (فالقسم الاول) قد ورد فيه تلك الآية الآنفة الذكر اعني قوله تعالى لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم يوم القيمة ونظائرها من الآيات، وبقية الاقسام الثلاثه قد جاء ذكرها فى القرآن فى نسق واحد في سورة التحريم وقد نزل اول السورة في معاتبة عائشة وحفصة رضي الله عنهما وجاء في آخرها مايتضمن التخويف والحث على النهوض والسبق الى الطاعة لذوي الانساب الصالحة والوصلات الرفيعة قال الله تعالى (ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين،) فهذا فيه ذكر للقسم الثاني وهو وصلة كافر بمؤمن وتذكير لمن كان كذلك انه لاينفعه انتسابه الى المؤمنين من سلفه مع كفره، ولذلك قال الله تعالى ضرب الله مثلا للذين كفروا وقد قال بعض المفسرين ان في ذلك تعريضا خفيا بعائشة وحفصة رضي الله عنهما وحكى عن ابن سلام والمراد بذلك الاشادة لهما بمظهر من مظاهر الاعتبار وهو من حيث لفظه ومعناه عام فان صيغته صيغة عموم ولايخفى ان العرب كانوا يعتدون بانتسابهم الى ابراهيم واسماعيل عليهما الصلاة والسلام ويفخرون بهما ويتولونهما ويعتدون بتوليهما مع اقامتهم على كفرهم فكانت هذه الآية وامثالها شارحة لهم ولامثالهم من ذوي الانساب خيبة ظنهم وبطلان

حكمهم وانه لاينفعهم مع كفرهم لحمة نسب ولا وصلة صهر اذ قطع الكفر أكثر العلائق بين الكافر والمؤمن وان كان المؤمن في اقصى درجات الصلاح الا ترى الى قوله تعالى انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح كما لم ينفع تينك المرأتين كونهما زوجتي نبيين فخانتاهما وذلك بكفرهما وهو الذي تشعر به الآية من ضربها مثلا للذي كفروا وقد ذكر المفسرون روايات فى تعيين الخيانة ليس من غرضنا نقلها فما يفهم من الآية من كونهما كافرتين كاف في المقصود وهو محكي عن ابن عباس وعكرمة والضحاك قالوا فخانتاهما في الدين ويدل على ذلك لزها مع امرأة لوط عليه السلام فى قرن وقد علم كفرها من القرآن فى آيات كثيرة ويدل على ذلك التنظير فى الآية الآتية بامرأة فرعون فهنا كان الزوجان مؤمنين والزوجتان كافرتين وفيما يأتي كان الزوج كافرا والزوجة مؤمنة ومن هذا ما ورد في سبب نزول آية وانذر عشيرتك الاقربين وقوله صلى الله عليه وآله وسلم لاأغني عنكم من الله شيئاً فان انذارهم هذا كان من أجل ما كانوا مقيمين عليه من الشرك والآية مكية ونظير هذا قوله تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لاينال عهدي الظالمين فالظلم اسم عام وقد يأتي في القرآن مراداً به الشرك وقال تعالى حكاية عن ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا

مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم ،) فهذا مع قوله ومن يرغب عن ملة ابراهيم الامن سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه فى الاخرة لمن الصالحين، مما يدلنا على ان من سنة القرآن ان يذكر ذوى الانساب بما كان عليه اباؤهم من الايمان والصلاح استنهاضالهم الى اتباعهم وبذلك يصح لهم شرف الانتساب اليهم ويكمل لهم الانتفاع به وما فى الآيات التى نفسرها قد اشتمل على الترغيب والترهيب وانما قدم الترهيب لان السورة سوة معاتبة وفيه تذكير لهم ولامثالهم بانهم لاينتفعون بانتسابهم الى المؤمنين مع الاقامة على الكفر وقطع لاطماعهم وآمالهم وقد جاء الترغيب ايضا في الحاقهم بصالحي آبائهم) بقوله تعالى (والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم) لاسيما وسورة الطور مكية فهي تحثهم على المسابقة الى الايمان ليلحقوا بابآئهم الذين لايزالون مستمسكين بزعمهم بموالاتهم والتشرف بالانتساب اليهم. ومن هذا قوله تعالى (ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا) وقوله تعالى (وجعلها كلمة باقية فى عقبه لعلهم يرجعون) (وجعلها) اي وجعل ابراهيم كلمة التوحيد (باقية في عقبه) اي في ذريته فلم يزالوا يتواصون بذلك أو لم يزل فيهم موحدون قال الله تعالى (ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يابني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون) أو يكون الضمير راجعا الى الله فيكون المعنى وجعل الله كلمة التوحيد باقية في عقبه وذلك

اجابة لدعائه ودعاء ابنه اسماعيل عليهما الصلاة والسلام كما حكى الله تعالى عنهما بقوله (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك) وقد روي انه صلى الله عليه وآله وسلم قرأ على الستة النفر من الانصار ليلة العقبة قوله تعالى (واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني ان نعبد الاصنام) وذلك أن في تذكيرهم بدعوة أبيهم ما يثير الهمم الساكنة، ويهيج العزائم الكامنة، واذا علم المؤمن أن استزادته من الاعمال الصالحة من اسباب رفعة درجته بفضل الله ومن اسباب الحاق ذريته المؤمنين به زاد جداً واجتهادا وكان ذلك من دواعي المثابرة والملازمة لانه كلما عظم النفع المتوقع فى العمل زادت الرغبة فى الاستكثار منه فيكون ذلك من دواعي الجد لا داعياً الى الغرور وترك العمل كما زعم السوداني وتلميذه. ولذلك قال سعيد بن المسيب اني اصلي فاذكر اولادي فازيد في صلاتى على انه لاموضع للغرور فان العامل نفسه لامحل لاغترار بعمله فان حق الله عظيم، والخاتمة مجهولة، والآفات المفسدة للعمل كثيرة فمتى يأمن مكر الله من هذا حاله فى نفسه فكيف بغيره من المتصلين به فالغرور لامحل له ولا يأمن احد مكر الله ولعل للانتفاع بالنسب الصالح شروط قد لا تتحقق فى النسيب كما ان لقبول العمل الصالح شروطا قد لا تتحقق في العامل ومع ماذكرنا فلا ينكر فضل العامل كما لا ينكر فضل الانتساب اليه ثم قال عز وجل (وضرب الله مثلا للذين امنوا امرأة فرعون اذ قالت

رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين ، ومريم ابنة عمران التى احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين ،) ضرب الله للمؤمنين اولهما للقسم الثالث وهو وصلة مؤمن بكافر فدلت الآية على انه لاتضره هذه الوصلة ولاتنقص ثوابه ومنزلته عند الله كما لم يضر آسية ذلك وثانيهما للقسم الرابع وهو وصلة مؤمن بمؤمن وهو قوله تعالى (ومريم) وحسن عطفه على ماقبله كونهما مثلين للمؤمن إما من حيث الوصلة بكافر وهو ما اقتضاه اولهما وإما بمؤمن وهو مادل عليه ثانيهما وقد نالت مريم بتصديقها وتحصين فرجها مالم ينله غيرها ممن ليس في منزلتها من بيوت الصلاح ومنازل الاصطفاء فنالت مرتبة الصديقية قال الله تعالي (وامه صديقة) وحازت الشرف الاكبر بأمومة عيسى عليه السلام وما ظهر لها وعلى يديها من الكرامات ولهذا جاء ذكرها فى سورة آل عمران بعد آية الاصطفاء المعقبة بقوله تبارك وتعالى ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم ، و(من) فى قوله (ذرية بعضها من بعض) تقتضى تحقيق النسبة والبعضية المتلازمة ولذلك قال البغوي بعضهم من بعض بعضهم من ولد بعض وقال ابوحيان «ومن للتبعيض حقيقة اي متشعبة بعضها من بعض في التناسل» اه والقول بالحقيقة مقدم على القول بالمجاز وهو كونهم بعضهم من بعض فى الطاعة

والايمان فان ذلك غير مقصود ولاخاص بالذرية لاسيما والمقام مقام الاشادة بتخصيص المحل بالاصطفاء وافراده بالذكر وانما يعبر عند الاصطفاء للدين بمثل قوله تعالى ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يابني ان الله اصطفى لكم الدين فهنا اصطفاآن اصطفاؤهم انفسهم واصطفاء الدين لهم ولكل محل وفضل، ويدل على ماذكرنا من معنى البعضية قوله تبارك وتعالى في سورة النساء فما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات والله اعلم بايمانكم بعضكم من بعض اي بعضكم متشعب من بعض من حيث الاصل الاول هكذا قال الاكثر من المفسرين اما ابن جرير فجعل بعضكم فاعل اى فلينكح بعضكم من بعض من فتياتكم ومن ذلك ايضا قوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ذكرهم بما يقتضي تشابكهم وتواشجهم من حيث التناسل في الارحام لان مابينهم منها هو السبب الذى جمعهم مع وصف النفاق على عصبية بعضهم لبعض فاسباب تمالئهم على النفاق كانت راجعة الى صلاة نسبية قومية نفسانية فوصفهم بها لانها هي المؤثرة عليهم في ذلك بخلاف المؤمنين فقد قطعوا الوصلات التى بينهم وبين غيرهم ممن لم يدن بدينهم قريبا كان او بعيدا وجمعهم الدين على اختلاف انسابهم فلهذا قال فيهم والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض ولم يقل بعضهم من بعض لما ذكرنا وقدم ذكر البعضية بعقب آية الاصطفاء على ذكر الموالاة وان كان يصح

ذكرها هناك ايضا لما قلنا ان المقام مقام تنويه باصطفاء من ذكرهم الله تعالى وجعل الانبياء منهم والكتاب والدين السماوي فيهم وفى ذريتهم ومن تبعض منهم وهذا واضح ويدل على ماذكرنا في تأويل قوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ان راس المنافقين اذ ذاك كان عبد الله بن ابي وكان المنافقون من قومه وكانوا يتعصبون له ويلتفون حوله وقد جاءت الاشارة الى ذلك فى الحديث لما قال عمر رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعني اضرب عنق هذا المنافق يعني ابن ابي فقال صلى الله عليه واله وسلم اذاً ترعد له انوف كثيرة بيثرب فان قيل مافائدة ذكر البعضية هنا مع ان ذلك معلوم قلنا فائدتها مااشرنا اليه من ان الحامل لهم على التكالب على النفاق وتعصب بعضهم لبعض فيه هي العصبية الجاهلية التى ينهى عنها الشرع فالآيــة تنعى عليهم ذلك ولذلك قابله بقوله فى المؤمنين، والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض فذكر لهم صفة الموالاة والنصرة والتعاضد على الدين واخلاص الدعوة لله لا للعصبية وفائدة ذكر ذلك في آية آل عمران التنويه بظهور آثار الاصطفاء لابراهيم وآله عليه وعليهم السلام في الذرية التى تشعبت عنه وتبعضت منه كما سبق والمقصود ان قوله تعالى وكانت من القانتين قد تكون من فيه لابتداء الغاية اي ولدت منهم لانها من اعقاب هارون اخي موسى عليه السلام ذكر هذا غير واحد من المفسرين منهم

الزمخشري والنيسابوري وابو حيان والرازي والبيضاوي والنسفي واقتصر عليه الخازن فقال وكانت من القانتين اي المطيعين وهم رهطها وعشيرتها لانهم كانوا اهل بيت صلاح وطاعة لله وقاله البغوي وقد يكون المراد بالقانتين الجنس اي من جملة القانتين المطيعين لله من غير اشارة الى معنى اصلها الطيب ومحلها الكريم الا من حيث ما يفيده التقسيم والمقابلة بما قبله (فان قلت) لم لم يذكر الوصلة الصهرية بين زوجين مؤمنين وعدل عنه الى ضرب المثل بمريم عليها السلام (قلنا) عدل عن ذلك لما قلنا ان اول السورة نزل في عتاب من ذكرنا من امهات المؤمنين الطاهرات رضي الله عنهن فلا يحسن بالمقام ذكر ذلك مع ان ذلك قد ذكر في مواضع أخر مثل قوله تعالى ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون، هم وازواجهم في ظلال على الارآئك متكؤن ونحو قوله تعالى جنات عدن يدخلونها ومن صلح من ابآئهم وازواجهم وذرياتهم وهذا يشمل عموم اهل الجنة اما الخاص بهن فمثل قوله تعالى يانساء النبي لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فانهن انما كن كذلك لما اشعرت به الاضافة اليه صلى الله عليه وآله وسلم من انهن نساؤه فبلغن بالتبعية التي هي الوصلة به تلك المنزلة الرفيعة من الكون معه صلى الله عليه وآله وسلم وليس ذلك باعمالهن اذ لا يبلغ احد عمله صلى الله عليه وآله وسلم ولا تقواه فالتقوى شرط لسلامة المزية لهن لا لحصولها يؤيده ورود

ذلك بحرف الشرط لا التعليل ، فنسأل الله ان يلهمنا تقواه فانها مفتاح كل خير والسبب الموصل اليه ، وفي ذكر مريم عليها السلام اهابة بالازواج رضي الله عنهن ومن في معناهن ان يسعوا الى ما وصلت اليه مريم عليها السلام ، فان لهن من الوصلة بالقانتين من آل ابراهيم مثل مالها ولا شيء ادعى الى اثارة الهمة ، وتحريك العزمة ، من ذكر مناقب النظير والاغراء بالمسابقة الى ما وصل اليه . والنهوض الى مساماته ، لاسيما والمثل مضروب بانثى مثلهن . وانت اذا تأملت ماقلناه في تاويل هذه الآيات وما ترمي اليه وجدته من احسن ماقيل فيها لاسيما واللفظ يساعد عليه . والمعنى لا يأباه والمقام مقام تبيين حالة الوصلات النسبية بين اهلها ، ومريم عليها السلام لم تكن لها وصلة باحد الاسلافها الصالح اذ لم يكن لها زوج فصح ضرب المثل بهذا للمؤمن المنتسب الى مؤمن ذي خصوصية ومزية ومايرجى له مع التقوى وسلوك سبيل سلفه من اتمام النعمة عليه كما اتمها عليهم . قال الله تعالى حاكيا عن يعقوب فى مخاطبته لابنه يوسف عليه الصلاة والسلام وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما اتمها على ابويك من قبل ابراهيم واسحق ان ربك حكيم عليم . وقد اقتضت حكمته ان يكون لمظاهر هدايته مواضع مخصوصة تطلع منها بدورها ، ويشرق من آفاقها نورها ليكون ذلك ادعى الى قبولها والتصديق بها ، لانها اتت من معدنها

المعهود، وفاضت من منهلها المورود، والحاصل ان ضرب المثل بمريم عليها السلام وما نالته من الاصطفاء والتطهير والاصطفاء الثاني الذي هو بمعنى التفضيل وما تبع قيامها بحق الاتباع من تخصيصها بولادة نبي الله عيسى عليه السلام من غير ذكر هو دليل على فضل الانتساب الى السلف الصالح لان قوله تعالى يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك الاولى ان يكون المعنى (اصطفاك) باصطفائه آل ابراهيم عليهم السلام وكونك منهم اذ لايقال ان المعنى اصطفاك من آل ابراهيم عليه السلام لان فيهم من هو افضل منها بيقين ولا ان معنى ذلك اصطفاك لامومة عيسى عليه السلام ونحو ذلك من الكرامات لان ذلك فيما يظهر هو معنى قوله تعالى ثانيا (واصطفاك على نساء العالمين) وذلك سر ضرب المثل بها هنا للقسم الرابع هذا ماظهر فان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمني وأستغفر الله إن الله غفور رحيم

﴿ الكلام على قول الله تعالى وكان ابوهما صالحا ﴾

ذكر السيد العلامة عبد الله دحلان هذه الآية مستدلا بها وتعقبه التلميذ في (فصله) مفندا لكلامه واستدلاله فنورد كلام التلميذ ونرد المردود منه ويأتي خلال ذلك مدلول الآية وما يؤخذ منها والله الهادي الى سواء السبيل قال التلميذ في صحيفة ١٢٣ «الجواب اولا المفهوم من مدلول الآية ان الغلامين كانا صغيرين لم يبلغا الحلم ولم يخاطبا بشيء

من العبادات حتى تكون المسألة مما نحن فيه » اه ونقول لاشبهة فى بطلان كلامه من وجوه (الاول) ان الاستدلال بهذه الآية على فضل النسب الصالح صحيح واضح وقد استدل بها سلف الامة وعلماؤها وكفى بهم حجة فى ذلك (الثاني) أن مفهوم كلامه ان النزاع انما هو في فضل النسب الصالح او نفعه بالنسبة الى الكبير لا الى الصغير ولما كانت الآية واردة فى غلامين صغيرين فلادلالة فيها على ذلك ولاوجه لما قاله لان وجه الاستدلال بها ان صلاح ابيهما سبب تام او جزء سبب فى حفظ مالهما والعناية بهما ورابطة هذا السبب هو النسب فثبت فضله لامحالة ولو فرض تخلف تأثير صلاح الاب بالنسبة الى الكبير لم يكن ذلك لبطلانه من اصله ولكن لعدم ما يقويه او ما يكمله او لوجود مانع (الثالث) ان الآية دالة على انها حفظا فى مالهما لصلاح ابيهما قبل ان يبلغا اشدهما وبعد ان بلغاه فان الله تعالى يقول فاراد ربك ان يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما فقد حفظا فى ذلك في صغرهما الى بلوغهما وبعد بلوغهما لان الاستخراج لم يقع الا بعده كما دلت عليه الآية فالذي قال فيه التلميذ انه المفهوم هو فى الحقيقة غير المفهوم قال:

« ثانيا ان الله سبحانه قد اخبر ان سبب حفظ مالهما حتى يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك ولم يقل ان سبب ذلك صلاح ابيهما ولاصلاح غيره وهو سبحانه لاحجر عليه ولاحصر على رحمته فهو يرحم من يشاء وذكر صلاح ابيهما انما هو خبر من الاخبار اخبرنا الله به في معرض القصة ليس هو سبب حفظهما

ولا سبب حفظ ما لهما فلا شاهد فيه » اه ونقول ان في كلامه هذا خبطا كثيرا واغلاطا فاحشة عربية واصولية وفيه نسبة العبث الى الله عز وجل والكلام عليه من وجوه (الاول) فى تحقيق دلالة الآية على ان صلاح ابيهما من اسباب العناية بهما (الثاني) بيان ان ماذكره الله تعالى من وقوع ذلك رحمة منه من المؤكد لما نستدل عليه وان جميع الاسباب التي اوصلت المرحومين الى الرحمة هي من رحمته ايضا (الثالث) بيان انه يمتنع ان يكون في كتاب الله مايورد لمجرد الاخبار لالعبرة اودلالة كما يفعل اهل الاساطير والروايات لاسيما اذا سيق الكلام لبيان اسباب ماتقدم ووجه الحكمة فيه والاخبار بتأويله كما في هذه الآية وينتظم القول في ذلك مع الرد على بقية كلامه في ثلاثة فصول فنقول

﴿ فصل ﴾

اعلم ان من القواعد المعروفة المسلمة بين علماء الاصول والفروع ان الفاء قد تأتي للسببية لاسيما في العاطفة جملة اوصفة فتارة تدخل على المسبب نحو زيد فاضل فاكرمه فالاكرام مسبب عن الفضل والفضل سبب له فما قبلها في صورة المثال علة لما بعدها ومثل ذلك قولك ضربه فاوجعه وضربه فبكى فالضرب علة للايجاع وعلة للبكاء ، وكقوله تعالى فوكزه موسى فقضى عليه ، فالوكز علة القضاء عليه وسببه ونحو قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه فالتلقي سبب التوبة وعلتها وقوله تعالى والسارق

والسارقة فاقطعوا أيديهما فالسرقة علة القطع وامثلة ذلك كثيرة ، وقد تدخل على السبب فتكون بمنزلة لام التعليل نحو اخرج منها فانك رجيم ، واكرم زيدا فانه فاضل واقطع فلانا فانه سارق ، فما دخلت عليه الفاء فى هذه الامثلة سبب لما قبله كما هو ظاهر ، فقد دخلت على ماهو الشرط في المعنى كما ان الاولى دخلت على ماهو الجزاء فى المعنى ، وقد يكون الحكم منبنيا على سببين اوجزئي سبب – على الخلاف المشهور فى مسمى العلة – معطوف احدهما على الآخر بالواو فيشتركان فى السببية للحكم المنبني عليهما كما فى قوله تعالى (فأما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فأردت ان أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا) فهذا بيان وتأويل لما فعله الخضر وانكره عليه موسى عليهما الصلاة و السلام ومعنى التأويل هنا اظهار ما تؤول اليه تلك الافعال ببيان عللها واسبابها التي اقتضتها ووجوه الحكم والمصالح المؤدية اليها ، فذكر لما فعله من تعييب السفينة سببين (الاول) انها لمساكين بقوله (فكانت لمساكين يعملون فى البحر (والثاني) الخوف من اخذ الملك لها بقوله (وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا) وفى الثاني منهما اشارة ضمنية الى ان ذلك التعييب هو عين الاصلاح ، واما الحكم المسبب عن هذين السببين فهو قوله (فأردت ان اعيبها) وانما وسطه بينهما لنكتة ذكرها صاحب الكشاف ونقلها عنه النيسابوري وابو حيان واقراها واوردها

ابو السعود وغيره وعبارة الكشاف «فان قلت قوله فاردت ان اعيبها مسبب عن خوف الغصب عليها فكان حقه أن يتأخر عن السبب (قلت) النية به التأخير وانما قدم للعناية ولان خوف الغصب ليس هو السبب وحده ولكن مع كونها للمساكين فكانت بمنزلة قولك زيد ظني مقيم» اه وعبارة ابي السعود «ولعل تفريع ارادة تعييب السفينة على مسكنة اصحابها قبل بيان خوف الغصب عليها مع ان مدارها كلا الامرين للاعتناء بشانها اذهي المحتاجة الى التأويل وللايذان بان الاقوى في المدارية هو الامر الاول ولذلك لا يبالي بتخليص سفن سائر الناس مع تحقق خوف الغصب في حقهم ايضا» اه اما في الآية التي نحن بصددها وهي قوله تعالى (واما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا) فقد ذكرت الاسباب فى نسق واحد معقبة بذكر المسبب وهو المشار اليه بقوله فاراد ربك الآية لتقاربها في المعنى المقتضي للغاية وان كان السبب الاخير اقواها اعني قوله تعالى (وكان ابوهما صالحا) كما سيأتي شرحه ثم قال عزوجل (واما الغلام فكان ابواه موءمنين فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفر افاردنا ان يبدلهما ربهما خير امنه زكاة واقرب رحما) ففي هذه الآية من لطائف التعبير ومحاسن الكنايات ما يثير الأريحية و يبعث العجب وذلك انه قال (فكان ابواه مؤمنين) فذكر احد طرفي السبب وطوى الطرف الآخر وهو كون الغلام كافرا اكتفاء بما يفهم من قوله فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا فانه لو كان مؤمنا لما خشي ذلك منه ، وتنويها بأصل السبب الأهم وهو كونهما مؤمنين على ان المفسرين قالوا ان في الكلام حذفا وان المعنى وكان الغلام كافرا وكذا

وجد فى مصحف أبي وقرأ ابن عباس واما الغلام فكان كافرا وانما عطف قوله (فخشينا) بالفاء على ماقبله دون الواو لانه مسبب عما قبله فكون الغلام كافرا وابواه مؤمنين تسبب عنه الخشية عليهما ان يرهقهما اي يغشاهما طغيانا وكفرا تعصبا لدينه واستطالة بقوته على ضعفهما وبشبابه على شيبتهما، وتسبب عن الخشية قتل الغلام، فأدمج هذا المسبب واغفل ذكره واقام مقامه ذكر حكمة اخرى فى قتله غير سلامة ابويه المفهومة من المقال والمقام ، اشارة اليه من احسن وجوهه واحمد غاياته فقال: (فأردنا ان يبد لهما ربهما خيرا منه زكاة واقرب رحما) (خيرا منه زكاة) اي طهارة (واقرب رحما) اي عطفا وشفقة عليهما فحذف مسبب الخشية الحقيقي وهو قتل الغلام، واقام احدى الحكمتين المترتبتين عليه مقامه لانه غير مقصود لذاته ، وذلك لانه لايقتل كل كافر فما اكثر الكافرين على وجه الارض ، فلو كان ذلك مقصودا لذاته لسارع الى قتلهم، وانما اوقعه لما ترتب عليه من السلامة لابويه والمصلحة بتبديلهما خيرا منه، فالاولى نجاة والثانية غنيمة، وخصها بالذكر الصريح باقامتها مقام المسبب المحذوف، لانها اظهر دخولا فى جانب التفضل والاحسان من مجرد السلامة، والضمير فى قوله فخشينا فاردنا للخضر عليه السلام وعليه الاكثر ويرشحه الاتيان بضمير الغيبة في ربهما وقوله فيما يأتي فاراد ربك ، ومن جوز اسنادها الى الله تعالى جعل المعنى على التشبيه

والاستعارة كاستعمال لعل وعسى في القرآن نظراً لحال المخاطبين، فمعنى الخشية على ذلك الكراهة اي فكرهنا كراهة من خاف سوء العاقبة (فان قلت) لم لم يعطف الفعل الاخير بالواو على الفعل الاول كما وقع ذلك فى الآية المتقدمة والآية التالية (قلنا) لم يعطفهما بالواو لما اشرنا اليه سابقا وذلك ان في الكلام تفريعا وترتيبا فكونهما مؤمنين وهو كافر تسبب عنه الخشية عليهما من الارهاق فحسن عطف فعلها بالفاء، والخشية عليهما تفرع عنها الارادة بقتله ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة واقرب رحما فعطف على ماقبله بالفاء ايضا، وأما ماتقدم وما يأتى فقد عطف احد جزئي السبب بالفاء وعطف عليه الثاني بالواو التى تقتضي ادخاله في معنى السببية ثم قال تعالى: (واما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز لهما وكان ابوهما صالحا فاراد ربك ان يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن امري) ففرع ارادته تعالى بلوغهما الاشد واستخراجهما الكنز على ان الجدار ليتيمين وان تحته كنزاً لهما وان اباهما صالح، فهذه الثلاثة الامور هي سبب اقامة الجدار ليبقى لهما كنزهما فلا يطلع عليه احد، ولا تمتد اليه يد، كما ان كون السفينة لمساكين وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا هما سبب تعييبها الذي هو تعييب في الظاهر وسلامة واصلاح فى الباطن، فقد تألف السبب هناك من امرين كما تألف هنا من ثلاثة، وقوله (فكان لغلامين يتيمين في المدينة) عطفه

بالفاء لانه جزاء حرف الشرط الذى هو أما و مسببه، وهو ايضا وما بعده سبب لقوله (فاراد ربك) وقال (وكان تحته كنزلهما وكان ابوهما صالحا) فعطف هذين الفعلين عليه بالواو ، فصار لهما حكم سابقهما لانهما مسببان عما قبلها وسببان لما بعدهما مثله ، وقد عبر عن المسبب الذى هو اقامة الجدار بحكمته المقصودة فانه قال (فاراد ربك ان يبلغا اشدهما و يستخرجا كنزهما رحمة من ربك) لما ذكرنا في الآية التى قبلها ، ولان المقام مقام تأويل وايضاح واظهار حسن مافعله الخضر وجريانه على الوجه المحمود المقصود ولا يتبين ذلك الابيان السبب والمسبب عنه ، ولما كانت الافعال معلومة لهما لأن موسى عليه الصلاة والسلام رأى الخضر عليه السلام حين فعلها كان المهم بيان حكمتها لاهي في نفسها ، فلذلك أتى بحكمة الفعل بدلا عن الفعل فقال فيما قبلها (فاردنا ان يبدلهما ربهما) الخ ولم يقل فقتلناه ، وقال هنا (فاراد ربك ان يبلغا اشدهما) الخ ولم يقل فأقمنا الجدار لأنه بذلك يظهر حسن ما فعله الخضر عليه السلام وجوازه في ظاهر الحكم كما كان جائزا فى الباطن فالاسباب المذكورة مؤثرة في حكم اعيان تلك الأفعال ، والا لماصح جعلها تأويلا يدفع اللائمة ويبين جواز الفعل ، (فان قيل) لم لم يعبر في قصة السفينة بحكمة الفعل دون الفعل كما عبربها في قصة الغلام والغلامين فانه قال (فأردت ان اعيبها) (قلنا) ان الفعل الواقع من

الخضر عليه السلام هو خرق السفينة قال الله تعالى (فلما ركبا في السفينة خرقها قال اخرقتها لتغرق اهلها) فعدل عنه الى قوله (فأردت ان أعيبها) لان تعييب السفينة هوالذي يدفع عنها نظر الطامع فيها والغاصب لها ومع اكتناف الفعلين له ظهر المراد من التعييب انه عين الاصلاح كما سبق نقله عن صاحب الكشاف فقد عدل عن الفعل الذى هو الخرق الى ما تظهر به حكمته وهو قوله (فأردت ان اعيبها) فكان الأمر في سياق القصص الثلاث واحدا (فان قيل) ان السبب فى قصة الجدار تألف من ثلاثة امور كونه لغلامه يتيمين فى المدينة وكون تحته كنزلهما وكون ابيهما صالحا كما تألف في قصة السفينة من سببين فما هوالأهم من هذه الأمور الثلاثة؟ (قلنا اما كون تحته كنزلهما فليس بالمهم وانما هو مع الجدار العين التى جرى الفعل فيه و انما اهتم به لغيره كما ان السفينة انما ذكرت لانها مجرى القصة والموضع الذىوقع عليه وفيه الفعل فالاهتمام بها كان عناية باهلها لابها فهي تابعة كالجدار والكنز هنا فالمهم اذاً امران كونه لغلامين يتيمين في المدينة وكون ابيهما صالحا فايهما الاقوى في مدار العناية واقوى تأثير فى اقتضاء الفعل؟ والذي يظهر والله اعلم ان اليتم هنا يقابل المسكنة في اصحاب السفينة، وصلاح الاب يقابل الايمان فى ابوي الغلام المؤمنين، وكلاهما مقتض للعناية والاقوى منهما صلاح الأب لأن ما متعلقه الدين اقوى وامكن من غيره، ولما

ورد فيه عن ابن عباس وغيره كما سيأتي وايضا فان المسكنة انما احتملت تعييب السفينة ، وايمان الابوين قد احتمل القتل الذي هو افحش في الظاهر من تعييب السفينة فكان احتماله لذلك اقوى دلالة على قوة تأثيره، فيقال بنظيره هنا في المقابلة بين يتم الغلامين وصلاح أبيهما فصلاحهما اقوى السببين فى التأثير ، واما النكتة فى قوله فاردت فأردنا فاراد ربك فقد ذكرها المفسرون واجمعهم قولا فى ذلك البيضاوي قال «ولعل اسناد الارادة اولا الى نفسه لانه المباشر للتعييب وثانيا الى الله والى نفسه لان التبديل باهلاك الغلام وايجاد الله بدله وثالثا الى الله وحده لانه لامد خل له في بلوغ الغلامين . اولأن الاول في نفسه شر والثالث خير والثاني ممتزج اولاختلاف حال العارف في الالتفات الى الوسائط» اه

﴿ ذكر كلام المفسرين فى معنى الآية والروايات الواردة فيه ﴾

اما ابن جرير فسياتي ماروالا وقال النيسابوري «وفي قوله وكان ابوهما صالحاً دلالة على ان صلاح الاباء يفيد العناية باحوال الابناء عن جعفر بن محمد رضي الله عنه كان بين الغلامين وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة اباء» اه وقال البغوي «وكان ابوهما صالحاً قيل اسمه كاشح . وكان من الاتقياء قال ابن عباس حفظا بصلاح ابيهما وقيل كان بينهما وبين الاب الصالح سبعة اباء قال محمد بن المنكدر ان الله يحفظ بصلاح العبد ولده وولد ولده وعترته وعشيرته واهل الدويرات حوله فما يزالون فى حفظ الله ما دام فيهم قال سعيد بن المسيب اني اصلي فاذكر ولدي فازيد فى صلاتي» اه وقال الخازن نحو كلام البغوي وقال النسفي «وكان ابوهما قيل جدهما السابع صالحاً ممن يصحبني وعن الحسين بن علي رضي الله عنهما انه قال لبعض الخوارج فى كلام جرى بينهما بم حفظ الله الغلامين قال بصلاح ابيهما قال فأبي وجدي خير منه» وقال في الجلالين «وكان ابوهما صالحاً فحفظا

بصلاحه فى انفسهما وما لهما » **قال فى حاشية الجمل** عليه مانصه « قوله وكان ابوهما صالحا ظاهر اللفظ انه ابوهما حقيقة وقيل هو الاب السابع قاله جعفر بن محمد وقيل العاشر فحفظا فيه وان لم يذكرا بصلاح وكان يسمى كاشحا قاله مقاتل واسما مهما دنيا ذكره النقاش ففيه مايدل على ان الله يحفظ الصالح فى نفسه وفى ولده وان بعدوا عنه وقد روي ان الله يحفظ الصالح في سبعة من ذريته وعلى هذا يدل قوله تعالى ان وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين قرطبي » اه **وقال البيضاوى** «وكان ابوهما صالحا تنبيه على ان سعيه ذلك كان لصلاحه قيل كان بينهما وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة آباء وكان سياحاً واسمه كاشح » اه **وقال الرازي** « فاراد الله ابقاء ذلك الكنز على ذينك اليتيمين رعاية لحق صلاح ابيهما » اه وقال ايضا « الفائدة الثالثة قوله وكان ابوهما صالحا يدل على ان صلاح الاباء يفيد العناية باحوال الابناء وعن جعفر بن محمد كان بين الغلامين وبين الاب الصالح سبعة آباء وعن الحسن بن على انه قال لبعض الخوارج في كلام جرى بينهما بم حفظ الله مال الغلامين قال بصلاح ابيهما قال فأبي وجدي خير منه قال قد انبأنا الله انكم قوم خصمون » اه **وقال ابو السعود** وكان ابوهما صالحاً تنبيه على ان سعيه فى ذلك كان لصلاحه قيل كان بينهما وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة اباء **وقال ابوحيان** « وحفظ هذان الغلامان بصلاح ابيهما وفى الحديث ان الله يحفظ الرجل الصالح فى ذريته » اه**وقال ابن كثير** « وكان ابوهما صالحاً فيه دليل على ان الرجل يحفظ فى ذريته وتشمل بركة عبادته لهم فى الدنيا والاخرة بشفاعته فيهم ورفع درجتهم الى اعلى درجة فى الجنة لتقرعينه بهم كما جاء فى القرآن ووردت به السنة قال سعيد بن جبير عن ابن عباس حفظا بصلاح ابيهما ولم يذكر لهما صلاحاً وتقدم انه كان الاب السابع والله اعلم » اه **وقال صاحب الكشاف** « (وكان ابوهما

صالحا) اعتداد بصلاح ابيها وحفظ لحقه فيهما» اه وقال صاحب روح البيان نحو ما ذكرناه عنهم فهؤلآء ثلاثة عشر من المفسرين يقولون بما قلناه ولا نعلم لهم مخالفا ونقلوه عن النقاش والقرطبي ايضا وعن الحسين بن علي رضي الله عنهما وعن ابن عباس وجعفر بن محمد رضي الله عنهم وسعيد بن جبير ومحمد بن المنكدر ونقل عن جابر بن عبد الله وعن الشعبي ومقاتل بن سليمان وكعب الاحبار ووهب بن منبه وسليمان بن سليم وخيثمة احد الاعلام وقاله ابن حجر الهيثمى في الزواجر فهؤلاء سبعة وعشرون حبراً من احبار الامة المحمدية يؤيدون ماقلناه ويوثقونه، ويخالفون ما قاله الخصم وينكرونه، وقد اخرج الروايات في ذلك ابن المبارك وسعيد بن منصور واحمد في الزهد وابن ابي حاتم والحاكم وابن مردويه وابن ابي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن جرير وابن عساكر فهولاء اثنا عشر حافظاً اخرجوا هذه الروايات فى كتبهم وتفاسيرهم وقد اخرج ذلك ابن ابي حاتم في تفسيره وقد التزم ان يذكر فيه اصح ما ورد وقد اخرج ابن جرير رواية ابن عباس قال «حدثنا موسى بن عبد الرحمن قال حدثنا ابو اسامة عن مسعر عن عبد الملك بن ميسرة عن سعيد بن جبير قال قال ابن عباس فى قوله وكان ابوهما صالحاً قال حفظا لصلاح ابيها وما ذكر منها صلاح حدثنا ابو كريب قال حدثنا سفيان عن مسعر عن عبد الملك بن ميسرة عن سعيد بن جبير بمثله» اه وقول ابن عباس رضى الله عنهما وما ذكر عنهما صلاح

اي فلوكانا صالحين لذكر صلاحهما لأن المقام مقام ايضاح للاسباب التي روعيت لها مصلحتهم فى تلك الافعال، وحينئذ فاما ان يكون لهما صلاح ولكن صلاح ابيهما أعظم فكان هو مدار العناية فلم يكن لصلاحهما تأثير أو لا يكون لهما صلاح فحفظا لصلاح ابيهما وهذا من فقه ابن عباس رضي الله عنهما وغوصه على دقائق التفسير لان مابالنفس اولى بان يكون مداراً للعناية واولى بالذكر فدل عدم ذكره على عدمه اوضعفه، وقد روى ابن جرير رواية ابن عباس عن راويين من شيوخه وهما موسى بن عبد الرحمن وابو كريب فاما موسى فرواه عن ابي اسامة واما ابو كريب فرواه عن سفيان كلاهما عن مسعر فاما موسى بن عبد الرحمن فهو ابن سعيد الكندي المسروقي ابوعيسى الكوفي احتج به الترمذي والنسائي وابن ماجه قال فيه النسائي ثقة وقال ابن ابي حاتم صدوق ثقه وذكره ابن حبان في الثقات (١) واما شيخه ابواسامة فهو حماد بن اسامة القرشي مولاهم احد الاعلام ومن اعظم من روى له الستة واحتجوا به وعظمه الأئمة ووثقوه فوثقه احمد واثنى عليه ووصفه بشدة الضبط والكيس والصدق وصحة الكتاب ووثقه ابن معين وابن سعد والعجلي وابن قانع وذكره ابن حبان في الثقات وقد اخطأ الذهبي في الميزان فنقل فيه قولاً نسبه إلى سفيان الثوري وهو غلط انما قاله

---

(١) كل ما نذكره من الجرح والتعديل فهو من التهذيب ولسان الميزان ومقدمة الفتح اوتعجيل المنفعة كلها للحافظ ابن حجر وقد نذكر شيأ عن الذهبي من الميزان اوالتذكرة اهـ مؤلف

سفيان بن وكيع وهو ضعيف لايعبأ بقوله والمنقول عن سفيان الثورى فيه انه قال مابالكوفة شاب اعقل من ابي اسامة واما ابو كريب فهو الحافظ الحجة محمد بن العلاء الهمداني احد رجال الصحيحين ومن اعظم من روى له الستة واحتجوا به واجمعوا على توثيقه ، واما شيخه سفيان فهو ابن عيينة المعرفة التي لا تتنكر والعلم الشاهر بنفسه عن ان يوصف ويشهر ، اجمع الائمة على توثيقه والاحتجاج به فلانطيل القول فيه ، واما مسعر فهو ابن كدام الهلالي العامري الرواسي ابو سلمة الكوفي احد الاعلام روى له الستة واحتجوا به واجمع الائمة على توثيقه واثنوا عليه الثناء البليغ ، واما عبد الملك بن ميسرة فهو احد الاعلام روى له الستة واجمعوا على توثيقه والاحتجاج به ، واما سعيد بن جبير فالكلام فى وصفه من باب السماء فوقنا والارض تحتنا حجة لايسأل عن مثله وامام من الائمة وعلم من اعلام الأمة ، فالسند صحيح وثيق متين مروي عن ابن عم رسول الله صلى عليه وآله وسلم ترجمان القران حبر الامة عبدالله بن عباس رضي الله عنهما وقد اخرج السيوطي هذه الرواية عن ابن المبارك وسعيد بن منصور واحمد فى الزهد وابن المنذر وابن ابي حاتم والحاكم قال وصححه ولاريب ان الامة كلها تعتمد قول ابن عباس رضي الله عنه فى تفسير الآية ولا تقيم معه وزنا لتخيلات التلميذ ولا شيخه ومن لم يفعل كذلك فليس منها ، ولذلك اطبق المفسرون على ذلك كما ذكرناه لك عن مشاهيرهم المتداولة تفاسيرهم (فان قلت) ان هذا موقوف على

ابن عباس رضي الله عنه ولم يصرح برفعه ، (قلنا) لك لايشك احد ان ابن عباس والحسين بن علي رضي الله عنهم وسعيد بن جبير ونحوهم ممن ذكرنا قد خصهم الله بتوقد الاذهان وفصاحة اللسان وسعة العلم وسهولة الأخذ وحسن الادراك وسرعته والعربية طبيعتهم وسليقتهم والمعاني الصحيحة مركوزة فى فطرهم وعقولهم فهم ادق الناس فهما لمعاني كتاب الله وابدعهم استخراجاً ولايشك احد انهم اعرف منا بدلالات الالفاظ واساليب العربية واشارات الكلام ومعاريضه ومدخله ومناحيه فما فهموه من الآية اولى بالاعتماد من كل فهم ، وقد علمت مما تقدم في تفسير الآية وبنائنا له على القواعد العربية ان الآية تكاد تكون نصا في هذا المعنى ان لم تكن ظاهرا فقط

وقد قال ابن القيم بعد ان تكلم على حكم الاحتجاج باقوال الصحابة مانصه «فان قيل هذا حكم اقوالهم فى احكام الحوادث فما تقولون في اقوالهم فى تفسير القرآن هل هو حجة يجب المصير اليها قيل لاريب ان اقوالهم فى التفسير اصوب من اقوال من بعدهم وقد ذهب بعض اهل العلم الى أن تفسيرهم في حكم المرفوع قال ابو عبد الله الحاكم فى مستدركه وتفسير الصحابي عندنا في حكم المرفوع ومراده انه فى حكمه في الاستدلال به والاحتجاج لا انه اذا قال الصحابي في الآية قولا قلنا ان هذا القول قاله رسول صلى الله عليه وآله وسلم اوقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وله وجه آخر وهو ان يكون فى حكم المرفوع بمعنى ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين لهم معاني القران وفسره لهم كما وصفه تعالى بقوله لتبين للناس مانزل اليهم فبين لهم القرآن بيانا شافيا كافيا واذا اشكل على احد منهم معنى سئاله عنه فاوضحه له كما سئاله الصديق عن قوله تعالى من يعمل سوأيجز به

فبين له المراد وكما سأله الصحابة عن قوله تعالى الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم فبين لهم معناها وكما سألته ام سلمة عن قوله تعالى فسوف يحاسب حسابا يسيرا فبين لها انه العرض وكما سأله عمر عن الكلالة فاحاله على آية الصيف التي في اخر السورة وهذا كثير جدا فاذا نقلوا لنا تفسير القران فتارة ينقلونه عنه بلفظه وتارة بمعناه فيكون مافسروا بالفاظهم من باب الرواية بالمعنى كما يروون عنه السنة تارة بلفظها وتارة بمعناها وهذا احسن الوجهين والله اعلم » اه كلامه وهو كلام حسن في بابه وقد ذكر السيوطي في الدر المنثور روايات اخرى تعتبر من الشواهد والمتابعات في معنى الآية قال ((واخرج ابن ابى حاتم عن ابن عباس قال ان الله يصلح بصلاح الرجل ولده وولد ولده ويحفظه في ذريته والدويرات حوله فما يزالون في ستر من الله وعافية واخرج ابن مردويه عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله يصلح بصلاح الرجل الصالح ولده وولد ولده واهل الدويرات حوله فما يزالون في حفظ الله مادام فيهم واخرجه ابن المبارك وابن ابي شيبه عن محمد بن المنكدر موقوفا واخرج احمد في الزهد عن كعب قال ان الله يخلف العبد المؤمن في ولده ثمانين عاما واخرج ابن ابي شيبة واحمد في الزهد وابن ابي حاتم عن خيثمة قال قال عيسى ابن مريم عليه السلام طوبى لذرية المؤمن ثم طوبى لهم كيف يحفظون من بعده وتلا خيثمة وكان ابوهما صالحاً واخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن وهب قال ان الله يصلح بالعبد الصالح القبيل من الناس واخرج ابن ابي حاتم من طريق شية عن سليمان بن سليم بن سلمة قال مكتوب في التوراة ان الله ليحفظ القرن الى القرن الى سبعة قرون وان الله يهلك القرن الى القرن الى سبعة قرون واخرج احمد في الزهد عن وهب قال ان الرب تبارك وتعالى قال في بعض ما يقول لبني اسرائيل اني اذا اطعت رضيت واذا رضيت باركت وليس لبركتي نهاية واذا عصيت غضبت ولعنت ولعنتي تبلغ السابع من الولد واخرج احمد عن وهب قال يقول الله اتقوا غضبي فان غضبي يدرك الى ثلاثة اباء واحبو رضاي فان رضاي يدرك الامة » اه وقد اخرج ابن جرير مارووه عن سيدنا

جعفر الصادق بسند فيه راويان لم اجدهما فى اللسان ولا تهذيب التهذيب وستأتى روايات اخرى فى الكلام على آية والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الآية انشاء الله تعالى شاهدة لما ذكرنا وهذه كلها تعتبر مما يستأنس بها فليس بها الاحتجاج بل الاحتجاج بنفس الآية فانها قد دلت على ان صلاح الاب من اسباب الرحمة والعناية الالهية بذريته وذلك مثبت لفضل النسب الصالح والحمد لله على فضله على ذوي الفضل والله ذو الفضل العظيم

﴿ بقية الرد على التلميذ في كلامه على هذه الآية ﴾

قال التلميذ في صفحة ١٢٣ من (فصله): «ان الله سبحانه قد اخبر ان سبب حفظ مالهما حتى يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما هو محض رحمته تعالى اذ قال (ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك)» اه وجوابه (اولا) ان رحمة الله هي السبب الذى اليه تنتهي جميع الاسباب وحينئذ فلا يمتنع ان تكون هناك اسباب موصلة الى رحمته هي من رحمته فان رحمة الله سبب لكل سبب فهي سبب التوفيق للاعمال والثواب ودخول الجنة بل سبب كل فضل ونعمة وصلت الى احد من عباده فان رحمته عز وجل وسعت كل شيء كما وسع علمه كل شيء (ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما) والاسباب الكونية يتسلسل بعضها ببعض حتى تنتهي الى مسبب الاسباب وهذا الانتهاء اليه لاينفي كونها اسبابا (ثانيا) ان تعييب السفينة لحفظها على المساكين هو رحمة من الله وتبديل الابوين المؤمنين خيرا من

ولدهما الكافر بعد قتله رحمة من الله أيضا ومع ذلك فقد ذكر لها الله اسبابا قد اتينا على بيانها وتفصيلها (ثالثا) ان يقال وقد اخبر الله ان سبب حفظ مالهما واقامة الجدار لهما كونهما غلامين يتيمين فى المدينة وكون تحته كنز لهما وكون ابيهما صالحا فكما اخبر الله بهذا السبب اخبر بذاك ولا مانع من تسلسل الاسباب حتى تنتهي الى مسببها عز وجل (رابعا) ان قوله تعالى (رحمة من ربك ومافعلته عن امري) كما يحتمل ان يكون علة لقصة الغلامين يحتمل ان يكون علة لما فعله الخضر عليه السلام في القصص الثلاث كما قاله بعض المفسرين ويقويه تعقيبه بقوله (ومافعلته) اي كل ذلك (عن امري) (ذلك) اي مامضى جميعه (تأويل مالم تسطع عليه صبرا) فظاهر السياق يدل على رجوع الكلام لما وقع جميعه (خامسا) انه يلزمه من نفي ان يكون ماذكره الخضر عليه السلام اسبابا ان يأتي بتأويل آخر غير ماحكاه الله في كتابه يظهر به حسن هذه الافعال وصحتها ولا يكون ذلك حتى يجحد ماحكاه الله عز وجل ويرده قال: «ولم يقل ان سبب ذلك صلاح ابيهما ولا صلاح غيره» اه ونقول بل دل كتاب الله تعالى ان صلاح ابيهما من اسباب حفظهما لو روده على الاسلوب المفيد للسببية والمثبت لها ولا يلزم لثبوتها ان يقول (وسبب ذلك صلاح ابيهما!) فان للعلة مسالك متعددة وما في الآية احدها وهو من قسم الظاهر الذي يتلو النص فلا يجوز العدول عنه ويلزم منكره ان يقول

بمثل ذلك في نظائره فيقول في قول الله تعالى (والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما) : ليس السرقة سبب القطع لان الله تعالى لم يقل انها سببه واذا قال القائل : ضربه فاوجعه ان الضرب ليس سبب الوجع لانه لم يقل انه سببه ، فيزيل الالفاظ عن مدلولاتها ، ويحيل معانيها ويقصر بها دون غاياتها ، وفى هذا احالة معاني القرآن والحديث واللغة وتبديلها ويلزمه أن لا يجعل كون السفينة لمساكين في البحر وكون وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا علة لتعييبها ، ولا كون ابوا الغلام مؤمنين والغلام كافرا والخشية عليهما ان يرهقهما طغيانا وكفرا وارادة تبديلهما خيرا منه واقرب رحما علة لقتله ، لانه لم يقل في ذلك كله ان كذا سببا لكذا ، ونتيجة هذا ان الخضر عليه السلام لم يخبر موسى بتأويل شيء منها قط وان قوله (ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبرا) خلاف الواقع فلا تأويل ولا مشار اليه وهذا هو التحريف بل التكذيب والجحود قال : « وهو سبحانه لاحجر عليه ولاحصر على رحمته فهو يرحم من يشاء » اه قلنا نعم وهذا رحم الغلامين ليتمهما وصلاح ابيهما قال « وذكر صلاح ابيهما انما هو خبر من الاخبار اخبرنا الله به في معرض القصة ليس هو سبب حفظهما ولا حفظ مالهما فلا شاهد فيه » اه ونقول انه يستبعد من احاد الحكماء او العقلاء ان يورد فى سياق تأويل قصة او حكم وفى اثناء الكلام عن عللها واسبابها مالا تأثير له في التأويل

والعلية ، وذلك ان افعال الحكيم واقواله تصان عن العبث فكيف باحكم الحاكمين وبالجملة فذكر مالا تأثير له مع المؤثر غير جائز من آحاد العقلاء فضلا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما قاله العلماء فاما في كتاب الله فغير جائز اجماعا لانا اذا نفينا وروده للعلية لم يكن مفيدا ولا يجترئ مؤمن على القول به وان قطع التلميذ بان في كتاب الله ماهو من نوع الاخبار التى لا تورد لفائدة ولا تدل على عبرة فان ذلك بمعنى اللغو والباطل الذي نزه الله كتابه عنه بقوله : (وانه لكتاب عزيز ، لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) فما قطع به التلميذ مخالف للعقيدة والاصول واللغة والنقل والاجماع والحق ان هذه الآية كنظائرها دالة على أن للنسب الصالح تأثيرا فى الجملة فى الحفظ اورفعة الدرجة اوجمع الشمل اورحمة الله لصاحبه كآية الالحاق وقوله تعالى جنات عدن يدخلونها ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم وكحديث ادخال الله الآباء الجنة بفضل رحمته للابناء ، وكجعل الله النبوة والكتاب في ذرية ابراهيم عليه الصلاة والسلام وقد ذكرها الله في معرض الامتنان عليه وهذا مبسوط في محله قال: «نعم من المحتمل ان يكون ابوهما قد كان دعى لهما بالخير والحفظ وقبل الله دعاءه فيهما » اه وجوابه ان هذا الاحتمال لادليل عليه ، ومما يبعث العجب هنا تركه مايدل عليه الكلام وتقتضيه القواعد وتؤيده النظائر ، وما قاله المفسرون وثبتت به الرواية عن ابن عباس ترجمان القرآن رضي الله عنهما ورجوعه الى هذه الاحتمالات التي لادليل له

عليها لا لفظي ولا عقلي ولا نقلي ومع هذا فنقول له على فرض حصول هذا الدعاء انه يدل على فضل آخر للنسب الصالح كما دعى ابراهيم عليه الصلاة والسلام لذريته وقد سبق شرح ذلك قال: «ولكن ليس ذلك مخصوصا بمنتسب ولا بغيره بل يجوز ان يدعو اي احد من المسلمين لاي احد منهم فيستجيب الله دعاءه فيه كما يجوز ان لايستجيب له سواء كان منسوبا او غير منسوب» اه ونقول ان كلامه هذا مبني على ان قوله تعالى (وكان ابوهما صالحا) مجرد خبر لم يورد لكونه سببا وقد علمت بطلانه واحتمال ان يكون قد دعى لهما ابوهما، وقد علمت انه لا دليل عليه، وما تفرع على الباطل وما لا دليل عليه كان باطلا، ودعاء المسلمين بعضهم لبعض ليس من موضوع النزاع وفضل النسب الصالح لا تدفعه هذه المماحكات البازدة قال: «بل ليس بلازم ان يستجيب الله كل دعوة من رسله فضلا عن غيرهم فقد دعى ابراهيم لابيه فلم يستجب الله له» اه وجوابه ان هذا خارج عن موضوع النزاع ايضا ولم يستجب الله لابراهيم عليه الصلاة والسلام في أبيه حين استغفر له لكونه مشركا وقد قطع الشرك كل صلة ونسبة فليس مما نحن فيه قال «ودعى نوح لابنه فلم يستجب الله له بل خوطب بقوله فلا تسألن ماليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين قال رب انى اعوذ بك ان اسالك ماليس لي به علم والا تغفرلي وترحمني اكن من الخاسرين» اه وقد تكلمنا على هاتين الآيتين فيما مضى من ردنا على (الصورة) وفيه كفاية ونقول هنا ان عدم استجابة الله لنوح عليه الصلاة والسلام فى ولده لا تنفي فضل النسب الصالح فقد استجاب الله لابراهيم عليه الصلاة والسلام

في ذريته وهم كثير لا واحد فهذه بتلك وقد عد العلماء في فضائل كثير من الصحابة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم دعى له فكان نفس دعائه لهم وتخصيصه اياهم به منقبة لهم وقد قال الله تعالى (وصلوات الرسول) اي دعواته (الا انها قربة لهم) فمتى دعى صلى الله عليه وآله وسلم لاحد اثبتنا له فضلا بذلك وكان قربة له كما اخبرنا الله تعالى بذلك وايضا فان شأن الاستجابة مغيب عنا فانها قد تكون بالتعجيل او التأجيل الى الآخرة او دفع مثلها من البلاء فلا يجوز ان يطلق القول في عدم استجابة الله لمؤمن فضلا عن نبي مرسل وايضا فانا نثبت لصاحب العمل الصالح فضلاً مع ان شان الثواب مغيب عنا وليس كل عمل بمقبول، ولا ندرى بما ذا يختم لصاحبه والخاتمة الحسنة ليست بلازمة له ، ومع ذلك فانا نثبت له الفضل بناء على غلبة الظن ، فكذلك القول فى دعائه صلى الله عليه وآله وسلم لمن دعى له من اهل بيته واصحابه الا ما خرج بدليل مخصوص، وبالجملة فان عدم اللزوم او تحققه فى منشأ الفضائل لا يمنع من اثباتها فان اكثرها مبني على امور ظنية كأكثر ادلة الاحكام بل وترتيب الافضلية انما كان ظنيا كما قاله المحققون لخفاء الشأن الاخروي وهذا مجاراة (للتلميذ) والا فليس النزاع فى الدعاء وقبوله قال : « ودعى محمد صلى الله عليه (وآله) وسلم على قريش اوهم ان يدعو عليهم فخوطب بقوله تعالى (ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون)» اه ونقول ان نهيه صلى الله عليه

وآله وسلم عن الدعآء عليهم اوعدم استجابة هذه الدعوة خاصة راجع الى ماخص الله به قريشا فى سابق علمه وماسبق لهم من دعوة أبويهم ابراهيم واسماعيل عليهم الصلاة والسلام لهم بان يبعثه صلى الله عليه وآله وسلم فيهم ففيها حجة على (التلميذ) لاله وايضا فان ورود النص بعدم الاستجابة فى هذه الدعوة بعينها لايدل على عدم استجابة دعائه صلى الله عليه وآله وسلم مطلقا ولا عدم لزومها لقول الله (وصلوات الرسول الا انهاقربة لهم) وقد قال العلماء ان دعاءه صلى الله عليه وآله وسلم مستجاب

قال: «واما قولهم ان الأب المذكور كان الأب السابع او العاشر فلا اصل له» اه ونقول ان الاستدلال على الاعتداد بصلاح الاب كان بنفس الآية وهذا الأثر لايؤثر في صحة الاستدلال ولابطلانه صح اوبطل قال: «واما خبر ان الله يحفظ الرجل فى ذريته فهو خبر باطل والحديث المروي فيه كذب موضوع من موضوعات محمد بن عبد الرحمن البيلمانى قال فيه الحافظ المقدسي ليس بشيء فى الحديث وقال الحافظ الذهبي فى الميزان قال ابن حبان في البيلمانى هذا حدث عن ابيه بنسخة شبيها بمائتي حديث كلها موضوعة ثم اورد هذا الخبر في موضوعاته ونصه ان المؤمن يعمل بالطاعات يحفظه الله في سبع قرون من ذريته وكذلك اورده الحافظ المقدسي فى الموضوعات ونص ابن حجر العسقلانى على انه حديث كذب» اه. قلت هذا الحديث لم يورده السيد العلامة عبد الله دحلان وانما اورده (التلميذ) تكثراً برده والطعن في سنده شنشنة اعرفها من اخزم فان كان هذا الاثر باطلا كما يقول فان الآية ليست بباطلة وبها الاستدلال لانه وقد اعاد (التلميذ) هنا الشبهة التى ذكرها شيخه فى (الصورة) ورددناها عليه فيما تقدم من عشرة

اوجه فراجع (الخطأ الثالث والاربعون) فى الصحيفة ١٤٧ وما بعدها

﴿ الكلام على قوله تعالى والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم وما التناهم من عملهم من شيء كل امرء بما كسب رهين ﴾

اعلم ان السوداني وتلميذه قد حادا في تأويل هذه الآية عن سواء السبيل ، وخالفا صريح الرواية وظاهر التنزيل ، ونابذا أئمة التفسير والتأويل ، وأتيا ببدع من القول لاحجة لهما عليه ولادليل ، وزعما ان ماحكاه الائمة ، وتناقله علماء الامة ، مخالف لمذهب اهل السنة والجماعة ، فكأنهما قالا ان اهل السنة والجماعة ، قد خرجوا عن السنة والجماعة ، وقد أورد الائمة فى ذلك روايات أصحها واشهرها واظهرها وابينها دلالة ، واكثرها طرقا ورواة ، ماحكاه ابن جرير فى تفسيره وهو ظاهر الآية الذي لايجوز المدول عنه قال: « واولى هذه الاقوال بالصواب واشبهها بما دل عليه ظاهر التنزيل القول الذي ذكرنا عن سعيد بن جبير وهو (والذى امنوا واتبعناهم ذرياتهم) الذين ادركوا الايمان (بايمان) وامنوا بالله ورسوله (الحقنابهم) بالذين امنوا (ذريتهم) الذين ادركوا الايمان فامنوا في الجنة فجعلناهم معهم في درجاتهم وان قصرت اعمالهم عن اعمالهم تكرمة لآبائهم وما التناهم من اجور عملهم شيئاً وانما قلت ذلك اولى التأويلات به لأن ذلك الاغلب من معانيه وان كان للاقوال الاخر وجوه » اه ثم قال ((وقوله (وما التناهم من عملهم من شيء) يقول تعالى ذكره وما التنا الآباء يعنى بقوله وما التنا الاباء وما نقصناهم من اجور اعمالهم شيئاً فنأخذه منهم فنجعله لابنائهم الذين الحقناهم بهم ولكنا وفينا اجور اعمالهم والحقنا ابناءهم بدرجاتهم تفضلا منا عليهم والألت فى كلام العرب النقص والبخس)) اه هذا القول هو الذي اشاد به الأئمة وتناقلوه ، ولو كان مخالفا

للكتاب والسنة كما يقول المعترض لانكروه، ولما طرزوا به تفاسيرهم ومسانيدهم ، وقد روي بالروايات الصحيحة الثابتة عن ابن عباس وابن مسعود وابن عمرو ورواه سعيد بن جبير وقال به ورواه عمرو بن مرة وسفيان بن عيينة وسفيان الثوري وعبد الرحمن بن مهدي وشعبة بن الحجاج ومحمد بن بشار ومؤمل بن اسماعيل العدوي ومحمد بن بشر ومحمد بن المثنى ومحمد بن جعفر غندر وقاله الضحاك وابن زيد ورواه ابن وهب ورواه العوفي والكلبي عن ابن عباس وقال بنحوه الشعبي وهو مروي عن مجاهد وقول الحسن وقتادة على ماتختاره والربيع بن انس ومنذر بن سعيد وابن ابي نجيح والنخعي وابي مجلز ورفعه غير واحد الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبالجملة فهو قول من نقلت لنا اقوالهم من الصحابة واعلام التابعين لم ينقل لنا خلاف فى ذلك يصح الرجوع اليه الا في الذرية هل المراد بهم الكبار ام الصغار ام كلا النوعين وقد رواه ائمة المفسرين في تفاسيرهم فرواه سعيد بن منصور فى سننه في جزء التفسير وهناد بن السري وابو حاتم في تفسيره وابن المنذر وابن جرير وعبد بن حميد والحاكم والبيهقي والبزار وابن مردويه والطبراني وابو نعيم وابن ابي شيبة والديلمي والبغوي والثعلبي والواحدي وابن عطية والنيسابوري والزمخشري والرازي وابوحيان والسيوطي والبيضاوي والنسفي والخازن والجلالين

وهو في تفسير ابن عباس وروح البيان وابن كثير وابي السعود ورواه الطحاوي والحاكم في مستدركه والضياء المقدسي في المختارة وناهيك به اتقانا واحتج به ابن القيم واعتمده وقال به شيخه ابن تيمية وارتضاه والقسطلاني والزرقاني وابن حجر الهيتمي والحافظ السخاوي وغيرهم ممن لا نطيل بذكرهم واذ قد صحت الرواية به عن ابن عباس رضي الله عنه فلا معدل عنه لوجوه (الاول) انه قد خص بعلم التفسير وبذ فيه كافة الصحابة بدعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم له بذلك وقد قال له صلى الله عليه وآله وسلم اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل رواه احمد وفي رواية البخارى اللهم علمه الكتاب وقال ابن مسعود رضي الله عنه نعم ترجمان القرآن هو وقال ابن عمر هو اعلم الناس بما انزل الله على محمد وورد فيه ايضا نعم ترجمان القرآن انت رواه الطبرانى في الكبير (الثاني) ان تفسير الصحابة مقدم على تفسير غيرهم بل قال بعضهم بانه حجة (الثالث) انه من اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (الرابع) شهادة الصحابة له بذلك كابن مسعود وابن عمر رضي الله عنهم وسوال مثل عمر رضي الله عنه له (الخامس) انه من تفسير القرآن بالقرآن قال السيوطى في الاتقان

«من اراد تفسير الكتاب العزيز طلبه اولا من القران فما اجمل منه في مكان فقد فسر فى موضع آخر وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر» اه

اقول وهذه الآية من المبسوط الذى فسرت ما اجمل فى غيرها من الايات كآية جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم فانه لا تظهر كيفية جمعهم فى الجنة مع تفاوت اعمالهم الا بما بينته هذه الآية

من الالحاق الذى يتم به جمع شملهم في درجة واحدة وذلك فائدة ذكرهم اذالدخول مرجو لكل صالح وان تفاوتت الدرجات فلابد من معنى وفائدة لجمعهم وهو ماذكرناه ومثل ذلك قوله تعالى (إن اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون ، هم وازواجهم في ظلال على الارائك متكئون) فان العاملين تتفاوت اعمالهم تفاوتا عظيما يتبعها تفاوت درجاتهم وتباعدها فلولا مابينته آية الالحاق من الحاق الله القاصر بالكامل لما عقل كيف يكونون على الارائك في ظلال الاشجار هم وازواجهم مع تفاوت الدرجات التفاوت العظيم البعيد التابع لتفاوت الاعمال ومتى تصل زوجات فضلاء الامة كأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم الى مثل اعمالهم، ومتى يبلغن باعمالهن درجاتهم الرفيعة، فلولا ما من الله به على المؤمنين من الحاق ابائهم وازواجهم وذرياتهم بهم لما كانت الادارا يتشتت فيها شمل عائلة المؤمن والعياذ بالله فالحمد لله على فضله واحسانه (السادس) انه مما وردت به السنة كما سيأتي قال السيوطي «فان اعياه ذلك طلبه من السنة فانها شارحة للقرآن وموضحة له وقد قال الشافعي كما حكم به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو مما فهمه من القرآن قال تعالى انا انزلنا اليك الكتاب لتحكم بين الناس بما اراك الله في ايات اخر وقال صلى الله عليه وآله وسلم الا اني اوتيت القرآن ومثله معه يعنى السنة فان لم يجده من السنة رجع الى اقوال الصحابة فانهم ادرى بذلك لما شاهدوه من القرائن والاحوال عند نزوله وما اختصوا به من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح وقد قال الحاكم في المستدرك ان تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل له حكم المرفوع » اه ونقل عن الامام ابي طالب الطبري

من اثناء كلام له في آداب المفسر قوله «ويجب ان يكون اعتماده على النقل عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعن اصحابه ومن عاصرهم ويتجنب المحدثات واذا تعارضت اقوالهم وامكن الجمع بينها فعل» اه ونقل عن ابن تيمية من جملة كلام قوله «وبالجملة من عدل عن مذاهب الصحابة والتابعين الى ما يخالف ذلك كان مخطئا فى ذلك بل مبتدعا لانهم كانوا اعلم بتفسيره ومعانيه كما انهم اعلم بالحق الذى بعث الله به رسوله» اه ونقل عن الزركشي كلاماً في الاخذ بتفسير الصحابي وهو قوله «الثاني الاخذ بقول الصحابي فان تفسيره عندهم بمنزلة المرفوع الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما قاله الحاكم فى مستدركه وقال ابو الخطاب من الحنابلة يحتمل ان لا يرجع اليه اذا قلنا ان قوله ليس بحجة والصواب الاول لانه من باب الرواية لا الرأي قلت ما قاله الحاكم نازعه فيه ابن الصلاح وغيره من المتأخرين بان ذلك مخصوص بما فيه سبب النزول اونحوه مما لامدخل للرأي فيه ثم رايت الحاكم نفسه صرح به فى علوم الحديث فقال ومن الموقوفات تفسير الصحابة واما من يقول تفسير الصحابة مسند فانما يقوله فيما فيه سبب النزول فقد خصص هنا وعمم في المستدرك فاعتمد الاول والله علم» اه ومن هذا تعرف انما نقل عن ابن عباس من القسم الاخير وهو مالامدخل للرأى فيه فحكمه حكم المرفوع فى الاحتجاج به والله يتولى هداك وقال ابوحيان «واعلم ان القرآن قسمان قسم ورد تفسيره بالنقل وقسم لم يرد والاول اما ان يرد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم او الصحابة اورؤس التابعين فالاول يبحث فيه عن صحة السند والثاني ينظر فى تفسير الصحابي فان فسره من حيث اللغة فهم اهل اللسان فلا شك فى اعتماده اوبما شاهده من الاسباب والقرائن فلا شك فيه وحينئذ ان تعارضت اقوال جماعة من الصحابة فان امكن الجمع فذاك وان تعذر قدم ابن عباس لان النبي صلى الله عليه وآله وسلم بشره بذلك حيث قال اللهم علمه التأويل وقد رجح الشافعي قول زيد في الفرائض لحديث افرضكم زيد واما ما ورد عن التابعين فحيث جاز الاعتماد فيما سبق فكذلك والاوجب الاجتهاد» اه (السابع) انه مما لا يقال من جهة الرأي فله حكم المرفوع الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الحافظ ابن حجر في نخبة الفكر «ثم الاسناد اما ان ينتهي الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم تصريحا اوحكما

من قوله اومن فعله اوتقريره » قال في الشرح « ومثال المرفوع من القول حكما لاتصريحا ما يقوله الصحابي الذي لم ياخذ عن الاسرائيليات ممالامجال للاجتهاد فيه ولاله تعلق ببيان لغة اوشرع كالاخبار الماضية عن بدو الخلق واخبار الانبياء والآتية كالملاحم والفتن واحوال القيمة وكذا الاخبار عما يحصل بفعله ثواب مخصوص اوعقاب مخصوص وانما كان له حكم المرفوع لان اخباره بذلك يقتضي مخبراً له ولا مجال للاجتهاد فيه (وذلك) يقتضي موقفا للقائل به ولا موقف للصحابة الا النبي صلى الله عليه وآله وسلم او بعض من يخبر عن الكتب القديمة فلهذا وقع الاحتراز عن القسم الثاني واذا كان كذلك كان له حكم مالو قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو مرفوع سواء كان ماسمعه منه اوعنه بواسطة » اه وبهذا تعرف ان قول ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية له حكم المرفوع وبقي لوجوب الاخذ به ادلة اخرى ومرجحات سناتي على تفصيلها ان شاء الله اما الروايات فى ذاك فهي كثيرة ولنذكرما وقفنا عليه منها مع الكلام على شيء من اسانيدها مع ما يتخلل ذلك من مناقشة التلميذ وشيخه ثم نذكرماوقفنا عليه من كلام العلماء في ذلك مع ما يقتضيه المقام من تكميل اواستدراك

روايات سعيد ابن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما

الرواية الاولى ــ ابن جرير ــ حدثنا ابن بشار قال حدثنا عبد الرحمن قال حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى هذه الاية والذين امنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان قال ان الله تبارك وتعالى يرفع للمؤمن ذريته وان كانوا دونه فى العمل ليقر الله بهم عينه

الرواية الثانيه ــ ابن جرير ــ حدثنا مؤمل قال حدثنا سفيان عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ان الله تبارك وتعالى ليرفع ذرية المؤمن

فى درجته وان كانوا دونه فى العمل ليقر بهم اعينهم ثم قرا والذين امنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان الحقنابهم ذرياتهم وما التناهم من عملهم من شيء ولنذكر ماعملت يدا (التلميذ) من الخلط فى هاتين الروايتين والغلط في اسماء الرجال وغيره ثم نعود الى ذكر بقية الروايات فنقول

﴿ مناقشة التلميذ فى خلطه بين الروايات وغلطه في اسماء الرجال وصفاتهم ودرجتهم من العدالة والثقة ﴾

قال السيد العلامة عبد الله دحلان(١) فى كتابه فى كلامه على هذه الآية ماصه «قال ابن جرير في تفسير الاية (ماملخصه) حدثنا ابن بشار عن عبد الرحمن عن شعبة عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير وعن ابن عباس فى هذه الاية» فساق ملخصا مما تقدم نقله عن ابن جرير قال التلميذ فى الرد عليه «فصل واما آية والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم الآية ففيها تاويلات بعضها صواب جلي وبعضها دون ذلك ومن جملته مانقله دحلان وذووه من تفسير ابن جرير ملفقا من اخبار المرجئة المردودة كما سيتضح ذلك لكل ذي لب من القراء والمستمعين» اه ونقول ان الذي اوردها ابن جرير اربعة عشر رواية وكلها ترمي الى معنى واحد وليس فيها مايصح ان يطلق عليه انه اختلاف الا اختلافهم فى مراجع الضمائر وقد اورد في الدر المنثور خمس روايات زيادة على ماورده ابن جرير واورد الطحاوي عدة منها في كتابه مشكل الآثار وكلها ترمي الى معنى واحد ولخفاء الجمع على (التلميذ) ظن ان بين تلك الروايات تناقضا وليس الامر كما ظن ولذلك لم يذكر ابن القيم في كتابه حادي الارواح اختلافا بين

---

(١) قد اقتصرنا من بعد هذا الموضع على لفظة (السيد) فليتنبه اه مؤلف

المفسرين فى معنى الاية الا اختلافهم فى المراد بالذرية وعبارته « وقد اختلف المفسرون في الذرية في هذه الاية هل المراد بها الصغار اوالكبار اوالنوعان على ثلاثة اقوال» اي اما الالحاق والرفع الى الدرجة التي لم يبلغوها باعمالهم فلم يختلفوا فيه ولذلك قال وهو يحكى قول القائلين ان المراد بالذرية الكبار مانصه « فهذا يدل على انهم دخلوا باعمالهم ولكن لم يكن لهم اعمال يبلغون بها درجة ابائهم فبلغهم اياها وان تقاصر عملهم)) اه وكذلك حكى هذه الاقوال بعض من ذكرناهم من المفسرين فهم موافقون للسيد فيما نقله وما نقلوا وما قالوا الا نحو مانقله وقاله، وحسبه ان يكون ذووه جميع مفسري ومحدثي الامة من ابن عباس الى يومنا هذا الامن ابتغى غير سنتهم ، وسلك غير سبيلهم ، ولم يحك البغوي في الاية الا قولين وهو من التفاسير التي تعتمد النقل وقد اثنى عليه ابن تيمية وبمثل قول هولاء المفسرين قال ابن تيمية كما سيأتي نقل عبارته فقول التلميذ ((من اخبار المرجئة المردودة)) مردود عليه فقد تلقاها الائمة بالقبول واعتمدوها ولوكانت من اقوال المرجئة لما ارتضوها ولما فسروا بها الآية وكيف يفسرون كتاب الله بمعنى من المعاني ثم يخالفونه الى قول آخر، فان كان مادلت عليه الآية هو مذهب المرجئة فقد وافقوا الحق فى ذلك ولايضر اهل السنة موافقة المرجئة لهم في امر من الامور فان الحق مشترك بين اهله، وهذه الكلمة التي اوردها (التلميذ) من كلمات التنفير التي يغتر بها الاغمار وضعاف العقول ، ومثله مثل من يقول

لك لا تشرب العسل فانه من شراب اليهود وهذا النوع هو الذي يسميه اهل المنطق بالشعريات وما يعرج على مثله ذو فهم وعقل

قال التلميذ « وقد مال الى هذا القول بعض المفسرين على غير حجة واضحة ولكنهم معذورون لانهم بنوا ذلك على مانقل اليهم من الاقوال والاخبار مع عدم العلم بما يطرق تلك الاخبار من اوجه الضعف التي علمها غيرهم من العلماء ونبهوا عليها لان الله تعالى لا يكلف احداً بما لا علم له به بعد بذل وسعه » اه

ونقول بل مال الى هذا القول كل المفسرين الذين وقفنا على تفاسيرهم لا بعضهم بحجة واضحة وهي صحة الآثار به واجماع المفسرين عليه وورودها عن الصحابة وهو مما لا يقال من قبل الرأى فله حكم المرفوع وهم والحمدلله عالمون برجال الاسانيد واقوال الفرق واوجه الخلاف وفيهم الحفاظ والمحدثون ومن لا يخفى عليهم شيء من احوال الرجال كالحافظ ابن جرير الطبرى والضياء المقدسي والطحاوى والحافظ السخاوى وغيرهم ممن تقدم ذكرهم وحسبك حجة على التلميذ وشيخه شيخاهم المعتمدان لديهم وهما ابن القيم وابن تيمية فأنهما لا ينكران انهما من اهل الحفظ والحديث والمعرفة بأحوال الاسانيد ورجالها وقوله « من اوجه الضعف التي علمها غيرهم من العلماء » الخ يظهر انه عنى بالغير نفسه اوهو وشيخه فانهما خالفا جميع المفسرين والمحدثين فلا يصدق ذلك الا عليهما ولا ادري ماذا أقول في هذه الدعاوي العريضة

لقد هزلت حتى بدت من هزالها ❀ كلاها وحتى سامها كل مفلس

قال «واما نحن فان اتبعنا هذا الخطأ مع علمنا ببطلان الخبر الوارد فيه عن

رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم اوعن اصحابه ومع علمنا بان هذا التأويل مخالف لمدلول ماصح وتواتر من آي الكتاب وصحيح السنة فلسنا بمعذورين لأن الله تعالى لايسأل احداً عن فهم غيره وانما يسأله عماصح عنده من الكتاب والسنة بقطع النظر عمن قبله وعمن بعده فربما مبلغ اوعى من سامع» اهـ ونقول انظروا الى الدعاوى العريضة اسمعوا اقوال المجتهدين أفليس من اعجب العجب أن تخطىء الامة المحمدية وعلماؤها ومفسروها ومحدثوها فى معنى آية من كتاب ربهم ثلاثة عشر قرنا ولا يتنبه احد منهم لهذا الخطأ وينفرد التلميذ عنهم اليوم بمعرفة الصواب فلعمرى من هو الاولى ان يكون مع الحق وان يكون الحق معه ؟ أهو وشيخه ام جميع المفسرين ومن روى ذلك من المحدثين ؟! واما قوله بمخالفته لمدلول ماصح وما تواتر من آي الكتاب وصحيح السنة (كذا) فهو من التضليل والتحريف فان ماورد فى تفسيرها وقال به العلماء واعتمدوه لايخالف صحيحا ولامتواترا، وهو حق في نفسه وحسبك ان المعتزلة القائلين بتخليد اهل الكبائر من المؤمنين فى النار يجوزون ان يتفضل الله بماشاء على من شاء وهذا من ذاك وهو قول اهل السنة والجماعة ومن اسمج ما فى كلامه من العجرفة تعريضه بانه أوعى من جميع سلف الامة فعنده ان جميعهم لم يفهموا الايات والاحاديث فى ذلك حق الفهم ولم يعوها ولكنه وحده هو الذى وعاها ولذلك قال فرب مبلغ اوعى من سامع فهل سمع السامعون بمثل هذا التنفج والتشبع والدعوى العريضة فاذا اضفنا الى ذلك شكه فى كتاب الله لما يفهمه كلامه من ان فى كتاب الله ماليس بصحيح ولا متواتر ظهرت لك حقيقة

الرجل قال « وقد نقل ايضا ابن جرير اقوالا عديدة عن المتقدمين في تأويل هذه الاية ونقل ايضا القول الذي افتى به الاستاذ فى صورة جوابه فلماذا نقل دحلان وذووه هذا القول وتركوا ماسواه بغير دليل ان كانوا يريدون الحق ثم هم بغير خجل يشنعون عليه كأنه اتى بمنكر من القول مع وضوح وجهه وظهور حجته وانما اعتمد الاستاذ ذلك الوجه لكونه اقرب الى الصواب من غيره عنده وذلك لكثرة مايؤيده من ايات واحاديث كما سيرى طلاب الحقائق كلامه المفصل في تفسير هذه الآية ولايقول عاقل ان مجرد فهم احد بغير دليل شرعي يكون حجة على احد او دليلا على بطلان القول الذي اعتمده هذا على فرض تكافىء الاقوال فكيف والبرهان قائم على حقية مااعتمده الاستاذ » اهـ وجوابه اما قوله ((ان ابن جرير نقل اقوالا عديدة)) الخ فستعلم انها كلها ترجع من حيث اصل المعنى الى قول واحد وليس القول الذي قاله من جملتها وانما اتى هو وشيخه من عدم الفهم لكلام الائمة وقلة العلم بقواعد التفسير وآدابه وذلك ان الاصطلاحات العلمية والمواضعات الفنية لم تحدث الا بعد انقضاء عصر الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم وما كانوا يجرون فى كلامهم على اساليب المتأخرين وماكانو الا عربا محا فمنهم من يفسر الشيء بلازمه ومنهم من يفسره بملزومه ومنهم من يفسره بفرد من افراده او بمثل يضربه له فاذا رأى ذلك الغبي ظنه اختلافا في المعنى وماهو الا اختلاف فى التعبير فحسب واذا اطلع على اقوالهم صاحب الهوى والغرض حملها على مايهواه ، وادارها الى مايراه ، وهم رضي الله عنهم بعيدون عن الاصطلاحات الحادثة كل البعد وقد نص على ما ذكرناه كثير من العلماء قال الزركشي « وربما يحكى عنهم عبارات مختلفة الالفاظ فيظن من لافهم عنده ان ذلك اختلاف محقق فيحكيه اقوالا وليس كذلك بل يكون كل واحد منهم ذكر معنى

من الاية لكونه اظهر عنده اواليق بحال السائل وقد يكون بعضهم يخبر عن الشيء بلازمه ونظيره والآخر بمقصوده وثمرته والكل يؤول الى معنى واحد غالبا فان لم يمكن الجمع فالمتأخر من القولين عن الشخص الواحد مقدم ان استويا فى الصحة عنه والا فالصحيح المقدم » اه وقال ابن تيميه « والخلاف بين السلف في التفسير قليل وغالب مايصح عنهم من الخلاف يرجع الى اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد وذلك صنفان احدهما ان يعبر واحد منهم عن المراد بعبارة غير عبارة صاحبه تدل على معنى فى المسمى غير معنى الاخر مع اتحاد المسمى كتفسيرهم الصراط المستقيم بعض بالقرآن اي اتباعه وبعض بالاسلام فالقولان متفقان لان دين الاسلام هو اتباع القرآن ولكن كل منهم نبه على وصف غير الوصف الاخر كما ان لفظ صراط يشعر بوصف ثالث وكذلك قول من قال هو السنة والجماعة وقول من قال هو طريق العبودية وقول من قال هو طاعة الله ورسوله وامثال ذلك فهولاء كلهم اشاروا الى ذات واحدة لكن وصفها كل منهم بصفة من صفاتها الثاني ان يذكر كل منهم من الاسم العام بعض انواعه على سبيل التمثيل وتنبيه المستمع على النوع لا على سبيل الحد المطابق للمحدود في عمومه وخصوصه »

وضرب ابن تيميه لذلك امثلة كثيرة فليرجع اليه من اراده فى الاتقان للسيوطي فقد نقله عنه وقال عقبه انه نفيس جدا وفي كلام ابن القيم نحو هذا وستعلم من جمعنا بين الاقوال انه لا اختلاف ولا تضاد بينها وانها ترجع الى معنى واحد واما قوله « ان ابن جرير نقل ايضا القول الذي افتى به الاستاذ في صورة جوابه الخ» فجوابه ان الذى افتى به استاذه وفصله فيما يأتي لاوجود له في تفسير ابن جرير، ودحلان وذووه نقلوا ذلك القول وتركوا ماسواه لانه اصح الروايات واقواها سندا وماتركوا الا الرواية التى فيها ابهام واجمال يستطيع المتهوكون من الوعيدية ان يحولوها الى هواهم بضروب من التأويل لاجمالها وابهامها ولانها تفسير بالنظير

لابا لمعنى نفسه ولضعف سندها لأن في اسنادها قدريان والمسئلة هذه يخالف فيها بعض المبتدعة من القدرية وقتادة قائل تلك المقالة منهم والراوي عنه سعيد بن ابي عروبة قدري ايضا ولانها مارويت الا عن تابعي فكيف يتركون قول الصحابة وفيهم ترجمان القرآن لقول قتادة مع ماهو عليه من المذهب المخالف لمذهب اهل السنة والجماعة وقوله «ثم هم بغير خجل يشنعون عليه» جوابه نعم يشنعون عليه لانه تتبع ماتشابه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله واما الخجل فان صاحب الحق لايخجل والله لايستحيي من الحق واما كونه اتى بمنكر من القول فنعم واما ان يكون له وجها واضحا وحجة ظاهرة فلا ومن قابله بقول الائمة انكر وجهه وعرف بطلان حجته وقوله «وانما اعتمد الاستاذ ذلك الوجه لكونه اقرب الى الصواب من غيرة عنده» فجوابه اما هذا فحق وصدق ولكنه ابعد شيء عن الصواب عند سلف الامة ومفسريها واما قوله «لكثرة مايؤيده من الايات والاحاديث» الخ فباطل ولامؤيد له ولا مصحح وماذكره من الآيات هي الآيات التى يستدل بها المعتزلة على مذهبهم المعروف وقوله «ولا يقول عاقل ان فهم احد» الخ نقول ولا يقول عاقل ان فهم التلميذ وشيخه اصح من فهم الصحابة والتابعين ومفسري الأمة اجمعين واذا عرض على العقلاء فهم ابن عباس وابن مسعود وابن عمر رضي الله عنهم وفهم سلف الامة من المفسرين والمحدثين مع فهمه وفهم شيخه فلايشك احد ان كلا

منهم سيتخذ كلامهم حجة بينه وبين الله ويستعين به على فهم الآية ويرمي بما قالاه خلف ظهره واما قوله «ان البرهان قائم على حقية ما قاله الاستاذ» فخلاف الواقع فان البرهان قائم على بطلانه من غير شك قال ((ولنذكرا ولاضعف الوجه الذي نقله دحلان ملفقا من تفسير ابن جرير من جهة النقل ليكون النظر مقصورا على جوهر الاية فنقول هذا الخبر الذي نقله ابن جرير عن ابن عباس لايصح بطريقيه لان فى سنده اولا شعبة وهو ضعيف فى الحديث ضعفه محمد بن عبد الله بن نمير وقال فيه انه لم يكن في شيوخنا اكثر غلطا منه وقال ابن معين انه كثير الغلط جدا وفي سند هذا الخبر مؤمل قال فيه البخارى انه منكر الحديث وكفى بذلك من جرح وقد نقل الحافظ الذهبي في الميزان عن البخاري انه قال كل من قلت فيه منكر الحديث فلاتحل الرواية عنه وقال ابو زرعة فى حديث مؤمل خطأ كثير وفى سنده ايضا سفيان بن الحسين ويقال ابو الحسين وهو ممن لايحتج بحديثه فضلا عن خبره وفيه ايضا عمرو بن مرة وهو من المرجئة ففى سند هذا الخبر ثلاثة من الضعفاء الذين لايحتج باخبارهم ويكفي وجود واحد منهم فى سلسلة الخبر دليلا على ضعفه مع عدم وجود من يتابعه من الثقات فما بالك بخبر اجتمعوا فى سنده جميعهم بحيث يرويه ضعيف عن ضعيف عن مبتدع فلا ريب انه اوهى من بيت العنكوت)) اه ونقول ان في كلامه اضاليل واباطيل، ونحن نذكرها بالتفصيل (الأول) ان السيد ساق سندا واحداً من روايات ابن جرير عن ابن بشار عن عبد الرحمن عن شعبة عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وقد زيدت واو فى نقله فقيل وعن ابن عباس غلطا اذليس عند ابن جرير رواية بهذا السند موقوفة على سعيد بن جبير وقد فهم زيادتها ابن العاقب فلذلك قال «هذا الخبر الذى نقله ابن جرير عن ابن عباس» اه اذاً فما لذا تطوع

التلميذ فنقل طريقين (فان قيل) لعله اراد زيادة الايضاح وان الخبر لايصح من هذه الطريق التي ذكرها السيد ولامن الطريق الثانية فليس للخبر طريق صحيحة (قلنا) اذا كان هذا قصده فلم لم يذكر بقية طرقه عند ابن جرير وهي ست طرق فاذا ماقتصر عليهما الاليتكثر بجرح رجالهما (الثاني) انه زعم ان فى كل سند ثلاثة ضعفاء ممن جرحهم وهو غير صحيح فانه جرح شعبة وسفيان بن الحسين وعمرو بن مرة ومؤمل ولم يجتمع ثلاثة من هولاء فى طريق من الطرق التي اخرجها ابن جرير اصلا لما سيأتي فما الداعي الى هذا الافك والاختلاق ولعل هذا من الادوات التى لايتم له الاجتهاد الا بها والزمان ابو العجب (الثالث) انه قال في سفيان انه سفيان بن حسين ويقال ابو الحسين ونقل ماقيل فيه من الجرح وهذا غلط فاضح فليس لسفيان بن حسين ذكر في روايات ابن جرير اصلاً فان الذى عند ابن جرير روايتان فيهما سفيان بن عيينة وهو المراد عند الاطلاق كما هو مصطلح المحدثين ورواية فيها سفيان بن سعيد الثورى فمن اين ظفر التلميذ بسفيان بن الحسين فانظروا الى مبلغ علم الواصلين مراتب الاجتهاد نعوذ بالله من الغرور (الرابع) قد عرفنا من عادته انه اذا لم يجد في السند من يجرحه خلط اسم احد الرواة بغيره ممن يحتمل الجرح كما فعل هنا اذ ابدل بسفيان بن عيينة سفيان بن الحسين وابدل فيما يأتي بيزيد بن حيان التيمي يزيد البلخي وغير ذلك مما سيمر بك واذا وجد

في موضوع النزاع حديثا ضعيفا سارع الى ايراده والكلام عليه ليتسع له مجال الثرثرة كما فعل هنا وكما فعل في الكلام على آية وكان ابوهما صالحا وهذا ليس من افعال طلاب الحق (الخامس) انه قال فى سفيان بن الحسين وهو ممن لايحتج بحديثه فضلاً عن خبره وهذه مجازفة فانه من الثقات المحتج بهم علق له البخاري وروى له مسلم والاربعة ولم يضعفوه الا فى حديث الزهري وليس هذا من حديثه ولذلك قال الحافظ فى مقدمة الفتح ضعفه احمد بن حنبل وغيره فى الزهري وقووه في غيره وقد ترجم له فى تهذيب التهذيب ونقل توثيقه فى حديث غير الزهرى عن يحيى بن سعيد وابن معين وابن ابي شيبة والنسائي والعجلي وابن سعد وابن عدي وابن خراش والبزار ، وقول ابي حاتم فيه مما انفرد به ولم يتابعه عليه احد (السادس) انه جرح عمرو بن مرة احد الكبار بالارجاء وهو جرح غير مفسر فلاعبرة به لانقسام الارجاء الى ما يصح الجرح به ومالايصح فنفصل ذلك على وجه لاتجده مجموعا فى كتاب فنقول

معنى الارجاء وتحقيق القول فيه

قال الحافظ ابن حجر «الارجاء بمعنى التأخير وهو عندهم على قسمين منهم من اراد به تأخير القول في الحكم في تصويب الذين تقاتلوا بعد عثمان ومنهم من اراد تأخير القول في الحكم على من اتى الكبائر وترك الفرائض بالنار لان الايمان عندهم الاقرار والاعتقاد ولايضر العمل مع ذلك» اه وقد اقتضب الحافظ القول فى ذلك اقتضابا والمقام يحتاج الى زيادة بسط لما وقع فى ذلك من الخبط

والخلط فنقول الأرجاء مأخوذ من ارجأ الأمر اذا أخره وينقسم بحسب اختلاف الاصطلاح الى اربعة اقسام (الاول) اطلاق المرجئة على من قال بتأخير علي عليه السلام من الدرجة الاولى في الخلافة الى الرابعة فهو مقابل الشيعي وعليه تكون المرجئة والشيعة فرقتين متقابلتين وهذا الاطلاق غير مشهور ولامستعمل وان اطلقه بعضهم ولم نر فيما بيدنا من كتب الجرح والتعديل جرحا بهذا القسم منه (الثاني) ان يراد به تأخير القول في الحكم على من اتى الكبائر وترك الفرائض بالنار لأن الايمان عندهم الأقرار والاعتقاد ولا يضر العمل مع ذلك وهذا القسم قلما يجرح به احد اليوم ومتأخرو الاشعرية أو اكثرهم يتقلده (القسم الثالث) اطلاقه على غلاة المرجئة الذين يقولون لايضر مع الايمان عمل كما لاينفع مع الكفر عمل وهذا يكثر في اهل الشام سابقا ويقول به بعض النواصب وهو مذهب ملوك بني امية والقوم على دين ملوكهم وقلما يجرح الناصبي احدا بهذا القسم (القسم الرابع) ان يراد به تأخير القول في الحكم بتصويب احدى الطائفتين المتقاتلتين بعد عثمان رضي الله عنه وقد اتفق على الجرح بهذا النوع فريقان متقابلان من جهتين مختلفتين فالفريق الاول يقول من ارجأ القول في الطائفتين كان معاديا لعلي عليه السلام لانه لم يحكم بتصويبه فلم يواله ولانه لاولاء الا ببراء اي لايصح توليه لمن لم يعاد من قاتله وفسقه واشاد بلعنه فهو مجروح

العدالة والفريق الثاني وهم اخابث النواصب يقولون من ارجأ القول فيها كان مجروح العدالة لتوقفه عن تخطئة امير المؤمنين علي عليه السلام وعن غير ذلك من اقاويلهم العفنة فيه رضي الله عنه وارضاه وقد قال الحافظ ابن حجر انه لاجرح بهذا النوع كما ذكره فى تهذيب التهذيب فى ترجمة الحسن بن محمد بن الحنفية فقد جرحه مغيرة بن مقسم بالأرجاء وقال فيه هو اول تكلم في الأرجاء كما جرح عمرو بن مرة به فقال لم يزل فى الناس بقية حتى دخل عمرو في الارجاء فتهافت الناس فيه وكان مغيرة ناصبيا غاليا فكان يرى ان من توقف عن تخطئة امير المؤمنين علي عليه السلام وعن سوء القول فيه كان مجروحاً ساقط العدالة فمثل هذا يلزم منه جرح مغيرة بن مرة لاعمرو فان عمرا مجمع على توثيقه والاحتجاج به وقد اثنوا عليه الثناء البليغ فارجع الى ترجمته في تهذيب التهذيب وقد ظهر لك بما ذكرناه ان مارمى به عمرو لايقتضي جرحا وان جارحه به وهو مغيرة بن مقسم الناصبي هو المجروح واقل مايقال فيه انه جرح غير مفسر لانقسام الارجاء الى ما يصح به الجرح وما لا يصح وفى ارجاء المغيرة وحزبه يقول المأمون العباسي

اذا المرجي سرك ان تراه * يموت لحينه من قبل موته
فجدد عنده ذكرى علي * وصل على النبي واهل بيته

وقد ذكر ابن تيمية نفسه في بعض كتبه ولااتذكر موضعه الآن ان عمرا

ابن مرة رؤى فى المنام فقيل له مافعل الله بك قال غفرلي بحب علي بن ابي طالب وذكر امراً آخر ثم قال ابن تيمية انه لما عرف الحق فتمسك بحب علي غفرله او قريبا من هذا والحاصل انه قد اختلط في كتب الجرح والتعديل الجرح بالارجاء القادح وغير القادح ولا سبيل الى معرفة ذلك وتمييزه الا بالنظر الى الجارح فان كان ناصبيا كان جرحه به ساقطا لأن اكثر قدماء النواصب كانوا مرجئة فى الايمان وكان اكثر ملوك بني مروان كذلك والقوم على دين ملوكهم فلايجرحون الا بالارجاء الذى نسبناه اليهم في القسم الرابع ولهذا الخلط الذى ذكرناه فيه تناقض كلام بعضهم فى اول من قال بالارجاء واعني به ابن تيمية (١) فانه قال فى كتاب الايمان له « وقال ايوب السختياني انا اكبر من دين المرجئة ان اول من تكلم في الارجاء رجل من اهل المدينة من بني هاشم يقال له الحسن وقال زاذان اتينا الحسن بن محمد فقلنا ما هذا الكتاب الذي وضعت وكان هو الذي أخرج كتاب المرجئة فقال لي يا اباعمرو لوددت اني كنت مت قبل ان اخرج هذا الكتاب اوأضع هذا الكتاب » اه ثم قال في موضع آخر « وكان أول من قاله حماد بن سليمان » اه وقد توفى الحسن بن محمد بن الحنفية سنة خمس وتسعين وقيل سنة احدى ومائة اما حماد بن سليمان فقد توفى سنة عشرين ومائة وقال الذهبي في ترجمة ذر الهمداني « قال احمد لا بأس

---

(١) جمع بعض محققي عصرنا من مناقضات ابن تيمية نحو ما ئتي ورقة كالقول بالشيء ثم نقيضه او القول بصحة امر لعلة كذا ثم القول بفساد أمر آخر لنفس تلك العلة من وجه واحد وكرد الباطل بالباطل والفاسد بالفاسد والازراء باهل البيت وكبار الائمة ومدح الخوارج بالدين مراغمة للاحاديث المتواترة بانهم مرقوا منه ولا محل للتمثيل هنا اه مؤلف

به هو اول من تكلم الارجاء » اه ويظهر الصواب بما ذكره الحافظ بن عساكر في تاريخه[١] في ترجمة الحسن قال « وقال عثمان بن ابراهيم بن حاطب اول من تكلم في الارجاء الحسن بن محمد كنت حاضرا يوم تكلم وكنت مع عمي في حلقته وكان في الحلقة جحدب وقوم معه فتكلموا فى علي وعثمان وطلحة والزبير فاكثروا والحسن ساكت ثم تكلم فقال قد سمعت مقالتكم ولم أرشيئا امثل من ان يرجأ علي وعثمان وطلحة والزبير فلايتولوا ولايتبر أمنهم ثم قام فقمنا فقال لي عمي يابني ليتخذن هولاء هذا الكلام اماما قال عثمان فقال به سبعة رجال يقدمهم جحدب من تيم الرباب ومنهم حرملة التميمي فبلغ اباه محمد بن الحنفية ما قال فضربه بعصا فشجه وقال لاتتولى اباك عليا ودخل ميسرة عليه فلامه على الكتاب الذي وضعه في الارجاء فقال لوددت آني كنت مت ولم اكتبه » اه ولما كان مغيرة بن مقسم ناصبيا قال فى الحسين بن محمد هواول من تكلم في الارجاء وقال فى عمرو بن مرة لم يزل في الناس بقية حتي دخل عمرو في الارجاء فتهافت الناس فيه وقد علمت نوع الارجاء الذي يجرح به مغيرة الحسن وعمراً اذ لا يرضيه منهما الا تخطئة امير المؤمنين عليا عليه السلام وسوء القول فيه وبما ذكرناه تعلم ان مثل هذا يقتضي جرح المغيرة نفسه لا الحسن ولا عمرو وقد احتج ائمة الحديث بعمرو ووثقوه وخرجوا له وقد رأيت بعد كتابة ماتقدم ان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قد تكلم في الأرجاء فى الايمان في حديث رواه البخاري ومسلم عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلمة وقلت الثانية قال من مات يشرك بالله دخل النار وقلت

---

[١] نقل هذا من تهذيبه المطبوع اه مؤلف

من مات لايشرك بالله دخل الجنة فينبغي ان يحمل هذا على العاقبة اوحصول العفو فيكون دليلا لاهل السنة الذين يقولون بانه لايخلد فى النار من فى قلبه مثقال ذرة من ايمان كما صحت به الاحاديث ورأيت نحوه في تاريخ ابن عساكر (١) فى ترجمة الحارث بن عمير الزبيدى الحارثي فذكر صحبته لمعاذ بن جبل رضي الله عنه وذكر قصة طويلة فيها ان معاذا امره ان يطلب تفسير القرآن عند ثلاثة عويمر ابي الدرداء وسلمان الفارسي وعبد الله بن مسعود وساق القصة الى قوله

«ثم انطلق الى الكوفة فجعل يحضر مجلس ابن مسعود غدوة وعشية فبينا هو فى المجلس اذقال له ابن مسعود ممن انت يا ابن اخي فقال له انا امرؤ من اهل الشام فقال نعم الحي اهل الشام لولا واحدة فقال له الحارث وما تلك الواحدة قال لولا انهم يشهدون على انفسهم انهم من اهل الجنة فاسترجع الحارث مرتين اوثلاثا ثم قال صدق معاذ حين حذرني زلة العالم والله يا ابن مسعود ما انت الا احد رجلين امارجل اصبح على يقين من الله ويشهد ان لااله الا الله فانت من اهل الجنة واما رجل مرتاب لاتدري اين منزلك قال صدقت يا ابن اخي انها زلة مني فلاتؤاخذني بها»

وفي دواوين السنة احاديث مروية عن معاذ وابن مسعود تشهد لما فى هذه القصة ويؤخذ من ذلك ومن مواضع اخرى تركنا الالماع اليها تفاديا من ذكرها ان الأرجاء الحادث بعد المائة والذي اختلفوا فى اول من قال به هو الارجاء فى القول فى الحكم بتصويب احدى الطائفتين المتقاتلتين بعد عثمان وان الجرح به قد جاء متقابلا كما شرحناه من قبل ثم اشترك لفظه

---

(١) نقل من تهذيبه اه مؤلف

بين المعنيين وتنازعته الطوائف ونقل الجرح به على علاته ولا وجه للتمييز الا ماذكرناه آنفا ، وانظر كيف ذكر عمرو بن مرة بحب علي عليه السلام ورماه بعض النواصب بالارجاء وكيف قالوا فى ترجمة الفضل بن دكين انه حافظ حجة الا انه يتشيع من غير غلو ولاسب ثم نقلوا فيه عن ابن معين انه اذا ذكر انسانا فقال هو جيد واثنى عليه فهو شيعي واذا قال فلان كان مرجئا فاعلم انه صاحب سنة لاباس به نقل هذا الذهبي في الميزان فهذا الفضل يجرح بالارجاء لانه شيعي ، والمغيرة يجرح بالارجاء لانه ناصبي ، فهذا هو القسم الرابع وقد ترامت الطائفتان بالجرح به من وجهين متقابلين ولعل القسم الرابع انما بني على القسم الثاني ثم تقاسمت الطائفتان المنكرتان له من هولاء وهولاء فى حمله على من لايقول بقولها فيمن لايتوليان كما قال القائل

هوى ناقتي خلفي وقدامي الهوى * واني واياها لمختلفان

واكثر الاختلاف في الاهواء والشيع انما تفرع عن الاختلاف فى السياسة (من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم) ولما ذكرناه شواهد اخرى لانطيل بها فاشدد يدك به فانه خلاصة بحث طويل والله اعلم

(السابع) اطلاقه القول بضعف مؤمل وهو ابن اسمعيل العدوي مولاهم ترجم له فى التهذيب وحكى توثيقه عن ابن معين وابي داود والساجي وابن سعد وابن قانع واسحق بن راهويه وما عابوا عليه الا الخطأ لانه كان يحدث من حفظه ومن اجل ذلك قال محمد بن نصر انه يتوقف

في حديثه اذا انفرد وهو هنا لم ينفرد بل تابعه الثقات كما فى الرواية الاولى فان رجالها رجال الصحيحين وله متابعات غيرها وقد اخرج له النسائي والترمذي وابن ماجه وعلق له البخاري ذكرذلك فى تهذيب التهذيب وحينئذ فؤمل يحتج بحديثه وخبره في مثل هذا الموضع لوجود المتابعات وموافقة الثقات واطلاق التلميذ القول فيه خطأ وقصور (الثامن) تضعيفه شعبة وما ادراك ما شعبة؟ مااخرنا الكلام عليه الالطوله ولم يسمع في القديم والحديث، ولم ينقل عن احد من رجال الحديث، انه ضعف رواية لأن شعبة في سندها بل كان يعدون وجود شعبة فى السند من علامات صحته واسباب ترجيحه فكانوا يصححون به الحديث اذا رواه ويوثقون به الراوى إذا روى عنه لانه لايروى الاعن ثقة ولا يحدث الابما كان محفوظا ولذلك ذكر الحافظ ابن حجر في ترجمته في تهذيب التهذيب جميع من روى عنهم ليكون بمثابة التوثيق لهم وقال في خطبة الكتاب بعد ان ذكر انه قد يقتصر على ذكر بعض شيوخ المترجم اومن عليه رقم الصحيحين منهم مانصه «ولا اعدل عن ذلك الا لمصلحة مثل ان يكون الرجل قد عرف من حاله انه لايروى الا عن ثقة فانى اذكر جميع شيوخه اواكثرهم كشعبة ومالك وغيرهما» اه ولذلك نقل الحافظ فى ترجمة توبة ابوصدقة الانصاري عن الذهبي مستدركا مانصه «وقرأت بخط الذهبي بل هو ثقة روى عنه شعبة يعني وروايته عنه توثيق له» اه وكان الذهبي يقول «اذا رأيت سندا فيه شعبة فاشدد يديك به» وقال ابن القيم «اذا كان شعبة في حديث لم يكن باطلا» وكان اذا اراد توثيق رجل قال «وحسبه رواية شعبة عنه» اواراد تقوية حديث قال «ولكنه

حديث فيه شعبة)) وقال ((وشعبة حامل لواء هذا الحديث وقد قال بعض ائمة الحديث اذا رأيت شعبة فى اسناد حديث فاشدد يديك به)) وقال الحافظ ابن حجر ((أنه لم يكن يروى من حديث اشياخه الا ما كان محفوظا)) وقد شنع الحافظ ابن حجر فى اللسان على عبد الله الكعبي احد رؤس المعتزلة لذكره شعبة فيمن يعد كثيرا الخطاء وعد ذلك الغاية في سوء الفهم فليقابل هذا بما ذكره (التلميذ) ومرتبة شعبة عند علماء الحديث عظيمة حتى قال الشوكانى في كتابه ارشاد الفحول ((ومن طرق التزكية ان يروي عنه من عرف من حاله انه لايروي الا عن عدل كيحيى بن سعيد القطان وشعبة ومالك فان ذلك تعديل كما اختاره الجويني وابن القشيري والغزالي والآمدى والصفي الهندى وغيرهم قال الماوردي وهو قول الحذاق)) اه وكان شعبة يعدل عندهم مائة راو ثقة وعدالة وقوة قال الشوكانى وهو يذكر وجوه الترجيح ((ثانيها ترجيح العدالة فانه رب عدل يعدل الف رجل في الثقه كما قيل ان شعبة بن الحجاج يعدل مائة)) اه ويعز في رواة البخاري ومسلم مثل شعبة اما ثناء الائمة عليه فكثير وعظيم وفي تهذيب التهذيب منه جملة صالحة ولا حاجة بنا الى نقل شيء من ذلك وقد ظهر لك الفرق بين ائمة الاسلام والتلميذ فانهم يصححون الاحاديث بوجود شعبة فى اسانيدها وهو يضعفها به وهم يرجحون ما كان من روايته وهو لا يقيم له وزنا كما فعل هنا وكما فارقهم فى الدنيا فيخشى ان يفارقهم فى الآخرة فاي الفريقين خير مقاما واحسن نديا ومن العجب انهم مع هذا الجهل المركب يدعون الاجتهاد اللهم بصرنا بعيوب انفسنا ولا تكلنا الى انفسنا طرفة عين (التاسع) عدم انصاف التلميذ وتلونه وتقلبه

كل يوم تبدي صروف الليالي ❀ خلقا من ابي سعيد غريبا

فبينما هو يضعف شعبة هنا ويسقط مارواه ويقول بعدم جواز الاحتجاج به اذا هو يحتج بحديثه فى موضع آخر حيث وافق غرضا فى نفسه كما فعل مثل ذلك فى غندر فاين الانصاف الذي يتبجح به هو وشيخه وسيأتي ذكر هذا فى موضعه ان شآء الله تعالى (العاشر) انه قال ((فى سند هذا الخبر ثلاثة من الضعفاء الذين لايحتج بأخبارهم)) الى ان قال ((مع عدم وجود من يتابعه من الثقات)) وهذا على تقدير صحة قوله بضعفهم باطل ايضا لوجود المتابعات كما ستراه فى الروايات الآتية فكيف به وهم ثقات ودعواه الضعف باطلة لا اصل لها كما بسطنا احوال الذين جرحهم

❁ عود الى ذكر بقية روايات سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه ❁

(الرواية الثالثة) - ابن جرير - حدثنا ابن حميد قال حدثنا مهران عن سفيان عن عمرو بن مرة الجدلي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ان الله تبارك وتعالى ليرفع ذرية المؤمن معه فى درجته ثم ذكر نحوه غير انه قرا (واتبعناهم ذرياتهم بايمان الحقنابهم ذرياتهم)

(الرواية الرابعة) — ابن جرير — حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي قال حدثنا محمد بن بشر قال حدثنا سفيان بن سعيد عن سماعة عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس نحوه

(الرواية الخامسة) - ابن جرير - حدثنا ابن المثنى قال حدثنا محمد بن جعفر قال حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال فى هذه الآية (والذين امنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان) قال المؤمن ترفع له ذريته فيلحقون به وان كانوا دونه فى العمل

اما درجة هذه الروايات من الصحة فقد صححها الحاكم والضياء المقدسي

والحافظ السيوطي والحافظ السخاوي والقسطلاني وابن حجر الهيتمى وغيرهم وقد اخرجها عن ابن عباس رضي الله عنهما سعيد بن منصور وهناد وابن المنذر وابن ابي حاتم في تفسيره وقد التزم ان يخرج اصح ماورد والحاكم والبيهقي في سننه والقسطلاني في المواهب والسمهودي وابن حجر الهيتمي وغيرهم ، ورجال الرواية الاولى رجال الصحيحين وفيها شعبة فوجوده فيها زيادة تصحيح لها ورجحان ، ورجال الثانية من رواة الصحيحين ايضا الامؤمل وقد علمت توثيقه واما كلام البخاري فيه فلم يتابعه عليه احد وانما عابوا عليه الخطأ وهو مأمون هنا لعدم تفرده ، ورجال الثالثة من رجال الصحيحين الامهران وقد وثقه ابن معين وابو حاتم والدارقطني وشكى بعضهم من غلطه ولا تضره هذه الشكوى الا مع الانفراد والا ابن حميد وهو محمد بن حميد بن حيان التيمي الحافظ الشهير اثنى عليه احمد وحدث عنه يحيى ووثقه وتكلم فيه آخرون وعابوه بالاكثار وغيره وقد اخرج له الترمذى وابو داود وابن ماجه وحديثه مقبول في المتابعات ، ورجال الرواية الرابعة من رجال الصحيحين الاموسى بن عبد الرحمن المسروقي فقد اخرج له الترمذي والنسائي وابن ماجه مجمع على توثيقه وثقه النسائي وابو حاتم وابن حبان ، ورجال الخامسة كلهم من رجال الصحيحين وهو سند فيه شعبة كما يقول ابن القيم وحسبك به

﴿ شواهد هذه الروايات ﴾

قال ابن جرير في تفسير قوله تعالى ربنا وادخلهم جنات عدن التي

وعدتهم ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم انك انت العزيز الحكيم بعدان ذكر أنه يدخل مع الرجل ابوه وولده وزوجته الجنة وان لم يكونوا عملوا عمله بفضل رحمة الله اياه «حدثنا ابو هاشم قال حدثنا يحيى بن يمان العجلي قال حدثنا شريك عن سعيد قال يدخل الرجل الجنة فيقول اين ابي اين امي اين ولدي اين زوجتي فيقال لم يعملوا مثل عملك فيقول كنت اعمل لي ولهم فيقال ادخلوهم الجنة ثم قرا جنات عدن التي وعدتهم الآية» وهذه هي الرواية السادسة وقد ذكرها السيوطي في آية سورة الرعد وعزى اخراجها الى ابن ابي حاتم وابو الشيخ وقال ثم قرأجنات يدخلونها ومن صلح يعنى من آمن بالتوحيد بعد هولاء من ابائهم وازواجهم وذرياتهم قال «واخرج ابن ابى حاتم عن ابي مجلز رضي الله عنه في الآية قال علم الله تعالى ان المؤمن يحب ان يجمع الله له اهله وشمله فى الدنيا فاحب ان يجمعهم له في الآخرة» اما سند رواية ابن جرير فهو حسن فأبو هاشم هو ابو هشام الرفاعي وقد كتب على الصواب في تفسير سورة الرعد وسورة الدخان من ابن جرير واسمه محمد ابن يزيد بن محمد العجلي ترجم له فى تهذيب التهذيب اخرج له مسلم والترمذى وابن ماجه وذكر توثيقه عن ابن معين والعجلي وقال البرقاني ثقة امرني الدار قطني ان اخرج حديثه فى الصحيح وضعفه اخرون واما يحيى بن يمان العجلي ابو زكرياء الكوفي فقد ترجم له في تهذيب التهذيب اخرج له البخارى في الادب المفرد ومسلم في صحيحه والاربعة وذكر توثيقه عن ابن معين ويعقوب بن شيبة والعجلى وضعفه بعضهم تضعيفا هينا واما شريك

فهو ابن عبدالله الكوفي القاضي ترجمه فى تهذيب التهذيب علق له مسلم في الصحيح والاربعة مجمع على توثيقه ولم يتكلم فيه الا ابن القطان والجوزجاني من جهة المذهب(١) ولا يؤخذ بقولهما في هذا الموضع

ومن الشواهد (الرواية السابعة) عند ابن جرير - حدثني علي قال حدثنا ابو صالح قال حدثني معاوية عن علي عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله (وان ليس الانسان الا ماسعى) قال فانزل الله بعد هذا (والذين آمنو واتبعناهم ذرياتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم) فادخل الله الابناء بصلاح الاباء الجنة

وهذه الرواية ذكر فى الدر المنثور انه اخرجها ابوداود والنحاس كلاهما فى الناسخ والمنسوخ وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه عن ابن عباس بمثل ماتقدم وقد ذكر نحو هذا الامام ابومحمد بن حزم فى كتابه فى الناسخ والمنسوخ

فقال « قوله تعالى (وان ليس للانسان الا ماسعى) نسخت بقوله تعالى (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان) الاية فجعل الولد الطفل يوم القيمة فى ميزان ابيه ويشفع الله تعالى الاباء فى الابناء والابناء فى الاباء ويدل على ذلك قوله تعالى (اباؤكم وابناؤكم لاتدرون ايهم اقرب لكم نفعا» اه فهو ممن يقول بان المراد بالذرية في الاية الصغار ولكنه عمم الشفاعة كما ترى وقد سبقه الى مثل هذا الامام العلامه هبة الله بن سلام بن نصر بن علي المفسر البغدادي فى كتابه في الناسخ والمنسوخ وهو كتاب جليل فى هذا الفن جمعه من خمسة وتسعين تفسيرا سمعها من المفسرين والمحدثين وذكر أسانيده الى المأثور منها آخر كتابه

---

(١) لانه انقذ طائفة من اهل البيت من الحريق كما تكلموا في ابي عبدالله الجدلي بل والصحابي عامر بن الطفيل من اجل ذلك اه مؤلف

(الرواية الثامنة) ـ ابن جرير ـ حدثني المثنى قال حدثنا عبد الله بن صالح قال حدثني معاوية بن صالح عن علي بن ابي طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما قوله اباؤكم وابناؤكم لاتدرون ايهم اقرب لكم نفعا يقول اطوعكم لله من الاباء والابناء ارفعكم درجة يوم القيامة لان الله سبحانه يشفع المؤمنين بعضهم فى بعض» وقد حكى هذه الرواية البغوي عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وزاد « فان كان الوالد ارفع درجة يوم القيمة فى الجنة رفع الله ولده وان كان الولد ارفع درجة رفع اليه والده لتقر بذلك اعينهم » اه

والرواية السابعة والثامنة من اقوى الاسانيد وأصحها ومتنهما مما لا يقال من قبل الرأي فلهما حكم المرفوع ونقل السيوطي عن الحافظ ابن حجر وهو يحكي طرق تفسير ابن عباس رضي الله عنهما مانصه « ومن طريق معاوية بن صالح عن علي بن ابي طلحة عن ابن عباس وعلي صدوق ولم يلق ابن عباس لكنه انما حمل عن ثقات اصحابه فلذلك كان البخاري وابن ابي حاتم يعتمدون على هذه النسخة » اه وقال فى الاتقان مانصه « وقد ورد عن ابن عباس فى التفسير ما لايحصي كثرة وفيه روايات وطرق مختلفة فمن جيدها طريق علي بن ابي طلحة الهاشمي عنه قال احمد بن حنبل بمصر صحيفة في التفسير رواها علي بن ابي طلحة لورحل فيها رجل الى مصرقا صداً ما كان كثيرا اسنده ابو جعفر النحاس فى ناسخه قال ابن حجر وهذه النسخة كانت عند ابي صالح كاتب الليث رواها عن معاوية بن صالح عن على بن ابي طلحة عن ابن عباس وهي عند البخاري عن ابي صالح وقد اعتمد عليها في صحيحه كثيرا فيما يعلقه عن ابن عباس واخرج منها ابن جرير وابن ابي حاتم وابن المنذر كثيراً بوسائط بينهم وبين ابي صالح وقال قوم لم يسمع ابن ابي طلحة من ابن عباس التفسير وانما اخذه عن مجاهد وسعيد بن جبير قال ابن حجر بعد ان عرفت الواسطة وهو ثقة فلاضير في ذلك اه

(الرواية التاسعة) ابن جرير ـ حدثني محمد بن الحسين قال حدثنا احمد بن

المفضل قال حدثنا اسباط عن السدي قوله لاتدرون ايهم اقرب لكم نفعا قال بعضهم في نفع الاخرة وقال بعضهم فى نفع الدنيا

قال السيوطي فى الاتقان نقلاً عن الخليلي فى الارشاد « وتفسير اسماعيل السدى يورد باسانيد الى ابن مسعود وابن عباس وروى عن السدي الائمة مثل الثوري وشعبة لكن التفسير الذى جمعه رواه اسباط بن نصر واسباط لم يتفقوا عليه غير ان امثل التفاسير تفسير السدى » اه وعقبه السيوطي بقوله « وتفسير السدي الذى اشار اليه يورد منه ابن جرير كثيرا من طريق السدى عن ابي مالك وعن ابي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وناس من الصحابة هكذا ولم يورد منه ابن ابى حاتم شيئاً لانه التزم ان يخرج اصح ماورد والحاكم يخرج منه في مستدركه اشياء ويصححه لكن من طريق مرة عن ابن مسعود وناس(١) فقط دون الطريق الأول » اه ومنه يعلم درجة هذه الرواية

﴿ رواية الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنه ﴾

(الرواية العاشرة) روى الكلبي عن ابن عباس في قول (بايمان) اي بايمان الذرية فى الدنيا (الحقنابهم) اى بالاباء (ذريتهم) في الاخرة فى درجة ابائهم ويقال (والذين امنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن ندخلهم الجنة (واتبعتهم ذريتهم) الصغار في درجاتهم (بايمان) بايمان الذرية يوم الميثاق (الحقنابهم) بالاباء يقول الحقنا بدرجات الاباء ذريتهم المدركين اذا كانت درجة ابائهم ارفع (وما التناهم من عملهم من شيء) يقول لم تنقص من درجة الاباء وثوابهم لاجل الحاق الذرية بهم » اه

وذكر ابن القيم فى كتابه حادي الارواح عن الكلبي رواية اخرى قال «وقال الكلبي عن ابن عباس ان كان الاباء ارفع درجة من الابناء رفع الله الابناء الى الاباء وان كان الابناء ارفع درجة من الاباء رفع الله الاباء الى الابناء وقال اعطوا مثل اجور ابائهم ولم ينتقص الاباء من اجورهم شيأ » ولعل هذه الرواية اصح

---

(١) كذا فى الاصل ولعله وناس من الصحابة اه مؤلف

من التى سقناها بل ذكر السيوطي فى الاتقان نحوها فقال «واخرج ابن ابي حاتم عن ابن عباس فى قوله (والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم) قال هم ذرية المؤمن يموتون على الاسلام فان كانت منازل ابائهم ارفع من منازلهم ألحقوا بابائهم ولم ينقصوا من اعمالهم التى عملوا شيأ» وقد علمت ان ابن ابي حاتم قد التزم ان يخرج في تفسيره اصح ماورد وهذه شاهدة لرواية الكلبي وليست عنه لان طريقه ليست من شرط ابن ابي حاتم بل قالوا ان طريق الكلبي اوهى طرق ماروي عن ابن عباس قال السيوطى لكن قال ابن عدي فى الكامل للكلبي احاديث صالحة وخاصة عن ابي صالح وهو معروف بالتفسير وليس لاحد تفسير اطول منه ولا اشبع انتهى ولكن قد علمت ضعفها ووهنها

(الرواية الحادية عشرة والثانية عشرة والثالث عشرة والرابعة عشرة)

رواية العوفى عن ابن عباس ورواية الضحاك وابن زيد فمن ذكر رواية العوفى عن ابن عباس البغوي فى معالم التنزيل «قال ورواية العوفي عن ابن عباس اخبر الله عزوجل انه يجمع لعبده المؤمن ذريته في الجنة كما كان يحب فى الدنيا ان يجتمعوا اليه يدخلهم الجنة بفضله ويلحقهم بدرجته بعمل ابيهم من غير ان ينقص الاباء من اعمالهم شيئاً فذلك قوله (وما التناهم من عملهم من شيء) اى نقصناهم يعنى الاباء من عملهم من شيء» اهـ بحذف ذكر القرآت وذكرها ابن جرير فقال «وقال اخرون بل معنى ذلك (والذين امنوا واتبعناهم ذرياتهم) التي بلغت الايمان (بايمان الحقنابهم ذرياتهم) الصغار التي لم تبلغ الايمان (وما التنا الاباء من عملهم من شيء) ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال حدثني ابي قال حدثني عمي قال حدثني ابي عن ابيه عن ابن عباس قوله (والذين امنوا واتبعناهم ذيارتهم بايمان الحقنابهم ذرياتهم) يقول الذين ادرك ذريتهم الايمان فعملوا

بطاعتي الحقتهم بايمانهم الى الجنة واولادهم الصغار نلحقهم بهم حدثت عن الحسين قال سمعت ابامعاذ يقول اخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله (والذين امنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان الحقنابهم ذرياتهم) يقول من ادرك ذريته الايمان فعمل بطاعتي الحقتهم بابائهم الجنة واولادهم الصغار ايضا على ذلك »

ففى هذه الرواية حمل الذرية على الكبار والصغار فقوله (واتبعتهم ذريتهم بايمان) حملوا الذرية فيه على الكبار وقوله (الحقنابهم ذريتهم) حملوا الذرية فيه على الصغار وفيه تقييد الالحاق للكبار بالاتباع بالايمان في الجملة وانما قلنا فى الجملة لان اتحاد الناس وتساويهم فى الايمان والاعمال من قبيل الفروض المحالية فى العادة وذلك معنى قوله تعالى (ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم) ولأن لفظ الالحاق يشعر بالحاق قاصر بكامل و بمثل ذلك قال المفسرون ونقله ابن القيم عنهم كما سيأتي اما اسانيد هذه الروايات فرواية العوفى قال فيها السيوطي «وطريق العوفي عن ابن عباس اخرج منها ابن جرير وابن أبي حاتم كثيرا والعوفى ضعيف ليس بواه وربما حسن له الترمذي» اه والعوفيون بيت حديث وهم يتوارثون رواية هذه الصحيفة أبًا عن جد فاما محمد بن سعد فهو ابن محمد بن الحسن بن عطية العوفي قال الخطيب كان لينا فى الحديث وروى الحاكم عن الدار قطنى انه لابأس به واما ابوه سعد فقد تكلم فيه احمد بانه جهمي وهو معدود في الضعفاء فى ذيل الميزان واما عمه فهو الحسين بن الحسن ضعفه يحيي والنسائى وابو حاتم واما ابوه فهو الحسن بن عطية قال ابو حاتم ضعيف الحديث وقال البخارى ليس بذاك روى له ابو داود واما ابوه فهو عطية بن سعد العوفي روى له ابو داود

والترمذى وابن ماجه والبخارى فى الادب المفرد قال احمد ضعيف الحديث وقال ابو حاتم يكتب حديثه وكذلك قال ابن عدى وثقه ابن سعد وضعفه آخرون وحجتهم فيه التشيع وتقديمه امير المؤمنين عليا كرم الله وجهه على الكل فسند هذه الروايـة مقبول فى المتابعة واما رواية الضحاك فقد قال فيها السيوطي «وطريق الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس منقطعة فان الضحاك لم يلقه» اه وقال عن الحافظ بن حجر «منهم جويبر بن سعيد وهو واه روى التفسير عن الضحاك بن مزاحم وهو صدوق لم يسمع من ابن عباس شيئاً» اه فهذه الرواية منقطعة بل معضلة لقول ابن جرير حدثت عن الحسين وحنيئذ فتكون الرواية موقوفة على الضحاك فهي من قسم تفاسير التابعين لا الصحابة فلا تقدم على ماروي عن الصحابة رضي الله عنه بل قيل ان الضحاك ليس بتابعى قال ذلك العجلي وانكر غيره ان يكون شافه احداً من الصحابة ذكر ذلك في تهذيب التهذيب واما الراوي عنه هنا فهو عبيد بن سليمان الباهلي قال ابو حاتم لاباس به وقال هو احب الي من جويبر وعكس ذلك ابن معين وذكره ابن حبان في الثقات، واما ابو معاذ فهو الفضل بن خالد النحوي ذكره السبوطي فى طبقات النحاة وقال ذكره ابن حبان فى الثقات . واما الحسين فهو الحسين بن الفرج فلا احسبه الا الخياط قال ابو نعيم فيه ضعف وقال ابو الشيخ ليس بالقوى وكان احمد ويحي لا يرضيانه وابن جرير انما يروى عنه بواسطة فهاتان الروايتان كما علمت ومع ذلك فليستا

مناقضتين للروايات الصحيحة المتقدمة انما فيها زيادة الجمع بين الذرية الصغار والكبار وهذه الرواية اختارها الواحدي من المفسرين وذكرها غيره واما رواية ابن زيد فقد ذكرها ابن جرير ايضا قال بعد ما تقدم «وقال اخرون نحو هذا القول (اي قول العوفى والضحاك) غير انهم جعلوا الهاء والميم فى قوله (الحقنا بهم) من ذكر الذرية والهاء والميم فى قوله (بهم ذريتهم) من ذكر الذين وقالوا معنى الكلام والذن امنو واتبعتهم ذريتهم الصغار وما التنا الكبار من عملهم من شيء ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال اخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والذين امنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم قال ادرك ابناؤهم الاعمال التى عملوا فاتبعوهم عليها واتبعتهم ذريتهم التى لم يدركوا الاعمال فقال الله جل ثناؤه وما التناهم من عملهم من شيء قال يقول لم نظلمهم من عملهم من شيء فننتقصهم فنعطيه ذرياتهم الذين الحقناهم بهم الذين لم يبلغو الاعمال الحقتهم بالذين بلغوا الاعمال» اه قوله وفي اول العبارة نقص يبنيهما في الرواية بعدها وقد ذكر ابن جرير رواية اخرى عن ابن زيد فقال «حدثني يونس قال اخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وما التناهم من عملهم قال يقول لم نظلمهم من عملهم من شيء لم ننتقصهم فنعطيه ذرياتهم الذين الحقناهم بهم (الذين) لم يبلغوا الاعمال الحقهم بالذين قد بلغوا الاعمال وما التناهم من عملهم من شيء قال لم نأخذ عمل الكبار فيجزيه الصغار (الصغار) (١) ادخلهم برحمته والكبار عملوا فدخلوا باعمالهم» اه اقول وفى رواية ابن زيد تعسف وحمل للضمائر على غير المحدث عنه وفى ذلك منافاة للاولى ولما تقتضيه البلاغة وليس هذا التأويل المفكك النظام باولى ولا اليق ولا أرصن مما تقدم لاسيما وهو من تفاسير التابعين فلا يقدم على تفاسير الصحابة

---

(١) زدنا لفظتي الذين والصغار ليستقيم الكلام وقد سقطتا من الاصل فجعلنا هما بين قوسين اه مؤلف

رضي الله عنهم وانما يعتبر كالشاهد للروايات المتقدمة الصحيحة لموافقته لها فى اصل المعنى لانهم جعلوا الالحاق للذرية الصغار الذين لم يدركوا الاعمال بالذرية الكبار الذين قد بلغوا الاعمال فجعل من لم يعمل كمن عمل فضلاً ورحمة منه تعالى وكرامة لابائهم حيث ساوى بين ذرياتهم الكبار بما هداهم له من الاعمال والصغار اعطاهم بمحض الفضل ما اعطى الكبار بلاعمل منهم ولا بد ان يكون محط المعنى هو الحاق الكبار والصغار بالاباء لان ذلك هو الذى يدل عليه لفظ اتبعناهم من جهة اللغة كما سيأتي ذكر ذلك اما سند هذه الرواية فقد قال الحافظ ابن حجر فى الاستيعاب ونقله عنه السيوطي مانصه ((ومن تفاسير ضعفاء التابعين فمن بعدهم تفسير زيد بن اسلم من رواية ابنه عبد الرحمن عنه وهي نسخة كبيرة يرويها ابن وهب وغيره عن عبد الرحمن عن ابيه وعن غير ابيه وفيه اشياء كثيرة لايسندها لاحد وعبد الرحمن من الضعفاء وابوه من الثقات)) اهـ فقد سقط من سند ابن جرير عبد الرحمن اكتفاء بما هو المعروف من سنده المذكور فيما تقدم فاما يونس فهو ابن عبد الاعلى وابن وهب هو عبد الله بن وهب المصري صاحب مالك وهما من المشاهير

﴿ماروي عن سعيد بن جبير وعامر الشعبي من كبار التابعين وهما الخامسة عشرة والسادسة عشرة﴾

قال ابن جرير ((وقال اخرون بل معنى ذلك والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنابهم ذريتهم فادخلناهم الجنة بعمل ابائهم وما التنا الاباء من عملهم من شيء ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الاعلى قال حدثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت

داود يحدث عن عامر انه قال فى هذه والذين امنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان الحقنابهم ذرياتهم وما التناهم من عملهم شئ فادخل الله الذرية بعمل الاباء الجنة ولم ينقص الله الاباء من عملهم شيئاً قال فهو قوله وما التناهم من عملهم من شئ حدثنا ابن المثنى قال حدثنا ابن ابى عدي عن داود عن سعيد بن جبير انه قال في قول الله الحقنابهم ذرياتهم وما التناهم من عملهم من شئ انه قال الحق الله ذرياتهم بابائهم ولم ينقص الاباء من اعمالهم فيرده على ابنائهم» اه اقول اما قول الشعبي فادخل الذرية بعمل الاباء الجنة فمعناه تفسره رواية سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الآتية فانه قال الرجل يكون له القدم فى الاسلام ويكون له الذريه فيدخل الجنة فيرفعون اليه فالمراد بالدخول فى كلام الشعبي دخول خاص فان عمل ابائهم الصالح هو السبب الذى رفعوا بـه ولو لم يكن لهم ذلك العمل لما كانوا الاكسائر الناس ممن ليس لابيه قدم وليس في كلام سعيد ابن جبير ايهام فلا محل لتشنيع التلميذ ولا السوداني على ذلك وهذه الراوية من روايات التابعين فلا تقدم على كلام ابن عباس ولا ماروي عنه وهى شاهدة له بالاتفاق في اصل المعنى وان اختلف التعبير اما سندهما فى السند الى عامر الشعبي يونس بن عبد الاعلى ثقة غير مدافع من رجال الصحيح والمعتمر بن سليمان التيمي من رجال الصحيحين اجمعوا على توثيقه، وداود هو ابن ابي هند القشيرى مولاهم من رجال صحيح مسلم واخرج له الاربعة والبخارى فى التاريخ واجمعوا على توثيقه، واما عامر فهو الشعبي اشهر من نار على علم وقد ارهف التلميذ وشيخه القلم على هولاء الثقات فوصفهم بعد حكايته هذا القول بالابتداع وقال انهم كانوا مرجئة وقد بهتهم وهتك اعراضهم

وبدعهم وهم من فضلاء الامة وحمال العلم الثقات الموثوق بهم لم يذكر احد منهم ببدعة لا ارجاء ولا غيره وسيلقاهم بين يدى الحكم العدل والله ولي المؤمنين ، واما السند الى سعيد بن جبير ففيه محمد بن المثنى وقد علمت مما سبق انه من رجال الصحيحين لامطعن فيه احتج به سائر الائمة ولم يكن مبتدعا ولا مرجئا وابن ابي عدي هو محمد بن ابراهيم احتج به الائمة ووثقوه وهو من رجال الصحيحين وداود هو ابن ابي هند وقد سبق ذكره ، واما سعيد بن جبير فهو طود السنة الراسخ وعلمها الباذخ ، وقد قال فيه قتادة كان سعيد ابن جبير اعلم الناس بالتفسير والرواية عنه مقدمة على الرواية عن قتادة لكثرة من لقيه من الصحابة واختصاصه بحبر القرآن ابن عباس وشهادة قتادة له بذلك وقال الثوري خذوا التفسير عن اربعة فذكر اولهم سعيد بن جبير

◆ السابعة عشرة والثامنة عشرة والتاسعة عشرة والعشرون الروايات المنقولة عن ابراهيم بن جرير والربيع بن انس وقتادة ◆

لم يذكر البغوي ولا السيوطي في الدر المنثور شيئاً عن هؤلاء ولكن ابن جرير نقل عنهم اربع روايات قال «وقال اخرون انما عنى بقوله الحقنا بهم ذريتهم اعطيناهم من الثواب ما اعطينا الاباء ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال حدثنا عبد الرحمن قال حدثنا سفيان عن قيس بن مسلم قال سمعت ابراهيم في قوله واتبعناهم ذرياتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم قال اعطوا مثل اجور ابائهم ولم ينقص من اجورهم حدثنا ابن حميد قال حدثنا مهران عن سفيان عن قيس بن مسلم عن ابراهيم واتبعناهم ذرياتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم قال اعطوا مثل اجورهم ولم

ينقص من اجورهم شيئاً » هاتان الروايتان عن ابراهيم غير منسوب وقد رايت في تفسير ابي حيان مانصه «وقال النخعي المعنى اعطيناهم اجورهم من غير نقص وجعلنا ذريتهم كذلك » ولعله ظن ان ابراهيم هذا هو ابراهيم بن يزيد النخعي وليس كذلك فيحتمل انه ابراهيم بن جرير البجلي ذكره في تهذيب التهذيب كان من التابعين قال فيه ابن القطان مجهول الحال ولم يسمع من ابيه ووثقه بعضهم في نفسه والذي يغلب على ظني ان المذكور في هذه الرواية هو ابراهيم بن الحكم بن ابان وهو الاولى بل المتعين اجمعوا على ضعفه وله رواية في التفسير ضعيفة كما ذكر ذلك الحافظ ابن حجر اما قيس بن مسلم فهو من رجال الصحيحين وكان مرجئا واما سفيان فهو ابن عيينة واما عبد الرحمن فهو ابن مهدي وابن بشار هو محمد بندار من رجال الصحيحين كل هولاء رجال مشاهير لكن في السند قيس وهو مرجىء فان كان (التلميذ) وشيخه لا يقبلان احاديثهم ولا اقوالهم فهذا احدهم قال السيوطي في الدر المنثور «واخرج هناد وابن المنذر عن ابراهيم في الآية قال اعطي الاباء مثل ما اعطى الابناء واعطى الابناء مثل ما اعطي الاباء)) اه فهذه الرواية ترجع الى ما قدمناه فمعناه الحقنا بهم ذريتهم فاعطيناهم مثل ثوابهم فضلا منا ورحمة فابراهيم جعل الالحاق في اثابة الله لهم على الاعمال القليلة بثواب الاعمال الكبيرة ولو كان مراده انهم أثيبوا باعمالهم كما اثيب اباؤهم وكما يثاب كل مؤمن بعمله من غير الحاق بدرجة ابائهم التي لم يبلغوها لقال اثيبوا بأعمالهم كما يثاب كل مؤمن بعمله واي مزية لهم اولابائهم

فى الاخبار بانهم يثابون على اعمالهم فانه من المعلوم ان كل مؤمن يثاب على عمله سواء كان من ذرية الذين آمنوا أومن ذرية الذين كفروا وما معنى بناء الكلام فى الاية على الذين آمنوا وما فائدة ذكر الذرية وما معنى الالحاق وايضا فانه يلزم على قول (التلميذ) وشيخه ان تكون الآية خاصة بمن بعد الصحابة وهو تخصيص بغير مخصص كما سنبين ذلك فيما يأتى ان شاء الله تعالى (فان قيل) ان (التلميذ) بنى الكلام على انه هل يثاب الذرية الكبار مثل ثواب ابآئهم او ينقصون عنهم بسبب تأخر زمانهم كما نقص ثواب من جاهد بعد الفتح عمن جاهد قبله (قلنا) هذا بناء على وهم باطل فانما عظم الثواب لمن قبل الفتح لما لاقوا من الشدة وقلة الانصار وعدم مواتات الامور بخلافه بعد الفتح فقد انقضت الشدائد وسهل الايمان والجهاد لظهور حجج الدين وتظاهر آياته ورسوخ قوته وتكاثر اعوانه على انه من المتفق عليه ان سورة الطور مكية وسورة الحديد مدنية فلا ترد الآية لجواب سوال لم يأت بعد مايوجبه وليس من سنة القرآن ايراد الفروض النادرة فى المسائل كما يفعل اهل التفاريع الفقهية وسياتي مزيد بسط لهذا ان شا الله تعالى

قال ابن جرير قال (يعني ابن حميد) حدثنا حكام عن ابي جعفر عن الربيع واتبعناهم ذرياتهم بايمان يقول اعطيناهم من الثواب ما اعطيناهم وما التناهم من عملهم من شيء يقول ما نقصنا اباهم شيئا» اه اقول رواية الربيع هذه صريحة فيما قلناه فان الربيع يقول ان الذرية اعطوا مثل ثواب

الاباء والمراد بالثواب ثمرتـه وهي الدرجـة اودخول الجنة اوغير ذلك فهو تفسير اعم مما قبله واشمل ولهذا قال مانقصنا ابآءهم شيئاً فظهران ههنا الحاق لهم بابائهم لم يستحق باعمالهم تكرمة لابائهم والا فامعنى دفع توهم النقص من اعمال الاباء لاعطاء ذريتهم مثل عملهم ان لم يكن ذلك من اجلهم رعاية لهم فظهران قول الربيع بل وابراهيم وقتادة موافق للروايات المتقدمة غيران ظاهر كلامهم يدل على ان المراد بالذرية الكبار وهو قول الحسن البصري ويدل على ذلك مانقله البغوي وابو حيان عن الربيع من تخصيصه آية وان ليس للانسان الاماسعى وعبارة البغوى «وقال الربيع بن انس وان ليس للانسان يعنى الكافر اما المؤمن فله ماسعى وماسعي له» اما الكلام على سند هذه الرواية فقد قال السيوطي نقلا عن الحافظ ابن حجر «من تفاسيرهم (اي التابعين) تفسير الربيع بن انس عن ابي العالية واسمه رفيع بالتصغير الرياحي بالمثناه التحتية والحاء المهمله وبعضهم لايسمى فوق الربيع احدا وهو يروى من طرق منها رواية ابي عبد الله بن ابي جعفر الرازي عن ابيه عنه» اهـ اقول وقد ذكر ابن جرير السند كاملاً في غير هذا الموضع فقال عن حكام عن ابي عبيد الله عن ابي جعفر عن ابيه وقد حذف هنا ابو عبيد الله اختصار اوسقطا من قلم الناسخ اما حكام فهوابن مسلم الكناني من رجال صحيح مسلم ثقة وقوله عن ابي جعفر هو الرازي والربيع هوابن انس البكرى قال ابو حاتم صدوق وذكره ابن حبان فى الثقات وقال الناس يتقون ماكان من رواية ابي جعفر عنه لان فى

احاديثه عنه اضطرابا كثيرا وقد رماه آخرون بسوء الحفظ والانفراد بالمناكير عن المشاهير، واما ابنه ابو عبيد الله راوي نسخته هذه فقد تكلموا فيه قال محمد بن حميد كان فاسقا سمعت منه عشرة الاف حديث فرميت بها ونقل علي بن مهران انه كان يقول طابق من لحم احب الي من عمار بن ياسر نعوذ بالله وكان يقول في عمار انه كان فاسقا هذا ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسمى عماراً الطيب المطيب وقال ملىء عمار ايمانا من مشاشه الى قدمه فابو عبيد الله ضعيف لا تعتمد روايته ولكن يعتبر بها وقد علمت موافقتها لغيرها كما بيناه

قال ابن جرير: «حدثنا بشر قال حدثنا يزيد قال حدثنا سعيد عن قتادة قوله والذين امنوا واتبعناهم ذرياتهم كذلك قالها يزيد ذرياتهم بايمان الحقنابهم ذرياتهم قال عملوا بطاعة الله فالحقهم الله بآبائهم » اه قيد قتادة الحاق الذرية بدرجات الآباء بعملهم بطاعة الله، وهذا يفيد انه يحمل الذرية على الكبار وانه يشترط للالحاق العمل بطاعة الله وليس مراده من كلامه هذا ان الآية انما تدل على أن الله يثيب ذرية الذين آمنوا على اعمالهم اذا عملوا بطاعة الله فقط من غير ان يكون لهم إلحاق بدرجات ابائهم التي لم يبلغوها باعمالهم فان هذا كلام بارد لايحتمله سياق الآية ولامدلول الفاظها ولوكان هذا مراد قتادة لقال عملوا بطاعة الله فاثابهم الله على ما عملوا كما اثاب آباءهم واثاب كل مؤمن على عملهم بطاعة الله ولكنه قال « فالحقهم بآبائهم » فهذه الروايات الاربع كلها تصرح ومنها ما يومىء الى ما ذكر في الروايات السابقة من حصول

الالحاق وتفضل الله على الذرية بما لم تبلغه اعمالهم لان اعطاءهم مثل اجور ابائهم واعطاءهم من الثواب مثل ما اعطى اباءهم والحاق الله لهم بابائهم لما عملوا بطاعة الله كل ذلك لايتحقق الا بوجود الالحاق والتفضل لان تساوي الناس فى اعمالهم وايمانهم من ضروب المحال العادي والفروض البعيدة كما سيأتي الاستدلال عليه وقد رأيت التصريح بالالحاق فى رواية قتادة مع مايؤيد تأويلنا رواية الربيع من تخصيصه اية وان ليس للانسان الاماسعى وبذلك تعلم ان السوداني وتلميذه قد نسبا الى الربيع وقتادة مالم يقولاه وهذه عبارة السوداني نقلها عنه التلميذ بنصها قال «القول الاول ماقدمناه بان معناه الحقنابهم ذرياتهم فى اعطاء الثواب وانهم لاينقصون عمن قبلهم في الثواب لاجل تأخرهم فى الزمن مع مساواتهم لمن قبلهم فى الايمان والاعمال وهو قول قتادة والربيع » اهـ فقابل بين قول الربيع وقوله هذا باذياله واردافه وزياداته فقد قال الربيع « واتبعناهم ذرياتهم بايمان يقول اعطيناهم من الثواب ما اعطيناهم وما التناهم من عملهم من شيء يقول مانقصنا اباءهم شيئاً» فقوله مااعطيناهم اي مثل مااعطيناهم وهذا متضمن لالحاقهم بهم في ذلك اما السوداني فقال الحقنابهم ذرياتهم فى اعطاء الثواب اي نفس الاعطاء لاالثواب نفسه وليس هذا قول الربيع ولا قتادة والاثابة بمثل ثوابهم اذا تساوت الاعمال لاالحاق فيها ومما ينبغي التنبيه عليه هنا ان الضمير فى التناهم قد ارجعه جميع المفسرين الى الاباء وأرجعه السودانى الى الذرية ونسبه اليهما فقولهما مالم يقولاه كما سيأتي نصه على ذلك فقول السودانى قول مخترع مبتدع داخل تحت قول ابن تيميه اذ قال «وبالجملة من عدل عن

مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم الى مايخالف ذلك كان مخطئا فى ذلك بل مبتدعا لانهم كانوا اعلم بتفسيره ومعانيه كما انهم اعلم بالحق الذي بعث الله به رسوله » اه

﴿ الرواية عن عبدالله بن مسعود وابن عمر رضي الله عنهم وابي مجلز رحمه الله ﴾

وهي الرواية الحادية والعشرون وقد ذكرها ابن القيم فقال « قال ابن مسعود فى هذه الاية الرجل يكون له القدم ويكون له الذرية فيدخل الجنة فيرفعون اليه لتقربهم عينه وان لم يبلغوا ذلك » اه قال فى الاكتفاء فى مناقب الخلفاء والرياض النضرة في مناقب العشرة ((قد جاء فى بعض طرق حديث ابن عمر فقال رجل لابن عمر يا ابا عبد الرحمن فعلي قال ابن عمر علي من اهل البيت لا يقاس بهم احد علي مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في درجته ان الله عزوجل يقول والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم فاطمة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى درجته وعلي مع فاطمة اخرجه الحافظ ابو الحسن علي بن احمد بن نعيم البصرى فى جزئه فى فضل الثلاثة)) اي وكان كما ذكر الخطيب شديد العصبية في السنة (١) ((واخرج ابن المنذر عن ابى مجلز في الآية قال يجمع الله له ذريته كما يحب ان يجمعوا له فى الدنيا))

الروايات المرفوعة في معنى الاية

قد روي هذا الخبر عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا من طرق اخرى فقد ذكر ابن القيم ذلك فقال ((وذكر ابن مردويه فى تفسيره من حديث شريك عن سالم الافطس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال شريك اظنه حكاه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال اذا دخل الرجل الجنة سأل عن

---

(١) قد يوصف بمثل هذا من كان شديد النصب ولذلك وصف بالعصبية فتأمل كتب الجرح والتعديل اه مؤلف

ابويه وزوجته وولده فيقال انهم لم يبلغوا درجتك او عملك فيقال يارب قد عملت لي ولهم فيؤمر بالحاقهم به ثم تلا ابن عباس والذين امنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان الى اخر الاية» وقال «وروى قيس عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله ليرفع ذرية المؤمن اليه فى درجته وان كانوا دونه في العمل ليقربهم عينه ثم قرأ والذين امنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان الحقنابهم ذرياتهم وما التناهم من عملهم من شيء قال مانقصنا الاباء مما اعطينا البنين» اهـ وروى الحديث الاول الطبرانى في الصغير وتبرع (التلميذ) بايراده فقال «حدثنا عبد الله بن ابان الدقيقي البغدادي حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن غزوان ابو عبد الله حدثنا شريك عن سالم الافطس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال اذا دخل الرجل الجنة فذكر نحوه ثم قال الطبرانى «لم يروه عن سالم الاشريك تفرد به ابن غزوان» وقد نقل ابن العاقب عقبه ماقيل فى ابن غزوان وسالم الافطس ظنا منه ان الحديث لم يرو الا من طريقهما لقول الطبرانى «لم يروه عن سالم الاشريك تفرد به ابن غزوان» مع انه قد روى مرفوعا من طرق أخرى وانما قصر الطبرانى التفرد على هذا السند وهذا أمر ينبغي ان يتفطن له فان كثيرا من الحفاظ قد يذكر حديثا ثم يعقبه بقوله غريب او باطل اوضعيف وانما يعني انه كذلك بتلك الرواية او بذلك السند فقط فاذا رآه الجاهل ظن ان المراد بذلك متن الحديث والامر بخلافه وقد اخرجه الطبراني فى الكبير وهذا الحديث قد ذكره الزرقاني في شرح المواهب فقال اخرج ابن مردويه وصححه الضياء المقدسي عن ابن عباس رفعه فذكره، اما الحديث الثاني فقد اخرجه

الطبراني والبزار وابن مردويه وابو نعيم والبغوي والثعلبي قال البغوي «اخبرنا ابو سعيد احمد بن ابراهيم الشريحي اخبرنا ابو اسحق الثعلبي اخبرني الحسين بن محمد بن عبد الله الحديثي حدثنا سعيد بن محمد بن اسحق الصيرفي حدثنا محمد بن عثمان بن ابي شيبة حدثنا جبارة بن المغلس حدثنا قيس بن الربيع حدثنا عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن بن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكرلا به وستعلم مما نذكرلا من الطرق المرفوعة عن الطحاوى والنحاس والحافظ عبد الغني المصرى انه يرتقى الى درجة الصحيح وكفى بتلك الشواهد تقوية له لاسيما وقد صححه الضياء المقدسي وسيأتي ذكر قيس بن الربيع اما جبارة بن المغلس فقد روى له ابن ماجه ترجمه في تهذيب التهذيب وقال «عن ابن نمير صدوق وقال مسلمة ثقة ان شاء الله وقال صالح جزرة كان رجلا صالحاً سألت ابن نمير عنه فقال كان لان يخر من السماء الى الارض احب اليه من ان يكذب وقال عثمان بن ابي شيبة جبارة اطلبنا للحديث واحفظنا قال وامرني الاثرم بالكتابة عنه فسمعت معه عليه بانتخابه» اه ملتقطا وتكلم فيه اخرون فحديثه فى رتبة حديث السنن

﴿روايات الطحاوي فى مشكل الآثار﴾

ذكر الطحاوى في مشكل الآثار له روايات في الآية ومنها ماهو مرفوع فلا باس بايرادها قال «بيان مشكل حديث عبد الله بن عباس الذي يرفعه بعض رواته الى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ويوقفه بعضهم على ابن عباس في قوله عزوجل والذين آمنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان الحقنابهم ذرياتهم ✲ حدثنا ابراهيم بن مرزوق ثنا ابو الوليد الطيالسي ثنا شعبة ثنا عمرو بن مرة سألت سعيد بن جبير عن هذه الآية والذين آمنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان ✲ قال قال ابن عباس المؤمن يرفع الله له ذريته ليقر الله عينه وان كانوا دونه في العمل (قال)

ابو جعفر هكذا يحدث شعبة بهذا الحديث عن عمرو بن مرة لايجاوز به ابن عباس ، واما الثوري فكان يحدث به عن شيخ له يقال له سماعة عن عمرو بن مرة فيروي محمد بن بشر العبدى عنه انه رفعه الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ويروى محمد بن يوسف الفريابي عنه انه اوقفه على ابن عباس (كما حدثنا) ابراهيم بن ابي داود ثنا احمد بن شعيب الكوفي ثنا محمد بن بشر عن سفيان عن سماعة عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ان الله ليرفع ذرية المؤمن معه في درجته وان لم تبلغها في العمل ليقربها عينه ثم قرأ والذين آمنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان * حدثنا عبد الله بن محمد بن سعيد بن ابي مريم حدثنا الفريابي حدثنا سفيان حدثني سماعة حدثني عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ولم يرفع قال ان الله عزوجل ليرفع ذرية المؤمن في درجته ليقربهم عينه وان كانوا دونه في العمل (قال ابو جعفر) وقد روى هذا الحديث ايضا عن عمرو بن مرة قيس بن الربيع الاسدى فلم يجاوز به عن ابن عباس (كما حدثنا) ابن ابي مريم ثنا الفريابي ثنا قيس بن الربيع عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ثم ذكر مثله (١) حديثه عن الفريابي عن سفيان عن سماعة وزاد ثم قرأ والذين آمنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان الآية (قال ابو جعفر) وهذا الحديث فنحن نحيط علما ولولم نجد احدا من رواته رفعه الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان ابن عباس لم يأخذه الا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذ كان الذي فيه اخبار عن الله عزوجل بمراده في الآية المذكورة وذلك ممالايؤخذ من غير النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم تأملنا نحن ما في هذا الحديث فوجدنا فيه رفع الله تعالى ذرية المؤمن الذى هم ذريته ليقربهم عينه والحاقه اياهم به ووجدنا غير النبي صلى الله عليه وآله وسلم من المؤمنين قد دخل في ذلك فعقلنا بذلك ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ادخل في ذلك منهم وانه في الحاق

---

(١) كذا في الاصل ولعله مثل

الله عزوجل به ذريته المتبعة له بالايمان ليقر عينه بذلك اولى من سائر المؤمنين سواه وانما كان ذلك لسائر المؤمنين سواه ليقر به عينهم(١) كان له في ذريته المتبعة له بالايمان اولى وكانوا بذلك منه احرى والله نسأله التوفيق» اه

رواية الحافظ ابي عبد الله الحاكم صاحب المستدرك

اخبرنا محمد بن علي الصنعاني بمكة ثنا اسحاق بن ابراهيم بن عباد انبأنا عبد الرزاق انبأنا الثوري عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله عزوجل الحقنا بهم ذرياتهم وما التناهم قال ان الله يرفع ذرية المؤمن معه في درجته في الجنة وان كانوا دونه في العمل ثم قرأ والذين آمنوا واتبعتهم ذرياتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم يقول وما نقصناهم

رواية الحافظ عبد الغني المصري

قال في كتابه المؤتلف والمختلف فى اسم حيد بن علي البلخي ابو علي حدثنا عنه ابو يعقوب الباوردي قال حدثنا ابو علي حيد بن علي البلخي قال حدثنا جعفر بن محمد بن عمران قال حدثنا محمد بن بشر قال حدثنا سفيان هو الثوري وساق الحافظ عبد الغني نحو سند الطحاوي ومتنه ثم قال «ورواه احمد بن اشكاب عن محمد بن بشر فرفعه» اه وقد رواه النحاس من طريق احمد بن شعيب

ذكر كلام ابن القيم فى معنى الاية

قال ابن القيم فى كتابه حادي الارواح بعد ان ذكر الحديثين السابقين مانصه وقد اختلف المفسرون فى الذرية فى هذه الآية هل المراد بها الصغار او الكبار او النوعان على ثلاثة اقوال واختلافهم بني على ان قوله بايمان حال من الذرية التابعين او المؤمنين المتبوعين فقالت طائفة المعنى والذين امنوا واتبعناهم ذرياتهم فى ايمان فأتوا من الايمان بمثل ما اتوا به الحقناهم بهم فى الدرجات قالوا ويدل على هذا قرآءة واتبعتهم ذريتهم فجعل الفعل فى الاتباع لهم قالوا وقد اطلق الله سبحانه الذرية على الكبار كما قال ومن ذريته داود وسليمان وقال ذرية من حملنا مع نوح وقال

---

(١) لعله اعينهم

وكنا ذرية من بعدهم افتهلكنا بما فعل المبطلون وهذا قول الكبار العقلاء (١) قالوا ويدل على ذلك مارواه سعيد بن جبير عن ابن عباس يرفعه ان الله يرفع ذرية المؤمن الى درجته وان كانوا دونه في العمل لتقربهم عينه فهذا يدل على انهم دخلوا باعمالهم ولكن لم يكن لهم اعمال يبلغون بها درجة ابائهم فبلغهم اياها وان تقاصر عملهم عنها قالوا وايضا فالايمان هو القول والعمل والنية وهذا انما يمكن من الكبار وعلى هذا فيكون المعنى ان الله يجمع ذرية المؤمن اليه اذا اتوا من الايمان بمثل ايمانه اذ هذا حقيقة التبعية وان كانوا دونه في العمل (٢) رفعهم الله الى درجته اقرارا لعينه وتكميلا لنعيمه وهذا كما ان زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم معه في الدرجة تبعاً وان لم يبلغن تلك الدرجة باعمالهن وقالت طائفة اخرى الذرية ههنا الصغار والمعنى والذين آمنوا واتبعناهم ذرياتهم في ايمان الاباء والذرية تتبع الاباء وان كانوا صغاراً في الايمان واحكامه من الميراث والدية والصلاة عليهم والدفن في قبور المسلمين وغير ذلك الا فيما كان من احكام البالغين ويكون قوله بايمان على هذا فى موضع نصب على الحال من المفعولين اي واتبعناهم ذرياتهم بايمان الاباء قالوا ويدل على صحة هذا القول ان البالغين لهم حكم انفسهم فى الثواب والعقاب فانهم مستقلون بانفسهم ليسوا تابعين الاباء فى شئ من احكام الدنيا ولا احكام الثواب والعقاب لاستقلالهم بانفسهم ولوكان المراد بالذرية البالغين لكان اولاد الصحابة البالغون كلهم فى درجة ابائهم ويكون اولاد التابعين البالغون كلهم في درجة ابآئهم وهلم جرا الى يوم القيامة فيكون الاخرون فى درجة السابقين قالوا ويدل عليه ايضا انه سبحانه جعلهم معهم تبعا فى الدرجة كما جعلهم تبعا معهم في الايمان ولوكانوا بالغين لم يكن ايمانهم تبعا بل ايمان استقلال قالوا ويدل عليه ان الله سبحانه جعل المنازل في الجنة بحسب الاعمال في حق المستقلين واما الاتباع فان الله سبحانه يرفعهم الى درجة اهليهم وان لم يكن لهم اعمالهم كما تقدم وايضا فالحور

---

(١) اى الذرية الكبار الخ (٢) في الاصل المنقول عنه في الا يمان فليحرر

العين والخدم في درجة اهليهم وان لم يكن لهم عمل بخلاف المكلفين البالغين فانهم يرفعون الى حيث بلغتهم اعمالهم وقالت فرقة منهم الوجه ان تحمل الذرية على الصغار والكبار لان الكبير يتبع الاب بايمان نفسه والصغير يتبع الاب بايمان الاب قالوا والذرية تقع على الصغير والكبير والواحد والكثير والابن والاب كما قال تعالى وآية لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون اي اباءهم والايمان يقع على الايمان التبعي وعلى الاختيارى الكسبي فمن وقوعه على التبعي قوله فتحرير رقبة مؤمنة فلو اعتق صغيرا جاز قالوا واقوال السلف تدل على هذا قال سعيد بن جبير عن ابن عباس ان الله يرفع ذرية المؤمن في درجته وان كانوا دونه فى العمل لتقربهم عيونهم ثم قرأ هذه الاية وقال ابن مسعود فى هذه الاية الرجل يكون له القدم ويكون له الذرية فيدخل الجنة فيرفعون اليه لتقربهم عينه وان لم يبلغوا ذلك وقال ابو مجلز يجمعهم الله له كما كان يحب ان يجتمعوا في الدنيا وقال الشعبي ادخل الله الذرية بعمل الاباء الجنة وقال الكلبي عن ابن عباس ان كان الاباء ارفع درجة من الابناء رفع الله الابناء الى الاباء وان كان الابناء ارفع درجة من الاباء رفع الله الاباء الى الابناء وقال ابراهيم اعطوا مثل اجورهم ولم ينقص الاباء من اجورهم شيئاً قالوا ويدل على صحة هذا القول ان القراءتين كالآيتين فمن قرأ واتبعتهم ذريتهم فهذا في حق البالغين الذين تصح نسبة الفعل اليهم كما قال تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان ومن قرأ واتبعناهم ذرياتهم فهذا في حق الصغار الذين اتبعهم الله اياهم في الايمان حكما فدلت القراءتين على النوعين قلت واختصاص الذرية ههنا بالصغار اظهر لئلايلزم استواء المتاخرين والسابقين فى الدرجات ولايلزم مثل هذا فى الصغار فان اطفال كل رجل وذريته معه في درجته والله اعلم » اه

﴿ الكلام على ماقاله ابن القيم في معنى الاية ﴾

الذي نقلناه عن ابن القيم غاية فى بابه فى البسط والشرح وتحرير الاقوال وفي كلامه مواضع تستحق التنبيه (الاول) انه لم يحك

عن المفسرين الا ثلاثة اقوال كلها راجعة الى الذرية لا المؤمنين المتأخرين كما زعم السوداني وتلميذه (الثاني) ان الاقوال الثلاثة كلها مجمعة على ان الالحاق واقع بمحض الفضل الواسع حتى للذرية الكبار ذوي الاعمال التي لم تبلغهم الى درجة ابائهم (الثالث) انه قال فأتوا من الايمان بمثل ما أتوا به ومراده بالمثلية مطلق المشابهة لا لجميع وجوهها ولذلك قال بعد ذلك مانصه «يرفع الله ذرية المؤمن الى درجته وان كانوا دونه فى العمل» وقال ايضا «فهذا يدل على انهم دخلوا اي الجنة باعمالهم ولم يكن لهم اعمال يبلغون بها درجة ابائهم فبلغهم اياهاوان تقاصر عملهم عنها» اه وهذا يخالف اشتراط السوداني المساواة فى الايمان والاعمال وفى كل جليل وحقير من كل وجه وبكل صفة لانه لا الحاق مع استيجاب المساواة والاُتباع لايستلزم الاَتباع (١) وليس كل من أُتبع أتبع وقال ايضا «فيكون المعنى ان الله سبحانه يجمع ذرية المؤمن اليه اذا أتوا من الايمان بمثل ايمانه اذ هذا حقيقة التبعية وان كانوا دونه فى العمل اقراراً لعينه وتكميلا لنعيمه وهذا كما ان زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم معه فى الدرجة وان لم يبلغن تلك الدرجة باعمالهن» اه فقد بان لك انه عنى بالمثلية فى الايمان مطلق المشابهة وصرح بنقص اعمال التابع ولم يشترط ان يكون للتابع من انواع الاعمال ولا كميتها ما للمتبوع ولذلك ضرب المثل بازواجه صلى الله عليه واله وسلم فانهن يقصرن عنه ايمانا وعلما وعملاً فان له صلى الله عليه واله وسلم من الاعمال ماليس

---

(١) الاول بالوصل وتشديد التاء بمعنى قفو الأثر والثاني بالقطع وسكون التاء بمعنى الادراك ومعناه قرآءتي واتبعتهم وأتبعناهم اه مؤلف

لهن مثله ولا ما يقاربه بل ولا لسائر الامة وهكذا القول فى ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم (الرابع) مااحتجت به الطائفة القائلة بان المراد بالذرية الصغار من أنه يلزم ان يكون الاخرون في درجة السابقين ليس بشيء فان هذا لامحذور فيه واذا ورد بمثله النص وجب قبوله فان العقول لامدخل لها في مثله ولاحكم ولايلزم اذا كانوا فى درجة واحدة ان يتساوى نعيمهم ومقامهم وثوابهم فقد يجتمع الاثنان والثلاثة فى قرية اودائرة ثم تتفاوت حالهم تفاوتا عظيما فلا يلزم من الحاق الذرية بدرجة ابائهم السابقين ان يكون لهم مثلما لابائهم من القصور والحور والخدم والنعم والتحف والمواهب والمفهوم من درجات الجنة انها منازل وجهات متفاوتة في العلو فقد يعطى بعض اهل الدرجات من كثرة النعيم مالم يعطه من هو اعلا منزلة منه ولايلزم من رفعة الدرجة كثرة النعيم كما لايلزم من السبق الى دخول الجنة رفعة المنازل لاسيما ان كان الاعلا انما رفعت درجته تبعا كما ان زوجاته صلى الله عليه واله وسلم في درجته وبينهن وبينه بون شاسع فان له من المواهب والنعم العظيمة ماليس لهن مثله ولا ما يقاربه كالحور والخدم كما ورد عن سفيان وغيره قال كانوا يقولون النجاة من النار بعفو الله ودخول الجنة برحمته واقتسام المنازل والدرجات بالاعمال وفي المسند من حديث ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ان فى الجنة مائة درجة ولو ان العالمين اجتمعوا فى احداهن

وسعتهم ولا مانع ان يختص الصالح وذريته بناحية في الجنة كما تختص بعض الشعوب في الدنيا بقارة من القارات الارضية ومما ينحو نحو هذا خلاصة محاورة وقعت بين السيد العلامة المحقق ابي بكر بن عبد الرحمن بن شهاب الدين مع عالم مدني قال (المدني) ان تفضيل عائشه على فاطمة قطعي لان عائشة في درجة النبي صلى الله عليه واله وسلم وفاطمة فى درجة علي فقال (السيد ابو بكر) ايما ارفع درجة محمد ام درجة ابراهيم خليل الرحمن؟ قال درجة محمد قال: اذا فعائشة بل ومارية وجميع من ولدهم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ارفع وافضل من ابراهيم وموسى وعيسى لانهم ملحقون بمحمد فى درجته وهي قطعا ارفع واعلا فوجم (المدني) لفساد دليله وطلب الحاضرون من السيد ابي بكر بيان ما عنده فيما قاله المدني فقال: ان لكل سعيد مقام معلوم خصصه المولى به وبتلك المقامات الخاصة المفاضلة واما ما كان بالالحاق فوجود الملحق فى درجة الملحق به كوجود الندماء والزوجات والسراري والطهاة في قصر الملك لا يكونون به افضل من الوزراء والقضاة والمفتين والقواد ولكل درجات مما عملوا اه وقد روى عن عائشة قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه واله وسلم فقال يارسول الله انك لاحب الي من نفسي وانك لاحب الي من اهلي واحب الي من ولدي واني لاكون في البيت فاذكرك فما اصبر حتى آتيك فانظر اليك واذا ذكرت موتي وموتك عرفت انك ان دخلت الجنة رفعت مع النبيين

واني اذا دخلت الجنة خشيت ان لااراك فلم يرد عليه النبي صلى الله عليه واله وسلم حتى نزل جبريل بهذه الآية ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا قال الحافظ ابو عبد الله الضياء المقدسي لااعلم باسناد هذا الحديث بأسا فهذا إلحاق بالمحبة وان قصر العمل ومن هذا المعنى حديث المرءُ مع من احب وهو حديث صحيح ثابت مشهور وايضا فاذا جاز ان تكون الذرية الصغار في درجة ابائهم وليس لهم ايمان استقلالي ولاعمل يرجعون اليه الافضل الله ونعم المرجع هو فجواز مثل ذلك للذرية الكبار اولى فان ايمانهم الاستقلالي لم يزدهم الاخيراً (الخامس) دليل الفرقة القائلة بان الذرية تعم الصغار والكبار قوي وكذلك قولهم فى الايمان التبعي ويؤيده قرأة واتبعناهم وتخصيص الذرية باحدهما فقط يحتاج الى دليل فانها تحتمل النوعين والرواية عن ابن عباس دليل صالح للقولين معاً والقول بانهم الصغار فقط يلزم منه ان يكون من لاايمان ولاعمل له اصلاً اولى بالفضل ورفعة الدرجة ممن له ايمان وعمل وهذا وان كان لايمتنع عقلا ولكن القلب الى شمول الآية للنوعين الصغار والكبار أميل والله اعلم

﴿ ذكر القرآت والاعراب واللغة وما تعلق بذلك فى هذه الاية ﴾

قرأ ابو عمرو (واتبعناهم) بقطع الالف ونون العظمه (ذرياتهم) بالالف على الجمع وكسر التاء فيهما لقوله (الحقناهم وما التناهم) ليكون الكلام على نسق واحد

اما أَتبع فى اللغة فهو من الاتباع بقطع الالف وسكون التاء وهو الادراك واللحاق قال فى المخصص «أتبعت القوم (اى بقطع الالف وسكون التاء) اذا كانوا سبقوك فلحقتهم وتبعتهم اذا مروا بك فمضيت معهم» اه قال في المفرادت يقال أتبعه اذا لحقه قال فأتبعوهم مشرقين ثم أتبع سببا وأتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة فأتبعه الشيطان فاتبعنا بعضهم بعضا » اه وكل هذا بمعنى لحق ومن ذلك قوله تعالى فأَتبعهم فرعون بجنوده اي فالحقهم اياهم وكان الكسائي يقرأ فأتبع سببا بقطع الالف وسكون التاء اي لحق وادرك وفي المثل أتبع الفرس لجامها وأتبع الناقة زمامها وأتبع الدلو رشاءها كل ذلك يضرب للامر باستكمال المعروف واستتمامه وعلى الاخير قول قيس بن الخطيم

اذا ماشربت اربعا خط مزري ❀ واتبعت دلوى فى السماح رشاءها

ويقال أَتبعه الشئ اذا جعله تابعا له وقرأ نافع واهل المدينة (وأتبعتهم) بوصل الالف وتشديد التاء بعدها وبتاء التأنيث الساكنه ذريتهم بالافراد وضم التاء (الحقنا بهم ذرياتهم) بالجمع وكسر التاء وقرأ ابن كثير والكوفيون (وأُتبعتهم) كقرأة نافع (ذريتهم) بالافراد في الموضعين مع رفع الاولى ونصب الثانية وقرأ ابن عامر (وأُتبعتهم) كقرأة نافع (ذرياتهم) بالجمع فيهما مع الرفع فى الاولى والكسر في الثانية اما أتبع بالوصل وتشديد التاء فهو في اللغة من الاتباع بمعنى قفو الأثر يقال تبعه وأتبعه الاخير بتشديد التاء اذا مشى خلفه وقفى اثره قال ابو عبيد أتبعتهم مثل افتعلت اذا مروا بك فمضيت معهم ويقال مازلت أتبعهم حتى أَتبعتهم اي حتى

ادركتهم ونقل في المخصص عن ابي عبيد أتبعت القوم اذا كانوا سبقوك فلحقتهم وأتبعتهم اذا مروابك فمضيت معهم الاول بالقطع والثاني بالوصل ، اما قوله الحقنا بهم فانه من اللحق واللحاق وهوالادارك يقال لحقته لحاقا ولحوقا والحقته اياه وبه ويقال الحقت زيداً بعمرو وأتبعته اياه فلحق به وقوله وما التناهم قرأ ابن كثير بكسر اللام والباقون بفتحها وهو من الالت وهو النقص كذلك قال علماء العربية وبذلك قال المفسروه فرواه ابن جرير بالاسانيد الصحيحة عن ابن عباس ومجاهد والربيع بن انس وفسر بعضهم الألت بالظلم وهو تفسير بالمجاز اذا الظلم يستلزم النقص فرواه من طريق واحد عن ابن جبير ومن اخريين عن قتادة والضحاك اما ابن زيد فجمع بينهما فقال وما التناهم لم نظلمهم من عملهم من شيء لم ننتقصهم فنعطيه ذرياتهم

اما الاعراب فقوله تعالى (والذين امنوا واتبعتهم ذرياتهم) مبتدا وصلته، خبره (الحقنا) واجاز ابو البقاء ان يكون (والذين امنوا) فى موضع نصب بفعل محذوف تقديره واكرمنا الذين امنوا وقال الزمخشرى والذين امنوا معطوف على بحور عين اى قرناهم بالحور العين (وبالذين آمنوا) اى بالرفقاء والجلساء منهم كقوله اخوانا على سرر متقابلين ثم قال الزمخشرى (بايمان الحقنا بهم ذرياتهم) اى بسبب ايمان عظيم رفيع المحل وهو ايمان الاباء الحقنا بدرجتهم ذرياتهم وان كانوا لا يستاهلونها تفضلا عليهم فيكون الجار والمجرور متعلق بالحقنا وقد رد ابو حيان قول الزمخشري فقال ولا يتخيل

اعجمى مخالف لفهم العربي القح ابن عباس وغيره وانتصر السمين للزمخشرى فقال قلت اما ماذكره ابو القاسم من المعنى فلاشك فى حسنه ونضارته وليس في الكلام العربي مايدفعه بل لوعرض على ابن عباس وغيره لاعجبهم واى مانع معنوى او صناعي يمنعه وقوله (واتبعناهم) يجوز ان يكون معطوفا على الصلة ويكون (والذين امنوا) مبتدا ويتعلق بايمان باتبعناهم ويكون المعنى (والذين امنوا واتبعناهم ذرياتهم) الصغار بايمان اى جعلناهم فى حكمنا مؤمنين تبعا لابائهم المؤمنين (الحقنابهم) اى بالذين آمنوا (ذرياتهم) المذكورين في الدرجة وان لم يبلغوا الايمان والاعمال الاستقلاليين ويجوز ان يكون واتبعناهم معترضا بين المبتدأ والخبر قاله الزمخشرى وقوله بايمان يجوز ان يتعلق باتبعناهم ويجوز ان يتعلق بالحقنا وهو قول الزمخشرى وقاله ابو حيان وهو مقتضى رواية ابن عباس والجمهور قال الزمخشرى فان قلت مامعنى تنكير الايمان قلت معناه الدلالة على انه ايمان خاص عظيم المنزلة ويجوز ان يراد ايمان الذرية الداني المحل كأنه قال بشيء من ايمان لايؤهلهم لدرجة الاباء الحقناهم بهم اه

(ومن) مباحث اللفظ مراجع الضمائر المنصوبة والمجرورة في الاية وهي عائدة عند الجمهور على الذين امنوا في (اتبعناهم وذرياتهم وبهم وذرياتهم الثانية والتناهم وعملهم) وهذا احسن الاقوال واجلاها وهو الموافق لمقتضى قواعد البلاغة وما خرج عن ذلك فهو خارج عن الأصل قال السيوطي «قاعدة الاصل توافق الضمائر في المرجع حذراً من التشتيت ولهذا

لماجوز بعضهم في (أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم) ان الضمير فى الثاني للتابوت وفى الاول لموسى عابه الزمخشري وجعله تنافراً مخرجا للقران عن اعجازه فقال والضمائر كلها راجعة الى موسى ورجوع بعضها اليه وبعضها الى التابوت فيه هجنة لما يؤدى اليه من تنافر النظم الذى هو أم اعجاز القرآن ومراعاته اهم ما يجب على المفسر» اه وجعل ابن زيد الضمير من قوله الحقنابهم يرجع الى الذرية الكبار وهم المذكورون في قوله اتبعناهم ذريتهم بايمان وجعله من قوله ذريتهم الثانية وقوله ألتناهم من عملهم راجع الى الذين آمنوا فيكون المعنى والذين آمنوا واتبعناهم ذريتهم الكبار بايمان اي بايمان الذرية الكبار انفسهم الحقنابهم اي الذرية الكبار ذريتهم اى ذرية الذين آمنوا الصغار وما ألتناهم اى ما ألتنا الكبار من عملهم من شيء فنعطيه الصغار هكذا قال بلفظ الكبار والمراد بذلك الاباء كما يدل عليه اول عبارته فراجعه، وخلاصة المعنى ان الله يجمع للمؤمن ذريته الكبار والصغار فى الجنة الكبار بايمانهم انفسهم والصغار بفضل رحمة الله اياهم اما السوداني فجعل الضمائر كلها ترجع الى الذين آمنوا الا في قوله تعالى التناهم فاضطرب قوله فيه فارجعه مرة الى الاباء والذرية ومرة الى الذرية فقط لكن لا بالمعنى الذى قاله ابن زيد، واعلم ان قول ابن زيد ضعيف لما فيه من تفريق الضمائر واحسب ان الذى حمله على ذلك هو جعله الذرية الثانية غير الاولة وحمله على ذلك اعادتها بالاسم الظاهر دون ضميرها وهذا ليس بدليل لان اعادة ذلك بالاسم الظاهر دون المضمر هو ما تقتضيه البلاغة وبيان ذلك ان جملتي قوله تعالى والذين آمنوا وقوله واتبعتهم ذريتهم بايمان

وان كانا في حكم جملة واحدة لانها جزءآ الصلة ولان الخبر انما انبنى عليها معا ولكن الجملة الاولى هي الاصل والجملة الثانية منبنية عليها فهي كالفرع والاولى بجزئيها هي المحدث عنها فلابد ان تكون الضمائر العائدة اليهما مرتبة ترتيبهما فيتقدم الضمير الراجع الى الذين آمنوا على الضمير الراجع الى الذرية وذلك هو الذي تطلبه البلاغة فلما قدم في الخبر الضمير الراجع الى الذين آمنو وهو الهاء والميم من قوله الحقنابهم لم يبق محل للاتيان بضمير الذرية فعدل عنه الى الاتيان بالاسم الظاهر وهو ذريتهم ولو قال الحقناهم بهم اي الاباءللزم تقديم ضمير الذرية على ضمير الذين آمنوا وفيه تشويش للنظم وقلب للترتيب وهذه نكتة لم ار من نبه عليها

﴿ الكلام على الاعتراض والاحتراس الواقعين فى هذه الاية ﴾

اتفقت الروايات المنقولة على الاشارة إلى ما في قوله تعالى وما التناهم من عملهم من شيء من الاحتراس لدفع توهم ان اجور الاباء تنقص بسبب الحاق ذريتهم بهم ونقل ذلك عن ابن عباس وابن جبير والشعبي والضحاك وابن زيد ومجاهد والربيع بن أنس وقال ذلك غيرهم وقد عقد الامام العلامة ابو نصر احمد بن محمد الحدادي فصلاً للجمل المعترضة في كتابه المدخل لعلوم القرآن فساق امثلة كثيرة الى ان قال « ومثاله في القرآن والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنابهم ذرياتهم وما التناهم من عملهم من شيء ثم اعترض كلام اخر وهو قوله كل امرئ بما كسب رهين ثم رجع الى ذكر المتقين فقال وامددناهم بفاكهة الاية » اه كلامه وهو اعم مما يسميه النحاة بالجملة المعترضة ولعلماء البيان فيه اصطلاح خاص ومما لم ينبه

عليه الشيخ رحمه الله تعالى ان لكل اعتراض مما ذكره نكتة اما جلية او خفية فمنها ما يأتى اتماماً لمكملات الخبر واطرافه ووجوهه ترفيها على السامع، وكفا لشواغله وما يشجنه مما يجول بخاطره عند سماعه اول الكلام كالواقع فى هذه الاية وذلك أن المؤمن اذا سمع ماقصه الله تعالى من نعيم اهل الجنة ومزيد كرامتهم وماهم لاقوه انبعث فى قلبه الرجاء واشتدت الرغبة وتصور كينونته في ذلك النعيم ومن طباع البشر ان احدهم اذا تصور نعيما او راحة تتجدد له يكون اول مايخطر له اجتماع شمله فيها بذريته لتقر عينه بمشاركتهم له في نعمته وتقلبهم في اذيال كرامته ، فجاءت هذه الاية معترضة بين الآيات التى فيها تعداد نعيم اهل الجنة ووصفه وتفصيل انواعه مبينة للسامع حكم مايختلج بضميره، وينتزعه خياله وتتوق اليه نفسه، وفي قوله وما ألتناهم من عملهم من شيء اعتراض آخر جاء للاحتراس عما يتوهم ان المؤمنين اذا الحقت بهم ذرياتهم نقص ذلك من اجورهم وثواب اعمالهم فاخبر الله ان هذا الالحاق لاحق بمزيد الكرامة والنعيم الذى اعطوه فهو مزيد فضل على فضل لا ينتقص به من اجورهم شيئاً، وللاعتراضات اسباب اخر منها وروده لتتميم حكم كما في قوله فى هذه الاية كل امرئ بما كسب رهين فان الوهم يذهب بالسامع اذا سمع حكم الله في المؤمنين وذرياتهم الى ان معرة الكافرين تلحق ابناءهم المؤمنين او أن سنته تعالى فى اهل الجحيم كسنته في اهل النعيم فدفع الله ذلك

بذكر حكم اهل الذنوب بقوله كل امرئ بما كسب رهين لان اصحاب الجنة قد فكت رهانهم قال الله تعالى كل نفس بما كسبت رهينة الا اصحاب اليمين فلا تكون هذه الجملة فيهم والقران يفسر بعضه بعضا. ومما اتى لدفع التوهم قوله تعالى لا نكلف نفسا الا وسعها بعد قوله الا الذين امنوا وعملوا الصالحات اذ قد يتوهم ان العمل الصالح لايكون نافعاً الا اذا بلغ فيه صاحبه فوق الوسع والى ماوراء حد الطاقة فجاءت هذه الجملة تفتح باب اليسر وتغلق مدخل الحرج، ومنها الرد على شبهة اونحوها كالجملة المعترضة بعد حكايته عن اليهود قولهم ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم اي لا تصدقوا بالنبوة والكتاب الا لمن تبع دينكم فقوله تعالى ان الهدى هدى الله جملة معترضة جاءت رادة عليهم قولهم اي ان الهدى من عنده وبيده يؤتيه من يشاء ويجعله على يد من يشاء فليس لكم ان تدعوا احتكاره، ومنها الاستطراد الى الموعظة والتذكير وهذا كثير في القرآن كالاعتراض الواقع بعد قوله تعالى وابراهيم اذقال لقومه الايات فى سورة العنكبوت ثم عاد الى بقية القصة وهناك اسباب اخرى لا نطيل بشرحها ولابن القيم رحمه الله تعالى كلام فى الاحتراس المذكور في هذه الاية فلنورده اتماما للفائدة واستظهاراً لما ذكرنا قال في اعلام الموقعين وهو يذكر الاحترازات ودفع التوهمات «ومن ذلك قوله تعالى والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنابهم ذريتهم وما التناهم من عملهم شيء لما اخبر سبحانه بالحاق الذرية ولا عمل لهم باباءهم فى الدرجة فربما توهم متوهم ان يحط الاباء الى درجة الذرية فدفع هذا التوهم بقوله وما التناهم من عملهم من شيء اى ما نقصنا الاباء شيئاً من

اجور اعمالهم بل رفعنا ذريتهم الى درجتهم ولم نحطهم من درجاتهم بنقص اجورهم ولما كان الوهم قد يذهب الى انه يفعل ذلك باهل النار كما يفعله باهل الجنة منع هذا الوهم بقوله كل امرئ بما كسب رهين» اه وذكر ذلك في كتابه اقسام القرآن بعبارة اخرى فقال «فصل ثم اخبر سبحانه عن تكميل نعيمهم بالحاق ذرياتهم بهم في الدرجة وان لم يعملوا اعمالهم لتقر اعينهم بهم ويتم سرورهم وفرحهم واخبر سبحانه انه لم ينقص الاباء من عملهم من شئ بهذا الالحاق فينزلهم من الدرجة العليا الى الدرجة السفلى بل الحق الابناء بالاباء ووفر على الاباء اجورهم ودرجاتهم ثم اخبر سبحانه ان هذا انما فعله في اهل الفضل واما اهل العدل فلا يعمل بهم ذلك بل كل امرئ بما كسب رهين ففى هذا دفع لتوهم التسوية بين الفريقين بهذا الالحاق كما ان في قوله وما ألتناهم من عملهم من شئ دفع لتوهم حط الاباء الى درجة الابناء وقسمة اجور الاباء بينهم وبين الابناء فينقص اجر اعمالهم فدفع هذا التوهم بقوله وما التناهم من عملهم من شئ اي مانقصناهم » اه

كلام ابن تيمية

قال : « من اعتقد ان الانسان لاينتفع الا بعمله فقدخرج عن الاجماع وذلك باطل من وجوه كثيرة (احدها) ان الانسان ينتفع بدعاء غيره وهو انتفاع بعمل الغير (ثانيها) ان النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم يشفع لاهل الموقف فى الحساب ثم لاهل الجنة في دخولها (ثالثها) لاهل الكبائر في الخروج من النار وهذا انتفاع بسعي الغير (رابعها) ان الملائكة يدعون ويستغفرون لمن في الارض وذلك منفعة بعمل الغير (خامسها) ان الله تعالى يخرج من النار من لم يعمل خيراً قط بمحض رحمته وهذا انتفاع بغير عملهم (سادسها) ان اولاد المؤمنين يدخلون الجنة بعمل ابائهم وذلك انتفاع بمحض عمل الغير (سابعها) قال تعالى في قصة الغلامين اليتيمين وكان ابوهما صالحا فانتفعا بصلاح ابيهما وليس من سعيهما (ثامنها) ان الميت ينتفع بالصدقة عنه وبالعتق بنص السنة والاجماع وهو

من عمل الغير (تاسعها) ان الحج المفروض يسقط عن الميت بحج وليه بنص السنة وهو انتفاع بعمل الغير (عاشرها) ان الحج المنذور او الصوم المنذور يسقط عن الميت بعمل غيره بنص السنة وهو انتفاع بعمل الغير (حادي عشرها) المدين قد امتنع صلى الله عليه وآله وسلم من الصلاة عليه حتى قضى دينه ابوقتادة وقضى دين الاخر علي بن ابي طالب وانتفع بصلاة النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم وهو من عمل الغير (ثاني عشرها) ان النبي صلى الله عليه (آله) وسلم قال لمن صلى وحده الارجل يتصدق على هذا فيصلي معه فقد حصل له فضل الجماعة بفعل الغير (ثالث عشرها) ان الانسان تبرأ ذمته من ديون الخلق اذ اقضاها قاض عنه وذلك انتفاع بعمل الغير (رابع عشرها) ان من عليه تبعات ومظالم اذا حلل منها سقطت عنه وهذا انتفاع بعمل الغير (خامس عشرها) ان الجار الصالح ينفع في المحيا والممات كما جاء في الاثر وهذا انتفاع بعمل الغير (سادس عشرها) ان جليس اهل الذكر يرحم بهم ولم يكن منهم ولم يجلس لذلك بل لحاجة عرضت له والاعمال بالنيات فقد انتفع بعمل غيره (سابع عشرها) الصلاة على الميت والدعاء له في الصلاة انتفاع للميت بصلاة الحي عليه وهو عمل غيره (ثامن عشرها) ان الجمعة تحصل باجتماع العدد وكذلك الجماعة بكثرة العدد وهو انتفاع للبعض بالبعض (تاسع عشرها) ان الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم وماكان الله ليعذبهم وانت فيهم وقال تعالى ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات وقال تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض فقد رفع الله العذاب عن بعض الناس بسبب بعض وذلك انتفاع بعمل الغير (عشروها) ان صدقة الفطر تجب على الصغير وغيره ممن يمونه الرجل فانه ينتفع بذلك من يخرج عنه ولاسعي له فيها (حادي عشريها) ان الزكاة تجب في مال الصبي والمجنون ويثاب على ذلك ولاسعي له ومن تأمل العلم وجد من انتفاع الانسان بما لم يعمله ما لايكاد يحصى فكيف يجوز ان تتأول الآية الكريمة على خلاف صريح الكتاب والسنة واجماع الامة» اه كلام ابن تيمية منقولا عن حاشية الجمل على الجلالين

تعديد بعض المواضع المنتقدة من كلامه على هذه الآية

الاول

فى قوله «واما اية والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم الخ ففيها تأويلات بعضها صواب جلي وبعضها دون ذلك» اه وذلك أن المنقول فى تأويل الآية ثلاثة اقوال فى الذرية هل المراد بها الكبار او الصغار او كلا النوعين وما ذكره هو وشيخه قول لهما مخالف لهذه الاقوال كلها فاذا كان بعضها صواباً جلياً فما بالهما خالفاها كلها والصواب فيها ؟

الثاني

قال: «ومن جملته مانقله دحلان وذووه من تفسير ابن جرير ملفقا من اخبار المرجئة المردودة كما سيتضح ذلك لكل ذي لب من القراء والمستمعين » اه وهذا خطأ فان الذى نقله السيد هو الذى اجمع عليه ارباب النقل وحفاظ الحديث وتراجمة القرآن ونقل بالاسانيد المعتمدة على الوجه الذى تقوم به الحجة ولاينافي مذهب اهل السنة والجماعة بل هم القائلون به والمرتضون له وان خالف مذهب الخوارج

ال ٣ وال ٤ وال ٥ وال ٦

قال: ((وقد مال الى هذا القول بعض المفسرين على غير حجة واضحة ولكنهم معذورن لانهم بنوا ذلك على مانقل اليهم من الاقوال والاخبار مع عدم العلم بما يطرق تلك الاخبار من اوجه الضعف التى علمها غيرهم من العلماء ونبهوا عليها لأن الله تعالى لايكلف احدا بما لاعلم له به بعد بذل وسعه واجتهاده)) اه فقوله ((مال اليه بعض المفسرين)) خطأ بل مال اليه جميع المفسرين الذين وصلت

الينا تفاسيرهم وقد عددناهم فيما مضى وقوله ((بغير حجة واضحة)) خطأ ثاني فان بيدهم الحجة الواضحة التى يجب المصير اليها وهي السنة المبينة للقرآن وقوله ((لكنهم معذرون لانهم بنوا الخ)) ماتقدم صوابه ان يقال انهم مشكورون وأن الاخبار التى نقلت اليهم لايسع عالما من علماء المسلمين تركها واطراحها «مع عدم العلم الخ» فيه تجهيل لهم كافة وثناء على نفسه وتزكية لها والحق انهم عالمون بها فعلم الرجال واقوال الفرق انما نقل عنهم وقوله «التي علمها غيرهم من العلماء وبنوا عليها» يشير بهذه الجملة الى نفسه لامحالة لانه وحده الذى ادعى بطلانها والتنبيه على ما فيها فقد علم مالم يعلمه مفسرو الامة وحفاظها ورواتها وعدل بهم ورجح عليهم لانهم جهلو افعذروا اما هو فعلم مالم يعلموا واصاب واخطؤا فلم يكتف بمساواتهم حتى ادعى الرجحان عليهم !!

ال ٧ وال ٨ وال ٩ وال ١٠

قال : «واما نحن فان اتبعنا هذا الخطأ» اه نقول قد علمت ان مراده بالخطأ ماقاله ائمة هذه الامة قال: «مع علمنا ببطلان الخبر الوارد فيه عن رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم اوعن اصحابه» اه نقول قد علمت ان الخبر مروي برواة الصحيحين وغيرهم بطرق عديدة وزعمه العلم ببطلانه هو الجهل المركب قال : «ومع علمنا بأن هذا التأويل مخالف لمدلول ماصح وما تواتر من آي الكتاب وصحيح السنة فلسنا بمعذورين» اه نقول ان التأويل الذى ذكره هو المخالف لمدلول الكتاب السنة وقول علماء الامة لامانقلناه

عنهم ومفهوم قوله ((ماتواتر وصح من آي الكتاب)) ان بعض آي الكتاب لم يتواتر عنده ولم يصح فانا لله وانا اليه راجعون

﴿ ال ١١ وال ١٢ وال ١٣ وال ١٤ ﴾

قال ((لأن الله تعالى لايسأل احدا عن فهم غيره)) اه نقول ان هذا الاطلاق خطأ فان العالم مأمور بالتعليم والتفهيم والجاهل مسئول عما فُهم وعُلم قال: ((وانما يسأله عماصح عنده (١) من الكتاب والسنة)) اه نقول قد علمت ان الكتاب كله صحيح متواتر وقد تكفل الله بحفظه فقال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون فاردد التلميذ الفاظ «ماتواتر وصح من آي الكتاب» و«عماصح عنده من الكتاب» الا لحاجة فى نفس يعقوب والله المستعان قال: «بقطع النظر عمن قبله وعمن بعده» نقول انما يصح له هذا لوكان مجتهدا مطلقا ولم تصح السنة بخلاف قوله والواقع خلافه والعلماء كما نقلوا لنا الفاظ العلم نقلوا لنا معانيه قال «فرب مبلغ اوعى من سامع» اه معنى كلامه هذا ان الأئمة والحفاظ نقلوا تلك الاخبار ولكنهم لم يعوها ولم يفهموها حتى ترجمان القرآن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم قد اخطؤا فيها وانما وظيفتهم التبليغ اليه فقط وهو الواعى الفهيم لاهم بل هو اوعى منهم وافهم. بخ بخ !!

واذا كانت هذه رتبة التلميذ فما بالك برتبة الشيخ ؟! لقد استنت الفصال حتى القرعى

---

(١) قال الحبيب عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه * ومن انتم حتى يكون لكم عند *

﴿ال ١٥﴾

قال: «وقد نقل ابن جرير اقوالا عديدة عن المتقدمين في تأويل هذه الآية» اه ان مانقله عنهم هو الصواب الذي يجب الاخذ به قال «ونقل ايضا القول الذى افتى به الاستاذ في صورة جوابه» اه نقول انه اشترط فى (الصورة) لتحقق الالحاق ان تكون الذرية مؤمنة كاملة الأيمان وقضية كلامه ان الذرية الناقصة الايمان والصغار منها لا يلحقون باباأئهم ولم ينقل ابن جرير قولا على هذا الوجه اصلا واشترط له هنا المساواة بين الاباء والابناء فى الايمان والاعمال والحال الخ ماسيأتى فقد ناقض نفسه وهذا لم ينقله ابن جرير أيضا

﴿ال ١٦ وال ١٧ وال ١٨﴾

قال: «فلماذا نقل دحلان وذووه هذا القول الذي نقلوه» جوابه نقلوه لانه الحق والصواب قال «وتركوا ماسواه بغير دليل ان كانوا يريدون الحق» اه الحق انهم ماتركوا شيئاً من المنقول واما ماقاله التلميذ وشيخه فهو مبتدع غير منقول ولا محفوظ فلذلك تركوه قال: «ثم هم بغير خجل يشنعون عليه كأنه اتى بمنكر من القول مع وضوح وجهه وظهور حجته» اه جوابه انهم يشنعون عليه ولايخجلون قولا بالحق وردا للباطل وصاحب الحق لايخجل ولأنه اتى بمنكر من القول لم يسبقه الى القول به احد وقوله «مع وضوح وجهه وظهور حجته» جوابه كلا بل هو قاتم الوجه داحض الحجة ليس له اصل يرجع اليه ولاسند يعول عليه كما علم ذلك مما سبق

﴿ ال ١٩ ﴾

قال ((وانما اعتمد الاستاذ ذلك الوجه لكونه اقرب الى الصواب من غيره عنده)) اه قد علمت ان الذى قاله فى صورة الجواب والذي قاله هنالم ينقله ابن جرير اصلا وعلى فرض انه نقله فقد اعتمده شيخه وليس بصواب عنده لانه قال «لكونه اقرب الى الصواب عنده» اى انه خطأ ولكنه اقرب الى الصواب أى وليس به فانظر كيف يعتمد ما يعتقد انه خطأ ثم لا يقنع بذلك حتى يفتي به وانظر كيف اتى بقاصمة الظهر فى قوله «وذلك لكثرة ما يؤيده من الآيات والاحاديث كما سيرى طلاب الحقائق كلامه المفصل في تفسير هذه الآية» اه نقول آمنا بالله وآياته فان الذى يعتقده كل مؤمن ان آيات الله واحاديث رسوله لا تؤيد الخطأ البعيد ولا القريب ولكن التلميذ وشيخه يقولان انها تؤيده فنسأل الله الثبات على الايمان

﴿ ال ٢٠ ﴾

قال: ((ولا يقول عاقل ان مجرد فهم احد بغير دليل شرعي يكون حجة على احد اودليلا على بطلان القول الذي اعتمده)) اه نقول ان الذى نقله الأئمة ليس مجرد فهم بلا دليل بل هو اما نقل حكمه حكم المرفوع الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اوفهم نفس الدليل الذى هو الآية وكلا هذين الامرين حجة قاطعة فهما اما دليل بين واضح يستغنى فيه بظاهر نظمه عن باطن علمه، اوفهم مقرون بشاهده، مشفوع ببيان مقاصده، اما القول الذى اعتمده فلا هو منقول فيرجع اليه، ولا معقول فيوثق به،

﴿ ال ٢١ ﴾

قال «هذا على فرض تكافىء الاقوال فكيف والبرهان قائم على حقية مااعتمده الاستاذ» اه نقول ان الذى اعتمده ليس بقول منقول عن احد من الأئمة حتى ينظر فى التكافىء وعدمه ولكنه تحريف للتنزيل ، ورد للتأويل ، ولابرهان ولادليل ، والله على مانقول وكيل

﴿ ال ٢٢ الى ٣١ ﴾

في قوله «ولنذكر اولاضعف الوجه الى قوله فلاريب انه اوهى من بيت العنكبوت» وقد انتقدنا في هذه الجملة عشرة مواضع سبق ذكرها فى اول الكلام على الآية

﴿ ال ٣٢ ﴾

انه ذكر هنا الحديث المرفوع الذى اخرجه الطبراني فى معجمه من طريق ابن غزوان عن شريك عن سالم الافطس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مرفوعا وقد سبق ذكر متنه فى كلام ابن القيم ولم يذكر الروايات المرفوعة فى هذا الباب وقد سقنا رواية البغوي وابن مردويه وروايات الطحاوى والحافظ احمد بن اشكاب وابن النحاس وكلها مرفوعة فيتقوى بعضها ببعض وان كان الاصح الوقف على ابن عباس رضي الله عنهما وحينئذ فله حكم المرفوع كما سقنا الادلة على ذلك من كلام العلماء رضي الله عنهم فاغنى عن الاعادة فاقتصاره على ايراد هذا الحديث بهذه الرواية جار على عادته التي اشرنا اليها من قبل

﴿ ال ٣٣ ﴾

انه بعد انقضاء كلامه على الحديث المذكور قال: ((قال ابن جرير اختلف اهل التأويل فى ذلك فقال بعضهم (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنابهم ذرياتهم) المؤمنين في الجنة وان كانوا لم يبلغوا باعمالهم درجات ابائهم تكرمة لابائهم المؤمنين وما ألتنا اباءهم المؤمنين من اجور اعمالهم من شيء)) اه فان فيها اختلافا يسيرا لان ابن جرير قال ((اختلف اهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معناه)) الخ وقال ((واتبعناهم ذرياتهم)) وهذا مما يختلف به المعنى

﴿ ال ٣٤ ﴾

ثم قال ((وهذا القول هو الذى نقله دحلان في مجموعته مع التصرف فيه)) ونقول انه تصرف لايضر فان ابن جرير قال ((ان الله تبارك وتعالى يرفع للمؤمن ذريته وان كانوا دونه فى العمل ليقر الله بهم عينه)) ونقله السيد بعد ان قال «ما ملخصه» هكذا «ان الله تبارك وتعالى ليرفع للمؤمن ذريته وان كانوا دونه فى العمل ليقربهم عينه» فاين التصرف المخل بالمعنى وانما هو تلخيص باسقاط الاسم الظاهر واقامة المضمر مقامه فى قوله «ليقربهم عينه» فلا محل لتجنى التلميذ

﴿ ال ٣٥ ﴾

ثم قال ((وهو من الوجوه التي اسندها ابن جرير الى ابن عباس وقد تقدم قريبا ان فى سنده ثلاثة من الضعفاء الذين لايعتمد على اخبارهم كما تقدم ان الحديث المروي في هذا المعنى باطل)) اه نقول وقد تقدم قريبا ان ابن جرير اسندها الى ابن عباس من خمس طرق منها طريقان برجال الصحيحين وثلاثة

برجال الصحيحين والسنن وان لها حكم المرفوع ولها شواهد مقبولة تزيدها قوة ومتانة وان هناك طرقا مرفوعة غير ماذكره ان لم تكن صحيحة فهي حسنة

(ال ٣٦ وال ٣٧ وال٣٨ وال ٣٩ وال ٤٠)

في قوله ((ثم قال ابن جرير وقال آخرون بل معنى ذلك (والذين آمنوا واتبعناهم ذرياتهم بإيمان الحقنابهم ذرياتهم) الصغار (وما ألتنا) الكبار (من عملهم من شيء) وهذا القول غير بعيد عن الصواب ويؤيده قرآة وأتبعناهم وهو احد القولين الوجيهين الذين ارتضاهما الاستاذ في تفسير الآية)) اه ففي كلامه هذا مواضع منتقدة (الاول) انالم نجد في تفسير ابن جرير قولا بهذا اللفظ الذي ذكره ولكن بعد التأمل والمقابلة والاستدلال بماسيأتي عنه ظهر لنا انه يعنى هذا القول فدونكه فقابله بماذكره ليظهرلك انه يرى القذاة في عين اخيه ولايرى الجذع في عينه، وانه انكر من التصرف على السيد مالايخل بالمعنى وارتكب ماالخل بالمعنى والمبنى من غير تنبيه عليه قال ابن جرير «وقال آخرون بل معنى ذلك والذين آمنوا واتبعناهم ذرياتهم التي بلغت الايمان بإيمان الحقنابهم ذرياتهم الصغار التي لم تبلغ الايمان وما ألتنا الاباء من عملهم من شيء» اه فقال ابن جرير ((ذرياتهم التي بلغت الايمان)) فاسقط هو الموصول والصلة لانها تنص على الحاق الذرية الكبار التي بلغت الايمان وهذا مالايريده التلميذ ولاشيخه فلا باس عندهما باسقاط ذلك وان خالف الامانة في النقل وقال ابن جرير «وماألتنا الاباءمن عملهم» فقال التلميذ «وماألتنا الكبار» فهذا تصرف مخل (الثاني) ان هذا القول اسنده ابن جرير الى ابن عباس بسند

لايرتضيه المحدثون وقد تقدم الكلام في رجاله آنفا واسنده الى الضحاك بسند معضل وقد تقدم الكلام فيه وفي رجاله فانظر ماذا يختارون وماذا يتركون

قد عرفناك باختيارك اذ كا * ن دليلا على اللبيب اختياره

(الثالث) انه قال «وهذا القول غير بعيد من الصواب» اي فهو خطأ قريب ومع ذلك فقد ارتضاه شيخه (الرابع) انه لم يكتف بالحكم عليه بالخطأ حتى قال «ويؤيده قرآءة (واتبعناهم) فهذه القرآءة عنده تؤيد الخطأ وهي من القرآن فعنده أن القرآن يؤيد الخطأ وهذه قاصمه الظهر والعياذ بالله تعالى (الخامس) انه قال «وهو احد القولين الوجيهين الذين ارتضاهما الاستاذ» فما اكتفى بانه خطأ وان القراءة تؤيده حتى وصفه بانه وجيه وان شيخه ارتضاه فما ظنك به لوكان خطأ بعيدا اذا لكان عنده اوجه من كل وجيه !! وهلم جرا

(ال ٤١)

قال : «ثم قال ابن جرير وقال آخرون نحو هذا القول غير انهم جعلوا الهاء والميم في قوله (الحقنابهم) من ذكر الذرية والهاء والميم من قوله (بهم ذريتهم) الثانية من ذكر الذين وقالوا معنى الكلام (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم) الصغار (وما ألتنا) الكبار (من عملهم من شيء)» اه نقول ان في عبارة ابن جرير سقطا لم يتفطن له التلميذ ويدل عليه امران (الاول) قوله «واتبعتهم ذرياتهم الصغار» فانما الاتباع للكبار (الثاني) نفس الرواية التي حكاها ابن جرير عن قائلي هذا القول ونصها «قال ادرك ابناؤهم الاعمال التي عملوا فاتبعوهم

عليها واتبعتهم ذرياتهم التى لم يدركوا الاعمال فقال الله جل ثناؤه وما التناهم من عملهم من شيء قال يقول لم نظلمهم من عملهم من شيء فننتقصهم فنعطيه ذرياتهم الذين الحقناهم بهم ، الذين لم يبلغوا الاعمال الحقهم بالذين قد بلغوا الاعمال» اه

وقال في موضع آخر عنهم ايضا «وما التناهم من عملهم من شيء قال لم يأخذ عمل الكبار فيجزيه الصغار ادخلهم برحمته والكبار عملوا فدخلوا باعمالهم)) اه

فبا لتأمل والمقابلة بين هذه الجمل يظهر ان فى العبارة سقطا ولا يظهر المعنى بدونه وقد تقدم تحرير ذلك

(ال ٤٢ وال ٤٣)

قال: ((ثم قال ابن جرير وقال آخرون بل معنى ذلك (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنابهم ذريتهم فادخلناهم الجنة بعمل ابائهم (وما ألتنا) الاباء (من عملهم من شيء) وهذا الوجه اشد اشكالا وابعدها عن الصواب كما سيأتي بيانه ومستند قائله هو ذلك الحديث الباطل الذى تقدم ذكره عن ابن غزوان الكذاب)) اه

فقوله « ان هذا الوجه اشد اشكالا » الخ لامعنى له فان الباء فى قوله بعمل ابائهم سببية اي بسبب عمل ابائهم الصالح لانه سبب الكرامة التى اكرم الله بها الاباء في ابنائهم ونحو ذلك قول ابن مسعود رضي الله عنه الرجل يكون له القدم ويكون له الذرية فيدخل الجنة فيرفعون اليه لتقربهم عينه وقد نقل ابن القيم هذا القول ولم يستشكله ولو ذكر التلميذ معاني الباء التى اوصى السيد بحفظها لما غلط هنا وكيف يكون معناها على ما فهمه وهو يقول وما (ألتنا) الاباء (من عملهم من شئ) فهذا يبين ان عمل الآباء باقيالهم فجوزوا به في انفسهم واكرموا به ابنائهم والحاصل انه ليس في هذا القول اشكال ولامنافاة لغيره من الاقوال وانما هو تنوع في

التعبير فحسب فاما ان تحمل الذرية على الصغار فلا اشكال لان المراد بالعمل هنا سببه وهو الايمان والتعبير بالسبب عن المسبب شائع سائغ بل قد نقل هو عن شيخه «انه قد يطلق الايمان ويراد به نتيجة من نتائجه العالية اوغاية من غاياته المقدسة او اثر من آثاره اللازمة لمن استكمله او برهان من براهينه الكمالية » اه وحينئذ فقد يطلق العمل ويراد به الايمان وهو جزء منه والجزئية من علائق المجاز واما ان تحمل الذرية على الكبار فكذلك لانه لولا اصلاح ابائهم وعملهم العظيم الذي وصلوا به الى المقام الكريم وعظم شانه وجزالة مثوبته لما بلغت بهم الكرامة الى الرعاية فى اولادهم فالعمل سبب لما ذكر فلا إشكال فيه اصلاً واما قوله « ومستند قائله» الخ فهو مما لايفهم لان ابن جرير حكى هذا القول عن الشعبي ولعل ابن غزوان ماحدث بهذا الحديث الا بعد موت الشعبي بمائة سنة فهل انقلبت العصور او بعثر من فى القبور فقام الشعبي من قبره يلتمس الحديث فيرويه عن ابن غزوان ام ماذا ؟ لعمري ان تحقيق هذا التلميذ لايعرفه غيره ونحمد الله على العافية من فهمه ، واما سعيد بن جبير فهذا نص ما رواه ابن جرير عنه «قال الحق الله ذرياتهم بابائهم ولم ينقص الاباء من اعمالهم فيرده على ابنائهم» اه فاسناده هذا القول اليه غير صحيح

ال ٤٤

قال «ثم قال ابن جرير وقال آخرون انما عنى بقوله (الحقنا بهم ذرياتهم اعطيناهم من الثواب ما اعطينا الاباء) وهذا القول الاخير هو الذي اعتمده استاذنا في تفسير الآية لموافقته لظاهر آيات القرآن وصحيح السنة ومطابقته لحكمة التشريع ولعدم

مناقضته لشيء من ايات التنزيل وهو ايضا قول طائفة من المتقدمين كقتادة والربيع وغيرهما» اه وجوابه ان هذا القول يدل ايضا على ان للنسب الصالح مزية خاصة ليست لغيره لانه يفيد ان الله الحق ذرية الذين آمنوا بابائهم فاعطاهم من الثواب مثلما اعطى الاباء لان قوله الحقنا يدل على الحاق من لايستحق بمن يستحق فالذرية لم تبلغ باعمالها ثواب الاباء ولكن الله الحقهم بهم فضلا ورحمة ولا يكون المعنى ان الله اثابهم بلا الحاق بمن يعلو ثوابه على ثوابهم لان مجرد الاثابة ليس خاصا بذرية الذين آمنوا بل عام لكل مؤمن سواء أكان من ذرية الذين آمنوا ام من ذرية الذين كفروا اذا كان مؤمنا فحمل ذلك المعنى الخاص على العام اهدار له واضاعة لالفاظه ومعناه وليس في ماذكروه مناقضة لظاهر القرآن ولا صحيح السنة ولا حكمة التشريع وان هول به التلميذ وقوله «وهو ايضا قول طائفة من المتقدمين» من هم ولم لم يعددهم وقوله «كقتادة والربيع وغيرهما» جوابه كلا ودونك مانقله ابن جرير عن قتادة قال «عملوا بطاعة الله فالحقهم الله بابائهم» فقول قتادة كقول غيره لامخالفة بينهما الاما يشعر به قوله عملوا بطاعة الله من اشتراطه للالحاق عمل الذرية بطاعة الله وانه حمل الذرية على الكبار البالغين وعلى ذلك فالمزية للنسب الصالح موجودة وليس كل من عمل صالحا الحق بذوي الدرجات العلى فليس فيه مايشفي غيظ التلميذ ولاشيخه واما الربيع فقد قال ابن جرير عنه «يقول اعطيناهم من الثواب ما اعطيناهم وما ألتناهم من عملهم من شيء يقول ما نقصنا آباءهم شيئا» اه فلو لم يكن الالحاق

لهم بابائهم باعطائهم من الثواب مالا تستوجبه اعمالهم لما كان لقول الربيع مانقصنا اباءهم شيئاً معنى ولكان الاولى به ان يرجع الضمير الى الابناء او الاباء والابناء فاما وقد ارجعه الى الاباء فقط فلا يحتمل الاما ذكرناه من ان الالحاق واقع ماله من دافع حتى على قول قتادة والربيع وايضا فالرواية عن قتادة فيها قدريان فلا يؤخذ بروايتهما فى مثل هذا وان كان اكثر القدرية يجوزون التفضل ولكنهم يقولون بتخليد كل من عمل كبيرة في النار وباخراجه عن مسمى الايمان فلا يحملون قوله تعالى واتبعتهم ذريتهم بايمان على المؤمنين العصاة وان كان يصدق عليهم الاتباع بايمان لما ذكرنا من مذهبهم وايضا فان الذي في رواية قتادة فالحقهم الله بابائهم فذكر الملحق والملحق به وسكت عما الحقوا فيه فهل اراد به الدرجة او الثواب اودخول الجنة لادليل على التعيين والاولى ان يحمل على ما يوافق قول الجمهور ولو تحققنا مخالفة قتادة لهم فلا يقدم قوله على اقوال الصحابة ومن هو اكثر منه علما من التابعين وابعد عن البدع والاهواء وايضا فانا قد ذكرنا ان اهل الصدر الاول قد يعبرون في التفسير عن الشيء بنظيره او فرد من افراده اولازم من لوازمه ولاريب ان الثواب أو الاجر يكون بدخول الجنة ورفعة الدرجة فيها وجمع الشمل باهله ونحو ذلك فاذا اثيب الاباء بدرجة مثلا واعطي الابناء على قول هولآء مثلها اعطي الاباء والحقوا بهم فيها كان مرجع الروايات كلها الى معنى واحد وكان الخلاف بينها لفظيا

﴿ ال ٤٥ والى ال ٥٠ ﴾

بعد ان استدل بقوله تعالى جنات عدن يدخلونها ومن صلح من ابائهم الاية وقد تقدم القول فيها قال : « وبما ان كثرة الاقوال والتاويل فى الآية ليست بحجة مالم يعين احدها نص اللغة او برهان العقل اوتوقيف الشارع بتفسيرها وانه لم يصح شيء من ذلك عن الشارع مماسوى القرآن لزم ان نقطع النظر عن كل ماسواه وننظر في الآية ومدلولها مع ملاحظة غيرها من الايات الواردة في هذا المقام اذ القرآن يفسر بعضه بعضا)) وفيه امور (الاول) قوله »بما ان كثرة الاقوال « الخ مفهومه ان قلتها حجة ولولم يعين احدها نص اللغة الخ وذلك خطأ (الثانى) ان الاقوال المنقولة عن الصحابة هي التي عينها نص اللغة وهم اهل اللغة الموثوق بهم فى نقلها وقد قال العلماء انه يتعين الرجوع في معاني الالفاظ الى الصحابة والتابعين سواء كانت لغوية اوشرعية لانهم اهل اللغة والامانة في النقل وقد تقدم كلام فى ذلك اول الباب وعلى هذا فنص اللغة قد عين ذلك القول الذي قاله الصحابة واعتمده ائمة الامة لانهم فى نقلهم لمعنى الاية الذي له حكم المرفوع نقلوا الالفاظ التى تنص على المعنى فاجتمع في روايتهم المعنى المراد واللغة المنصوصة (الثالث) قوله ((وبرهان العقل)) وجوابه انه يكتفى منه فى مثل هذه الامور ان لايحيلها وجائز فى العقل ان يثيب الله عباده الصالحين بماشاء ويشفعهم فيمن شاء ولامدخل للعقل فى الامور الاخروية وقد حكمه اناس فيها فكان عاقبة امرهم الجحود اوتأويلاً يؤل اليه (الرابع) في قوله ((وتوقيف الشارع)) فقد تقدم ان ماروي عن ابن عباس بالاسانيد الثابتة له حكم المرفوع فهو بمنزلة

التوقيف من الشارع فقد اجتمع على تأييد القول المعتمد الصحيح فى تفسير الآية نص اللغة و برهان العقل وتوقيف الشارع (الخامس) قوله «وانه لم يصح شيء من ذلك عن الشارع مما سوى القرآن» الخ وهو باطل فقد صح فيه ما بمثله تقوم الحجة وتتضح المحجة والحمد لله (السادس) قوله «وتنظر فى الآية ومدلولها مع ملاحظة غيرها من الآيات» الخ ستعلم انه اخرجها عن مدلولها وقدعلمت ان هذه الاية مفسرة لقوله تعالى (جنات عدن يدخلونها ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم) وقوله تعالى هم وازواجهم في ظلال على الارائك متكئون) وانه لا تظهر فائدة التخصيص بذكرهم فى الآية الاولى ولا كيفية اجتماعهم بازواجهم المؤمنات مع التفاوت العظيم بين اعمالهم واعمالهن فى الآية الثانية الا بما بينته هذه الآية من الحاق الذرية بابائها وفى معناها الزوجات

ال ٥١ الى ال ٥٨

ثم بعد ان قضى التلميذ كلامه نقل ما يأتي عن كتاب لشيخه سماه توجيه الاخوان الى آداب القرآن وقد نقل عنه قطعا في كتابه هذه مملوءة بالاغلاط الدينية والتاريخية والاخلاقية بحيث تحتمل مؤلفا خاصا بها فما بالك بالكتاب كله وان الناظر فيما يأتى ليظن انه ما الفه الا ليحرف به القرآن لا ليفسره قال بعد ايراد تمهيد مانصه «ثم ذكر في هذه الآية انه تعالى يلحق المتأخرين من المؤمنين بالمتقدمين فى اثابتهم مثل ثواب المتقدمين على اعمالهم بان يدخلهم الجنة بها كما ادخل متقدميهم او يعطيهم فيها ما اعطاهم من النعيم او يرفعهم بها الى درجات من قبلهم ان ساووهم في الاعمال الصالحة والايمان والاخلاص والحال»

اه ونقول ان الله قال فى اليهود (يحرفون الكلم عن مواضعه) وقال افتطمعون ان يؤمنوا لكم وَقد كان فَريقٌ منهمْ يَسمعون كلامَ الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون) وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا اليهود والنصارى قال فمن؟ فاذا لم يكن كلام السوداني هذا تحريفا لكتاب الله تعالى فليس في الدنيا تحريف وبيان هذا من وجوه (الاول) أن نص الاية وصريح لفظها ومعقول معناها الذى لا يمتري فيه عربي ولا عجمي عقل مدلول الفاظها ان الذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان او اتبعهم الله ذريتهم به يلحقهم بهم ولاينقص اباءهم من عملهم شيئا فههنا اناس آمنوا وذرية اتبعتهم بالايمان او اتبعها الله اياهم فالحق الله بهم ذريتهم في الجنة فجاء السوداني فحرف الذين آمنوا الى المؤمنين المتقدمين وهذا يعم كل مؤمن متقدم سواء أكان أبا ام ابنا وسواء أكانت له ذرية ام لم تكن واذا كانت له ذرية فقد تكون كافرة أو مؤمنة وقد تكون له ذرية ولكن تقدمته في الايمان فلفظة «المؤمنين المتقدمين» تعم هذا كله واما الذي في الآية فخاص بمؤمنين لهم ذرية اتبعتهم بايمان (والثاني) انه حرف قول الله تعالى واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم الى قوله «انه تعالى يلحق المؤمنين المتأخرين» فان لفظته هذه تعم كل مؤمن متأخر عن متقدم وكل متقدم بالنسبة لقوم فهو متأخر بالنسبة لآخرين وهلم جرا اما اول المؤمنين على الاطلاق فهو محمد رسول الله صلى عليه

وآله وسلم وبقية الامة يصدق على كل فرد منها انه من المتقدمين والمتأخرين وليس بيد السوداني فصل يفصل به بين هولآء وهولاء وايضا فالمؤمنون المتأخرون قد يكونون اباء وقد يكونون ابناء وقد يكونون متقدمين في الزمان متأخرين فى الايمان وعكسه وقد يكونون من ذرية الذين آمنوا أو من ذرية الذين كفروا وبالجملة فمدلول قوله ((المؤمنين المتأخرين)) اعم من مدلول قوله تعالى « واتبعتهم ذريتهم بايمان » فقد جاء الى حكم خاص في موضع خاص فعممه (الثالث) ان الله قال (والذين آمنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان) والصلة في معنى الصفة لانها معرفة لموصولها كما ان الحال فى معنى الخبر فكأنه قال (والمومنون المتبعة لهم ذريتهم بايمان) فخالفه السوداني وعرفهم بخلاف ماعرفهم الله به فقال انهم المؤمنون المتقدمون فاحال هذا العلم جهلا يبينه (الوجه الرابع) وهوان قوله (والذين امنواواتبعتهم) كانت فيه صلة الذين جملة قوله (امنوا) وما عطف عليها وهو قوله (واتبعتهم ذريتهم) وفي قول السوداني «المومنون» كانت ال فيه موصولة وصلتها اسم الفاعل وقوله المتقدمون صفة تزيده قيدا يخالف به ما تفيده الصلة فى الآية من التخصيص بالمؤمنين الذين لهم ذرية اتبعتهم بايمان (الخامس) ان الذي فى الآية ان الله يلحق الذرية المتبعة لابائها بايمان بهم والسوداني يقول ان الذرية هم المؤمنون المتاخرون وان الله يلحقهم بالمؤمنين المتقدمين لابائهم فحرف مدلول التابع والمتبوع والملحق والملحق به (السادس) انه من المتفق عليه بين

اهل العلم ان ذريـة الذين آمنوا انما تطلق على ابنائهم لا على جميع المؤمنين المتـأخرين عنهم وهو قد حمل لفظ الذريـة على غير معناهـا فخالف الوضع والشرع (السادس) ان قوله تعالى قبل هذه الآية (ان المتقين في جنات ونعيم، فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم، كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون، متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحورعين،) يعم جميع المؤمنين متقدميهم ومتأخريهم وقد قال السوداني ان المراد بقوله بايمان انه الايمان الكامل فالآية الاولى شاملة لكل مؤمن كسائر آيات القرآن المؤذنة بدخول كل مؤمن الجنة وحينئذ فعطف قوله والذين امنوا على ماتقدم يؤذن بخروج الذرية عن عموم ماتقدم والعطف يقتضي التغاير والقول بان قوله تعالى ان المتقين الآية مخصوص بالمتقدمين من المؤمنين فقط دعوى بلا دليل وكل احد يحسنها (السابع) وحينئذ فان قال السوداني ان قوله تعالى ان المتقين في جنات ونعيم عام في جميع المتقدمين والمتأخرين فلا معنى لقوله «فى اثابتهم مثل ثواب المتقدمين على اعمالهم بان يدخلهم الجنة بها كما ادخل متقدميهم» لاخبار الله بانهم في جنات ونعيم لافرق بين متقدمهم ولا متأخرهم وان قال انه خاص بالمتقدمين فما الدليل على التخصيص ولو عارضه غيره فقال بل هو خاص بالمتأخرين فما الفصل بين قوله وقول معارضه

﴿ ال ٥٩ وال ٦٠ ﴾

انه ناقض نفسه فبعدان فسر الاية بما تقدم عاد فذكران فى الاية مسائل

وقال «المسألة الاولى هل ذريات المؤمنين الصغار الذين لم يخاطبهم الله بالايمان والعمل يكونون تابعين لابائهم» الخ فقد جعل من مسائل الآية هنا مسئلة الذرية الصغار وفيما تقدم جعل المراد منها المؤمنين المتأخرين لا الذرية الصغار فقط او الصغار والكبار ثم قال فى الجواب «تفيد الآية ان الله سيلحقهم حكما بابائهم ويتبعهم اياهم فى ادخالهم الجنة معهم كما كانوا تابعين لهم فى الدنيا» الخ وهذا غير جار على معنى الاية ولاسياقها فان الذي فى الاية (واتبعناهم ذرياتهم بايمان الحقنابهم ذريتهم) فالاتباع فى الايمان والالحاق في الجنة واما هو فجعل الالحاق حكما والاتباع فى ادخالهم الجنة وهذا خلاف مافى الاية

﴿ ال ٦١ الى ال ٦٧ ﴾

فى قوله «المسألة الثانية هل الذرية الكبار المكلفون بالايمان ومايلزم كماله من الاعمال الصالحة والبعد عن كبائر الاثم والفواحش يعطون ثواب اعمالهم الصالحة كاملة كمن قبلهم»

وفيه أمور (الاول) ان هذا من اسئلة المتعجرفين ولم ترد الاية جوابا عنه ولو كانت واردة مورد الجواب عنه لقيل فيها ونجزي ذرية الذى آمنوا أو نعطي ذرية الذى آمنو ثواب اعمالهم كاملة والذى في الآية انما هو اخبار عن الذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان بان الله يلحق ذريتهم بهم من غير ان ينتقص من اجور ابائهم شيئا لاعن الذرية (الثاني) مفهوم عبارته ان غير ذرية الذين آمنوا الكبار الخ لايعطون اجورهم كاملة لان الآية انما خصت هولاء على زعمه (الثالث) تخصيصه التكليف بالبعد عن كبائر الاثم والفواحش يفيد انهم غير مكلفين بالبعد عما دون ذلك وهذه تشريع جديد (الرابع) انه لايقول باثابتهم اذا لم

تكن اعمالهم الصالحة كاملة فقوله تعالى (فمنْ يعمل مِثقال ذَرّةٍ خيراً يره) منسوخ عنده ومعلوم ان الكمال يقابل النقص لا الفساد والبطلان فانه قال «يعطون ثواب اعمالهم الصالحة كاملة» فقوله كاملة حال فلا ثواب لهم عنده في غير تلك الحال (الخامس) انه اشترط لاعطاء الثواب على اعمالهم الصالحة كاملة مانصه «اذا امتثلوا اوامر الله وأتمروا بما امرهم به من صالح الاعمال وانتهوا اعما نها هم عنه» اه ومفهومه ان من عصى منهم اوترك امرا لايثاب على بقية عمله وهذا مذهب جديد ومذهب المعتزلة أن الكبيرة تحبط العمل لا الصغيرة (السادس) انه قال «اذا امتثلوا اوامر الله» ثم قال «وأتمروا بما أمرهم به من صالح الاعمال» فما الفرق بين مفهوم العبارتين (السابع) فى قوله «اوينقصون من اجراعمالهم لتأخرزمن ايجادهم عنهم اوزمن عملهم» ونقول الحق ان الله سبحان يوفى كل عامل عمله واذا اقتضى الزمن مثلا ان يكون ثواب اعمال اهله دون ثواب من قبلهم فلا يقال فيه انهم نقصوا من اجرهم فان اعتقاد مثل هذا خطاء والصواب ان يقال انهم وفوا اجر اعمالهم كاملا كما وفى من قبلهم اجرهم وتفاوت الاجور يتبع تفاوت الاعمال وانما عظم ثواب العاملين قبل الفتح لعظم عملهم على عمل من بعدهم وبهذا يعلم مافى قوله ((ويكون الاباء اكثر ثوابا من الابناء مع مساواتهم لهم في العمل والايمان والحال)) الخ

ال ٦٨ والى ٧٤

قوله فى جواب ذلك السوال المتعتع ((فبين تعالى حكمه في هذه الآية على هذه

المسألة)) اهـ قوة كلامه توهم ان هناك سوالا كان من اناس وجوابا من الله عليهم لأن الكلام مفترض فقط ثم قال «بان اللاحق يكون ملحقا في الثواب بالسابق على العمل الواحدمهما تساوى فيه الاخلاص والاحسان والحال)) اهـ وفيه امور (الاول) انه ذكر في السوال المساواة في العمل والايمان والحال وهنا زاد المساواة في الاخلاص والاحسان والحال فهل المساواة معتبرة فيها كلها ام فى بعضها؟ لان المشروط فى الجواب غير المذكور في السوال وهذا داع الى حيرة السائل والناظر فياله من تحرير (الثاني) قوله ((بان اللاحق)) وهذه لفظة تعم كل لاحق لاذرية الذين آمنوا وهذا غير ما في السوال وغير ما في الآية (الثالث) قوله «يكون ملحقا في الثواب بالسابق على العمل الواحد)) فهذا يفيد ان اجره غير مساو لاجر السابق ولو تساوت اعمالهم لانه انما الحق به الحاقا ولا الحاق مع المساواة وهذا يناقض مايحاوله فى الجملة (الرابع) قوله «بالسابق» فان السابق يعم كل مؤمن سابق ايجاده وزمانه سواء كان له ذرية ام لا والمذكورون في الآية هم الاباء المؤمنون وذريتهم لا كل سابق ولاحق وايضا فان سواله عن الذرية الكبار واباءهم وجوابه عن السابق واللاحق وهذه نوبة عصبية (الخامس) قوله ((على العمل الواحد)) مفهومه ان العمل المتعدد او المجموع يخالف ماذكر (السادس) قوله «وهذا مستفاد من قرآءة والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم الخ بنسبة فعل الاتباع الى الذرية)) اهـ عبارته هذه من اقوى الادلة على ان الرجل لايفرق بين لفظة السابق واللاحق والاباء والذرية ولامابين معانيهامن البعد فلهذا يستدل باحدهما على الآخر اوانه يتعمد التحريف ولي اللسان بآيات القرآن والله

المستعان (السابع) قوله ((لكون المقصود بها هم المكلفون بالاتباع المخاطبون بالايمان وبما يلزمه من امتثال اوامر الله واجتناب مانهى عنه)) فان عبارته تشعر بان غير هولاء ليسوا مكلفين بالاتباع لان قوله هم المكلفون يفيد القصر ولايكون الضمير ضمير فصل لعدم مطابقته اسم الناسخ ولرفع مابعده

ال ٧٥

انه ساق ايات من القرآن ليؤيد بزعمه ماقدمه وقد رد ابن القيم في كتاب الروح على بعض المبتدعة في معني ماذكرناه فنكتفي بنقله قال ((وكذلك قوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وقوله ولا تجزون الا ما كنتم تعملون على ان هذه الآية اصرح في الدلالة على ان سياقها انما ينفي عقوبة العبد بعمل غيره واخذه بجريرته فان الله سبحانه قال فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولاتجزون الاماكنتم تعملون فنفى ان يظلم بان يزاد عليه في سيئاته او ينقص من حسناته او يعاقب بعمل غيره ولم ينف ان ينتفع بعمل غيره لاعلى وجه الجزاء فان انتفاعه بما يهدى اليه ليس جزاء عمله انما هو صدقة تصدق الله بها عليه وتفضل بها عليه من غير سعي منه بل وهبه ذلك على يد بعض عباده لاعلى وجه الجزاء)) اه وقوله تعالى (وان تطيعوا الله ورسوله لايلتكم من اعمالكم شيئا) انما يدل على ان الله لاينتقص العامل اجر عمله لاعلى امتناع ان يزيده من فضله كرامة فى نفسه وذريته وهذا مطابق لقوله في الآية التى نحن بصددها (وماألتناهم من عملهم من شئ) ومثله قوله (ولن يتركم اعمالكم) وقوله (انا لانضيع اجر من احسن عملا) فليس في رفع درجة ذرية المؤمنة اليه اضاعة لعمله وانما فى ذلك زيادة فى تكرمته مع توفر اجره عليه ورده اليه وهكذا القول في سائر الآيات التى اوردها غير مواردها

واستدل بها على غير ماتدل عليه وحملها مالاتحمل فليقس فى ردها على ما ذكرناه فقد طال القول في رد تحريفاته ولايزال الشوط بطينا فنرجع الى الاهم

ال ٧٦

ذكر بعد ماتقدم مسألتين لاتخرج عن نحو ماتقدم ثم بحثا طويلا فى الايمان وفى ذلك مواضع منتقدة نقتصر على بعضها فرارا من هذا التطويل الممل قال «ومن هذا القسم اى القسم الذى اطلق فيه لفظ الايمان واريد منه الايمان الكامل المقرون بالاعمال الصالحة كلمة الايمان التي في قوله تعالى والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بلاخلاف بين من يعتبر قولهم من المحدثين والمفسرين» وفيه امران (الاول) انه نقل هنا عدم الخلاف بين المفسرين والمحدثين وقد علمت انه خالفهم جميعا فى معنى الآية (الثانى) قوله «بين من يعتبر قولهم» فهذه اللفظة فيها مغامزو مخادع حتى اذا قيل له خالفك فلان المفسرا والمحدث سهل عليه ان يقول انى قد قلت «بين من يعتبر قولهم» وهذا غير معتبر ونظير هذا ماتقدم في (صورة الجواب) في تعريفه للنكاح ثم قال «ولكن الخلاف في كلمة بايمان هل معناها بايمان كذلك الايمان المذكور قبله فيكون المراد منه الايمان الكامل المقرون بالاعمال الصالحة من امتثال اوامر الله واجتناب منهياته والتسليم لاحكامه وهو الوجه الوجيه اوأن معناها بايمان ماسواء كان مجردا عن الاعمال ام مقرونا بها» اه ونقول لم ينبني الخلاف بين اهل النقل من المفسرين على ماذكره اصلاً وانما انبنى على الخلاف فى المراد بالذرية فمنهم من قال هم الصغار فكان المراد بقوله بايمان مايفيده التنكير من التعظيم وهو ايمان الاباء او التقليل وهو ايمان الصغار

التبعي الحكمي ومنهم من قال المراد بهم الكبار فقوله بايمان يدل على ان لهم ايمان واعمال لما تفيده جملة واتبعتهم ولكن الاتباع لايستلزم اللحاق بهم فى اعمالهم ولامساواتهم فكان قوله تعالى الحقنا بهم ذريتهم دال على انهم الحقوا بهم اذ قصروا عنهم وقد تقدم في كلام ابن القيم قريبا مما ذكرناه اما الاشعرية فدونك ماقاله النيسابوري فى تفسير آية سورة المؤمن «قال اهل السنة المراد بمن صلح اهل الايمان منهم وان كانوا ذوي كبائر » اه وقال فى تفسير آية سورة الرعد « قال ابن عباس يريد من صدقوا به وان لم يعمل مثل اعمالهم » اه

ال ٧٨ الى ٨٤

في قوله «وان معناها بايمان ما سواء كان مجردا عن الاعمال ام مقرونا بها وهذا الثاني يرده قوله تعالى (يوم يأتي بعض آيات ربك لاينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت فى ايمانها خيرا) اذ قد بين الله فى هذه الاية ان الايمان الذي لم يكسب صاحبه فيه خيرا اي عملا صالحا لاينفعه يوم القيامة على مافهمه كثير من اذكياء المفسرين وعليه فكلما وقع في الكتاب والسنة من لفظ الايمان المرتب عليه الفوز عند الله يكون مقصودا به الايمان الكامل المقرون بالاعمال الصالحة» وفيه امور (الاول) انه ذكر للايمان قسمين القسم الاول الايمان الكامل المقرون بالاعمال الصالحة كما سبق آنفا والثانى ايمان ما اي شيء من ايمان اي مايصح ان يطلق عليه اسم الايمان سواء كان مجردا عن الاعمال أم مقرونا بها وهذا تحته قسمان ايمان مجرد عن الاعمال وايمان مقرون بها لكنه لم يبلغ الى درجة الكمال وقد اعتمدان القسم الثانى لاينفع وانه ليس بالمراد فى الاية (الثانى) انه قد اغفل الايمان التبعي وهو ايمان الاطفال

والصغار لم يذكره في الاقسام المرادة هنا وهذا يناقض مامضى اول كلامه مع قول التلميذ انه قريب من الصواب وانه احد القولين الذي ارتضاهما (الثالث) قوله بان الايمان المجرد عن الاعمال لاينفع صاحبه يوم القيامة هو مذهب المعتزلة والخوارج اما اهل السنة والجماعة فانهم يقولون بانه لايخلد في النار من فى قلبه مثقال ذرة من ايمان فالصدام فى هذه المسئلة بين السوداني واهل السنة والجماعة وأدلتهم على ذلك مبسوطة فى كتب الاصول فلا نطيل بنقلها (الرابع) ان الخوارج يكفرون من عمل كبيرة من الكبائر وان اقام سائر اركان الدين واستكثر من الاعمال الصالحة فلا ينفعه ذلك بل تذهب هذه الكبيرة ايمانه وتحبط اعماله ويخلدبها في نار جهنم مع الكافرين الجاحدين المفسدين كل الافساد والمقارفين لكل السيئات والمعرضين عن جميع الاعمال الصالحات لافرق بينه وبينهم في ذلك ولايطلق عليه اسم المؤمن بل هو كافر اسما وحكما * والمعتزلة يقولون بمثل قولهم اذا عاجله الموت قبل التوبة فيقولون بتخليده فى النار بهاولايسمى عندهم مؤمنا ولا كافرا ولكنه فى منزلة بين المنزلتين ومما تقدم ومايأتي يعلم ان السوداني ليس متقلدا مذهب اهل السنة والجماعةهنا ولكنه اما معتزلي اوخارجي (الخامس) قضية كلامه ان صاحب الايمان الناقص وان لم يتمكن من الاعمال اوتمكن وعمل عملا صالحا لاينال الفوز عند الله بذلك لانه حصر الفوز في الايمان الكامل المقرون بالعمل الصالح وهذا لااعلم

احدا يقول به من جميع الأمة مع اجماعهم فيما أعلم على نجاة من اسلم فشهد شهادة الحق ثم مات اوقتل بعقب ذلك وايضا فان كمال الايمان ينقسم الى كمال واجب وكمال مستحب ثم الكمال الواجب منه مايخرج بسبب تركه من الايمان الى الكفر كجحد الضرور يات الدينية ونحو ذلك ومنه ماليس كذلك وبالجملة فلم يوافقه على كلامه هذا احد من اهل السنة (السادس) قوله «اذ قد بين الله في هذه الاية ان الايمان الذى لم يكسب صاحبه فيه خيرا اى عملا صالحا لا ينفعه يوم القيامة» كلام من ابطل الباطل واعظم الافتراء على الله وكتابه فان الآية غير واردة في يوم القيامة وانما هي واردة في حكم الناس عند ورود الآيات كنزول العذاب على الامة بكفرها اوعصيانها فان ايمان من آمن واطاع عند نزول الاية لاينفعه وعلى ذلك قول الله تعالى فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الاقوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين وقد تكاثرت الاحاديث فى ذلك وكلها تصرح بان المراد بالاية طلوع الشمس من مغربها ولا يلزم من عدم نفع الايمان المجرد والمقرون بالعمل مع طلوعها ان يكون الحكم يوم القيامة كذلك لورود الاحاديث بالفرق بين الأمرين وانه يخرج من النار من فى قلبه مثقال ذرة من ايمان وسنة الله فى معاقبة الامم والجماعات فى الدنيا غير سنته فى معاقبة الافراد يوم القيامة وقد قال الله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل

مثقال ذرة شرا يره) فلا يقاس احدهما بالاخر ولا يحمل عليه فانه قياس مع الفارق (السابع) ان قوله «على مافهمه كثير من اذكياء المفسرين» انما يعنى بهم المعتزلة كالزمخشري واضرابه فهم الاذكياء عنده ومفهومه ان من لم يفهم ذلك كان بليدا ففيه غمز ولمز لاهل السنة وهكذا شان اهل البدع فانهم يصفونهم بالبله والجمود لما عندهم من العجب بانفسهم والدعاوي الكبيرة ومن نظر في كتابه هذا عرف ان عنده من ذلك اضعاف ما عند سلفه (الثامن) ان علماء السنة قد اجابوا عن ذلك بجوابين (احدهما) ان هذه الآية من قبيل قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لمارأوا باسنا وقوله تعالى قل يوم الفتح لاينفع الذين كفروا ايمانهم ولاهم ينظرون وقوله تعالى فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الاقوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي فى الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين ونحو ذلك من الآيات وقد اجمع اهل النقل على ان الاية نزلت فيما يقع عند قرب الساعة وانحلال العالم وطلوع الشمس من مغربها قال الحافظ ابن حجر «فاذا شوهد ذلك حصل الايمان الضرورى بالمعاينة وارتفع الايمان بالغيب فهو كالايمان عند الغرغرة وهو لاينفع» اه فهي اخبار عن عدم قبول الايمان والتوبة اذا نزل العذاب وانكشف الحجاب (ثانيهما) مااجاب به ابن المنير وابن الحاجب والطيبي وابو حيان فى تفسيره ونقله الحافظ فى الفتح عن السمين بنصه وفصه « منطوق الآية انه اذا اتى هذا البعض لاينفع نفسا كافرة ايمانها الذي اوقعته اذ ذاك ولا ينفع نفسا سبق

ايمانها وماكسبت فيه خيرا فعلق نفي نفع الايمان باحد وصفين اما نفي سبق الايمان فقط واما سبقه مع نفي كسب الخير ومفهومه انه ينفع الايمان السابق وحده او السابق ومعه الخير ومفهوم الصفة قوي فيستدل بالاية لمذهب اهل السنة من ان الايمان لايشترط لصحته العمل » اه وقال ابن الحاجب في اماليه «الايمان قبل مجي الاية نافع ولو لم يكن عمل صالح غيره ومعنى الاية لاينفع نفسا ايمانها ولا كسبها العمل الصالح لم يكن الايمان قبل الاية اولم يكن العمل مع الايمان قبلها فاختصر للعلم » اه وقال ابن هشام في المغني « لاينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل اوكسبت فى ايمانها خيرا اي ايمانها وكسبها والاية من اللف والنشر المرتب وبهذا التقدير تدفع شبهة المعتزلة كالزمخشري وغيره اذ قالوا سوى الله تعالى بين عدم الايمان وبين الايمان الذي لم يقترن بالعمل الصالح في عدم الانتفاع به وهذا التأويل ذكره ابن عطية وابن الحاجب» اه اقول على تسليم صحة دلالة الاية على مافهمه الزمخشري فهو حكم خاص بذلك الوقت اما العذاب الاخروي فالواجب الاخذ فيه بما ثبت في بقية الايات والاحاديث الصحيحة جمعا بين النصوص ولان السنة مبينة للقرآن ومن اراد الزيادة على ماذكرناه فليرجع الى مؤلفات اهل السنة الحافلة ففيها مايشفي ويكفي وَاللهُ يَهدي مَن يَشآءُ إلى صِراطٍ مُستقيم

﴿ سوال وجوابه ﴾

(فان قيل) اذا كنتم تقولون بنفع الايمان في الآخرة ولو قل وبان صاحب الكبيرة لايكفر ولايخلد بها فى النار كما يخلد المشركون والكفار فما تقولون فيمن خلط عملا صالحا وآخر سيئاً اوقارف الكبائر واصر على الاثام ومات مؤمنا بالله ورسوله واليوم الآخر غير انه لم يتب وله اباء

صالحون فهل يلحق بهم في الجنة ويدخل تحت عموم آية الالحاق (فالجواب) ان القول فى ذلك ينبني على معرفة مذاهب الناس فى الايمان فالخوارج والمعتزلة يقولون ان الايمان هو مجموع ما امر الله به ورسوله وهو الايمان المطلق فاذا ذهب شيء منه كان صاحبه فى النار خالدا مخلدا وصاحب الكبيرة عند الخوارج كافر وعند المعتزلة لامؤمن ولا كافر فلايسمى مؤمنا وليس له فى ايات الوعيد نصيب فلايدخل فى ضمن الآية وهذا هو الذي قال به السوداني واما ائمة اهل السنة والجماعة على اختلاف اقوالهم فاتفقوا على انه لايخلد في النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من ايمان ومن ترك الكبائر وقارف الصغائر كان من اهل الوعد وان كان ناقص الايمان وان صاحب الكبيرة لايخلد فى النار وهو من اهل الوعد كما انه من اهل الوعيد والله اعلم باسرار كتابه فليشمر للدرجات الراغبون وليعمل لمثلها العاملون ولا يلو من المخلط الانفسه والى الله المصير

ال ٨٥ الى ال ٨٦

قال بعد استدلا له على ان الايمان المرتب عليه الفوز عند الله يكون مقصودا به الايمان الكامل المقرون بالاعمال الصالحة: « ومعنى الآية على هذا الوجه والله أعلم هكذا (والذين آمنوا) اي ايمانا تاما مقرونا بالاعمال الصالحة من امتثال اوامر الله واجتناب منهياته (واتبعتهم ذريتهم) المكلفون (بايمان) اي في ايمان كامل كذلك اي كايمان ابائهم الكامل المقرون بالاعمال الصالحة (الحقنابهم) اى بالاباء (ذريتهم) المؤمنين الايمان المذكور فى الثواب اوفى الدرجة اوفى ادخال الجنة (وما ألتناهم) اى وما حكمنا عليهم بنقص شيء من ثواب اعمالهم لاجل تأخر ايجادهم اووقت اعمالهم مع مساوات ايمانهم واعمالهم لمن قبلهم كما اننا لم نحكم بمؤاخذة احد بذنب

احد بل كل امرئ بما كسب رهين وله سعيه بدون تنقيص ولا بخس متقدما كان اومتأخرا» وفيه مواضع (الاول) ان هذه الآية من آيات الوعد ولا أعلم خلافا فى عمومها لمن عدى اهل الكبائر من المؤمنين كما ان الخطاب بيا ايها الذين آمنوا يعم الفريقين منهم (الثاني) ان قوله «آمنوا اي ايمانا تاما» يخرج به المؤمن الذى اجتنب الكبائر وامتثل الاوامر ولكنه قارف الصغائر مع انه لاخلاف انه من اهل الوعد وقد قال الله تعالى (ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما) مع نقصان ايمانه بفعل الصغائر عند من يقول الايمان قول وعمل واعتقاد وهو داخل في عموم الآية عند غيرهم بلا ريب فلا سلف للسوداني في هذا القيد (الثالث) انه لم يترك مجالا للريب فى هذا القول الذي تفرد به دون الامة كلها فقال ((ايمانا تاما مقرونا بالاعمال الصالحة من امتثال اوامر الله واجتناب منهياته)) ومعلوم ان مجتنب الكبائر وان كفرت صغائره باجتنابها فانه غير داخل تحت كلامه وليس له نصيب فى وعد الآية ولا بشارتها عنده (الرابع) انه اراد بالايمان التام الايمان الكامل لامقابل الناقص وهذا خطأ أفحش ومخالفة لسائر الامة اطم واعظم يدل على ذلك قوله فيما مضى «ومن هذا القسم اى القسم الذى اطلق فيه لفظ الايمان واريد منه الايمان الكامل المقرون بالاعمال الصالحة كلمة الايمان التي في قوله تعالى والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان بلا خلاف بين من يعتبر قولهم من المحدثين والمفسرين» اه وما ادعاه باطل بلا خلاف بين من يعتبر قولهم من سائر الامة فضلا عن المحدثين والمفسرين ويدل ايضا على ان مراده بالتام الكامل قوله هنا «واتبعتهم ذريتهم المكلفون

(بايمان) اي في ايمان كامل كذلك اي كايمان ابائهم الكامل» الخ (الخامس) قوله ((الحقنابهم اى بالاباء ذريتهم المؤمنين الايمان المذكور)) وهذا خلاف ماسبق من تفسيره الذين آمنوا بالمؤمنين المتأخرين (السادس) قوله ((فى الثواب اوفي الدرجة اوفي ادخال الجنة)) ماذا اراد بالعطف بأوالابهام اوالشك وكلاهما الاخير له فيهماومتى عين احدهذه الثلاثة توجهت عليه انتقادات اخرى كما يعلم ممامضى ومايأتي (السابع) ان الالحاق لايكون بحسب الوضع اللغوي الا اذا اعطي الابناء مالم يبلغوه باعمالهم سواء كان الالحاق فى الثواب ام فى الدرجةام فى ادخال الجنة (الثامن) ان الاثابة عامة لكل مؤمن لاخاصة بذرية الذين امنوا (التاسع) ان ادخال الجنة عام لكل مؤمن حتى اهل الكبائر ومن كان فى قلبه مثقال ذرة من ايمان بعد اخراجهم من النار هذا مذهب اهل السنة والجماعة فتخصيصه ذرية الذين آمنوا بالالحاق في ادخال الجنة لم يقل به احد من المسلمين قبله (العاشر) انه لم يكتف بتقييد الحاق الذرية بابائهم «فى الثواب اوالدرجة اوادخال الجنة» بكونهم مؤمنين كاملي الايمان الخ حتى اشترط مساوات ايمانهم لايمانهم واعمالهم لاعمالهم وهذا يقتضي اتحاد الاباء والذرية فى الاعمار والاعمال كيفية وكمية ومن كل وجه وبكل صفة حتى لوزاد عمر احد الفريقين على الاخر بنفس واحد اوتسبيحة او تحميدة امتنع الحاقه به فلا يدخل الجنة او لا يثاب ولا يلحق بدرجته فلو حلف حالف ان مثل هذه الخزعبلات لم تطرق

سمع مفسر ولا محدث ولا متكلم ولا اصولي منذ ظهر الاسلام الى اليوم لم يحنث ودونك ما قاله الشيخ محمد عبده فى تفسيره ردا عليه بلسان جاره القريب قال: «على ان المساواة في الايمان بالدين بين شخصين بحيث يكون ايمان احدهما كايمان الآخر في كيفيته وانطباقه على المؤمن به ومايكون فى نفس كل منهما من متعلق الايمان يكاد يكون محالا فكيف ايمان امم وشعوب كثيرة مع الخلاف العظيم فى طرق التعليم والتربية والادراك» اه فاذا اضيف الى ذلك تفاوت الناس في العلوم واختلاف اعمالهم وكيفياتها والحالات المصاحبة لها ودرجات الاحسان والاخلاص زاد امكان التساوي فى ذلك بعدا على بعد وصار حمل الآية على هذا المعنى حملا لها على محال عادي اوعقلي فكان ابطالا لمعناها واهدارا لها فوجب نبذه (الحادي عشر) انه ارجع الضمير في قوله وما التناهم الى الذرية وهذا خلاف قول المفسرين كما تقدم (الثانى عشر) مفهوم قوله «وما ألتناهم اي وماحكمنا عليهم بنقص شيء من ثواب اعمالهم لاجل تأخر ايجادهم اووقت اعمالهم مع مساواة ايمانهم واعمالهم لمن قبلهم» انه قد حكم عليهم بنقص شيء من ثواب اعمالهم اذا لم يساووا من قبلهم ايمانا وعملاً وهذا خلاف صريح الكتاب والسنة واجماع الامة فقد تضافرت النصوص على ان الله يوفي كل عامل عمله ولايظلم ربك احدا

ال ٩٧

انه عاد الى الكلام على الايمان وزعم انه لايتصور وجود التوبة ولا تقوى الله واتباع سبيله ولانهي النفس عن الهوى من خوف الله الا

بوجود الايمان الكامل وهذا عبارته «اذتقوى الله والتوبة اليه واتباع سبيله ونهي النفس عن الهوى خوفا من مقامه لايتصور وجودها الا بوجود الايمان الكامل» وهذه داهية تلحق بدواهيه السابقة ونتيجة كلامه هذا مع ماسبق ان التوبة غير ممكنة اصلا لاستلزامها الدور لان صاحب الايمان الناقص لايتصور منه وجود التوبة ولايكون كامل الايمان اذا عصى فليس فى الدنيا تائب ولا توبة

﴿ ال ٩٨ الى ال ١٠٣ ﴾

انه قال «المبحث الثالث في ماورد في الآية من التأويلات اختلف اهل التأويل في مدلول هذه الآية وما يحتمله بقطع النظر عن غيرها على اقوال القول الاول ماقدمناه بأن معناه الحقنابهم ذرياتهم في اعطاء الثوب وانهم لا ينقصون عمن قبلهم في الثواب لاجل تأخرهم في الزمن مع مساواتهم لمن قبلهم في الايمان والاعمال وهو قول الربيع وقتادة وغيرهما من المتقدمين وهو الموافق لظواهر نصوص الكتاب والسنة والمناسب لحكمة التشريع» وفيه مواضع (الاول) انه قال «اختلف اهل التأويل» الخ وانهم قالوا اما قالوه بقطع النظر عن غيرها وقال فيما سبق انه هو أولها مع النظر الى غيرها من بقية الايات الخ وقال هنا فى هذا القول وهو الموافق لظواهر نصوص الكتاب الخ فهل قطع القائلون به النظر في تأويله عن بقية النصوص ام وصلوه هذا كلام لا يلتئم بعضه ببعض (الثاني) ان ماقدمه مخالف لما ذكره هنا فانه قال في موضع «ثم ذكر انه تعالى يلحق المتأخرين من المؤمنين» الخ وهذا خلاف ماذكره هنا قطعا وقال في موضع آخر «بأن اللاحق يكون ملحقا

في الثواب بالسابق » الخ وهو خلافه ايضا وقال فى موضع ثالث «الحقنا اي بالاباء ذريتهم المؤمنين الايمان المذكور في الثواب» الخ وهنا قال «الحقنا بهم ذرياتهم في اعطاء الثواب اوفي الدرجه اوفى ادخال الجنة » والالحاق في الاعطاء غير الالحاق في الثواب وهذا امر رابع غير الثلاثة المذكورة فيما قبله فقوله « القول الاول ما قدمناه » الخ غير صحيح فان الذي قدمه غير هذا وقد ذكرنا الفاظه بنصها فيما سبق (الثالث) انه نسبه الى الربيع وقتادة وغيرهما من المتقدمين وما قالوا به قط فان الربيع يقول «اعطيناهم اى الذرية من الثواب ما اعطيناهم اى الاباء» والسوداني يقول « الحقنابهم ذريتهم فى اعطاء الثواب » ولا يخفى ان الالحاق في اعطاء الثواب غير اعطائهم مثل ما اعطى ابائهم من الثواب وقال الربيع «وما التناهم من عملهم من شيء يقول مانقصنا اباءهم شيئا» فارجع الضمير فى ألتناهم للاباء وهم الذين لم ينقصوا شيئا بسبب الحاق ابنائهم بهم وقال السوداني «وانهم لاينقصون عمن قبلهم فى الثواب» فارجع الضمير الى الابناء وهذا خلاف قول الربيع ولم يشترط الربيع لاعطائهم مثل ثواب ابائهم ان يساووهم في الايمان والاعمال ولكن السوداني اشترط لذلك عدم نقص الذرية عنهم فيه فاشترط المساواة فى الايمان والاعمال وحاصل هذا انه اخترع قولا ورقشه وزوقه ثم اخرجه الى الناس وقال لهم هذا قول الربيع فغرر بهم وظلم الربيع بن انس بنسبته اليه مالم يقله ونشره في الاقطار فنسأل الله التثبت والثبات (الرابع) ان قتادة انما قال « عملوا بطاعة الله

فالحقهم الله بابائهم » فلا ذكر فيه للمساواة في الايمان والاعمال ولا للملحق فيه هل هو الثواب او الدرجة او دخول الجنة ولالتأخر الايجاد وتفاوت الازمنة وانما هي كلمة مجملة كما ترى فتحمل على ما يوافق كلام غيره من العلماء فمن اين علم السودانى بانه عنى بها هذا القول الذى جعل له متونا واردا فاواذ يالا (الخامس) انه قال « وغيرهما من المتقدمين » ولم يذكر احدا منهم لان المقصود مجرد التهويل والتشبع ولو بالباطل وقد روي ابن جرير عن ابراهيم ما قدمنا ذكره وهو موافق لما شرحناه هنا من قول الربيع وقتادة وقد نقلناه على وجهه (السادس) قوله «وهو الموافق لنصوص الكتاب» الخ قد علمت ان ماقال به المفسرون فى هذه الاية من الصحابه والتابعين ومن بعدهم لايخالف نصا ولاظاهرا وانما اراد بهذه الجملة تهويل الامر واضاف الى ذلك المناسبة لحكمة التشريع كأنه يجوز رد النصوص القرآنية والسنن النبوية اذا لم يرها مناسبة لما يسميه حكمة التشريع وهي صنجة وهمية ماصاغها الاليزن بها كلام الله ورسوله فيقبل ماشاء ويرد ماشاء

﴿ ال ١٠٤ الى ال ١٠٦ ﴾

في قوله « القول الثاني ان المقصود في الآية الاولاد الصغار الذين لم يكلفوا بالايمان ولا بغيره الذين كانوا تابعين لابائهم فى الدنيا فيلحقهم الله بابائهم فى ادخالهم الجنة كرما منه لهم ولابائهم ويؤيده قرآءة واتبعناهم كما تقدم ويروى ذلك عن ابن عباس والضحاك وابن زيد ومن تبعهم من المتأخرين » اه وفيه مواضع (الاول) ان ابن جرير على استقصائه للماثور فى التفسير لم ينقل عن احد من السابقين انه حمل الذرية على الصغار فقط وان نقل هذا القول ابن

القيم فيما سبق نقله عنه ولكنه لم يعين من قال به وانما قال وقالت طائفة والاغلب انها من المتأخرين لقوله فيما بعد عندما حكى قول الحاملين لها على الذرية الكبار البالغين : قالوا وعلى هذا تدل اقوال السلف الخ (الثاني) ان الذي رواه ابن جرير عن ابن عباس من طريق العوفيين وهي طريق لايرضاها المحدثون حملها على الكبار البالغين والصغار وقد تقدم ذكرها وروى عن الضحاك بسند فيه مجهول نحو ذلك وقال ابن زيد بنحوه فقول السوداني « وروى ذلك عن ابن عباس » الخ لا اصل له فلم يرو عنهم هذا القول البتة (الثالث) ان المروي عن ابن عباس في رواية العوفي « الحقتهم بابائهم الى الجنة » وفي رواية الضحاك «الحقتهم بابائهم فى الجنة» والسوداني يقول «الحقتهم بابائهم فى ادخالهم الجنة» وزاد «كرما منه لهم ولابائهم» ولم يرد هذا اللفظ في شيء من روايات ابن جرير والسوداني لم يذكر له مستندا فيما نقله هنا والله اعلم

﴿ ال ١٠٧ ﴾

ثم حكي قول ابن عباس المشهور وزعم انه روي من طريق بعض المرجئة وقد رددنا هذا الزعم فيما سبق وذكر قول الشعبي واعترضه لقوله « فادخلناهم الجنة بعمل ابائهم » وقد وجهناه آنفا فارجع اليه ثم ذكر بعض الايات التي يضعها ذوو البدع في غير مواضعها وقد رأينا لابن القيم كلاما فى ذلك في كتاب الروح رد به على من اعترض

مدلول هذه الآية بقوله تعالى وان ليس للانسان الاماسعى فقال «« والجمع بين الآيتين غير متعذر ولا ممتنع فان الابناء تبعوا الآباء في الآخرة كما كانوا تبعالهم فى الدنيا وهذه التبعية هي من كرامة الاباء وثوابهم الذي نالوه بسعيهم واماكون الابناء لحقوابهم في الدرجة بلا سعي منهم فهذا ليس هولهم وانماهو للاباء اقر الله اعينهم بالحاق ذريتهم بهم فى الجنة وتفضل على الابناء بشيء لم يكن لهم كما تفضل بذلك على الولد ان والحور العين والخلق الذي ينشئهم للجنة بغير اعمال والقوم الذين يدخلهم الجنة بلاخير قدموه ولاعمل عملوه »» اهـ وله كلام ايضا في حادي الارواح لم يحضرني الان فليراجع

﴿ ال ١٠٨ ﴾

ان التلميذ عاد الى النغمة الاولى فكرر ماقاله من ان المراد بالايمان في الاية الايمان الكامل الخ اي لا التام ولا الناقص وقد علمت ان صاحب الاول من اهل الوعد قطعا وان الثاني كذلك اذا لم يكن من اهل الكبائر بلاخلاف واعاد ذكر المتأخر في الزمان والمتقدم بدلا عن الاباءو الذرية وقد تقدم بيان مافى ذلك من التحريف

﴿ ال ١٠٩ ﴾

انه قال «« ولاشتباه معنى هذه الآية على كثير من الناس وسكوت غالب المفسرين عن تفصيل احكامها احتجنا الى هذا الشرح الطويل »» وليس هذا بصحيح فان العلماء قد تكلموا عليها بالكثير الطيب وقد نقلنا عنهم في ذلك ماكفى وشفى وتركنا ماسوى ذاك خوف الاطالة وقد علمت انه ما ازداد بشرحه الطويل هو وشيخه الا تهافتا وغلطا وَاللهُ يَهدي مَن يَشآءُ إلى صِراطٍ مُستقيم

﴿ الامور المرجحة لقول ابن عباس رضي الله عنهما فى هذه الاية ﴾

وهي كثيرة نعد منها ماتيسر على وجه مختصر (الاول) انه قول ابن عباس رضي الله عنهما المشهود له من صاحب الرسالة صلى الله عليه وآله وسلم واجلاء الصحابه وقد مضى ذكر امور غير ذلك تقتضي ترجيح قوله على قول غيره (الثاني) انه قد وافقه عليه ابن مسعود وابن عمر رضي الله عنهما وفى ذلك زيادة قوة وصحة واعتبار (الثالث) ان له حكم المرفوع فانه بمنزلة قوله قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لانه مما لا يقال من قبل الرأي وقد مضى الاستدلال على ذلك (الرابع) ان قول الصحابة مقدم على قول غيرهم لانهم اهل اللغة وهي سليقة وطبيعة لهم وقد شاهدوا التنزيل وفهموه وعرفوا معانيه عن مبلغه وعندهم من دلالة القرائن والنظائر والاشارة ونحوه مما لايدركه المبلغ الغائب ماليس عند غيرهم فما قالوه مقدم من هذه الجهات كلها (الخامس) انهم فهموا التنزيل باذهان صافية خالية عن الاصطلاحات المستحدثة والبدع والاهواء المضلة والمشاغبات اللفظية وقد اخذوه بقلوب سليمة طاهرة وقرائح حاضرة فهم اولى باصابة الصواب (السادس) انه روي برواة الصحيحين ورواة السنن وله متابعات وشواهد وطرق متعددة فهذه قوة السند وذاك قوة المتن مضافا اليهما كثرة الطرق وناهيك بقول اعتضد بموافقة اللغة وقوة السند وصحة المتن وكثرة الطرق (السابع) انه لم ينقل لنا خلاف ما قالوه فى معنى الآية ولذلك لم يحك ابن القيم فيها الا ثلاثة

اقوال لا يؤيد المأثور منها الاقولين ولم ينقل قول قتادة الذي جعله السودنى قولا رابعا وظن ان فيه مايلائم مذهبه وهذا يدل على احد امرين اما موافقة قول قتادة لقول غيره واما ضعفه وعدم ارتقائه الى درجة الاعتبار فجعلوه كأن لم يكن

وليس كل خلاف جاء معتبرا * حتى يكون له حظ من النظر

(الثامن) ان الروايات التى جعلها ابن جرير اقوالا موافقة لقول ابن عباس رضي الله عنهما في جوهر المعنى وان اختلفت فيما كان الالحاق فيه هل هي الدرجة اوالاجر فكان كالاصل التى ترجع اليه ولا يرجع اليها (التاسع) انه ابين منها واوضح وفى قول غيره اقتضاب واختصار فكان البين الواضح المبسوط اولى بان يجعل اصلا ومرجعا (العاشر) ان قتادة كان قد ريا رأسا فى القدر وكان سعيد بن عروبة كذلك ففي رواية قتادة قد ريان وهذه الآية مما يتعلق بما فيها الخلاف بين القدرية واهل السنة (الحادي عشر) ان رواية الربيع بن انس توافق قول ابن عباس رضي الله عنهما لاقول قتادة (الثانى عشر) ان رواية ابراهيم ضعيفة لضعف ابراهيم بن الحكم بن ابان كما تقدم (الثالث عشر) انا قد بينا ان الروايات جميعها متفقة على القول بالالحاق من غير اشتراط المساواة في الايمان والاعمال ولا يظهر بينها فيه اختلاف الا فى المراد بالذرية هل هم الاطفال الصغار والكبار البالغون اوالكبار فقط وعلى هذا فلاخلاف عندهم فيما حاول السودانى دفعه ومنعه بكل حجر ومدر (الرابع عشر) إنه بفرض وجود الخلاف

فهذا قول الجماهير من المفسرين الصحابة ومن بعدهم وقولهم اولى بالصواب من قول فرد شاذ ولولا ذلك لما كان للقول بالاجماع معنى لان اتفاق جمهور العلماء على قول يلي اجماعهم عليه في القوة والرجحان (الخامس عشر) ان السودانى قد اشترط في الموعودين بهذه الآية امرين الايمان الكامل والمساواة للمتقدمين فى الايمان والاعمال فكامل الايمان عنده ليس منهم حتى يتساوى ايمانه واعماله بايمان واعمال من قبله لتفاوت رتب الكمال وتعددها فخرج بقوله اهل الايمان الكامل مع عدم التساوى والمؤمنون القائمون بامر الله الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم ان ربك واسع المغفرة لانه لاخلاف انهم ليسوا من اهل الايمان الكامل مع مقارفتهم للصغائر ولاخلاف بين المسلمين انهم من اهل الوعد لا الوعيد وبهذا يتضح سقوط قوله لمخالفته اجماع الامة واذا ظهر بطلان قول السوداني ظهر صحة قول ابن عباس وابن مسعود وابن عمر رضى الله عنهم وابن جبير والضحاك وابن زيد وابي مجلز وسائر المفسرين الذين عددناهم اول الكتاب رحمهم الله تعالى (السادس عشر) انه خصص بالاية أهل الايمان الكامل فاخرج بذلك غيرهم عن مدلولها بلاحجة مع انهم من اهل الوعد فكان كالتخصيص بغير مخصص وهذا مما يضعف به قوله ويقوى به قول جماهير المفسرين (السابع عشر) ان الذين حملوا الآية على الذرية الذين ماتوا صغارا قبل ان يبلغوا أوان التكليف قد استظهرو

بقراءة واتبعناهم ذرياتهم وقالوا هذا هو الاتباع الحكمي وانما قالوا باتباع حكمي في مطلق الايمان لا في ايمان الاب المطلق والا للزم ان يكون ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم افضل من غيره ايمانا ودرجة لانه ملحق حكما بايمان ابيه صلى الله عليه وآله وسلم الذى يفوق كل ايمان سواه واذا صح الحاق ذى الايمان الحكمي بدرجة ابيه الرفيعة فلم لا يصح الحاق ذى الايمان التكليفي مع ما عنده من العمل والطاعة والاتباع ؟ ويترتب على منع ذلك ان يكون من لم يعمل اولى بالفضل والكرامة ممن عمل وان بلوغه الى درجة الايمان والعمل لم يزده الا نقصا وتدليا فكان قوله الجمهور اولى لعدم استلزامه ما ذكر (الثامن عشر) ان قراءة واتبعناهم ذريتهم كما يحتمل ان المراد بها الذرية الصغار كذلك تحتمل ارادة الكبار وفى نسبة الاتباع الى الله فيها ايماء الى انهم لم يدركوا اباءهم فى ايمانهم ولكن الله أتبعهم اياهم إتباعا ويكون الباء بمعنى الملابسة او السببية اي ملتبسين بايمان او بسبب ايمان فكان إتباعهم لهم مع ايمانهم النفسي كاتباع الذرية الصغار ولايمان لهم نفسي بل اولى (التاسع عشر) ان قرأة وأتبعتهم ذريتهم بايمان تدل على أتباع الذرية لابائها واقتفائها آثارها ولكنها لا تدل على ادراكها لها فكان قوله تعالى الحقنا بهم ذريتهم مبينا لفضل الله عليهم فى الحاقهم بمن قصروا عنه (العشرون) انه ليس فى هذه الجملة الا قراءتان هما وأتبعناهم بنسبة اتباعهم لهم الى الله وأتبعتهم بنسبة الاتباع اليهم ولا قراءة

بلفظ أتبعتهم ذريتهم بقطع الهمزة وسكون التاء اي ادركتهم فكان ورود الآية بهاتين القراءتين دون ماسواهما دليلا على مابيناه (الحادي وعشرون) ان جملة الحقنا بهم ذرياتهم تدل على الحاق قاصر بكامل وهو يؤيد قول المفسرين وينفي قول مدعي اشتراط المساواة فى الايمان والاعمال والكمال فيهما ايضا (الثاني والعشرون) ان يقال ان الثواب بمثابة العوض والعمل بمثابة المعوض عنه ومع تساوي السلع وتماثلها من كل وجه يمتنع في العقل واللغة ان يقال الحقت ثمن هذه البضاعة بثمن هذه اذ لا الحاق مع التساوي يبينه الوجه (الثالث والعشرون) وهو ان يقال هل الدرجة او الثواب الذى اعطيته الذرية هو ثواب ماعملوه سواء بسواء ام اكثر مما يستحقونه بعملهم ام ثواب مالم يعملوه فان كان الاخير فلا يسمى ثوابا وانما هو تفضل وان كان الاول فلا الحاق مع التساوي وما هي الا اعمالهم وفوا ثوابها وليس في التوفية الحاق وان كان الثاني فهذا يظهر فيه معنى الالحاق لانهم رفعوا الى درجة لايستحقونها الحاقا لهم بآبائهم هذا اذ احملنا الذرية على الكبار البالغين ذوي الايمان والاعمال اما اذا حملناها على الذرية الصغار فلا يصح حمل الالحاق على الالحاق في الثواب اذ لا اعمال لهم وانما هو الحاق في الدرجة فقط وهناك مرجحات تعلم مما سبق والله اعلم

﴿ فضائل اهل البيت عليهم السلام وتعديد بعض المؤلفات فيها ﴾

لما كان التلميذ وشيخه قد نصبا انفسهما لعداوة آل محمد صلى الله عليه

وآله وسلم ورضيا بذلك حظا ونصيبا في دنيا هما واخرا هما ، فاظهرا لهم المكروه من القول ، والخبيث من السب ، والطعن الشنيع ، والقذف الفظيع ، وجحدا مناقبهم وفضائلهم ، وحقرا او اخرهم كما صغرا أوائلهم ، وطعنا فى الاحاديث الصحيحة الواردة فيهم وقد ملأت دواوين الاسلام ، وكتب الائمة الاعلام ، بغير بينة مقبولة ، ولاحجة معقولة ، ثم اجتهدا فى الدعاية الى بغضهم وعداوتهم ، وحمل الحقد في القلوب لهم ، واطالا فى التشنيع والتنديد بهم ، وبالغا في نشره بالاساليب المختلفة عداوة لله ورسوله وتنقيصا لخيرته من خلقه بتنقيص اهل بيته وذوى قرباه وتنفيرا عن الاسلام ونكاية له بتحقير البيت الذى منه ظهر نوره ، وسطعت بدوره ، حسن(١) منا ان نعقد ابوابا نذكر فيها انموذجا من فضائلهم ومناقبهم نصرا له صلى الله عليه وسلم وللدين الذى جاء به ، وقياما بالحق الواجب له ولاهل بيته ، غير مبالين بما ينالنا بسبب ذلك من اعدائهم من سب وتنديد ، وتهديد به ووعيد ، فقد جعلنا اعراضنا وقاية لعرض أكرم خلق الله على الله ، والمطهرين من اهل بيته وذوي قرباه كما قال حسان رضي الله عنه

فان ابي ووالده وعرضي * لعرض محمد منكم فداء

وكما قال الكميت رحمه الله تعالى

---

(١) جواب لما

وتناولت من تناول بالغيبة اعراضهم وقل اكتتامي
معلنا للمعالنين مسرا   للمسرين غير دحض المقامِ
مبديا صفحتي على المرقب المعلم بالله عزتي واعتصامي
ماابالي اذا حفظت اباالقاسم فيهم ملامة اللوامِ
لاابالي ولن ابالَيَ فيهم   ابداً رغم ساخطين رغامِ

ولعمري إن فضائلهم لكالبحر لا تغاص اثباجه، والموج لا تنقطع افواجه، والسحب لايعد قطرها، والنجوم لايستطاع حصرها، بل هي النهار الطالع يستدل به ولايستدل عليه، والنور الساطع يعشو كل مستبصر اليه، والمحور الذي دارت حوله الفضائل، والمركز الذي انبعثت عنه مناقب الاواخر والاوائل، والمرجع الاصل لفضيلة كل فاضل، وكمال كل كامل، ومن قصد حصر مناقبهم فقد ابتغى الى الممتنع سبيلا، ورام منه امرا مستحيلا، فعلى السعيد بحبهم، والمغتبط بودهم وقربهم، والمتشوف الى الاطلاع على مالهم من المناقب، وما خصوا به من الخصائص والمواهب، أن يرجع الى ما كتبه الائمة فى ذلك فقد الفوا وصنفوا فى ذلك الدواوين النافعة، والمؤلفات الجامعة فممن الف في ذلك الامام الحافظ الناقد الحجة عبد الرحمن بن ابي حاتم صاحب التآليف في علم الجرح والتعديل المتوفي سنة ٣٢٧، ومنهم الحافظ الامام ابو الحسن علي بن عمر الدار قطني المتوفى سنة ٣٨٥ له كتاب ثناء القرابة على الصحابة وثناء الصحابة على القرابة، ومنهم الحافظ الجليل

الامام ابو بشر محمد بن احمد بن حماد الانصارى المعروف بالد ولابي المتوفي سنة ٣١٠ له كتاب الذرية الطاهرة ، ومنهم الحافظ الامام ابو محمد الحسن بن احمد بن صالح الهمدانى السبيعي الحلبي المتوفي سنة ٣٧١ له كتاب التبصرة ، بفضائل العترة المطهرة ، ومنهم الحافظ ابو عبد الله محمد بن ابي المظفر يوسف الزرندى المدني له كتاب نظم درر السمطين ، في ذرية السبطين ، وكتاب معراج الوصول الى معرفة فضائل آل الرسول ، ومنهم حافظ الحنابلة عبد العزيز بن محمد بن مبارك الجنابذي البغدادي له معالم العترة النبوية ، ومعارف اهل البيت الفاطمية ومنهم المحدث المكثر الحافظ ابو عبد الله الحسين بن محمد بن خسرو البلخى الحنفي مؤلف مسند الامام ابي حنيفة له كتاب مناقب اهل البيت ، ومنهم الحافظ ابو جعفر احمد المعروف بالمحب الطبرى له ذخائر العقبى ، في مناقب ذوى القربى ، ومنهم الشريف العلامة الفقيه والمحدث علي بن عبد الله السمهودى المدنى له كتاب جواهر العقدين ، في فضل الشرفين ، ومنهم الشيخ الحافظ ابو عبد الله ابن الابار له كتاب درر السمط ، فى خبر السبط ، ومنهم الحافظ السيوطي له كتاب احياء الميت ، بفضائل اهل البيت ، ومنهم الشيخ العلامة احمد باكثير الحضرمي له كتاب وسيلة المآل فى عدد مناقب الآل ، ومنهم الشيخ العلامة احمد بن عبد القادر الحفظي له كتاب عقد اللآل ، في فضائل الآل ، ومنهم السيد العلامة العارف بالله فريد

عصره عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس له كتاب عقد اللآل، فى فضائل الآل وكتاب عقد الجواهر، في فضائل اهل البيت الطاهر، ومنهم السيد العلامة احمد بن علوى جمل الليل العلوى له كتاب الذخيرة، ومنهم الشيخ العلامة حسن العدوى الحمزاوي له استطرادات الى ذكر مناقب اهل البيت فى كثير من مؤلفاته كمشارق الانوار ونحوه، ومنهم الشيخ العلامة الصبان له كتاب اسعاف الراغبين؛ فى سيرة المصطفى وفضائل اهل بيته الطاهرين، ومنهم الشيخ العلامة عبد الله بن محمد الشبراوى المصري له كتاب الاتحاف، بحب الاشراف، ومنهم الشيخ الحافظ محمد بن علي الشوكاني له كتاب وبل الغمام ودر السحابة، فى مناقب القرابة والصحابة، ومنهم السيد العلامة المحقق العارف بالله عبد الله بن عمر بن يحيى العلوي له رسالة جامعة فى فضائل اهل البيت وللشيخ العلامة محمد بن سعيد بابصيل خلاصة من ذلك، ومنهم حافظ العصر العلامة حسن الزمان بن محمد قاسم ذو الفقار الهندى له كتاب القول المستحسن، فى فخر الحسن، وكتاب الفقه الاكبر، وفيهما من مناقب اهل البيت كثيرا طيبا، ومنهم عالم العصر الشيخ العلامة يوسف بن اسماعيل النبهاني له كتاب الشرف المؤبد، لآل محمد ومنهم العلامة المحقق المتفنن الشريف الأصيل السيد ابو بكر بن عبد الرحمن بن شهاب الدين العلوي له كتاب رشفة الصادي، من بحر فضائل بني النبي الهادى، الى غير ذلك مما اغفلنا ذكره، اولم يبلغ الينا علمه، اما المؤلفات المخصوصة بمناقب بعضهم

او قبيلة منهم فهي كثيرة ومن اشملها واعمها واعظمها مناقب امير المؤمنين علي كرم الله وجهه افضل اهل البيت وخيرهم وسيدهم بعد مشرفهم محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فمنها كتاب مناقب علي للامام احمد بن حنبل رحمه الله تعالى ، وكتاب خصائص علي للحافظ النسائي ، وكتاب ينابيع الموالاه فى طرق حديث من كنت مولاه فعلي مولاه للحافظ ابن جرير الطبرى في مجلدين ، وكتاب طرق حديث الطير في مجلد وقد صنف فيه جماعة غيره منهم الحافظ ابن مردويه والحافظ ابو عبد الله الحاكم وصاحبه الحافظ ابو طاهر محمد بن احمد بن حمدان الخراساني الرحالة المصنف والحافظ ابو مسعود السجستانى اخرج حديث الموالاه عن مائة وعشرين من الصحابة ، والحافظ الحجة المكثر احمد بن سعيد بن عقدة له كتاب الموالاة فى حديث من كنت مولاه اخرجه فيه عن مئة وخمسة من الصحابة قال الحافظ ابن حجر وفى اسانيده جياد وحسان وكان الحافظ ابو العلاء العطار الهمدانى يقول اروى هذا الحديث بمائتى طريق وخمسين طريقا وللمحدث محمد بن محمد الجزرى الشافعى كتاب اسنى المطالب ، فى مناقب المولى علي بن ابي طالب ، ولابي عبد الله الحاكم جزؤ في فضائل الزهراء البتول على ابيها وعليها الصلاة والسلام ، وقد استدرك فى المستدرك كثيرا من الاحاديث في فضائل اهل البيت وتعقب الذهبي شيئاً منها وقد اخطأ في مواضع من تعقبه ولفقيد الاسلام الشهيد عبد الحميد الزهراوي رحمه الله تعالى مؤلف فى

مناقب ام المؤمنين خديجة رضي الله عنها وبالجملة فالمؤلفات في هذا الشان كثيرة وفي هذه الكتب الخاصة كثير من مناقبهم العامة بل قلما يخلو كتاب من كتب الاسلام عن ذكر شيء من فضائلهم او الاشارة الى شيء منها وبالجملة فان مناقب اهل البيت الطاهر، وماهم من الفضائل والمفاخر، قد ملئت بها الاسفار، وسارت سير المثل فى الاقطار، وبلغت مبلغ الليل والنهار، واذكر هنا مااخبرني به بعضهم قال ان بعض المبتلين بجذام النصب من اهل هذا العصر وكان عربيا ركب البحر مرة فضمه السفر الى بعض المتعلمين من الصينيين فى احد السفن البخارية فلما ادنى التعارف احدهما الى الاخر اخذا يتداولان اطراف الاحاديث، من قديم وحديث، حتى افضى ذلك الشانيء المبتلى الى ذكر السادة الاشراف فاخذ يقصبهم ويعيبهم ويحقر شانهم ويستصغر قديمهم ويقذف ماشاء من رجيع بطنه، ودغل قلبه قال فلم يستمر فى مقاله حتى استشاط ذلك الصيني غضبا وقال: له انك ماتريد بما تسمعنى من اكاذيبك الا ان تسمى بسمة البلاهة والغباوة كأنك لاتعلم اني متعلم متخرج من المدارس العالية قد قرأت التاريخ واطلعت عليه وعرفت اول أمركم وقديمه وما كنتم عليه قبل الاسلام وانه لولا منة الله عليكم بهذا البيت لما عدكم الناس في الامم قال فكأنما القمه حجرا وهناك نظائر لهذه القصة لامحل لذكرها ولسنا بصدد نزح هذا البحر الذى لاتنقطع امداده، ولاعد الرمل الذى يستحيل تعداده

من رام عد القطر عد طويلا، وانما تتعرض من ذلك لما تكلم فيه (التلميذ) من تلك المفاخر العظيمة ، والمناقب الكريمة ، مع الاتيان ببلة من ذلك الفرات العذب ، تبرد بها غلة الاحباب ، ونظم لئالىء من كبار اللؤلوء الرطب ، نزين بها جيد الكتاب ، ومن اراد الاستقصاء والزيادة ، والمبالغة فى الاستفادة ، فليرجع الى ماذكرناه من المؤلفات ومالم نذكره يجد فيها الكثير الطيب ، فى الكثير الطيب

فهم الكثير الطيب المدعوهم ✿ من جدهم عند الزفاف الاتعي

والله الموفق والمعين

﴿ ايجاب الحلول في النار لمبغض اهل بيت المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ﴾

هذه الترجمة للامام الحافظ ابي حاتم محمد بن حبان ترجم بها فى صحيحه المستجاد لما اخرجه من حديث سليم بن حيان عن ابي المتوكل الناجي عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لايبغضنا اهل البيت رجل الا ادخله الله النار وسليم بن حيان هو الهذلي وابو المتوكل هو علي بن داود الناجي البصري وكلاهما من رواة الصحيحين واخرجه الحاكم فى مستدركه وقال صحيح على شرط مسلم عن محمد بن فضيل عن ابان بن تغلب عن جعفر بن اياس عن ابي نضرة عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لايبغضنا اهل البيت احد الا ادخله الله النار محمد بن فضيل وجعفر بن اياس هواليشكري البصري يكنى

ابا بشر وكنية والده ابو وحشية كلاهما من رجال الصحيحين وابان بن تغلب وابو نضرة هو المنذر بن مالك بن قطعة العوقي من رجال صحيح مسلم واستشهد بالاخير البخاري وللحديث شواهد كثيرة فمنها مااخرجه الحاكم قال حدثنا ابو جعفر احمد بن عبيد بن ابراهيم الحافظ الاسدي بهمدان ثنا ابراهيم بن الحسين بن ديزيل ثنا اسمعيل بن ابي اويس ثنا ابي عن حميد بن قيس المكى عن عطاء بن رباح وغيره من اصحاب ابن عباس عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال يابني عبد المطلب اني سألت الله لكم ثلاثا ان يثبت قائمكم وان يهدى ضالكم وان يعلم جاهلكم وسألت الله ان يجعلكم جودا نجداء رحماء فلو أن رجلا صفن بين الركن والمقام فصلى وصام ثم لقي الله وهو مبغض لاهل بيت محمد دخل النار هذا حديث حسن صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه اه قلت اقره الذهبي واسمعيل وابوه من رجال صحيح مسلم وحميد بن قيس وعطاء بن رباح من رجال الصحيحين واخرجه بن ابي خيثمة فى تاريخه من حديث حميد بن قيس بنحوه سندا ومتنا واخرج الديلمي فى مسنده عن ابي سعيد الخدرى رضى الله عن النبي الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال من ابغضنا فهو منافق واخرجه الامام احمد فى مناقب امير المؤمنين علي عليه السلام بلفظ من ابغض اهل البيت فهو منافق وعن ابي بكر بن البهلول من طريق طلحة بن مصرف رحمه الله تعالى قال كان يقال بغض بني هاشم نفاق ويشهد له حديث جابر بن

عبد الله رضي الله عنه قال ما كنا نعرف المنافقين الا ببغضهم عليا اخرجه احمد واللفظ له واخرجه الترمذى بلفظ ان كنا لنعرف المنافقين نحن معشر الانصار ببغضهم عليا ومعنى رواية جابر صحيح مقبول ولا اشكال فى حصره معرفة المنافقين فى بغضه عليه السلام كما هذى به بعض ذوى التعصب المذموم لآن بغضه اظهر علامات النفاق لايعترض عندهم الشك فيها بخلاف ماسوى ذلك من علاماته كالتخلف عن صلاة العشاء ونحوها فانه قد يظن ان للمتخلف عنها اعذارا يحوم حولها الشك في نفاقه ولاعذر في بغضه عليه السلام فكان دليلا واضحا على نفاق صاحبه لايعترض فيه شك وبمثله تحصل المعرفة وعن الحسن بن علي رضي الله عنه انه قال لمعاوية بن خديج يامعاوية اياك وبغضنا فان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لا يبغضنا ولايحسدنا احد الا ذيد عن الحوض يوم القيامة بسياط من نار اخرجه الطبراني في الاوسط بسند ضعيف ولكن معناه صحيح وذكر له السمهودي اصلا آخر عند الطبراني من طريقين احدهما ضعيف ورجال الثاني منهما ثقات الا علي بن طلحة مولى بني امية قال الهيثمي لم اعرفه ثم عدد السمهودي شواهد اخرى لا نطيل بها (قلت) ولعل علي بن طلحة هذا هو مولى بني العباس وهو ثقة لا مولى بني امية فانتقل ذهن الراوي من بني العباس الى بنى امية والله اعلم ومن الاحاديث الصحيحة في معنى حديث الباب ما اخرجه الطبراني في الكبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

بغض بني هاشم والانصار كفر وبغض العرب نفاق قال الشيخ العزيزي فى شرح الجامع الصغير اسناده حسن صحيح وانما كان بغض بني هاشم كفرا لانهم البيت الذي ظهر الاسلام منه كما ان الانصار هم القبيل الذى نصره فلا يبغضهم احد له دين وجعل بغض العرب نفاقا لكون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منهم وبعث فيهم فلا يبغضهم الا من عنده دسيسة نفاق وقد رأينا الملحدين والمتجددين فى هذا العصر كيف يبتدئ ضلالهم والحادهم ببغض العرب ثم يلجون ظلمات الكفر الى حيث ألقت . ولم يجعل بغضهم كفرا كبغض بني هاشم والانصار فرقا بين القريب والاقرب كالفرق بين الاعم والاخص واللازم والالزم ويشهد لذلك ما اخرجه الترمذي عن سلمان رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ياسلمان لاتبغضني فتفارق دينك قلت يارسول الله كيف ابغضك وبك هداني الله قال تبغض العرب فتبغضني قال الترمذي هذا حديث حسن غريب لايعرف الا من حديث ابي بدر شجاع ابن الوليد (قلت) فيحتج به لصحة الاحتجاج بالحديث الحسن كالصحيح ولذلك قال ابن تيمية في الاقتضاء عقب ايراده له مانصه «وهذا دليل على ان بغض جنس العرب ومعاداتهم كفر او سبب الكفر ومقتضاه انهم افضل من غيرهم وان محبتهم سبب قوة الايمان لانه لوكان تحريم بغضهم كتحريم بغض سائر الطوائف لم يكن ذلك سببا لفراق الدين ولا لبغض الرسول بل كان يكون نوع عدوان فلما جعله سببا لفراق الدين وبغض الرسول دل على ان بغضهم اعظم من بغض غيرهم وذلك دليل على انهم افضل لان الحب والبغض يتبع الفضل فمن كان بغضه

اعظم دل على انه افضل ودل حينئذ على ان محبته دين لاجل مافيه من زيادة الفضل ولان ذلك ضد البغض ومن كان بغضه سببا للعذاب لخصوصه كان حبه سببا للثواب وذلك دليل الفضل وقد جاء ذلك مصرحا به في حديث آخر رواه ابو طاهر السلفي» اه ثم ساق الحديث وكلاما طويلا بعده وحينئذ فاذا كان هذا الحديث دليلا على ان بغض العرب كفر اوسبب الكفر فهو على ان بغض بني هاشم كذلك اوضح دلالة لانهم خاصة العرب وصميمهم وما ثبت للفرع لعلة ، فهو للاصل لتلك العلة اثبت وهو فيه اظهر واقوى، وبه اولى واحرى ، واذا كانت محبتهم سبب قوة الايمان كانت محبة بني هاشم من اسباب نفس الايمان وهذا المفهوم قد جاء مصرحا به في حديث صحيح تقدم اول الكتاب وسيأتي فى محله ان شاء الله تعالى قال صلى الله عليه وآله وسلم والله لايدخل قلب امرئ ايمان حتى يحبكم الله ولقرابتي فكان دخول الايمان الى قلب اي انسان متوقفا على حبهم فيكون بغضهم اقوى اسباب الكفر او من اقواها اذ لاشك انه اقوى فى السببية من بغض العرب لانه اعظم جرما وفحشا فتكون دلالة هذين الامرين على افضليتهم اظهر واصرح لان محبتهم اوجب وآكد وبغضهم اشنع واشد ، ومحبتهم من اقوى دعائم الدين وموجبات الثواب ، كما أن بغضهم من اعظم الآثام وموجبات العذاب ، وبالجملة فكل ما اثبته ابن تيمية للعرب بدلالة هذا الحديث فهو لبني هاشم اثبت وبهم اولى ، وكانوا احق بها واهلها ، مع ماورد فيهم خاصة مما هو ابين دلالة واصح متنا وسندا ، واذا انعمت النظر فى هذه الاحاديث عرفت ان

السنن النبوية يؤيد بعضها بعضا و يصدق بعضها بعضا فلما كانت بنوهاشم والانصار اقرب مكانة منه صلى الله عليه وآله وسلم واشد لصوقا به كان بغضهم كفرا وكان بغض العرب نفاقا لانهم دونهم في ذلك واذا كان بغضهم كفرا كانت محبتهم ايمانا ودينا يدان الله به ويتقرب به اليه فجاءت الاحاديث يصدق بعضها بعضا لما صرح به حديث ابي سعيد الخدري الصحيح ان الله يدخل مبغضهم النار وبئس القرار (ان الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا) ولما دل الحديث على ان بغض العرب سبب لبغضه صلى الله عليه وآله وسلم لقوله لسلمان رضي الله عنه لا تبغض العرب فتبغضني فعطف الجملة الاخيرة بفاء السببية ومتى وجد السبب وجد المسبب فمتى وجد بغض العرب فى قلب انسان وجد بغضه صلى الله عليه وآله وسلم لامحالة وقد لايشعر به صاحبه كان(١) من الواضح ان بغض بني هاشم اقوى في العلية لان يكون سببا الى بغضه صلى الله عليه وآله وسلم لا محالة وانما يعلم وجه السببية في ذلك وسرها من عرف سير الاخلاق والوجدانات فى نفوس الناس واستتباع بعضها بعضا · ومنها مايخفى فلا يدرك الابنور النبوة وانك لترى كثيرا من الناس تخيل اليه نفسه انه يحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانه ناصرلدينه بماله وقلمه ولسانه وليس عنده من المحبة الصحيحة المطلوبة شرعا لاقليل ولا كثير· وانما عنده خيالات

---

(١) جواب لما

واوهام اقامهاله الشيطان ، ومايتحرك فيما يسميه هو محبة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونصراً له الا بدواعي نفسية ، واغراض دنيوية ، كستها الدعوى والرضا عن النفس كسوة الحق فلا يشعر هذا المغرور المخدوع بما فى قلبه من الشنآن والبغضاء له صلى الله عليه وآله وسلم لانها بوادر تسبق الفكر وتحتجب عن الشعور وتلطف عن الفطن القوية . ولاشك ان شانيء اهل البيت من اول او اول من يصدق عليه هذا ، ولو حاسب نفسه وايد بتوفيق وبصيرة لعرف الحقيقة ، وانى له بذلك وهو لايكون بهذه المثابة حتى يضله الله على علم ويختم على سمعه وقلبه ويجعل على بصره غشاوة . وانا نعلم من طبائع الناس واثر المحبة فيهم ان من احب احدا منهم محبة صادقة سرت منه الى من يلوذ به حتى يستعظم محاسنه ويعمى عن مساويه كما ورد فى الحديث حبك الشيء يعمى ويصم فان ظهر له منه شيء سبق الى قلبه حسن الظن ووجه العذر وخف على قلبه منه ماثقل من غيره هذا وهو انما يحب امرأ من عرض الناس فما باله يدعي محبة رسول الله عليه وآله وسلم وهو يبغض اهله ويشنأ ذريته ، ويحيل محاسنهم مساوي ، وحقائقهم دعاوى ، هذا مالايصح له ابدا .

وبالجملة ففي حديث ابي سعيد وعيد شديد لكل شانيء ابتر بادخال النار وفيه دلالة على ان بغض اهل البيت من كبائر الذنوب وفواحشها وليس كبغض غيرهم . واذا كان بغض العرب سببا للكفر

فما لك ببغضهم وهم هم ، ومن وسائل الملحدين في هذا العصر انهم يسلكون في الدعوة الى الارتداد عن الاسلام والتخلي عنه سبيل اثارة البغضاء للعرب بتقبيح لغتهم وتعييبها وذم اساليبها واستثقالها والترغيب في استجداد اساليب اخرى غير المنقولة عنهم والطعن في حروف كتابتهم والدعوة الى تركها واستعمال الحروف الافرنجية ثم يتدحرجون الى الطعن فى الاحكام والآداب الاسلامية ودعوى انها لا توافق العصر الحاضر وانها مانعة من الرقي ويعنون بالرقي اللحاق بالامم الغربية ذوات العزة والسلطان والصناعة الى اساطير كثيرة من هذا النوع وما بهم الارقة الديانة وضعف البصيرة ولهم شره وحرص شديد ان على ترويج شرهم وسعي اليه حثيث ولم نرهم ادركوا بغيتهم فى قوم مثل القوم الذين استجابوا لهم الى بغض العرب فما تابعوهم على ذلك حتى سارعوا الى الالحاد وركضوا اليه ركضا فكان ذلك مصداق حديث سلمان السابق ذكره آنفا والحاصل أن تأثير بغض بني هاشم والانصار في افساد قلب صاحبه حتى يعمى ويضل ويستحوذ عليه الشيطان ويتغلب عليه الهوى اعظم من تأثير بغض العرب ولذلك جعله فى الحديث كفرا كما توعد عليه بادخال النار وكلا الامرين شر وبلاء وفتنة ولذلك سمع بعض غلاتهم يقول ان النصارى احب الينا منهم وقال آخر المجوس من الصينيين خير منهم (فان قيل) ما تقولون في قوله صلى الله عليه وآله وسلم بغض بني هاشم والانصار

كفر وبغض العرب نفاق هل يؤخذ بظاهره فيحكم بكفر المبغض وارتداده وحرمة مناكحته واجراء احكام الردة عليه (قلنا) لايقال انه كفر يخرجه عن الملة ولكنه كفر دون كفر كما قال سلف الامة في نظائر ذلك كما روى عن ابن عباس فى قوله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون قال هو به كفر وليس كمن كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله اي كفر دون كفر ونقل نحو هذا القول عن غيره من المتقدمين ولكن ذلك يدل على غلظ الوعيد وعظم هذه المعصية وتأصل النفاق في القلب وصاحبه بصدد الموت على سوء الخاتمة اذا لم يتداركه الله بتوبة صادقة. وحديث الطبراني عن الحسن السبط على جده وابويه وعليه الصلاة والسلام وان كان سنده ضعيفا فان متنه صحيح لانه بمعنى حديث ابي سعيد الخدرى وفيه زيادة ولايحسدنا احد ويشهد لها ماورد في تفسير قوله تعالى ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما فقد فسر الفضل هنا بالنبوة وهو يوافق قوله تعالى هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم الى قوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وقوله تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الى قوله ذلك هو الفضل الكبير فسمى ذلك فضلا كما فسر قوله تعالى قل بفضل الله ورحمته فبذلك فليفرحوا اي بالنبوة والكتاب قال قتادة حسدوا هذا الحي من العرب على ما آتاهم الله من فضله بعث منهم نبيا

فحسدوهم على ذلك وبمثله قال ابن جريح واختلفوا فى هذا الموضع فقال بعضهم عنى الله به محمدا صلى الله عليه وآله وسلم ونقل هذا عن ابن عباس وعكرمة ومجاهد والضحاك والسدي وقال قتادة هم العرب والقول الثاني يعود الى الاول لانه ما كان فضلا على العرب الا بعدان كان فضلا عليه صلى الله عليه وآله وسلم وقد روي عن سيدنا جعفر الصادق على ابائه وعليه السلام انه قال نحن الناس اي المرادون في هذه الآية وهذا مما لاشك فيه لانه متى جاز حمله على العرب وهم القبيل العام له صلى الله عليه وآله وسلم كان جواز حمله على اهل بيته اولى ولذلك كان حاسد اهل البيت انما يحسدهم على مانالهم من الشرف به صلى الله عليه وسلم وهذا من نعمة الله عليه في اهله وعترته فمن حسدهم فانما حسدهم على نعمة انعم الله بها على نبيه واحب خلقه اليه فيهم واستثقل نعمة الله عليه اذ بلغت اليهم وافيضت منه عليهم فحاسدهم حاسدله بأبي هو وامي كما ان مبغضهم متسبب الى بغضه صلى الله عليه وآله وسلم ونظير ذلك ماورد في الحديث الآتى ذكره الا من احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم (فان قيل) ان بغض رسول الله صلى الله عليه وسلم كفر لاشك فيه ولم يقل احد بكفر النواصب ولا الشعوبية وانما قيل فيهم انهم مبتدعة (والجواب) ان التكفير بمعنى الاخراج عن الملة والحكم بالردة لايجوز الا بأمر صريح لاشك فيه وان سلم الناصبي او الشعوبي من التكفير فلا يسلم من ان يحكم بنفاقه كما حكم بتبديعه ولايخلو

قلب مبتدع عن نفاق وقد كان على عهده صلى الله عليه وآله وسلم من المنافقين من يتكلم فيه صلى الله عليه وآله وسلم ويستهزئ به ويحاكيه فى مشيته وحركته ويبغى له الغوائل ويمالئ عليه اعداءه سرا ويكيد للاسلام واهله كما نطق به القرآن وتواترت به الاخبار ومع ذلك فلم يزل صلى الله عليه وآله وسلم يعاملهم معاملة اهل الاسلام حتى توفاه الله مع انهم في الدرك الاسفل من النار كما صرح به القرآن فحكمهم فى الدنيا غير حكمهم فى الآخرة وبالجملة فشأن هولاء الحسدة كشان اولئك الذين فرحوا واستبشروا بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يعيش له ولد فكانوا يحبون انقطاع نسله وذلك أن حاسدي اهل البيت يحبون انقطاع الشرف الطيني والديني المتواصل في اهل بيته فيسعون الى اطفاء نورهم بكل وسيلة، ولهم جهد عظيم فى تأويل النصوص الواردة في شانهم بما يضعف به مدلولها ويصغر خطرها حسدا من عند انفسهم ان يكون له صلى الله عليه وآله وسلم من النعمة والكرامة فى اهله وقبيله ما يبلغ هذا المبلغ (ام لهم نصيب من الملك فاذاً لايؤتون الناس نقيرا)

وما اشرنا اليه هو قول المفسرين في قوله تعالى ان شانئك هو الابتر قالوا هو العاص بن وائل كان يقول ان محمدا ابتر لاعقب له فانزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم انا اعطيناك الكوثر فاما الكوثر فقد روى عن ابن عباس انه الخير الكثير وفى رواية اخرى انه نهر الحوض الموعود به فى الاخرة ترده هذه الامة وروى عن سعيد بن جبير بسند

صحيح انه جمع بين روايتي ابن عباس وقال ان النهر من الخير الذى اعطاه الله اياه وقد رايت بعض من فسر القرآن من اهل عصرنا عند ماوصل الى ذكر الحوض جمجم القول فيه ولم يفصح واورد القول بصيغة تدل على الشك والتردد مع ان مذهب اهل السنة والجماعة الايمان به واحاديثه متواترة وقد رويت عن خمسة واربعين من الصحابة وامام المكذبين به هو ابن مرجانة يوم يدعى كل اناس بامامهم ذكرت هذا لئلا يغتر به بعض من لاعلم عنده والمقصود هنا ان الخير الكثير الذي اعطاه الله محمدا صلى الله عليه وآله وسلم لا يحصره حاصر، ولا يأتي عليه قلم كاتب، منها ما هو فى نفسه كالنبوة والكتاب والمقام المحمود والشفاعة والمنزلة العظيمة عند الله، ومنها ماهو فى اهل بيته وعشيرته، ومنها ماهو في اصحابه وانصاره، ومنها ماهو في امته فالمؤمن الصادق يفرح بفضل الله السابغ عليه صلى الله عليه وآله وسلم والحاسد المستكثر تضيق حوصلته عن هذا كله، اما من جعل ديدنه معاداته صلى الله عليه وآله وسلم بمعاداة اهل بيته فلا تسأل عن ضيق خناقه وحرج صدره اذا ذكر آله صلى الله عليه وآله وسلم فان كان ممن يتكسب بعلم الدين اسودت في عينه الدنيا وعظمت عليه بذلك المصيبة لاستشعاره ان ذلك مما يصرف عنه وجوه الناس فتراه فى غمة من امره يلتمس وجوه الحيل ليمحو هذا الفضل الثابت لهم في قلوب الناس ويزرع لهم البغضاء في صدورهم فان كان ممن لا يتقيد بمروة ولا ادب فما عنده الا ما زينه له ابليس مما لا يليق الا بامثاله

وقد حكى النيسابوري في تفسير الكوثر عدة اقوال منها قوله «والقول الثالث ان الكوثر اولاده لان هذه السورة نزلت ردا على من زعم انه الابتر كما يجيء والمعنى انه يعطيه بفاطمة نسلا يبقون على مر الزمان فانظر كم قتل من اهل البيت ثم العالم مملؤ منهم ولم يبق من بني امية في الدنيا احد يعبأ به والعلماء الاكابر منهم لاحد لهم ولا حصر لهم منهم الباقر والصادق والكاظم والرضى والتقي والنقي والزكي وغيرهم» والاولى في توجيه ذلك هو ما قدمته فان جميع ما انعم الله به عليه صلى الله عليه وآله وسلم فى نفسه ومن تعلق به داخل في الكوثر الذي هو الخير الكثير .

ومن الناس من يلوي لسانه فى مثل هذا المبحث بان القول بذلك من التفاخر بالانساب وموجبات الغرور والاعراض عن العمل الصالح كأن الطعن في آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم والغض منهم والجحد لفضلهم من الاعمال الصالحة ومما يعلو به الدين ويصلح به شأن الامة والملة ولو كشف عن حال هذا القائل لوجد اعظم الناس فخرا بما ليس له وتشبعا بما ليس عنده واخلاهم عن حقائق الايمان وانى يصح له ذلك وهو منافق بنص الحديث ومبتدع باتفاق اهل السنة والجماعة ، ومن الناس من يعارض فضائلهم اذا ذكرت له بقوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم ونعمت هذه الكلمة المباركة ، ولكن هذا القائل يقولها ولا حظ له فيها ولا نصيب فمتى يكون متقيا وهو مرتكب للفواحش او من اهل البدع كأن كان ناصبيا يبغض اهل البيت او خارجيا مفارقا لمذهب اهل السنة فهو يأتي بكلمة حق يريد بها باطلا ، الم تر الى حكمة الله تعالى فى خلقه كيف جعل الرسالة

والنبوة والكتاب متسلسلة في سلائل معروفة واماكن مخصوصة فلم تعد سلالة اسرائيل واسماعيل وختم الله لهؤلاء وخصت بهم الارض المقدسة والبيت الذي بوأه الله لابراهيم وابنه اسماعيل عليهما الصلاة والسلام واسكنه ذريته ، ألم يكن من جملة الدلائل التي استدل بها هرقل على نبوته صلى عليه وآله وسلم موضع نسبه في قومه كما في حديث البخاري ، أولم يناشد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم امته في عترته ليرعوا حقهم ويستبطنوا مودتهم فما بال عصاة امره قد استدبروا قوله واضاعوا حقه وهتكوا حرمته فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

(ايجاب اللعنة على من استحل من عترته صلى الله عليه وآله وسلم ماحرم الله)

نذكر هنا اولا ماذكره الامام الحافظ ابو جعفر الطحاوي في كتابه مشكل الاثار ثم نلحقه بما اطلعنا عليه عن غيره من العلماء الاخيار قال:

«حدثنا يونس بن عبد الاعلى ثنا عبد الله بن وهب اخبرني عبد الرحمن بن ابي الموالى عن عبيد الله بن موهب قال كتب عمر بن عبد العزيز الى ابي بكر بن حزم وهو امير المدينة يومئذ ان اكتب الي من حديث عمرة ابنة عبد الرحمن فكان فيما املت علي حدثتني عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ستة العنهم لعنهم الله وكل نبي مجاب ، الزائد في كتاب الله والمكذب بقدر الله والمتسلط بالجبروت يذل به من اعز الله عزوجل ويعزبه من اذل الله عزوجل والتارك لسنتي والمستحل لحرم الله عزوجل والمستحل من عترتي ماحرم الله عزوجل (حدثنا) ابراهيم بن ابي داود ثنا اسحق بن محمد الفروي ثنا ابن ابي الموالي عن عبيد الله بن عبد الرحمن بن موهب عن ابي بكر بن محمد عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم انها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه

وآله وسلم يقول ثم ذكر مثله قال ابو جعفر فكان في حديث يونس عن ابن وهب سماع ابن موهب هذا الحديث من عمرة وفى حديث ابن ابى داود عن الفروي سماعه اياه من ابى بكر بن محمد عن عمرة وكان حديث يونس اولى مما عندنا لان فيه ذكر املاء عمرة اياه عليه في مجيئه اليها برسالة ابى بكر اياه اليها في ذلك (وحدثنا) عبد الملك بن مروان الرقي ثنا محمد بن يوسف الفريابي عن سفيان عن عبيد الله بن عبد الرحمن بن موهب سمعت علي بن الحسين يقول قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ستة لعنتهم ثم ذكر الستة المذكورين في الحديثين الاولين قال ابو جعفر فكان فى هذا الحديث اخذ ابن وهب اياه عن علي بن الحسين لا عن عمرة ولا عن غيرها فكان الثوري هو الحجة فى ذلك والاولى ان يقبل روايته فيه عن ابن موهب لسنه وضبطه وحفظه غير ان ابن الموالي ذكر القصة التي ذكرها فيه من بعث ابي بكر بن حزم اياه الى عمرة فى ذلك واملاء عمرة اياه عليه عن عائشة فقوى فى القلوب ذلك واحتمل ان يكون ابن موهب اخذه عن عمرة على ماحدث به عنها واخذه مع ذلك عن علي بن الحسين على ماحدث به عنه مما قد ذكره عنه الثورى والله اعلم بحقيقة الامر فى ذلك ثم تأملنا متن هذا الحديث فكان الذى فيه من ذكر الجبروت اشتقاق ذلك من الجبرية كما اشتقوا الملك من الملكوت وكان الذي فيه من استحلال ما حرم الله عزوجل هو ان يجعل كما سواه مما لم يحرمه من بلاده اذا كان قد ابانه بتحريمه اياه من سائر بلاده سواه من منع عباده من دخوله الا محرمين اما بالحج واما بالعمرة من تحريم صيده(١) ومن امانه من دخله بقوله عزوجل ومن دخله كان آمنا وبتحريمه عضاهه للحرمة التي لم يجعلها لعضاه غيرها ومن منعه القتال فيه من لايجب قتاله لانه قد اعلمنا عزوجل على لسان رسوله ان مكة لاتغزى بعد العام الذي غزاه وانه لايقتل قرشي بعد عامه ذلك صبرا اي لاتقتلوا اهلها بعد ذلك العام فيغزون كما غزوا في ذلك العام للكفر الذي

---

(١) كذا بالاصل ولعله ومن

اباح دماء اهلها القرشيين في ذلك العام فمن ازل الحرم بخلاف تلك المنزلة كان ملعونا ، وكان قوله والمستحل من عترتي ماحرم الله وعترته هم اهل بيته الذين على دينه وعلى التمسك بامره كمثل ماقد ذكرنا فيما قد تقدم منا في كتابنا هذا مما كان منه صلى الله عليه وآله وسلم بغديرخم من قوله للناس اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ومما روي عنه فى ذلك مما لم يكن ذكرنا وهو ماقد حدثنا فهد بن سليمان قال ثنا ابوغسان مالك بن اسمعيل النهدي ثنا اسرائيل بن يونس عن عثمان بن المغيرة عن علي بن ربيعة الاسدي قال لقيت زيد بن الارقم وهو داخل على المختار اوخارج فقلت ما حديث بلغني عنك سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله عزوجل وعترتي قال نعم ، حدثنا ابن ابي داود ثنا عبد الله بن نمير الهمداني ثنا محمد بن فضيل بن غزوان ثنا ابوحيان يحيى بن حيان التيمى عن يزيد بن حيان (١) قال انطلقت انا وحصين بن عقبة الى زيد بن ارقم فقال له حصين لقد اكرمك الله يازيد رأيت خيرا كثير رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وغزوت معه وسمعت منه لقد اصبت خيرا كثيرا يازيد فحدثنا بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال زيد قام فينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بماء يدعى غديرخم بين مكة والمدينة فحمد الله واثنى عليه وذكر(٢) ثم قال اما بعد يايها الناس اني انما انتظر ان ياتي رسول ربي عزوجل فاجيب واني تارك فيكم الثقلين كتاب الله عزوجل فيه الهدى والنور فاستمسكوا بكتاب الله عزوجل وخذوابه فرغب في كتاب الله وحث عليه ثم قال واهل بيتي اذكركم الله عزوجل فى اهل بيتي قال ابوجعفر وطلبنا من روى عن يزيد بن حيان سوى ابي حيان التيمي ليكون قد حدث عنه سوى ابى حيان من هوكابي حيان في العدل فيكون قد حدث عنه عدلان فوجدنا الاعمش(٣) قد روى عنه

---

(١) هذا احد من خلط التلميذ في اسمائهم فجعله يزيد بن حيان البلخي ليجرحه كما سيأتي ذلك في موضعه ان شاء الله تعالى

(٢) لعله وذكره (٣) بل روى عنه ايضا فطر بن خليفة وسفيان الثورى

كما قد حدثنا علي بن ابي شيبة ثنا ابو نعيم ثنا الاعمش عن يزيد بن حيان قال كان عنبس بن عقبة يسجد حتى ان العصافير يقعن على ظهره وينزلن مايحسبنه الاجذم حائط وما قد حدثنا فهد ثنا ابو نعيم فذكر باسناده مثله قال ابو جعفر فاحتمل فى الرواية عنه الاعمش وابو حيان فمن اخرج عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليهم من المكان الذى جعلهم الله به على لسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم مما قد ذكرنا فى هذه الاثار فجعلهم كسواهم ممن ليس من اهل بيته وعترته كان به ملعونا اذ كان قد خالف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما فعل من ذلك وسائر ما في هذا الحديث سوى ذلك مكشوف المعانى يعلم سامعوه ما اريد به علما يغنينا عن التفسير له والله سبحانه الموفق » اه كلام الامام ابي جعفر الطحاوي نقلناه بطوله لما فيه من الفوائد ومما ينبغي بيانه المراد بالمستحل في هذا الحديث فقد يتوهم من الف اصطلاحات الفقهاء ان المستحل الذى يعتقد الشيء المحرم حلالا وليس ذلك مرادا هنا البتة بل المراد به من انتهك حرمة ذلك الامر سواء كان يعتقد حله أم تحريمه كما يقال فلان استحل الحرم اي فعل فيه امرا انتهك به حرمته وخالف به ماامر الله به من تعظيمه وتكريمه فكأنه صيره حلالا بما فعل وقد بين ذلك ابو جعفر الطحاوى رحمه الله تعالى في موضع آخر من كتابه ونصه «ثم تأملنا قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان الشيطان يستحل طعام القوم اذا لم يذكروا اسم الله عليه لنقف على ذلك الاستحلال ماهو فوجدنا الحلال هو الشيء المطلق ووجدنا الحرام هو الشيء الممنوع عنه ووجدنا من فعل شيئاً ممنوعا عنه كان بذلك مطلقا لنفسه مافعله من ذلك وكان بفعله ذلك مستحلا لاطلاقه لنفسه ما اطلقه لها من ذلك حتى فعلته ومن ذلك

قول الله عزوجل في الآية التى ذكر فيها النسيء يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطؤاعدة ماحرم الله عزوجل عليهم من ذلك ، ومنه قول الناس استحل فلان دمي واستحل فلان مالي على معنى اطلق لنفسه دمي واطلق لنفسه مالي » اه

وحديث الباب قد اخرجه الحاكم في المستدرك في موضعين فقال فى الاول حدثنا ابو محمد عبد الله بن جعفر بن دستويه الفارسي ثنا يعقوب بن سفيان الفارسي وحدثنا ابو بكر بن اسحاق الفقيه ثنا الحسن بن علي بن زياد قالا ثنا اسحاق بن محمد الفروي ثنا عبد الرحمن بن ابي الموال القرشي واخبرني محمد بن المؤمل ثنا الفضل بن محمد الشعرانى ثنا قتيبة بن سعيد ثنا ابن الموال عبد الرحمن ثنا عبيد الله بن موهب عن ابي بكر بن محمد بن حزم عن عمرة عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكره به ثم قال قداحتج البخارى بعبد الرحمن بن ابي الموال وهذا حديث صحيح الاسناد ولا اعرف له علة ولم يخرجاه وانما قال الحاكم ولااعرف له علة لان بعض اهل العلم قال فى حديث ابن ابي الموال هذا خطأ والصحيح عن ابن موهب عن علي بن الحسين فكأنه يريدان يعلله بذلك وليس كلامه بشيء لانه قدرواه عن ابن ابي الموال ثلاثة وهم اسحاق بن محمد الفروي وقتيبة بن سعيد وعبد العزيز الاويسي والحجة قائمة بهم وبه وقد علمت احتجاج البخاري بابن ابي الموال ولامانع من ان يكون الحديث عند ابن موهب من طريقين من طريق عائشة ومن طريق علي بن الحسين رضي الله عنهم فحدث بهذه الطريق مرة وبهذه اخرى وقد جمع

علماء الحديث بمثل ماقلناه فى نظائر ذلك ولاحاجة للاستشهاد فان من كان من اهل الاطلاع عرف ذلك والقاصر يكتفى بما قلناه واما ذوالهوى فالهه هواه فانى يلتفت لما سواه والحجة قائمة به على كل حال على ان ابن موهب لم ينفرد بروايته عن علي بن الحسين فقد رواه غيره عنه مرفوعا وروي عن علي عليه السلام وعن عمرو بن سعواء اليافعي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما وما اشار اليه ابوجعفر فى الطريقين التى مر ذكرهما عن ابن موهب من كونه ذكر مرة املاء عمرة الحديث عليه بنفسه وحدث به مرة اخرى عن ابي بكر بن محمد فليس باختلاف ولااضطراب فى السند بل هو مما يدل على تثبت ابن موهب وشدة تحريه وصدقه فان عمرة ما املت عليه الحديث الالابي بكر بن حزم وهو الامير الذي ارسل اليها فى ذلك لا له فلم يكن ابن موهب هو المقصود بالتحديث منها وانما هو واسطة بينها وبين ابي بكر بن حزم ثم اخذه هو عن ابى بكر فذكر مرة كيفية القصة وذكر مرة اخرى اخذه له عن ابن حزم وذلك مما يدل على قوة السند وصحة الرواية وقال الحافظ ابن حجر فى مقدمة الفتح اذا كان في الحديث قصة دل على ان راويه حفظه وحكى هذا عن احمد بن حنبل رحمه الله تعالى فهذا يدلك على صحة قول الحاكم ولا اعلم له علة ولذلك اقره عليه الذهبي فى تعقيبه مع ولعه بتضعيف امثال ماذكر وهذا الحديث قد اخرجه ابن حبان في صحيحه والطبراني في الكبير وفي الدعاء والبيهقي والخطيب فى المتفق والمفترق والدارقطني

في الافراد عن علي عليه السلام مرفوعا اما رواية الحاكم في الموضع الثاني فهي حدثنا ابو علي الحسين بن علي الحافظ انبأ عبد الله بن محمد بن وهب الحافظ انبأ عبد الله بن محمد بن يوسف الفريابي حدثني ابي ثنا سفيان عن عبيد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن موهب قال سمعت علي بن الحسين يحدث عن ابيه عن جده رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ستة لعنتهم ولعنهم الله وكل نبي مجاب وساق الحديث بنحوه وزاد فيه قال سفيان اقرؤا سورة والليل اذا يغشى (الى) فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى قال الحاكم هكذا حدثنا ابو علي وله اسناد صحيح اخشى اني ذكرته فيما تقدم ثم ساق طريق عبد الرحمن بن ابي الموال المتقدم وقال عقبه قد احتج الامام البخاري باسحاق بن محمد الفروي وعبد الرحمن بن ابي الموال في الجامع الصحيح وهذا اولى بالصوب من الاسناد الاول اه اقول ففي رواية الحاكم هذه من طريق علي بن الحسين على ابائه وعليه الصلاة والسلام انه رفعه الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد ذكرها الطحاوي مرسلة وعلى كل فالاحتجاج بها صحيح لصحة الاحتجاج بالمرسل اذا روي من وجه آخر وقد قدمنا انه لامانع ان يكون الحديث عند ابن موهب من هاتين الطريقين ويشهد لذلك ما اخرجه الدار قطني في الافراد وقال هذا حديث غريب من حديث الثوري عن زيد بن علي بن الحسين تفرد به ابو قتادة الخزاعي عن علي نقله عنه صاحب كنز العمال وقول

الدار قطني غريب تفرد به ابو قتادة مراده بذلك التفرد النسبي لا المطلق اي باعتبار هذا الاسناد فقط فهي غرابة نسبية كما هو معلوم من صنيع الحفاظ على اني قد وجدت له متابعا فانتفت غرابته فقد اخرج الواسطي فى مسند الامام زيد بن علي بن الحسين عن ابيه عن جده عن علي كرم الله وجهه قال قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لعنت سبعة فلعنهم الله وكل نبي مجاب الدعوة فساقه بنحو حديث عمرو بن شعواء اليافعي الصحابي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد اخرجها الطبراني في الكبير والسابع المستأثر بالفيء وقد ذكرنا اخراج الخطيب له في المتفق والمفترق عن علي كرم الله وجهه وقد اشار اليه الاوزاعي ذكره الحافظ ابن عساكر في ترجمة ثور بن يزيد الكلاعي قال

> «قال ابو مسلم الفزاري قلت للاوزاعي حدثنا ثور بن يزيد فغضب غضبة شديدة ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ستة لعنتهم ولعنهم الله وكل نبي مجاب الدعوة الزائد فى كتاب الله والمكذب بقدر الله وثور بن يزيد احدهم» اهـ

وقد ذكر السمهودي روايات اخرى في هذا المعنى منها ما اخرجه الحافظ الجعابي فى الطالبيين عن عبد الله وعمرا بني محمد بن علي عن ابيهما عن جدهما عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من آذاني في عترتي فعليه لعنة الله وفى كنز العمال حديث طويل اخرجه الباوردي عن بشر بن عطية وفيه الا لعنة الله والملائكة والناس اجمعين على من انتقص شيئاً من حقي وعلى من آذاني في عترتي قال صاحب الكنز وضعف واخرج الديلمي عن

ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله عزوجل يبغض الآكل فوق شبعه والغافل عن طاعة ربه والتارك سنة نبية والمخفر ذمته والمبغض عترة نبيه والمؤذي جيرانه اورده فى الكنز وذكره الحافظ السيوطي فى كتابه احياء الميت بفضائل اهل البيت ففي الحديث دلالة على عظم هذه الامور الستة المذكورة فيه حيث ردد اللعنة عليهم ومنها استحلال ماحرم الله من العترة وقد بينا معنى الاستحلال واما عترته صلى الله عليه وآله وسلم فهم اهل بيته فكل من اطلق لنفسه الوقوع فى اعراضهم او تسبب الى ظلم احد منهم او انتقص من حقه او انزله بدون المنزلة التي جعلها الله له فقد وقعت عليه اللعنة، وحجبت دونه الرحمة، وكان مقارفا لعظيم من الذنب حاملا لوقر من الوزر، حتى ينزع عن ذلك ويتوب، ومايتذكر الا من ينيب،

﴿ الكلام على قوله تعالى قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى ﴾

قال الله تعالى في سورة الشورى قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزدله فيها حسنا ان الله غفور شكور فنتكلم فى شيء من تفسيرها ثم نتبعه بحكاية الاقوال المنقولة فى ذلك فنقول المودة المحبة وود الشيء تمنى كونه ووده احبه والاول مأخوذ من الثاني لان المرء لايتمنى الا مايشتهيه ويحبه قال الراغب «وفي المودة التي تقتضى المحبة المجردة قوله تعالى قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى» وقال في قوله تعالى تلقون اليهم بالمودة اي باسباب النصيحة وتدل رواية البخاري فى تفسير الآية على ان ابن عباس يرى ان المودة في

الآية ثمرات المحبة وغاياتها لانه قال في معناها «الا ان تصلوا مابيني وبينكم من القرابة» فان الصلة فوق المحبة وهذا مما يضعف به ماذكره الراغب واما القرابة فهي الدنو في النسب والقربى في الرحم هكذا فرق بينهما الازهري والقربى في الاصل مصدر وقد زعم صاحب القاموس انه لايقال قرابتي ولكن يقال ذو قرابتي وتعقبه الشارح «بأن الزمخشرى جوزه وانه حكى بانه صحيح فصيح نظما ونثرا ووقع في كلام النبوة هل بقي احد من قرابتها وفي كلام عمر الاحامى عن قرابته» اه ملخصا وقال السيوطي في الدر النثير «القرابة الاقارب سموا بالمصدر كالصحابة» اه قلت وفي حديث جبير بن مطعم عند ابي داود ولم يعط قربى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعند احمد لما قسم سهم القربى قال الحافظ بن حجر قوله «القربي مصدر كالزلفى والبشرى بمعنى القرابة والمراد في اهل القربى وعبر بلفظ في دون اللام كأنه جعله مكانا للمودة ومقرا لها كما يقال لي في آل فلان هوى اي هم مكان هواي وتحتمل ان تكون سببية وهذا على ان الاستثناء متصل فان كان منقطعا فالمعنى لا اسألكم عليه اجرا قط ولكن اسألكم ان تودونى بسبب قرابتى» اه وكلامه هذا ملخص كلام الزمخشري وقد نقله ابو حيان واستحسنه وبما ذكره تعلم انه لاوجه لمنع ابن جرير الطبرى ان يقال الا المودة في القربى اذا اريد به قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد ذكرنا وروده في الحديثين المتقدمين مرادا به ذي القربى وانه عربي فصيح مستعمل وقد وقع التلميذ على ماقاله ابن جرير فطار به فرحا وقد علمت سقوطه بما ذكرناه قال في شرح القاموس نقلا عن الازهرى

في تهذيبه «القريب والقريبة ذو القرابة والجمع من النساء القرائب ومن الرجال اقارب ولو قيل قربى لجاز والقرابة الدنو في النسب والقربى في الرحم» اه قلت وقالوا «القرب فى المكان والقربة فى الرتبة والقربى والقرابة فى الرحم» اه ومعنى الآية ان يقال (قل) يا محمد لقومك والخطاب عام المعنى كسائر خطاب القرآن على اصح الاقوال (لااسئلكم) لااستدعي والتمس منكم بلسان الحال او المقال (عليه) اي الدعاء الى الله والدلالة على الهدى والرشد والتعريف بالحق والصدق (اجرا) اى مالا ونفعا وهذا شأن المرسلين كلهم كما حكاه الله عنهم في القرآن وشأنه صلى الله عليه وآله وسلم كما سنبينه وقد امر بذلك كما في قوله تعالى قل ما اسئلكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين وقوله تعالى قل ما سألتكم من اجر فهو لكم ان اجري الا على الله ولما كان نفي طلب الاجر يوهم الشمول والعموم حتى لما كان من باب صلة الرحم والمحبة في القربى فيكون على ذلك غير مستدع منهم ولا آمر لهم بصلة رحمه الواجب صلتها، والمفروض حقها، والمحرم الفظيع قطعها. دفع ذلك الوهم بقوله الا المودة في القربى اي فاني اطلبها منكم لاطلبا لأجر ولكن امرا بالمعروف ونهيا عن المنكر فان ترك المودة فيها اوفيهم قطيعة رحم واثم كبير ولم ابعث بذلك فليس صلة رحمه صلى الله عليه وآله وسلم من الاجر في شيء ولا المطالبة بها مطالبة بأجر وانما هي من جنس القربات المشروعة العظيم محلها من الدين، والجزيل ثوابها يوم الدين، وانما بعث صلى الله عليه وآله وسلم داعيا الى صلة الارحام. لا الى العقوق والآثام، ومن قال لك لا أطالب على نصيحتي لك

اجر اولا نفعا قد يتوهم من قوله العموم حتى يشمل ما تقتضيه القرابة وتستوجبه الرحم بينك وبينه فيكون قد نهاك عن الصلة الواجبة ، والمودة المفروضة ، فلابد من الاحتراس بما يدفع هذا الوهم فكذلك ما هنا لاسيما ورحمه صلى الله عليه وآله وسلم اعظم الارحام حقا ، واحقها بالمودة وصلة ، وارفعها قدرا ومنزلة ، فجاء الاستثناء في قوله تعالى الا المودة في القربى حاسما لما يسبق الى الفكر عند ما يلاحظ ان المراد من نفي الاجر وسواله تنزيه مقام النبوة عن كل تهمة من سريانه حتى الى ترك سوال ماهو واجب بالشرع من صلة الرحم والمودة فى القربى فقطع عرق الايهام بقوله الا المودة في القربى اى فاني اسألكموها تشريعا واعلاما اذ لايمكن ان يدعو صلى الله عليه وآله وسلم الى صلة الارحام ، ثم يأمرهم بقطعها قصدا اوضمنا اولا يطالبهم باداء حقها وليس ما في الآية من الاجر فى شيء ، ولكنه من تشريع الاحكام واحكام التشريع فكان الاستثناء احتراسا من وهم قريب فاذا لاحظنا ما وقع فى الامة من فتنة النواصب ازدادت الحاجة الى هذا الاحتراس وبدونه يجد اهل الاهواء لبدعتهم ميدانا رحيبا فسبحان اللطيف الخبير ، وقد جاء الاحتراس بغير الاستثناء فى مواضع كثيرة من القرآن وقد اشرنا الى بعضها في كلامنا على آية والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الآية وعلى ماقررناه يكون الاستثناء منقطعا وبذلك قال محققو المفسرين (فان قيل) كيف قلت ان الاستثناء منقطع ثم قلت ان فيه احتراسا ومع الانقطاع يندفع

وجود الوهم فانه لا اتصال بين المستثنى والمستثنى منه فلاجالب للوهم ولاداعي (قلنا) كلا فانه لابد فى الاستثناء المنقطع ان يكون الكلام الذي قبل الا قد دل على مايستثنى منه قاله ابن السراج وقال ابن مالك لابد فيه من تقدير الدخول في الاول كقولك قام القوم الاجوادا فانه لما ذكر القوم تبادر الذهن الى أتباعهم المألوفة فذكر الجواد في الاستثناء لذلك ولذلك هو مستثنى تقديرا وقال ابو بكر الصيرفى يجوز الاستثناء من غير الجنس ولكن يشترط ان يتوهم دخوله في المستثنى منه بوجه ما والالم يجز كقوله

وبلدة ليس بها انيس * الا اليعافير والا العيس

فاليعافير قد تؤانس فكانه قال ليس بها من يؤنس به الا هذا النوع نقل هذه الاقوال الشوكاني رحمه الله تعالى وقال قوم يجوزان يكون الاستثناء في الآية متصلا وقد نقله ابو حيان عن الزمخشرى فقال « ويجوز ان يكون الاستثناء متصلا اى لا اسألكم عليه اجرا الا هذا ان تودوا اهل قرابتى ولم يكن هذا اجرا فى الحقيقة لان قرابته قرابتهم فكانت صلتهم لازمة لهم فى المروءة» اه اي ثم صارت لازمة لهم فى الشرع بعد نزول الآية وقال بنحو ذلك الرازي والنيسابورى فالقائلون بان الاستثناء متصل لم يقل احد منهم بان محبته ومودته صلى الله عليه وآله وسلم في قرباه تكون اجراً له وانما ذلك اتصال صناعى وعلى ظاهر اللفظ وما تقتضيه المشاكلة على التوهم او يكون تسميته اجرا على المجاز وليس على الحقيقة لان الواجب الشرعي لايسمى اجرا والمودة فى قرباه صلى الله عليه وآله وسلم واجبة مشروعة

سواء كان المراد بالقربي قرباه صلى الله عليه وآله وسلم اواهلها فان مودتهم مامور بها مؤكد شأنها ورد فيها عن الشارع غاية الحث والتأكيد وعلى تركها غاية الوعيد الشديد، وقد صحت الاحاديث بذلك بل تواترت وملحظ تسميته اجرا ان هداية الله لهم به وابتعاث الله له منهم كان سببا في ايجاب هذا الحق العظيم عليهم ، وهو صلى الله عليه وآله وسلم اولى بالمؤمنين من انفسهم وفى بعض القرآآت وهواب لهم وازواجه امهاتهم ، بل حقه فى البر اوجب وآكد من حق الاب ، ومن بر الأب صلة الرحم التى لا توصل الا به ، وصلة ذوي قرباه صلى الله عليه وآله وسلم من ذلك ولذلك قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه والذى نفسي بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم احب الي ان اصل من قرابتي اخرجه البخارى واخرجه الدارقطني من طرق متعددة وقد اجاب الرازى عن استشكال طلبه صلى الله عليه وآله وسلم الاجر على قول القائلين بان الاستثناء متصل من وجهين فقال «الاول ان هذا من باب قوله

ولاعيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

يعنى انالا اطلب منكم الا هذا وهذا في الحقيقة ليس اجرا لان حصول المودة بين المسلمين امر واجب قال الله تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض وقال صلى الله عليه وآله وسلم المؤمنون كالبنيان يشد بعضهم بعضا والآيات والاخبار في هذا الباب كثيرة واذا كان حصول المودة بين جمهور المسلمين واجبا فحصولها فى حق اشرف المسلمين واكابرهم اولى وقوله تعالى قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في

القربى تقديره والمودة في القربى ليست اجرا فرجع الحاصل الى انه لا اجر له البتة والوجه الثاني فى الجواب ان هذا استثناء منقطع وتم الكلام عند قوله قل لا اسئلكم عليه اجرا ثم قال الا المودة في القربى اى لكن اذ كركم قرابتي منكم وكأنه في اللفظ اجر وليس باجر» اه

فقد نفوا ان يكون المستثنى اجرا حقيقيا ولو مع القول بان الاستثناء متصل وقد خلط (التلميذ) هنا بما يأتي الرد عليه ولما لم يتوجه لبعض الناس الجواب عن استثناء المودة من الاجر زعم ان الاية منسوخة حكى ذلك البغوي ورد عليهم وعبارته «وقال قوم هذه الآية منسوخة وانما نزلت بمكة وكان المشركون يؤذون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فانزل الله هذه الآية فامرهم بمودة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصلة رحمه فلما هاجر الى المدينة واواه الانصار ونصروه احب الله عزوجل ان يلحقه باخوانه من الانبياء عليهم السلام حيث قالوا وما اسألكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين فانزل الله تعالى قل ماسئلتكم من اجر فهولكم ان اجرى الا على الله فهي منسوخة بهذه الآية وبقوله تعالى قل ما اسئلكم من اجر وما انا من المتكلفين وغيرها من الايات والى هذا ذهب الضحاك بن مزاحم والحسين بن الفضل وهذا قول غير مرضي لان مودة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكف الاذى عنه ومودة اقاربه ومودة التقرب الى الله بالطاعة والعمل الصالح من فرائض الدين وهذه اقاويل السلف في معنى الآية ولا يجوز المصير الى نسخ شيء من هذه الاشياء وقوله الا المودة في القربى ليس باستثناء متصل بالاول حتى يكون ذلك اجرا في مقابلة اداء الرسالة بل هو منقطع ومعناه ولكني اذ كركم المودة في القربى واذ كركم قرابتي منكم كما روينا فى حديث زيد بن ارقم اذ كركم الله فى اهل بيتى» اه قال السمهودي وذكر الثعلبي نحوه وزاد ((وكفى قبحا بقول من زعم ان التقرب الى الله بطاعته ومودة نبيه واهل بيته عليه وعليهم الصلاة والسلام منسوخ)) اه ومما يرد على هولاء الواهمين انه لابد

في النسخ من تحقق تأخر الناسخ عن المنسوخ وقد زعموا ان الايتين الناسختين نزلتا بالمدينة بعد ان آواه صلى الله عليه وآله وسلم الانصار ونصروه والامر هنا بالعكس فانه قد ورد عن ابن عباس بسند جيد ان سورة ص والفرقان والشورى مما نزل بمكة فبطلت دعوى النسخ وسببه المزعوم فانى يصح قولهم فلما هاجر الى المدينة واواه الانصار الخ بل قد اخرج السيوطي في الاتقان خبرين ذكر فيهما ترتيب نزول سور القرآن وفيهما ذكر تأخر نزول سورة الشورى التى فيها قل لااسئلكم عليه اجرا الا المودة فى القربى عن سورتى ص والفرقان اللتين فيهما الايتان الناسختان بزعمهم وقد اجاب عن ذلك بعض محققي عصرنا بقوله

« والشبهة تزول اذا قرأت قوله تعالى قل ماسألتكم من اجر فهولكم والمعنى فيه ان محبتهم ومودتهم اهل البيت انما هي قربة لهم وطاعة يثيبهم الله عليها الثواب الجزيل ويلحقهم بها بمن احبوه وودوه وهي مثل الامر بالصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم وطلب الوسيلة له فهو صلى الله عليه وآله وسلم في غنى عن ذلك كله ونيله الوسيلة مقطوع به وقد صلى الله وملائكته عليه واخبرنا بذلك في قوله ان الله وملائكته يصلون على النبي فالامر لنا بذلك بعد هذا انما هو لنفعنا ولننال بذلك الفضل والشفاعة » اه اقول وهذا كلام حسن لو كان اليه حاجة وقد علمت انه لاحاجة اليه وذلك انه لم يقل احد من العلماء ان المودة فى القربى اجر حقيقي له صلى الله عليه وآله وسلم على اداء الرسالة وانما توهم ذلك بعضهم من تجويزهم ان يكون الاستثناء متصلا وعلى ذلك قد نفوا ان يكون اجرا حقيقيا فلا اشكال وقد وهل التلميذ فى تفسير الاية فظن ان حمل

القربى على اهلها يستلزم ان يكون الاستثناء متصلا فاكثر الجعجعة حول ذلك عن سوء قصد او سؤفهم ومن اراد الحق ارشده الله اليه (ومما) ينبغي التنبه له في هذه الآيات الثلاث اعنى قوله تعالى قل ما اسئلكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين وقوله تعالى قل ما سئلتكم من اجر فهو لكم وقوله تعالى قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة فى القربى ان النفي في الآيتين الاوليين قد جاء بما النافية وهي تخلص المضارع للحال عند الجمهور خلافا لابن مالك وقد رد عليه ابن هشام قوله وجاء النفي في الآية الثالثة بلا وهي تخلص الفعل المضارع للاستقبال عند الاكثرين خلافا لابن مالك فلا تعارض بين الايات حتى على القول بان الاستثناء متصل لان المستقبل غير الحال لاسيما وآية الشورى متأخرة النزول عن الايتين قبلها وحكمها مستقبل فيكون تقدير معناها على ذلك لا اسئلكم اذا أسلمتم عليه اجرا الا المودة في القربى وبذلك يجاب عما استشكله ذلك المحقق الآنف الذكر من طلبه صلى الله عليه وآله وسلم المودة من قريش وهم مشركون قال « وكيف يطلب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم المودة ممن يكرههم ويبغضهم فى الله تعالى والمودة لاتكون صادقة الا ان كانت من الطرفين والانصاف لا يقتضي غير هذا فكيف يطالبهم بالمودة ولا يودهم وربنا يقول لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله الآية والموادة مفاعلة من الجانبين وما كان صلى الله عليه وآله وسلم يدعو الا الى كلمة سواء كما قال الله تعالى في سورة الانبياء وهي مكية بالاتفاق فان تولوا فقل آذنتكم على سواء وان ادري اقريب ام بعيد ماتوعدون فتفسير الآية

بطلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم المودة من الكفار الذين يبغضهم غلط ووهم لايصح والروايات البينة البطلان لو صحت سند الا تقبل فكيف بما نحن فيه فهيهات ان يكون ذلك هو الاصح » وينحل اشكاله من ثلاثة وجوه (الاول) ما ذكرته من ان النفي في هذه الاية جاء بلا وهي تخلص المضارع للاستقبال فيكون حكمها واقعا في مستقبل الزمن وهو وقت اسلامهم بعد ذلك (الثاني) ان يكون الخطاب عاما لسائر امة الاجابة لا لقريش خاصة ويكون المراد بالقربى اهلها ولا اشكال مع هذا (الثالث) ان يقال ان الطلب جاء على ما كانوا يقرون بحسنه ويتمادحون بفعله من مودة الاقارب وصلة الارحام وهو امر يقرره الشرع ويأمر به فلا اشكال في طلبه تبعا لطلب اسلامهم اولان المودة اي المحبة المجردة واجبة ومطلوبة منهم له صلى الله عليه وآله وسلم وان لم تطلب منه لهم لكفرهم لكن يبقى الاشكال فيما اخرجه احمد وعبد بن حميد والبخاري ومسلم والترمذي وابن جرير وابن مردويه من طريق طاوس عن ابن عباس رضى الله عنهما انه سئل عن قوله الا المودة في القربي فقال ابن جبير رضى الله عنه قربى آل محمد فقال ابن عباس رضى الله عنه عجلت ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن بطن من قريش الا كان له فيهم قرابة فقال الا ان تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة ووجه الاشكال في هذا ان صلة الرحم كما قال ابن الاثير «كناية عن الاحسان الى الاقربين من ذوى النسب والاصهار والعطف عليهم والرفق بهم والرعاية لاحوالهم وان بعدوا واساؤا وقطع الرحم ضد

ذلك كله » اهـ وقد نهي صلى الله عليه وآله وسلم عن زبد المشركين فكيف يطلب احسانهم مع انه قد حرمت عليه صدقة المسلمين انفسهم فكيف بغيرهم وكان يرد هدية من اهدى اليه من المشركين ويزداد الاشكال اذا اضيف الى ذلك ما رواه ابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم والطبراني عن ابن عباس وفيه ولايكون غيركم من العرب اولى بحفظي ونصرتي منكم وفي النصرة موالاة وهو صلى الله عليه وآله وسلم لم يتخذ من المشركين وليا ولانصيرا فكيف يطلب منهم النصرة ويجاب عن هذا كله بان ذلك كان في ضمن المطالبة باسلامهم اذ لايتأتى ذلك الابه ولذلك جاء السوال في الآية بلا وهي لنفي المستقبل ومنه كان الاستثناء وماذكر يؤيد القول بأن المراد بالقربى اهلها وهم اهل بيته واقاربه وقد نقل في معنى الآية اربعة اقوال (الاول) ماتقدم ذكره عن ابن عباس وقد ظن بعضهم ان قول ابن عباس لسعيد بن جبير عجلت لما فسرها بقربى آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم رد منه لقول سعيد وتخطئة وليس الامر كما ظن والصواب انه انما انكر عليه استعجاله بالجواب وليس هو المسئول واجابته بالفرع دون بنائه على الاصل الذى هو قرباه صلى الله عليه وسلم نفسها وهو ماقد ينازع فيه بعض النواصب فاراد ابن عباس رضي الله عنهما ان يبني الجواب على اصل مسلم لا خلاف فيه ولا يقدر الخصم على انكاره والمنازعة فيه وذلك ان تفسير ابن عباس يشمل بعمومه المعنى الخاص الذي ذكره ابن جبير اذ لا يكون واصلا لرحمك

الا من حفظها فيك وفيمن اتصل بك من اهل وولد ومال واقارب ومن آذاك في شيء من ذلك فقد قطع الصلة، وتنكب سبيل المودة وتجلبب لك البغضاء وان لم يصل اذاه الى جثمانك ومن ذا الذي يقول ان من آذاك فى اهلك او ولدك او مالك او اقاربك يكون واصلا لك قائما بحق المودة فيك مادام اذاه لم يصل الى نفسك ويأتي على مهجتك ويصح له مع ذلك ان يدعى محبتك ؟ لا يقول بذلك من عنده مثقال ذرة من عقل وفهم، فضلا عن دين وعلم وبذلك تعلم ان هذا القول بمعنى الثاني الا انه اخص واعم أخص من حيث تفسير القربى بالغرض الاول والمقصد الاصلي وهو رحمه صلى الله عليه وآله وسلم في نفسه وان كانت لا تتم صلتها الا بصلة اهل بيته ولا المودة فيها الا بالمودة فيهم واعم من حيث ان المودة فى قرباه صلى الله عليه وآله وسلم تعم ذلك كله هذا بنصه وذاك بمعناه (الثاني) ان المراد بالقربى اهلها اي قرابته صلى الله عليه وآله وسلم وقد تقدم كلام الحافظ ابن حجر فى تقرير ذلك وقال ابو حيان نقلا عن الزمخشري «فان قلت هلا قيل الا مودة القربى او الا المودة للقربى قلت جعلوا مكانا للمودة ومقرا لها كقولك لي فى آل فلان مودة ولي فيهم هوى وحب شديد تريد احبهم وهم مكان حبي ومحله وليست فى صلة للمودة كاللام اذا قلت الا المودة للقربي انما هي متعلقة بمحذوف تعلق الظرف به في قولك المال فى الكيس وتقديره الا المودة ثابتة فى القربي ومتمكنة فيها اه وهو حسن » اه كلام ابي حيان فقد اجتمع على تصحيح هذا المعنى اماما علمي البيان والنحو فلا التفات الى قول التلميذ انه غير موافق لقواعد اللغة العربية وهل يقرن هو والف مثله بهما

وابن اللبون اذا مالز في قرن ❀ لم يستطع صولة البزل القناعيس

وقد رويت فى هذا المعنى روايات منها رواية ابن جرير الطبري عن مقسم عن ابن عباس قال قالت الانصار فعلنا وفعلنا فكانهم فخروا فقال ابن عباس او العباس شك عبد السلام لنا الفضل عليكم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاتاهم في مجالسهم فساق الحديث وقال في آخره فمازال يقول حتى جثوا على الركب وقالوا اموالنا وما في ايدينا لله ورسوله قال فنزلت قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى والمراد بالنزول هنا ماروي نظيره في مواضع متعددة من اسباب النزول وهو نزولها للاستشهاد بها على تقرير حكمها في تلك الواقعة وقد اخرجها ايضا ابن ابي حاتم وابن مردويه وسند هذه الرواية عند ابن جرير جيد فان مقسم من رجال صحيح البخارى والباقون من رجال الصحيحين الا يزيد بن ابي زياد فمن رجال صحيح مسلم وروى له الاربعة وعلق له البخارى وقد ذكر الحافظ في الفتح ان الواحدى خرج هذا الحديث عن مقسم ثم قال «وهذا ايضا ضعيف ويبطله ان الآية مكية» اه فان كان مراد الحافظ ضعف السند فقد علمت صحته ولوصح كلامه فيه للزمه ان يضعف مافى الصحيح من حديثهم ولاسبيل الى ذلك وكون الآية مكية ليس مما يبطله ولامايضعفه فان تكرر النزول قد روى فى آيات متعددة كما هو مذكور فى موضعه ومنها ماورد في سبب نزول آية الروح ونزول آية والذين يرمون ازواجهم وغير ذلك

وقد قال الحافظ نفسه لا مانع من تعدد الاسباب وما كل ماورد في اسباب النزول يمكن الجمع بينه بغير القول بتعدد النزول اى مثل ماورد في سبب نزول آية ماكان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين الآية وآية وان عاقبتم فعاقبوا الآية وفى الاتقان للسيوطي امثلة غير ذلك ثم قال الحافظ «والا قوى في سبب نزوله عن قتادة قال قال المشركون لعل محمدا يطلب اجرا على مايتعاطاه فنزلت» اقول رحم الله الحافظ اين ذهب عنه الانصاف هنا أيكون الحديث المرسل اقوى من المسند الصحيح وقد ترك الحافظ بياضا قبل قوله عن قتادة وكأنه كان يريد البحث عن سنده فلم يجده او غفل عنه وقد راجعت اسباب النزول للواحدي فرأيته حكاه كما نقله الحافظ بلا سند ولا ذكر له في اسباب النزول للسيوطي وهو من اجمع ماالف فى هذا العلم ولافى الدر المنثور وهو اجمع تفسير بالماثور فبذلك يظهر ان تقوية الحافظ لمرسل قتادة وتضعيفه الحديث المتقدم لاوجه له ولامعول عليه والحق اجل من كل احد ومن الروايات ما اخرجه سعيد بن منصور وابن جرير عن سعيد بن جبير قال هي قربى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيحتمل ان المراد بها نحو مافي حديث جبير بن مطعم السابق وقد روي ابن جرير نحو ذلك عن عمرو بن شعيب ايضا وسند الرواية الاولى عن ابن جبير فيه يحيي بن كثير احسبه الكاهلي قال ابن ابي حاتم شيخ ووثقه الجرمي واخرج له ابو داود والراوي عنه مروان بن معاوية الفزاري من رجال

الصحيحين روى له الستة واحتجوا به والراوى عنه يعقوب بن ابراهيم الدورقي وعنه روى ابن جرير من رجال الصحيحين روى له الستة واحتجوا به واما رواية عمرو بن شعيب فهي من طريق ابي اسحق السبيعي وهو من رجال الصحيحين رواها عنه ابن ابنه اسرائيل بن يونس بن ابي اسحاق من رجال الصحيحين ايضا ورواها عنه عبيد الله هو ابن عبد المجيد الحنفي ابو علي من رجال الصحيحين روى له الستة واحتجوا به ورواها عنه روايان احدهما محمد بن خلف بن عمار ابو نصر العسقلاني روى له النسائي وابن ماجه وثقه ابن ابي عاصم ومسلمة بن قاسم وقال ابو حاتم صدوق وقال النسائى صالح وثانيهما محمد بن عمارة الاسدي من اشياخ ابن جرير لم يترجم له في تهذيب التهذيب ولا اللسان ولا يضره ذلك فالعبرة بعد الثلاثمائة بالمحدثين لا الرواة كما قاله الذهبي وايضا فانه لم ينفرد به ومنها ما رواه ابو الشيخ في الثواب من حديث ابي هاشم الرماني وهو من رجال الصحيحين روى له الستة وقال ابن عبد البر اجمعوا على انه ثقة عن زاذان ابي عبد الله روى له البخاري في الادب المفرد ومسلم فى صحيحه والاربعة عن علي كرم الله وجهه قال فينا في آل حم آية لا يحفظ مودتنا الا كل مؤمن ثم قرأ قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى واخرج الطبراني فى الاوسط والكبير باختصار والبزار بنحوه وبعض طرقها حسان عن ابي الطفيل قال خطبنا الحسن بن علي بن ابي طالب عليهما

السلام فحمد الله واثنى عليه واقتص الى ان قال من عرفنى فقد عرفني ومن لم يعرفني فانا الحسن بن محمد صلى الله عليه وآله وسلم ثم تلى هذه الآية واتبعت ملة ابائى ابراهيم واسحق ويعقوب ثم اخذ في كتاب الله ثم قال انا ابن البشير النذير انا ابن النبي انا ابن الداعي الى الله باذنه وانا ابن السراج المنير وانا ابن الذي ارسل رحمة للعالمين وانا من اهل البيت الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وانا من اهل البيت الذين افترض الله مودتهم وولايتهم فقال فيما انزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة فى القربى ورواه الحافظ جمال الدين الزرندي عن ابي الطفيل وجعفر بن حبان فذكره بنحوه الا انه قال وانا من اهل البيت الذين كان جبريل ينزل فينا ويصعد من عندنا وانا من اهل البيت الذين افترض الله مودتهم على كل مسلم وانزل الله فيهم لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزدله فيها حسنا واقتراف الحسنة مودتنا اهل البيت ورواه ابو بشر الدولابي من طريق الحسن بن زيد بن حسن بن علي عن ابيه ان الحسن بن علي عليهما السلام خطب فقال فى خطبته انا من اهل البيت الذين افترض الله مودتهم على كل مسلم فقال لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم قل لا اسئلكم الآية وذكر نحوه واخرجه الحاكم فى مستدركه بسند جميع رواته من اهل البيت فتعقبه الذهبي فقال ليس بصحيح ومنها ما اخرجه ابن جرير والطبراني بسند ضعيف عن ابي الديلم

قال لما جيء بعلي بن الحسين على جدهما وعليهما الصلاة والسلام فاقيم على درج دمشق قام رجل من اهل الشام فقال الحمدلله الذي قتلكم واستاصلكم وقطع قرني الفتنة فقال له علي بن الحسين اقرأت القرآن قال نعم قال اقرأت آل حم قال قرأت القرآن ولم اقرأ آل حم فقال ما قرأت قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة فى القربى قال وانكم لانتم هم قال نعم . ومنها ما اخرجه احمد والطبراني فى الكبير وابن ابي حاتم فى تفسيره وقد التزم ان يخرج اصح ما ورد والحاكم فى مناقب الشافعي والواحدي فى الوسيط وابن مردويه كلهم من رواية حسين الاشقر عن قيس بن الربيع عن الاعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية قل لااسئلكم عليه اجرا الا المودة فى القربى قالوا يارسول الله من قرابتك هولاء الذين وجبت علينا مودتهم قال علي وفاطمة وابناهما قال السيوطي هذا الاسناد ضعيف وقال الحافظ ابن حجر والاه فيه ضعيف ورافضي ولعله عنى بالرافضي حسين بن حسن الاشقر الفزاري الكوفي اخرج له النسائي حديثا واحدا في الصوم وذكره ابن حبان في الثقات وقيل لاحمد بن حنبل تحدث عن حسين الاشقر قال لم يكن عندي ممن يكذب وذكر عنه التشيع وقال النسائي والدارقطني ليس بالقوي وهذا تضعيف هين وقال ابن معين كان من الشيعة الغالية قلت فكيف حديثه قال لابأس به قلت صدوق قال نعم كتبت عنه وقال ابو احمد الحاكم ليس بالقوي عندهم وضعفه الباقون

على ان روايته لهذا الحديث لا يؤيد بدعته وان رغمت به انوف الخوارج والنواصب ولعله عنى بالضعيف قيس بن الربيع الاسدي وهو ممن روى عنه شعبة ولا يروي الا عن ثقة قال شعبة سمعت ابا حصين يثني على قيس بن الربيع وقال شعبة ادركوا قيسا قبل ان يموت وقال الا ترى الى يحيى بن سعيد يقع في قيس لا والله ما الى ذلك سبيل وزجره ونهاه عن ذلك وقال عفان قلت ليحيى بن سعيد هل سمعت سفيان يقول فيه يغلطه او يتكلم فيه بشيء قال لا قلت ليحيى افتتهمه بكذب قال لا قال عفان فما جاء بحجة وقد روى عنه سفيان وعفان ووثقاه وقال ابو الوليد كان قيس ثقة حسن الحديث وقال له عمرو بن علي ما رأيت احدا أحسن رأيا منك في قيس قال انه كان ممن يخاف الله وكان سفيان ومعاذ بن معاذ يحسنان الثناء عليه وكان ابو داود يحدث عنه وقال ابن عيينة ما رأيت بالكوفة اجود حديثا منه وقال محمد بن عبد الله بن عمار كان عالما بالحديث وقال ابو حاتم محله الصدق وحكى ابن ابي شيبة الاجماع على صدقه وقال ابن عدي القول فيه ما قال العجلي كان معروفا بالحديث صدوقا نقلت هذا كله من تهذيب التهذيب لئلا تعتمد على اطلاقاتهم في الرجال فان الحافظ هنا اطلق القول بضعفه ولم يأت مضعفوه بحجة كيحيى بن سعيد فانه لم يأت بحجة وضعفه آخرون بان ابنه افسد حديثه وكل هذا تجني فاطلاق القول بضعفه ليس بشيء وقد روى عنه ابو داود والترمذي وابن ماجه وقال ابن القيم «وقيس بن الربيع وان كان يحيى

ضعفه فقد وثقه غيره وليس بدون ابي جعفر الرازى وهو اوثق منه او مثله فانما يعرف تضعيف قيس عن يحيي وذكر سبب تضعيفه فقال احمد بن سعيد بن ابي مريم سألت يحيي عن قيس بن الربيع فقال ضعيف لا يكتب حديثه كان يحدث بالحديث عن عبيدة وهو عنده عن منصور ومثل هذا لا يوجب رد حديث الراوي لان غاية ذلك ان يكون غلط ووهم فى ذكر عبيدة بدل منصور ومن الذى سلم من هذا من المحدثين » اه بحذف واما تعليلهم هذا الحديث واشباهه بانه مخالف لما في البخارى فقد علمت بما قررنابه الآية ضعف هذا التعليل ولا محل لتوهمهم ان ابن عباس ردما قاله ابن جبير فانه انما قال له عجلت لان السائل انما سأل ابن عباس فلا يحسن منه العجلة برد الجواب امام شيخه ومعلمه ولم يقل له اخطأت وقد قرر ابن عباس المعنى بما لا يدفع ما قاله ابن جبير وصلته صلى الله عليه وآله وسلم فى قرباه لا تصح من قريش ولا من غيرهم مع اذيتهم له فى اولاده واهله ولم يقل احد انه صلى الله عليه وآله وسلم ما التمس منهم الا ان يصلوه نفسه ويكفوا اذاهم عنه وحده اما ايذاؤه فى اهل بيته فمطلقة لهم فلهم ان يؤذوه بايذائهم وان يقطعوا رحمه بقطع رحمهم فيبغون لهم الغوائل وينصبون لهم المكائد ولا يكونون بذلك له قاطعين ولا لحقه مضيعين ، وبالجملة فالمراد من رواية ابن عباس رضي الله عنهما ذكر المعنى الاصلي لا ما تفرع عليه قال السمهودي «وقد يستشهد له بما اخرجه الثعلبي فى تفسيره من طريق السدى عن ابي مالك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا قال هي المودة لآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم» اه وقد اخرجه ابن ابي حاتم ايضا وبعد كتابة ما تقدم رأيت

فى شرح المواهب للزرقانى مايدل على انهم قد فطنوا للاشكال فى طلبه صلى الله عليه وآله وسلم المودة اوالصلة من المشركين فانه نقل عن ابن عطية مانصه «ومعناها استكفاف شر الكفار ودفع اذاهم اى ما اسألكم على القرآن والدين والدعاء الى الله الا ان تودوني لقرابة مابيني وبينكم فتكفوا عني اذاكم قال ابن عباس وابن اسحق وقتادة لم يكن من قريش بطن الا ولرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه سبب اوصهر فالآية على هذا استعطاف ودفع اذى وطلب سلامة منهم وهذا منسوخ بآية السيف — ثم بعد ان حكى الاقوال المشهورة — قال والصواب انها محكمة وعلى كل قول فالاستثناء منقطع والا بمعنى لكن» اه وهذا الذى قاله ليس معنى الآية ولا تقتضيه الفاظها وليس طلب المودة منهم من باب الدفع بالتي هي احسن ولا من باب قول الشاعر

وصرنا نرى ان المتارك محسن ❀ وان عدوا لا يضر وصول

واذا رجعت الى ما قررناه رأيته اولى بالصواب وقد جمع السيد السمهودي بين الروايات فحكى ماتقدم ذكره منها ثم قال: «قلت ولاتضاد بين ذلك وبين ما فى التفسير من صحيح البخاري عن طاوس عن ابن عباس رضي الله عنهما (ثم ساق رواية ابن عباس من طرق كثيرة واتبعها بقوله) وانما قلنا ان هذا التفسير الذي قاله ترجمان القرآن رضي الله عنه واتباعه لايضاد ما سبق عنه وعن غيره لان قوله الا ان تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة وقوله الا ان تصلوا قرابتي وقوله تودوني بقرابتي فيكم وتحفظوني في ذلك وقوله فاحفظوا قرابتي فيكم الى غير ذلك من العبارات السابقة شامل لحثهم على ان يصلوا قربى آله صلى الله عليه وآله وسلم ويودوهم ويحفظوهم من اجله لانه من جملة صلته ووده وحفظه وانما رد ابن عباس رضي الله عنهما على سعيد بن جبير لاقتصاره فى تفسير الآية على ذلك مع ان المقصود منها العموم والاهم منها اولا وبالذات وده صلى الله

عليه وآله وسلم وحفظه هو نفسه ولذلك لم ينسبه ابن عباس الى الخطأ بل نسبه الى العجلة لان ماذكره فرد من افراده وده صلى الله عليه وآله وسلم وصلته وحفظه في قرباه وملحظ بن جبير والله اعلم في اقتصاره على هذا الفرد المندرج فى ذلك العموم ان الآية اذا افادت الحث على المودة والصلة والحفظ لقرابته صلى الله عليه وآله وسلم من اجل صلته ووده وحفظه كانت ادل من طريق الاولى على الحث على هذه الامور بالنسبة اليه صلى الله عليه وآله وسلم واراد ابن عباس بيان مسلك العموم اي تودونى في قرابتي لكم ومعلوم ان من ذلك ودكم لقرابتي فانه من جملة ودي وهم قرابتكم ايضا كما ان ماذهب اليه الحسن من ان معنى الآية الا التودد الى الله والتقرب اليه بطاعته الحديث اخرجه النجاس وابن البختري من طريق عبد الله بن نجيح عن مجاهد عن ابن عباس مرفوعا لا أسألكم على ما أتيتكم به من البينات والهدى اجرا الا ان توادوا الله وتتقربوا اليه بطاعته لاينفي ماقاله ابن عباس وغيره لان من جملة مودة الله تعالى والتقرب اليه بطاعته مودة رسول صلى الله عليه وآله وسلم واهل بيته ولان ابن عباس راوي هذا التفسير مرفوعا قد صح عنه ماسبق اذ بلاغة القران مقتضية اشتمال المعنى الواحد منه على معان كثيرة» اه

قلت ان رواية مجاهد هذه هي القول الثالث وقد روي عن ابن عباس والحسن وقتادة ولا تظهر مطابقته لالفاظ الآية من وجهين (الاول) انا لم نطلع على القربى مرادا بها القربة كقوله تعالى الا انها قربة لهم ونحو ذلك وقد بنيت فعلى من ذلك من زلف فقيل زلفى واختصت القربى بالقرب والدنو فى النسب والرحم ويراد به اهل ذلك (الثاني) انه قال توادوا ومصدره توادا لامودة والذى في الآية هو الاخير لا الاول ويمتنع الاتيان بمصدر فعل لغيره اذا اختلف المعنى كما هنا فلينظر في سند روايات هذا القول فانه كما ترى (عود الى كلام السمهودي) قال : «ويرشد الى ذلك امور ان الثعلبي قال في تفسيره

روى طاوس والشعبي والوالبي والعوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لم يكن بطن من بطون قريش الا وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبينهم قرابة فلما كذبوه وابوا ان يبايعوه انزل الله عزوجل قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى يعني تحفظوني في قرابتي وتودوني وتصلوا رحمي فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ياقوم اذا ابيتم ان تبايعوني فاحفظوا قرابتي ولا تؤذوني الحديث قال واليه ذهب مالك وعكرمة ومجاهد والسدي والضحاك وابن زيد وقتادة » اه قلت ولايخفى عموم قوله ان يحفظوا قرابتي لنفسه واهل بيته وكذا قوله وتصلوا رحمي ثم نقل عن البغوي ماتقدم ذكر بعضه ثم قال «ومنها ان سعيد بن جبير وهو من اعظم اصحاب ابن عباس وقد قال له ابن عباس في الآية ما قال كان يفسر الاية بالوجهين ثم ذكر الرواية التي سبق ذكرها عن ابن جرير فرواها عن سعيد بن منصور في سننه من طريق ابي العالية قال قال سعيد بن جبير الا المودة في القربى قال قربى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهذا هو المشهور عن سعيد ولذا قال الثعلبي وغيره قال بعضهم معنى الاية الا ان تودوا قرابتي وعترتي وتحفظوني فيهم وهو قول سعيد بن جبير وعمرو بن شعيب » اه ثم استشهد بروايات تقدم ذكر بعضها لانطيل بها وقد ساق السيوطي في الدر المنثور شواهد لهذا القول فقال واخرج احمد والترمذي وصححه والنسائي والحاكم عن المطلب بن ربيعة رضي الله عنه قال دخل العباس على رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فقال انا لنخرج فنرى قريشا تحدث فاذا رأونا سكتوا فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودرعرق بين عينيه ثم قال والله لايدخل قلب امرئ مسلم ايمان حتى يحبكم لله ولقرابتي واخرج مسلم والترمذي والنسائي عن زيد بن ارقم ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال اذكركم الله في اهل بيتي» ثم ذكر حديث الثقلين وسياتي مع ذكر رواياته ورجاله ومصححيه في بابه قال « واخرج الترمذي وحسنه والطبراني والحاكم والبيهقي في الشعب عن

ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه واحبوني لحب الله واحبوا اهل بيتي لحبي » قلت هذا الحديث صححه الحاكم واقره الذهبي وصححه الحافظ السخاوي وابن حجر المكي ثم ساق السيوطي احاديث سبق بعضها وسيأتي باقيها (اما القول الرابع) فهو ما نقله ابن جرير عن عبد الله بن القاسم قال امرت ان تصل قرابتك وهذا ابعد الاقوال لغة ومعنى وسياقا فلا يعول على مثله ، واذ قد قضينا من البيان ما اردنا ، واوردنا في ذلك ما اوردنا فلنرجع الى منا قشة التلميذ كما وعدنا فنقول قال التلميذ « واما قول دحلان ومن الايات الدالة على فضل اهل البيت خاصة قوله تعالى قل لااسئلكم عليه أجرا الا المودة في القربى فليس فيه دلالة على شيء مما يدعون » اه وجوابه كلا بل فيه اعظم دلالة واوضحها فانه اذا ثبت ان اهل هذه القربى اولى بالمحبة والصلة واحب الى الله من كل قربى غيرها في ذلك ثبت فضل اهلها لامحالة ومن ذلك ما روى البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها ان ابابكر رضي الله عنه قال والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم احب الي ان اصل من قرابتي وقد اخرجه الدار قطني من طرق متعددة وفي رواية والله لأن اصلكم احب الي من ان اصل قرابتي لقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولعظيم حقه الذى جعله الله على كل مسلم وثبت عنه في صحيح البخارى ارقبوا محمدا صلى الله عليه وآله وسلم في اهل بيته وقد اخرجه الدار قطني ايضا من طرق متعددة وفي بعضها عن ابن

عمر رضى الله عنهما ان ابابكر رضى الله عنه قال يا ايها الناس ارقبوا محمدا صلى الله عليه وآله وسلم في اهل بيته وفى رواية احفظوا حقه فيهم وهي بمعنى ارقبوا وقد قال ابوبكر رضى الله عنه ذلك فى خطبته واقره الصحابة رضى الله عنهم عليه فصارت هذه الرقابة والحفظ المطلوب منهم امراً مجمعا عليه بينهم ولايخلو الحال فيما اقسم عليه ابو بكر رضى الله عنه من محبته تقديم قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى الصلة على قرابته لعظيم حقه صلى الله عليه وآله وسلم الذى جعله الله على كل مسلم ان يكون صوابا اوخطأ ولاشك انه صواب وان ابابكر رضى الله عنه مصيب في حكمه وتعليله ولا يكون مصيبا الا اذا كان حقهم فيها افرض الحقوق بمعنى انها مقدمة على حقوق اقارب المرء نفسه وهذا فضل عظيم يبطل به قول التلميذ انه لادلالة فيه على ما يدعون وفى هذا المعنى احاديث كثيرة سيأتى منها ماتيسر ان شأ الله تعالى قال «وهذا الحديث الذي في تفسير النيسابوري المروي عن سعيد بن جبير كذب موضوع باتفاق اهل العلم كما نص عليه شيخ الاسلام فى منهاج السنة» اه ونقول ان دعوى الوضع باطلة فان صح ان ابن تيمية ادعاها فقد جازف ولا يستعظم ذلك منه فقد قال فيه بعض العلماء ان ضابط الوضع عنده ان لا يوافق هواه قالوا وقد تجاسر على القول بوضع الاحاديث المشهورة والصحاح ورد النص بمجرد التوهم وانكر رواية احاديث جياد وحسان مخرجة فى السنن فكيف يستبعد منه مثل

هذا وقد نعى عليه ذلك الحافظ بن حجر والزرقاني وغيرهما فلا حجة بقول مثله في هذا النوع اصلا لانه من مداخل الاهواء وقد اتهمه الناس بالنصب وادعوا عليه دعاوى عريضة ووقائعه في ذلك معروفة وحملاته على العلماء من اهل المذاهب وحملاتهم عليه موجودة في ايدى الناس والى الله المصير ، ويدلك على بطلان دعوى الوضع اقتصار الحافظ ابن حجر على القول بضعفه وهو اعلم منه في هذا الباب واوثق وتبعه على ذلك السيوطي ولم يرم احد من رواته بوضع والحمد لله وقد انكروا على ابن تيمية في منهاجه امورا كثيرة كقوله ببطلان طريق الاشعري شرعا وعقلا وان المذاهب الاربعة قد تجتمع على باطل ويكون الحق فيما سواها واستحسانه تسميم الحسن السبط على جده وابويه وعليه الصلاة والسلام وحكمه بكفر الامام الغزالي وادعى عليه بعضهم سبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكأن هذا القائل قد بنى ذلك على ماصح من طرق ان سب علي كرم الله وجهه سب له صلى الله عليه وآله وسلم والا فهو غير معقول منه البتة وكمدحه للخوارج وقوله بانهم اهل دين مراغمة للاحاديث المتواترة واعتذاره عنهم وميل كلامه الى رد حديث عمار تقتله الفئة الباغية مع تواتره بل صار فرقانا بين اهل السنة والنواصب فالاولون يثبتونه والآخرون ينفونه او يؤولونه وان يكون من الفئتين باغية ومبغي عليها وانكاره ما ثبت من سعي وجوه الناس في الاصلاح بينهما قبل القتال وعدوا امورا

غير هذه لا محل لشرحها قال الحافظ ابن حجر في اللسان مانصه «طالعت الرد المذكور (يعني منهاجه) فوجدته كما قال السبكي في الاستيفاء لكنه كثير التحامل الى الغاية في ردالا حاديث التي يوردها ابن المطهر وان كان معظم ذلك من الموضوعات والواهيات لكنه رد فى رده كثيرا من الاحاديث الجياد التي لم يستحضر حالة التصنيف مظانها لانه كان لاتساعه فى الحفظ يتكل على ما فى صدره والانسان عرضة للنسيان وكم من مبالغة لتوهين كلام الرافضي ادته احيانا الى تنقيص علي رضي الله عنه وهذه الترجمة لاتحتمل ايضاح ذلك وايراد امثلته» اه

فتأمل كيف قال كثير التحامل الى الغاية فى رد الاحاديث الخ مع قوله ولكنه رد في رده كثيرا من الاحاديث الجياد الخ وقول الحافظ انه لم يستحضر مظانها حالة التصنيف كلمة اعتذار يراد بها المجاملة فان اتساع حفظه يلزم منه ان يستحضر لاان لايستحضر وكيف يشذ عنه دلائل مبحث هو فى غاية الاهتمام بتنقيحه اخذا وردا مع اشتداد المجادلة بينه وبين خصمه ومن طالع كتابه بانصاف رأى ان مؤلفه كان في حال تعصب هائج لايرده شيء واشد الناس قولا فيه ابن حجر المكي والله يحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون وقد نقلنا فى كتابنا هذا عنه وعن تلميذه ابن القيم لولع اناس ممن تنصبوا بكتبه بل عادوا بسببها خوارج اوكالخوارج حتى حكى لنا عنهم انهم لايعدون امير المؤمنين عليا عليه السلام من الخلفاء الراشدين وقد وقفت على رسالة لبعضهم يحتج فيها على كفره وكفر العباس رضي الله عنهما ومقتضى هذا ان يكفر كل من احبهما وتولاهما لتوليه الكفار وهذا هو مذهب الخوارج بعينه عصمنا الله من مضلات الفتن

واما قول التلميذ «والآية مكية نزلت بمكة» فقد تقدم القول فيه مبسوطا وكم من آية نزلت بمكة وتحقق حكمها بالمدنية ومن ذلك ما ورد عن عمر رضي الله عنه في قوله تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر وهي مما نزل بمكة قال عمر فقلت اي جمع هذا فلما كان يوم بدر وانهزمت قريش نظرت الى رسول الله صل الله عليه وآله وسلم فى آثارهم مصلتا بالسيف يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر وقد عقد السيوطي في الاتقان فصلا فيما تأخر حكمه عن نزوله وما تأخر نزوله عن حكمه فليكن حديث الباب منه وبالجملة فدعوى الوضع باطلة وقوله «ولكن الرافضة يتعلقون بحبال العنكبوت» كلام خشن فان الحديث قد حكاه اكثر المفسرين افيكون جميعهم رافضة؟ افكل من روي شيئا من فضائل اهل البيت عادرا فضيا؟ نعوذ بالله من فلتات اللسان واتباع الشيطان. ومن العجب ان التلميذ يشتكى لمز خصومه لشيخه بالالقاب المنفرة وهو قد زاد عليهم واربي وان اربى الربا استطالة الرجل في عرض اخيه المسلم كما في الحديث وهذا منه عدوان وجهل بالفرق الاسلامية وقد عاب على السيد اقتصاره على بعض ماذكره النيسابوري فى تفسير الآية وهو ما تعلق باهل البيت وعده كتمانا للعلم وليس كذلك وما اكثر اقتصار العلماء فى النقل على ما يتعلق بالمطلوب ولو كان ذلك كتمانا لكان جلهم من الكاتمين (حاشاهم) ثم اورد بقية كلام النيسابوري وشيئا من كلام ابن جرير.

وقال «فقد علمت بطلان القول الذي اعتمده دحلان من ان مدلول الآية

هو ان اجر النبي صلى الله عليه وآله وسلم من تبليغ رسالة ربه مودة الناس لاقاربه من وجوه» جوابه ان السيد لم يقل بان ذلك اجر فقط وهذا تقول وبهت واختلاق (فان قيل) لعل التلميذ ظن ان القول بان ذلك اجر لازم من لوازم القول بان المراد بالقربى اهلها (قلنا) ان الظن اكذب الحديث وقد دل هذا الظن الفاسد على انه لم يفهم كلام العلماء فى هذا الموضع واذا قيل بان الاستثناء متصل وان المودة اجر حقيقي فلا فرق بين ان تحمل القربى على قرباه صلى الله عليه وآله وسلم او اهلها وكل مايجاب به عن ذلك على القول الاول يجاب به على الثاني بل لم يقل احد من محققي المفسرين بان الاستثناء متصل اتصالا حقيقيا واعتمدوا انه منقطع على الاقوال كلها كما قاله ابن عطية والبغوي وابو حيان والرازي والسمهودى وغيرهم وانما جوز الزمخشرى ان يكون متصلا من جهة الصناعة مع نفى ان يكون اجرا حقيقة كما تقدم قال التلميذ «الاول كذب الحديث الذي استند عليه» وجوابه ان هذا القول لم يستند على الحديث فقط بل على مايصح حمل الفاظ الآية عليه وقد علمت ذلك مماسبق على ان الحديث ليس بكذب قال «الثانى عدم موافقته للغة العربية كما يفهم من كلام ابن جرير» وجوابه كلا بل هو موافق للغة العربية كما جاء في الحديث وقرره الزمخشري وابو حيان والحافظ ابن حجر وغيرهم قال «الثالث انه مخالف لسنة جميع الرسل في كون كل واحد منهم كان يقول وما اسئلكم عليه من اجر ان اجرى الا على الله بل هذا مخالف لما جاء فى حق نبينا صلى الله عليه وآله وسلم من قوله قل ما أسئلكم من اجر وما انا من المتكلفين ومن قوله تعالى ام تسئلهم

اجرا فهم من مغرم مثقلون ومن قوله تعالى قل لا اسئلكم عليه اجرا ان هو الا ذكرى للعالمين » اه نقول اما هذا فلا غبار عليه وربما غلط المخطىء بصواب، وهو دليل على ان الاستشناء منقطع ولا نزاع في ذلك وليس فيه دليل يدفع ان يكون المراد بالقربي اهلها وقوله انه مخالف لسنة جميع الرسل فى كون كل واحد منهم كان يقول الخ من اين علم ان كل واحد منهم كان يقول ذلك؟!! لاوجه لذلك الا ان يكون مدعيا لعلم الغيب أو مكذبا باكثر المرسلين الذين ذكرهم الله فى القرآن والعلم بوجوب ذلك لهم لادلالة فيه على ما ادعى قال «الرابع ان جعل مودة اقاربه اجرا له فى تبليغ الرسالة غير جائز ولا لائق اذ تبليغ الرسالة من الامور الواجبة واخذ الاجر على الواجب الشرعي غير لائق بالمروة» اه ثم ساق نحو ما تقدم نقله عن الرازي من الاشكال والجواب عنه (وجوابه) ان هذا كله رد على القائلين بان الاستشناء متصل وان المودة اجر ولارد فيه للقول بان المراد بالقربى اهلها وبالجملة فكلام التلميذ يدور حول ابطال القول بان الاستشناء في الآية متصل ولم يقل به احد ممن يؤخذ بقوله (فان قيل) الم يقل الشاعر

رأيت ولائى آل طه فريضة ✲ على رغم اهل البعد يورثني القربا
فما سأل المختار اجرا على الهدى ✲ بتبليغه الا المودة في القربى

(قلنا) ينبغي ان يحمل كلامه على المجاز كما قال الزمخشري فى تأويل القول بان الاستشناء متصل ولو فرضنا ان الشاعر قد ظن ان المودة اجر حقيقة ماكان ظنه حجة على ائمة المفسرين ولا على السيد فما قالوا ولا قال هكذا وبما ذكرناه تعلم ان التلميذ يبنى قصورا من الاوهام

ثم يعود الى هدمها فهو انما يرد على وهمه ، ومبلغ علمه ، فهو في واد ، والعلماء في واد ، اريها السها وتريني القمر

اخباره صلى الله عليه وآله وسلم بان الايمان لايدخل قلب رجل حتى يحبهم لله ولقرابتهم منه

اخرج الترمذي عن عبد المطلب بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب ان العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه دخل على رسول الله صلى وآله عليه وسلم مغضبا وانا عنده فقال مااغضبك قال يارسول الله مالنا ولقريش اذا تلاقوا بينهم تلاقوا بوجوة مستبشرة واذا لقونا لقونا بغير ذلك قال فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احمر وجهه ثم قال والذي نفسي بيده لايدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم لله ولرسوله ثم قال ياايها الناس من آذى عمى فقد آذاني فانما عم الرجل صنوابيه قال هذا حديث حسن صحيح قال السيد السمهودي «واخرجه احمد والحاكم في صحيحه واستشهد لصحته بما اخرجه وكذا ابن ماجه من طريق محمد بن كعب القرظي عن العباس رضي الله عنه قال كنا نلقى النفر من قريش وهم يتحدثون فيقطعون حديثهم فذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال مابال اقوام يتحدثون فاذا رأوا الرجل من اهل بيتى قطعوا حديثهم والله لايدخل قلب رجل الايمان حتى يحبهم لله ولقرابتهم مني وساقه الجاكم ايضا من طريق يزيد بن زياد عن عبد الله بن الحارث عن العباس بن عبد المطلب قلت يارسول ان قريشا اذا لقي بعضهم بعضا لقوهم ببشر حسن واذا لقونا لقونا بوجوه لانعرفها فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غضبا شديدا وقال والذي نفسى بيده لايدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم لله ولرسوله قال الحاكم ويزيدوان لم يخرجاه فانه احد اركان الحديث في الكوفيين» اه

قلت اقره الذهبي على ذلك واحتج بهذا الحديث ابن تيمية أيضا فانه ساقه في الاقتضاء عن الترمذي ثم قال « ورواه احمد فى المسند مثل هذا من حديث اسماعيل بن ابي خالد عن يزيد هذا ورواه ايضا من حديث جرير عن يزيد بن ابي زياد عن عبد الله بن الحارث عن عبد المطلب بن ربيعة قال دخل العباس على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله انا لنخرج فنرى قريشا تتحدث فاذا رأونا سكتوا فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ودر عرق بين عينيه ثم قال والله لا يدخل قلب امرئ ايمان حتى يحبكم لله ولقرابتي فقد كان عند يزيد بن ابي زياد عن عبد الله بن الحارث هذان الحديثان احدهما فى فضل القبيل الذى منه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم(١) والثانى فى محبتهم وكلاهما رواه عنه اسماعيل بن ابي خالد ومافيه من كون عبد الله بن الحارث يروى الاول تارة عن المطلب بن ابي وداعة والثانى عن عبد المطلب بن ربيعة وهو ابن الحارث بن عبد المطلب وهو من الصحابة قد يظن ان هذا اضطراب فى الاسماء من جهة يزيد وليس هذا موضع الكلام فيه فان الحجة قائمة بالحديث على كل تقدير لا سيما وله شواهد تؤيد معناه » اه اقول ان الحديث الذي رواه عبد الله تارة عن العباس وتارة عن المطلب بن ابي وداعة هو حديث ان الله خلق الخلق فجعلني من خير فرقهم الحديث لا حديث الباب اماراويه فقد قال فيه بعضهم عن المطلب بن ربيعة وبعضهم سماه عبد المطلب بن ربيعة وقد اراد بعضهم ان يعلل الحديث بذلك جهلا منه بحقيقة الامر وبيان ذلك أن الحارث بن عبد المطلب هو عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وابنه ربيعة بن الحارث ابن عمه صلى الله عليه وآله وسلم وهو صحابي وابنه المطلب بن الحارث ويقال عبد المطلب بن الحارث هو راوي هذا الحديث وهو صحابي

---

(١) سيأتي هذا الحديث فى باب حديث الاصطفاء اه مؤلف

أيضا قال الحافظ ابن حجر «واما اهل الحديث فمنهم من يقول المطلب ومنهم من يقول عبد المطلب» اه فهذا اختلاف في التسمية لا فى المسمى وبالجملة فالاختلاف في اسم الصحابي غير قادح فالحجة بالحديث قائمة وقد ذكر الحافظ هذا الحديث في ترجمته فى الاصابة من رواية الترمذي والبغوي والطبراني قال «وحكى الطبراني والبغوي الوجهين وصوب الطبراني المطلب» اه واخرجه طراد فى فضائل الصحابة عن مسلم بن صبيح وهو من رجال الصحيحين قال قال العباس رضى الله عنه فساق الحديث بنحو ما تقدم وزاد أترجو مراد شفاعتي ولايرجوها بنو عبد المطلب ويشبه ان يكون مسلم قد رواه عن ابن عباس ويشهد لذلك حديث الطبرانى عن ابي الضحى وابو الضحى هو مسلم بن صبيح المذكور عن ابن عباس رضي الله عنهما قال جاء العباس رضى الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال انك تركت فينا ضغائن منذ صنعت الذي صنعت فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لايبلغوا الخير اوقال الايمان حتى يحبوكم لله ولقرابتي اترجو سلب (هم حي من مراد) شفاعتي ولايرجوها بنو عبد المطلب اخرجه الطبراني فى الكبير واخرجه طراد ايضا من حديث عبد الله بن الحارث عن المطلب بن ربيعة ولفظه جاء العباس وكذا ذكره محمد بن نصر المروزي بلفظ الترمذي واخرجه الطبرانى فى الكبير والروياني وابن عساكر عن محمد بن كعب القرظي قال قال العباس كانت قريش اذا جلسوا فتحدثوا بينهم بالحديث فجاء رجل

من اهل البيت قطعوا حديثهم فاتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاخبرته وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا بلغه شيء فوعظهم اتعظوا فخطبهم ثم قال مابال اقوام يتحدثون بينهم الحديث فاذا رأوا رجلا من اهل البيت قطعوا حديثهم والذي نفسي بيده لايدخل قلب رجل الايمان حتى يحبهم لله ولقرابتهم مني ومحمد بن كعب هذا ولد فى حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة وحديث ابي الضحى اخرجه الخطيب وابن عساكر عن مسروق عن عائشة قال الخطيب غريب والمحفوظ عن ابي الضحى عن ابن عباس وقال ابو داود رواه جماعة عن ابي الضحى مرسلا وحديث المطلب اخرجه النسائي ايضا واخرجه الطبراني في الاوسط والصغير والحاكم في المستدرك عن عبد الله بن جعفر بلفظ والذى بنفسي بيده لايؤمن احدهم حتى يحبكم لحبي ايرجون ان يدخلوا الجنة بشفاعتي ولا يرجوها بنو عبد المطلب وتعقبه الذهبي فضعفه من هذه الطريق خاصة واخرجه ابو داود الطيالسي وسعيد بن منصور فى سننه عنه بهذا اللفظ الا انه قال ولايدخلها بنو عبد المطلب واخرجه ابن عساكر عن ابن عباس بنحو حديث ابي الضحى واخرجه ابن عدي وابن عساكر عن علي كرم الله وجهه واخرجه ابن عساكر وابن النجار والروياني من حديث العباس رضي الله عنه وانما أشرنا الى هذه الروايات كلها لننبه عليها حتى لا ينخدع الطالب بفعال المريبين وصنيعهم فى امثال هذه المواضع كما فعل التلميذ في جحد

حديث الثقلين وحديث آية التطهير فانه ذهب يجمع طرق الحديثين ورواياتهما المختلفة ليعلل ويضعف الصحيح منها بالضعيف وهذا جهل بالعلم وغش للناس ولايحصى مافى البخارى ومسلم من الاحاديث الصحيحة التي رواها غيرهما من طرق اخرى ضعيفة فما زادتها الاقوة ولوصح مايفعله هولاء لـكان الضعيف من الاحاديث ما تعددت طرقه والصحيح منها ما قلت طرقه ولا يتوهم مثل هذا من عنده شمة من العلم ❀ وقد دل هذا الحديث على عظم حقه صلى الله عليه وآله وسلم وحق ذوي قرباه وفي ذلك فضل عظيم لهم وناهيك بفضل قوم لايدخل الايمان قلب رجل حتى يحبهم ومما يلحق بهذا الباب ما اخرجه الحاكم فى المستدرك وصححه وتبعه على ذلك الذهبي بطريقين الى هشام بن يوسف بسنده الى ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم احبو الله لما يغذوكم به من نعمه واحبوني لحب الله واحبوا اهل بيتي لحبي قال الحاكم هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه وقال الذهبي صحيح وصححه الحافظ السخاوي وابن حجر المكي والعزيزي وغيرهم ورواه الترمذي عن ابي داود وحسنه والبيهقي في شعب الايمان وقدذكره ابن الجوزي في العلل المتناهية وقال ابن حجر ان ذلك وهم منه واقول كلا فان ابن الجوزى قدرمي بالنصب ولايؤخذ بقوله فى امثال هذا وقد وقعت بينه وبين شيعة بغداد حوادث عظيمة وجرت بينه وبين الركن بن عبد السلام الجيلي امور طويلة وكان قد اشار بحرق كتبه

وطعن في نسبه ونظم خصومه فيه اشعارا رموه فيها بالنصب ليصح لهم الطعن في نسبه ثم دار الفلك فنالت ابن الجوزي محنة بعد ذلك وبالجملة فقد كان الحال بينهما متباعدا وقد عمد ابن الجوزي الى بعض الاحاديث الواردة في اهل البيت فركمها في كتابيه الموضوعات والعلل المتناهية ليغيظ بذلك الشيعة ومن نظر في هذين الكتابين له وقابل صنيعه فيهما بصنيعه فى كتابه التحقيق فى احاديث التعليق عند ما يدافع عن مذهبه ونحو ذلك من مؤلفاته تحقق ماشرنا اليه ولوفعل كما فعل حفاظ السنة وائمة الامة ووضع كل شيء موضعه لكان خيراله وماكان له ان يترك الصحيح من الاحاديث او يوهنها اغاظة لاحد ولارعاية لهوى وسيأتي كلام العلماء فى ابن الجوزى وانه لايحسن نقد الحديث في الكلام على حديث الاصطفاء والله الموفق والمعين

تم الجزؤ الاول من كتاب القول الفصل بعون الله تعالى
ويليه الجزؤ الثاني اعاننا الله على اتمامه
ونفع به المسلمين فانه هو الموفق
والمعين
امين
م

فهرست الجزء الاول من كتاب القول الفصل

صحيفة
٢ ديباجة الكتاب
٨ الكلام على حديث يحمل هذا العلم الخ
٠ تحريف الغالين
١٠ « الهزء والسخرية
١١ بعض كلام من همز ولمز في آية التطهير
١٥ تبديله اسماء رجال الاحاديث
١٦ انتحال المبطلين
١٧ بعض الدجالين
١٨ نموذج مماورد فيهم
١٩ امر النبي بالبعد عنهم خوف العدوى
٢١ دعاة الدجالين واذنابهم
٢٢ ائمة الهدى وائمة الضلال
٢٣ معادن ومغارس هولاء وهولاء
٢٤ دعاة جهنم
٢٥ دعاة التجدد من المتفرنجة
٢٧ مداخل الشيطان ومسالك دعاة الضلال
٣١ الاباضية

صحيفة

٣٤ نموذج من ضلال البابية والشعوبية

٣٦ تأويل الجاهلين

٣٧ سبب تاليف هذا الكتاب واسمه

٤١ اقسام ما اشتمل عليه كتاب السوداني المردود عليه

٤٤ امهات المسائل المردودة وهي ٣٨

٥٩ ذكر اصراره على الباطل وسبه لاهل الحق

٦١ « اسم الكتاب ومغزاه

٦٢ « من صنف لهم الكتاب

٦٣ « الخوارج والنواصب

٦٧ « مخرجي احاديث مروق الخوارج

٦٨ « النواصب

٦٩ « نفاق النواصب

٧١ « الشعوبية وتبرئ الائمة منهم

٧٣ « رد زعم الشعوبية استواء البشر فى اصل الخلقة

٧٤ « « « بعض المتكلمين ماذكر وبنائه له على اصل فاسد

٧٦ « بعض ائمة المسلمين القائلين بالتفاضل

٧٨ « اتفاق اهل السنة على التفاضل

٧٩ « ائمة الشعوبية ومثالبهم ورقة ديانتهم

صحيفة

٨١ ذكر تنكيت لطيف وتبكيت ظريف
٨٢ ” ” ” ” مفيد
٨٥ ” فضل العرب وبيان فساد مزاعم الا فرنج
٨٦ ” مقاصد الافرنج من دعاويهم الفاسدة
٨٧ ” رواج الشبه على المتعلمين فى مدارس الافرنج
٠ ” الحبش
٨٨ ” الامحرية منهم
٨٩ ” ” والاقرب انهم عرب
٩٠ « اتفاق الصحابة ومن بعدهم على افضلية العرب
٠ „ الكفاءة في النكاح و ص ١١٤
٩٤ „ الاجماع على تبديع الشعوبية
٩٥ „ خلاصة مذهب اهل السنة في فضل العرب وتفضيل بنى هاشم
٩٦ „ حديث الاصطفاء
٩٧ „ من الف فى فضل العرب ورد على منكريه
٩٨ „ الرد على صاحب الصورة
٩٩ „ شيء مما جاء فى الصلاة على الآل
١٠٠ „ جهل الشعوبية كاخوانهم الخوارج معنى المساواة وص ١١٨
١٠١ „ ماكان عليه العرب بجاوا قبل فتنة السوداني

صحيفة

١٠١ ذكر ماكان عليه العرب اهل حضرموت بها
٠ ,, صفة الكتاب المردود عليه
١٠٣ ,, شيء من ذم من قال على الله بغير علم
١٠٤ ,, جهل السوداني ماهو المعلوم من الدين بالضرورة
١٠٦ ,, عادة اهل الاهواء وصنيعهم
١٠٧ ,, نموذج من الامتيازات بحق فى الاسلام
١٠٩ ,, اغلاط فاحشة
١١١ ,, الاول والثاني
١١٢ ,, الثالث
١١٣ ,, ال ٤ و ٥
١١٤ ,, ال ٦ و ٧ و ٨
١١٥ ,, الخطأ ال ٩ و ١٠
١١٦ " " " ١١ و ١٢ و ١٣
١١٧ " " " ١٤
٠ " تعريض السوداني بذم ائمة المسلمين
١١٨ " الخطأ ال ١٥
١٢٠ " الحديث فى ان الخوارج شر الخلق والخليقة
١٢١ ,, ظن الخوارج ان العدل فى التسوية وغلطهم

صحيفة

١٢١ ذكر الخطأ ال ١٦ و ١٧ و ١٨
١٢٢ ” ” ” ١٩ وتفاضل المخلوقات وتفاوت الاستعداد
١٢٤ ” ” ” ٢٠
١٢٥ ” تفاوت الشعوب والقبائل
١٢٦ ” الخطأ ال ٢١ وتأثير الوارثة والتربية
١٢٧ ” ” ” ٢٢
١٢٨ ” تفاوت الاصناف
١٢٩ ” الخطأ ال ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ و ٢٦ و ٢٧
١٣١ ” ” ٢٨ و ٢٩
١٣٢ ” مايمكن علاجه بالتربية ومالايمكن
١٣٣ ” الخطأ ال ٣٠
٠ ” حديث من ابطأبه عمله الخ والجمع بين الاحاديث
١٣٥ ” الكلام على حديث لافضل لعربي الخ وص١٣٦ وص ٥٠
١٣٩ ” الخطأ ال ٣١ ولوازم فضل النسب
١٤١ ” ” ” ٣٢
١٤٢ ” ” ” ٣٣ و٣٤ و٣٥ و٣٦ و٣٧ و٣٨ و٣٩
١٤٥ » » » ٤٠
١٤٦ » » » ٤١ و٤٢

صحيفة

١٤٧ ذكر الخطأ ال ٤٣ وفيه ذكر اوثق شبه الشعوبية عندهم وردها
. « « « (من عشرة اوجه من صحيفة ١٤٧ الى ١٥٣
١٥٤ « « « ٤٤
١٥٥ « « « ٤٥ و٤٦ و٤٧ وبيان كذبه فيما جعله للعقل
١٥٦ « تضليله وخبطه
١٥٨ « الخطأ ال ٤٨ و٤٩
١٥٩ « « « ٥٠ وتخريج حديث لا فضل لعربي الخ
١٦٢ « ,, ,, ٥١ و٥٢
. « عادة اهل الضلال وتهويلهم بالباطل
١٦٣ « السياسة ممدوحها ومذمومها
١٦٤ « التحذير من اهل الاهواء
١٦٦ بيان فساد قول السوداني فى انتشار الاسلام
١٦٧ « تغريرهم بذكرهم ذلك كذبا
١٦٩ « استخدام دعاة الاديان تلك الاشاعات في صالحهم
. « الخطأ ال ٥٣ و ٥٤ وال ٥٥ وال ٥٦ وال ٥٧ وال ٥٨ وال ٥٩
١٧٠ مخالفة السوداني لاهل السنة وموافقته اضدادهم
١٧١ بيان كذبه على العقل
١٧٢ « كذبه فيما نسبه الى العقل . الماع الى الوراثة

صحيفة
١٧٣ ذكر خبط السوداني وتعكيسه
١٧٤ ,, الخطأ ال ٦٠ و ٦١ و ٦٢ و ٦٣ و ٦٤ و٦٥ و٦٦ و٦٧
٠ الكلام على فضل النسب ونقصه
١٧٦ ذكر كلام الشافعي في الكفاءة
١٧٨ ,, ,, الحنفية ,, ,,
١٧٩ ,, ,, الحنابلة والمالكية ,, ,,
١٨٠ ,, لحوق العار بمصاهرة الادنياء
١٨١ ,, كذبه وافترائه على الشارع
٠ ,, السؤالات البنجرية وخبطه فيها
١٨٣ ,, السوال الاول وخلطه وتخبطه فى جوابه
١٨٤ ,, ,, الثاني ,, ,, ,, ,,
١٨٦ ,, ,, الثالث ,, ,, ,, ,,
١٩٠ الكلام على قوله تعالى انا خلقناكم من ذكر وانثى الآية
٢٠١ ذكر الرد على التلميذ . معنى الفضل
٢٠٣ ,, اسباب الفضل . ومنها الوراثة
٢٠٧ ,, كلام ابن حزم فى التفاضل
٢٠٨ ,, نتيجته وثمراته

صحيفة

٢٠٩ ذكر ايرادات واستنتاج
٢١٠ „ اسئلة واعتراض
٢١١ بيان خبط ابن حزم والرد عليه
٢١٢ رد على ابن حزم
٢٢١ ذكر كلام ابن القيم فى الاصطفاء والتفضيل
٢٢٢ تعديد بعض مااختاره الله وفضله
٢٢٣ الانكار على من ادعى تساوي الذوات والرد عليه
٢٢٦ بيان مايؤخذ من كلام ابن القيم
٢٢٨ ذكر اسباب الفضل وشيء مما جاء فى القرآن
٢٤٢ « فصل في « « « في السنة
٣٤٤ « التفضيل بالاضافة اليه سبحانه
٢٥٧ مقالة الجاحظ في فضل قريش وبني هاشم
٢٥٨ ذكر اصناف البشر وتفاوت ذواتهم
٢٦٠ « « الخيل وتفاوتها
٢٦١ « « النخل «
٢٦٣ عود الى البشر وبيان شدة تفاوتهم
٢٦٩ ذكر ارذال البشر خلقة وجبلة
٢٨٧ „ دليل فضل النسب

صحيفة

٢٨٤ ذكر بعض خصائص النسب
٢٨٩ " دليل . ثم ذكر كلام ابن خلدون ورده
٢٩٠ " حكم الله على الخلف كحكمه على من تولوه من اسلافهم
٣١٤ " الكلام على قوله تعالى : وكان ابوهما صالحا :
٣١٦ " خبط التلميذ وبيانه
٣٣٧ " الكلام على قوله تعالى والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم : الآية
٣٤٢ " الرواية عن عباس
٣٤٣ " غلط التلميذ في اسماء الرجال وفى الجرح وتخبطه الفاضح
٣٤٦ " كذبه وتضليله ودعاويه الباطلة
٣٤٨ " كذبه على ابن جرير وعدم فهمه
٣٥٠ " تفصيل كذب التلميذ وخبطه وتخليطه
٣٥٢ " الارجاء وتبيينه وايضاح الكلام فيه بما لم يسبق له مثيل
٣٦١ عود الى روايات سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما
• درجاتها من الصحة
٣٦٢ شواهدها
٣٦٦ رواية الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما
٣٦٧ رواية العوفي عنه وروايتي الضحاك وابن زيد
٣٦٨ الكلام على اسانيدها

صحيفة

٣٧١ ماروى عن ابن جبير وعامر الشعبي

٣٧٢ رد جرح التلميذ وشيخه للعدول عدوانا

٣٧٣ ذكر اربع روايات اخرى

٣٧٤ الكلام على اسانيدها

٣٧٨ تقول السوداني وتلميذه

٣٧٩ الرواية عن ابن مسعود وابن عمر رضي الله عنهم
الرويات المرفوعة فى تفسير الآية

٣٨١ روايات الطحاوي

٣٨٣ رواية الحاكم ثم عبد الغني ثم كلام ابن القيم

٣٨٥ كلامنا على كلام ابن القيم

٣٨٩ القرآت والاعراب واللغة فى هذه الاية

٣٩٤ الكلام على الاعتراض والاحتراس فيها

٣٩٦ كلام ابن القيم فى الاحتراس فيها

٣٩٧ كلام ابن تيمية

٣٩٩ تعداد غلطات التلميذ وشيخه في تفسير الآيةوهي ١٠٩ غلطات

٤١٣ تحريفات السوداني

٤١٦ تناقضه

٤٢٠ كلام ابن القيم وهو يفيد رد كلام السوداني وخبطه

صحيفة

٤٢٣ خروجه عن مذهب اهل السنة والجماعة

٤٢٤ مخالفته لجميع الامة

• مخالفته لاهل السنة

٤٢٥ موافقته للمعتزلة

٤٢٧ مخالفته للامة

٤٣٠ زعم باطل

٤٣١ تناقض كلامه وص ٤٣٢

٤٣٣ تقوله وص ٤٣٤

٤٣٦ مرجحات تفسير ابن عباس (ض) على غيره وهي ٢٣ مرجحا

٤٤٠ ذكر بعض المؤلفات في فضل اهل البيت الطاهر

٤٤٥ ” ” ” مولانا علي عليه السلام

٤٤٧ ذكر ايجاب دخول النار لمبغض اهل بيت المصطفى (ص)

٤٥٠ بغض بنى هاشم والانصار كفر وبغض العرب نفاق

٤٥٥ معنى كفر مبغض بنى هاشم والانصار وانه كفردون كفر

٤٥٦ حاسدالآل حاسد له صلى الله عليه وسلم

٤٦٠ ايجاب اللعنة على من استحل حرمة العترة

٤٦٣ الكلام على حديث الباب وسنده وطرقه

٤٦٨ الكلام على قوله تعالى قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى

صحيفة

٤٩٠ مناقشة التلميذ على اغلاطه في تفسيرها
٤٩٥ تقول التلميذ
٤٩٧ اخباره (ص) بان الايمان لايدخل قلب رجل حتى يحبهم لله ولقرابتهم منه

◆ تمت ◆

ص	س	خطأ	صوابه
١٥٣	٩	كل واحدة	المتغلب

صحيفة	سطر	خطأ	صوابه
٣	١٣	لايتفرقان	لا يفترقان
٤	٣	ان انهمك	وانهماك
٧	٧ و٨	ولا يزال يقع الى اليوم	ولم يزل
٠	١٤	احدى	احد
١٢	١٢	فلئن لا	لا
٠٠	١٣	اولى	بالاولى
١٣	٠٥	خبثهم لم	خبثهم اولم
٠٠	٠٨	الا بمثل	بمثل
١٥	١٣	ابي العباس	ابا العباس
١٩	٠١	رجل	رجلا
٢٣	٠٣	وما	ومن
٢٦	٠٨	الدعواة	الدعوة
٢٧	١٥	لايقبلون	لايقبلوا
٢٨	٠٢	فهمم	فهمهم
٢٩	٠٧	وهم ولا	وهم لا
٣١	٠٥	وساع	وسيعة
٣٥	٠٣	ولا ينكرونه	ولا ينكروه
٣٦	٠٩	وان كان لايخلو الخ	محله بعد قوله وقد طال الكلام قبله بسطرين
٣٧	١٧	وفد	وقد
٥٨	١٦	الاعمة	الائمة
٥٩	٠٨	الذي	الذين
٦٠	٠٩	افني	افنى
٦٣	٠٩	بتصرفون	يتصرفون
٦٨	٦	وجد	وجحد
٧٥	٤	الامم	الامام
٧٩	٣	خرجوا	خرجا
	٦	المفردة	الفردة
٨٣	٤	الزدناقة	الزنادقة
٨٤	١٠	النديم	ابن النديم

صحيفة	سطر	خطأ	صوابه
١٨١	١١	قبل	دون
١٩١	٠١	جعل	جل
	١٥	يحوز	يجوز
	٢٤	لهن	لمن
٢٠٧	٠١	والذين	والذي
٢١٠	١٤	الاالزم	الا لزام
٢١٢	١٧	رفعت	رفعة
٢١٣	١٨	افضيلة	افضلية
٢١٥	١٧	الدرجة	الدرجة التي
٢٢٥	٢٣	عام	امر عام
	٢٥	امرا عظم	اعظم
٢٢٦	٠٣	ال د	الرد
٢٢٩	١٨	الاستعداد	التأهل
٢٣٤	١٥	سحريا	سخريا
٢٣٧	١٣	اليه	. . .
٢٤٥	٠٩	حيا	حيا وميتا
٢٤٧	٠٦	كثير	كثيرة
٢٥١	١٨	وبا لجلة	وبا لجملة
٢٥٥	١٧	طعن	لطعن
٢٦٣	٠٤	عرست	غرست
٢٦٦	١٤	دولة	امة
٢٦٨	١٨	صنة	صنعة
٢٨١	٠٣	وقومك	ولقومك
٢٩١	٠٢	تقرر	ما تقرر
٢٩٥	١٩	وارام	ورام
٢٩٨	٠٢	ذكرناه	ما ذكرناه
٣٠٢	٠٨	قد قطع	يقطع
٣٠٩	٠٤	للمؤمنين	للمؤمنين مثلين
٣٢	١١	ضلال	ظلال

صحيفة	سطر	خطأ	صوابه
٩١	٩	الوزاء	الوزراء
٩٩	١١	ولم ترد	ولم تثبت
١٠١	٠١	مع ان	على ان
١٠٨	٠٥	بعطاها	يعطاه
٠٠٠	٠٦	احكاما	احكام
١٠٩	٠٩	تضليل آخر	تضليل وذم
١١٠	٠٨	وان	فان
٠	٢٢	هذ	هذه
١١٦	١٨	جملة من اهل	جملة اهل
١١٩	١٢	فلما جعل	فلجعل
١٢٨	١٦	والعنب	والنخل
١٣٠	١٧	بناته	نباته
١٣٢	٠٢	والحبن	والجبن
٠	٠٤	كالطبع	كالتطبع
١٣٦	١٣	والجدو	والجدوى
١٤٢	١٤	خيرا	خير
١٤٤	٠٤	بالقلب	بالقلب والقالب
١٤٦	١٢	علي	على
١٥١	١١	المهاجرون	المهاجرين
١٥٣	٠١	الخامس	الثامن
٠	٠٤	السادس	التاسع
٠	١٠	السابع	العاشر
١٦٥	٠٦	جرمونه	جرثومة
١٦٨	٠١	اليها	اليه
٠	٠٣	الثالث	الرابع
	٠٨	الرابع	الخامس
٠	١٨	الخامس	السادس
١٧٣	١١	فقط	...
١٨١	٠٤	اقب	اقرب

صحيفة	سطر	خطأ	صوابه
٣٢٢	٠٨	لغلامه	لغلامين
»٢٣	٠٥	فصلاحها	فصلاحه
»٣١	٠٧	ان امري	عن امري
	١٦	ان	على ان
٣٣٢	٠٨	ابوا	ابوي
»٣٤	٠٩	كان باطلا	باطل
»٣٩	٠٨	فقه	وفقهه
»٤٩	١١	اقب	اقرب
»٥٤	٠٦	تكلم	من تكلم
	١٠	مغيرة بن مرة	مغير بن مقسم
.	٠٤	القاح	القادح
٣٥٦	١١	الحسين	الحسن
»٥٩	٠٨	كان	كانوا
»٦٢	١٣	ماحه	ماجه
»٦٣	٠٨	وابو	وابي
»٦٤	٠٦	الانسان	للانسان
»٦٥	١٤	مالايحصي	مالايحصى
»٦٦	١٣	قول	قوله
»٦٧	١١	والثالث	والثالثة
»٦٩	.	عنه	عنهم
.	١٦	السبوطي	السيوطي
٣٧٠	٠٦	والذن	والذين
»٧٢	١٣	الراوية	الرواية
»٧٥	٠٩	مواتات	مواتاة
»٧٦	٠٣	الحاق	الحاقا
.	.	يستحق	يستحقوه
.	١٧	اختصار او	اختصارا او
»٧٧	١٩	تصرح	منها مايصرح
»٨٠	٠١	فيقال يارب	فيقول يارب

صحيفة	سطر	خطأ	صوابه
٣٨٩	١٩	الحقناهم	الحقنابهم
٠	١٦	القرآت	القراآت
٣٩٠	١٠	مزري	مئزري
٣٩١	٧٠	المفسروه	المفسرون
٠	٣٠	الادارك	الادراك
٠	١٩	ولا يتخيل	ولا يتخيل احد ان قوا والذين آمنوا معطوف على بجور عين الا هذا الرجل وهو تخيل
٣٩٥	١٤	لاحق	ملحق
٠	١٥	وللاعتراضات	وللاعتراض
٣٩٨	٠٦	آله	وآله
٣٠٧	٠٨	قاصمه	قاصمة
٤٠٨	٢٠	باقيا	باق
٠	٠	ابنائهم	في ابنائهم
٤١٣	١٤	هذه	هذا
٤١٦	٠٩	مجروج	مجروح
٤١٧	٢٠	وهذه	وهذا
٤٢١	٠٥	من هذا	من
٤٢٧	٠٦	الوعيد	الوعد
٠	١٣	الى ال ٨٦	الى ال ٩٦
٤٢٩	١٩	الخزعبلات	الخزعبيلات
٤٣٧	١٢	فيها	فيه
٤٣٩	٠٩	قوله	قول
٤٤٠	٠٢	وعشرون	والعشرون
٤٤١	١٦	فداء	وقاء
٤٤٤	٠٥	ونحوه	وغيره
٤٤٨	١٠	جودا	جوداء
٠	١٥	النبيّ الله	نبي الله

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٤٤٩	٠٥	لآن	لأن
٤٧١	٠٥	وصلة	والصلة
٤٧٦	١٥	واا	وآله
٤٨	١١	مقسم	مقسما
٤٨٣	١٢	فيهم لا	فيهم قال لا
٤٨٨	٩	النجاس	النحاس